زلزال جهيمان في مكة

تأليف فهد القحطاني

منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية

الطبعة الأولى 1407هـ/1987م

بسم الله الرحمن الرحيم

((انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون)).. صدق الله العظيم

المقدمة:

في مطلع هذا العام الهجري الجديد (1406هـ) تكون قد مرت على انتفاضة الحرم ست سنوات، عاشها المؤمنون على امتداد الوطن الإسلامي في صراع مرير مع أنظمة التبعية والعمالة من أجل بناء دولة الإسلام، وتطبيق حكم الله في الأرض..

ست سنوات هي قليلة بعمر الزمن، ولكن ذابت فيها أحداث قرن، فكانت بمثابة منعطف قلب المعادلات السائدة، وها هي بشائر الأمل تلوح في كل قطر إسلامي، على أن دين الله باق وأن الطواغيت إلى زوال..

ست سنوات كافية لدراسة الانتفاضة العظيمة التي فجرها المؤمنون في مكة المكرمة، بعيداً عن الأجواء المشحونة بالانفعالات والتضليلات التي صبها الاعلام الفاسد كالسيل في آذان المسلمين..

وهذه الدراسة لحادثة الحرم والتي نستعرض فصولها في هذا العدد من المجلة، هي بمثابة تخليد لذكرى الشهداء، وهي بالدرجة الأساس ليس هدفها تغيير القناعات التي تشكلت بسبب الغموض والدعاية المضللة فحسب، وإنما

هي أيضاً محاكمة لأقطاب النظام السعودي وجرائمه معتمدين في ذلـك علـى أقوالهم وتصريحاتهم وأفعالهم أيضاً..

إنها دراسة لا تستهدف التبرير أو الـدفاع عـن باطـل.. بـل هـي دفـاع عـن قناعات حقة.. فالانتفاضة ـ وكأي انتفاضة ـ لها أخطاؤها، ولها سلبياتها، لكن ما يهمنا هنا أنها قامت للدفاع عن حق مشروع بل وواجب، وإذا كـان هنـاك خطـأ ما، فإننا نتخذ من كلام الامام علي (عليه السلام) جوابـاً علـى هـذا الاشـكال.. لقد قال الامام: (ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل بأصابه)..

آل سعود طلاب باطل، طلاب سلطة، ومستعدون لمقاتلـة وذبـح أي كـائن كان من أجل الحفاظ عليها.. لقد أصـابوا الباطـل حينمـا قتلـوا المـؤمنين فـي الحرم، وقتلوا معهم جموع الحجاج.. وزادوا على ذلك بأن شوهوا ـ أيما تشويه ـ أهداف الانتفاضة ودوافعهـا، واسـتخدموا كـل الوسـائل لقلـب الباطـل حقـاً، والحق باطلاً.. وهذه الصفحات تحوي تفاصيل الباطل السعودي الـذي روجـوه عبر إعلامهم للعالم الإسلامي لتأييد مواقفهم ضد طلاب الحق.

(تمهيد)

الحدث

في فجـر مطلـع القـرن الخـامس عشـر الهجـري، الموافـق ليـوم الثلاثـاء 1/1/1400هـ ـــ 20 نوفمـبر 1979م، سـيطرت مجموعـات مـن الأشـخاص ينتمون إلى جماعة (الدعوة المحتسبة) التي هي امتـداد لحركـة (الاخـوان)[1]، على الحرم المكي الشريف واعتصـمت بـداخله، يرافقهـم فـي ذلـك نسـاؤهم وأطفالهم..

وقد أصيب النظام السـعودي بالـذهول مـن هـذا الحـدث.. وحـاول فـرض تعتيم إعلامي على الحدث ومنع تسربه للخارج، وقـام بعـدة إجـراءات ابتـدأت بالصـمت وعـدم الاعلان عـن أي شـيء، وانتهـاء بغلـق المطـارات، وقطـع الاتصالات الهاتفية بالخارج..

لكن وبعد اقل من عشرين ساعة، سمع العالم بما حـدث مـن خلال إذاعـة صوت أميركا التي هي أول إذاعة أعلنت النبأ.. وقد تسرب الخـبر إلـى سـفارة واشنطن في جدة، فأعلنت وزارة الخارجية الأميركية (أن ما يتراوح بين 60 ـــ 100 شخص يحتجزون 30 رهينة فـي أحـد مسـاجد مكـة).. وأضـاف النـاطق بإسم الوزارة (هودنغ كارتر) أن (مجموعة غير معروفة الانتماء اسـتولت علـى المسجد، واحتجزت رهائن فيه، وقتلت شخصـية حكوميـة سـابقة. وقـد تكـون هذه المجموعة من المذهب الشـيعي).. وفـي اليـوم التـالي مباشـرة نشـرت الخبر العديد من الصحف الأجنبية والعربية[2]..

وفي صباح اليوم التالي (الأربعاء 21/11/1979م) أشـارت جريـدة النهـار إلى أن مراسلي وكالات الأنباء في الكويت والامـارات والبحريـن وغيرهـا، قـد أعلنوا بأن الاتصالات الهاتفية مع السعودية قد قطعت لأسباب مجهولة..

وقد جن جنون الحكم السعودي، فأميركا التي هـي الحليـف الأول كسـرت جـدار الصـمت الـذي أراد فرضـه علـى الأحـداث.. لدرجـة أن أقطـاب الحكـم

[1] ـ حركة الاخوان، هي حركة تختلف كلية عن الاخوان المسلمين.
[2] ـ من بينها صحيفة النهار البيروتية (21/11/1979م).

السعودي اشاروا أكثر من مرة إلى امتعاضهم ولومهم لهذا الاعلان.. فقد أعلن وزير الداخلية نايف بأن (التصرف الأميركي لم نجد له التفسير الكافي حتى الآن.. وهو مؤسف.. بالاضافة إلى أنه تصرف لا مبرر له حتى الآن)، وقد كرر الوزير مرة أخرى امتعاضه هذا في مقابلة له مع جريدة السفير البيروتية في (10/1/1980)..

إن الاعلان الأميركي عن النبأ أحرج الحكم السعودي بدون قصد، كما أنه يوضح مدى متابعة ومراقبة ونشاط سفارة أميركا في البلاد..

ومن جانب آخر، وبسبب الاحراج، اضطر آل سعود إلى إعلان النبأ مشوهاً إلى العالم، خوفاً من أن تفهم الأحداث بخلاف وجهة النظر السعودية، وحتى تكون المصادر الاعلامية السعودية هي المصدر الوحيد للأنباء.. خاصة وأن الحكومة السعودية منعت الصحفيين من الدخول إلى البلاد، وقطعت الاتصالات عنهم حتى لا يبلغوا عن أي أخبار..

إذن ـ وبوجهة النظر السعودية ـ ليس هناك مشكلة.. فالاعلام وأجهزته هو سعودي مسعود، ولن ينقل سوى البيانات الرسمية، ويعكس وجهة نظر الحكومة، وأما العالم الاسلامي فعليه الانتظار لما تجود به قريحة وزارة الداخلية من بيانات ملؤها الشتائم والاتهامات الباطلة.

ومع هذا.. لم تستطع السلطة السعودية الفاسدة، أعطاء وجهة نظر واحدة تجاه الموضوع.. فالبيانات تتناقض مع نفسها، والتصريحات التي اطلقها المسئولون باستمرار يناقض بعضها ومع هذا.. لم تستطع السلطة السعودية الفاسدة، أعطاء وجهة نظر واحدة تجاه الموضوع.. فالبيانات تتناقض مع نفسها، والتصريحات التي أطلقها المسئولون باستمرار يناقض بعضها الآخر.. فهذا ينفي وذاك يؤيد، وثالث يصحح، ورابع يجمع بين المتناقضات، وهكذا دواليك..

وإلى كتابة هذه السطور، لا يستطيع أي باحث أن يخرج بنتيجة واحدة مما قاله مسئولو النظام.. بل إن معهد (دايان) الصهيوني للدراسات الاستراتيجية، قال في معرض دراسة لحادثة الحرم، أنه لا يمكن أبداً الاعتماد على البيانات الرسمية السعودية في تحليل ما حدث.

وسوف نلقي في هذا البحث المزيد من الأضواء الكاشفة على التخطيط الاعلامي السعودي الذي لم يشهد له مثيل، والذي يبين واقعه دجل الاعلام السعودي ورجاله..

(الفصل الأول)

هوية الثائرين

بعد أربع وعشرين ساعة من وقوع الحادث، وبعد تسرب الأنباء حول الاعتصام بداخل الحرم، نطق الحكم السعودي كفراً بعد أن صمت دهراً..

وتمثل الرد في أمرين، الأول: قالت مصادر سعودية مقربة من الملك السعودي الحالي (فهد) والذي كان حينها ولياً للعهد، يحضر اجتماعات القمة العربية في تونس، معلقة على تصريح الناطق بلسان وزارة خارجية أميركا: (إن هذا الحادث أقل أهمية بكثير مما ألمحت إليه وزارة الخارجية الأميركية)

[1].. وهذا التصريح هو محاولة للتقليل من الحادث الذي تصور آل سعود أنه سينتهي خلال يوم أو يومين..

والأمر الآخر، هو البيان الذي أصدرته وزارة الداخلية السعودية في صباح 21/11/1979م، والذي جاء متأخراً يوماً كاملاً..

وأهم ما في البيان أنه أعلن وجود الحدث الذي سبقهم إليه غيرهم.. وأما بقيته فهو تهم وشتائم ليس إلا..

يقول البيان: (اغتنمت زمرة من الخارجين على الدين الاسلامي صلاة الفجر يوم الثلاثاء 1/1/1400هـ، وتسللت إلى المسجد الحرام، ومعهم بعض الأسلحة والذخيرة.. وقدموا أحدهم إلى جموع المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام بمكة المكرمة لأداء صلاة الفجر مدعين لهم بأنه المهدي المنتظر، ونادوا المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام للاعتراف به بهذه الصفة وتحت وطأة السلاح منهم..

وقد قامت السلطات المختصة باتخاذ كافة التدابير للسيطرة على الموقف، وبناءاً على فتوى من العلماء جميعاً اتخذت الاجراءات لحماية أرواح المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام.. وسوف تقوم وزارة الداخلية بإصدار بيان لاحق يوضح ما يستجد بشأن هذا الحادث إن شاء الله)..

ولنا هنا بعض الملاحظات على هذا البيان:

الأولى: الحكم السعودي نعت ولازال ينعت كل المعارضين لحكمه الفاسد والمخالف للشرع بـ (الخوارج)، وهذا هو دأب الحكم السعودي منذ تأسيسه وحتى الآن.. والسبب في استخدام الحكم السعودي لهذا النعت، هو إيهام الرأي العام المحلي والخارجي بأنه قائم على أساس من الدين والعقيدة، وعليه فإن من يخرج على الحكم السعودي الفاسق فانه يخرج من دين الله.. ولقد كان الشهيد جهيمان عالماً بهذه الحقيقة، ويشهد على ذلك كتاباته، وكأنه يتوقع من الأسرة الحاكمة أن تطلق عليه هذا النعت (الخوارج) قبل أن يقوم بانتفاضته..

وهنا لا يسعنا إلا أن ننقل مقتطفاً طويلاً من كراس منشور للمرحوم جهيمان بإسم (الامارة والبيعة والطاعة، وكشف تلبيس الحكام عن طلبة العلم والعوام) حول هذه المسألة.. يقول جهيمان مدافعاً (عن الاخوان) السابقين الذين هم أجداده، والذين أسسوا الحكم السعودي وكانوا الجيش الأساسي للملك عبد العزيز، والذين فتك بهم الملك المؤسس وقتلهم بذات التهمة (الخوارج) ما يلي:

(ولم تستطع هذه الدولة ـ دولة آل سعود ـ أن تفعل ما تفعله من التلبيس والتدليس، إلا لأن رعيتها ومن هم في قبضة أيديها كأرانب، دفعت عليها الغنم لاصطيادها وقتلها، ومن كانت هذه صفته فهو يستحق ما يناله، وبذلك تجد المغرورين من هذه الرعية رؤساء في الدنيا، أتباعاً في الدين لكل ناعق..

وتجد حكمهم وسلطانهم ـ أي حكم آل سعود وسلطانهم ـ قائماً على ثلاث قواعد من حيث معاملة أهل العلم والدين.. إن وافقتهم وسكت عن باطلهم قربوك واتخذوك حجة على من خالفهم، وإن سكت عنهم سكتوا عنك، وربما زادوك وأرسلوا لك الهدايا، وذكروا في حقك هذا الحديث "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" ـ رواه البخاري، وهي كلمة حق أريد بها سكوت

---

[1] ـ وكالة الأنباء الفرنسية 21/11/1979م.

عن باطل.. وإن خالفتهم قتلوك بشبهة يسكتون بها الأرانب، فيقولون هو "خارجي"، مع ان أرنبهم لا تعرف معنى "الخارجي".. وأقرب مثال وأوضحه، مؤسس دولتهم والمشايخ الذين كانوا معه في سلطانه، وهم ما بين موافق له ومعزز له بما يشاء، وآخر ساكت عن باطله، وآخر التبس عليه الأمر..

فقد دعا "الاخوان" رحمهم الله الذين هاجروا في القرى المختلفة هجرة لله عز وجل، دعاهم إلى بيعته على الكتاب والسنة، فكانوا يجاهدون ويفتحون البلاد، ويرسلون له بما للامام من الغنائم والخمس والفيء ونحو ذلك، على أنه إمام المسلمين، ثم لما استقر سلطانه وحصل مقصوده، والى النصارى، ومنع مواصلة الجهاد في سبيل الله خارج الجزيرة.. فلما خرجوا، لقبهم هو ومشايخ الجهل الذين معه، لقبوهم بإسم يكرهه أهل الاسلام وهو "الخوارج"، مع أن الاخوان رحمهم الله، لم يخرجوا عليه ولم يخلعوا يداً من طاعة، وإنما لم يطيعوه حينما نهاهم عن الجهاد، وهذا هو الواجب لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إنما الطاعة في المعروف" ـ متفق عليه، وقوله: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" ـ رواه أحمد وهو حديث صحيح.

فيتبين لك ضلالهم في حكمهم على من خالفهم أنه "خارجي"، ولكنهم يلبسون على عوام المسلمين الذين لا يتبصرون في دينهم، ويجدون من مشايخ الضلال من يعطيهم الفتاوى، بلا تورع ولا تقوى..

وليس لنا مراد في الخوض في الأموات، فقد افضوا إلى ما قدموا، ولكن لأمرين:

الأمر الأول: دفع الشبهة عن إخواننا الذين جاهدوا في سبيل الله، وكانوا صادقين مع الله، ثم مع ذلك تلبسهم هذه الدولة ــ السعودية ــ وعلماء السوء لباس الخوارج المارقين من دين الاسلام.. حتى أنك لتجد اليوم من أهل الخير الملتبس عليه أمرهم من لا يترحم عليهم "سبحانك هذا بهتان عظيم"..

ولا غرابة في ذلك من أهل ملك يريدون تثبيت ملكهم، وإنما الغرابة ممن يدعي الصلاح والخير، ثم يتهم المؤمنين بما هم منه براء.)

ـ ويضيف ـ:

(وبعدما لقبهم عبد العزيز بالخوارج، حمل إخوانهم الذين لم يخرجوا معهم على قتالهم، فخرج بهم على طريقهم وبدأهم بالقتال.. فلما قتلهم وشتتهم، واستقر سلطانه الجبري، والى النصارى، وعطل الجهاد في سبيل الله، وفتح من الشر أبواباً مغلقة.

ثم واصل السير على نهجه أبناؤه من بعده، حتى وصلت بلاد المسلمين إلى ما وصلت إليه اليوم من الشر والفساد.. فنقول الآن: أين الحكم بالكتاب والسنة الذي ادّعوا الحكم به أول ملكهم، ويدعيه كل من تجددت له بيعة منهم؟، أم أن الأمر كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث: "وإن طالت بك حياة لتجدن الولد يشابه أباه" ويشعلون الحرب بين المسلمين ويسيرون بعضهم على بعض.

الأمر الثاني: حملنا على الكلام في تاريخ هذه الدولة مع أهل الحق الصادقين، وتلقيبهم "بالخوارج" تلبيسا على العوام الجهال، أنه لا يزال إلى اليوم من هو على هذه الضلالة من مشايخ الجهل والضلال، ويعتقدون أن

الاخوان الماضين "خوارج"، ويسمون من يدعو إلى الحق الذي جاء في الكتابة والسنة اليوم "خوارج" ويفتون بقتله.. الخ)..

هذا الرد من قبل جهيمان، وقبل أن تعمم الأسرة الحاكمة صفة "الخوارج" التي أطلقتها ضده بعد الانتفاضة، على العالم الاسلامي، يوضح بصورة مطلقة كيف أن آل سعود ومشايخهم يستخدمون أقذع العبارات ضد معارضيهم ويجردونهم من إسلامهم، رغم أن هؤلاء ما ثاروا وانتفضوا إلا من أجل الاسلام..

والغريب أن الأسرة الحاكمة ومن خلال بيان وزارة الداخلية، لم توضح هوية المعتصمين في الحرم، ولا جنسياتهم، ولا مطالبهم، ولا عددهم، ولا نوعية سلاحهم، كل هذا لم تشر السلطة إليه، إنما أشارت إلى التعريف الذي تطلقه اعتباطاً وبسهولة على أنهم "خوارج" وكفى!

الثانية: تعمد البيان الحكومي إغفال الهدف من الاعتصام، ولكنه أوحى بأن الهدف هو مبايعة "المهدي المنتظر" فحسب، وتحت وطأة السلاح أيضاً.. ورغم أن مبايعة ما أسمي بالمهدي المنتظر كان قد وقع في الحرم بالفعل، ورغم أنه لم يتم تحت وطأة السلاح كما زعمت السلطة وبيانها، رغم هذا فإن البيان أراد حصر أهداف المعتصمين في مسألة المهدي فقط، وتجاوز الاهداف الدينية والسياسية المعلنة.

ومن المعلوم أن جميع المسلمين "سنة وشيعة" يعتقدون بالمهدي المنتظر، كل حسب اجتهاداته، لذا أراد البيان أن يشغل العالم بتفاصيل هذه المسألة لاهمال الجوانب الأخرى من العملية.

الثالثة: زعم البيان الحكومي ـ وبحجة الحفاظ على أرواح المسلمين في داخل الحرم ـ أن الحكومة اتخذت تدابير أمنية من أجل ذلك بناءاً على فتوى جميع العلماء.. ويتوضح هنا حرص الحكومة على ذكر "جميع" العلماء، بيد أن الحقيقة التي ظهرت هي أن العلماء لم يصدروا حتى ذلك التاريخ "صباح 21/11/1979م" أي فتوى، وإنما أرادت الأسرة الحاكمة أن توهم الناس بأن أعمالها العسكرية التي بدأت بها نالت الموافقة الشرعية المسبقة، لحماية أرواح الحجاج..

وقد تبين فيما تبين أنه لم تكن هناك أي رهائن لدى المعتصمين، الذين زعمت أجهزة الاعلام أنهم بقبضتهم، وما كان التشديد على وجود رهائن إلا من أجل أن يسبغ على التحرك العسكري السعودي صفة الشرعية والدفاع عن الأرواح البريئة..

والأكثر من هذا أن محمد عبده يماني وزير الاعلام السعودي أشار في لقاء له مع مجلة الحوادث "18/1/1980" إلى أن السلطة تصورت في البداية أن القائمين بالعملية هم بعض المشايخ.. فكيف تحول هؤلاء المتهمون إلى موقف الحكومة الذي يطالب بمداهمة الحرم عكسرياً رغم أن ولاء بعضهم للعائلة الحاكمة ـ على الأقل ـ مشكوك به؟، وكيف يبرر البيان تأكيده على وجود فتوى من "جميع" العلماء؟!

الثوار كما يعرفهم آل سعود:

من السهل أن يلقي النظام التهم والألقاب السيئة التي يريدها ويجد لها من يروجها..

فـأولا.. لا ينقـص آل سـعود الأجهـزة الاعلاميـة المتطـورة، ولا ينقصـهم تعاطف الصـحافة الغربيـة والاعلام الغربـي، إضـافة إلـى أن الاعلام الرسـمي العربي والاسلامي معها.. هذا لا ينقصهم

وثانيا.. وهو الأهم، أن أمراء الأسـرة الحاكمـة، لا يحكمهـم وازع مـن ديـن فيحاسبوا أنفسهم في تصرفاتهم "أقوالهم وأفعالهم"، وما دامـوا طلاب ملـك، ويدافعون عن ملكهم، فلا يهمهم الوسيلة بعدئذ..

ولذا لم يدخر أي مسئول سعودي أو أمير صغير من أمراء الأسرة المالكـة وسعاً في إلقاء التهم والنعوت التي يريدون علـى المعتصـمين داخـل الحـرم.. خصوصاً وأن هؤلاء الأخيرين لم يكونوا يملكون أي تـوجه إعلامـي يفنـد للعـالم مزاعم الحكم السعودي، وهكذا بقيت التعريفات السعودية للثوار التي أطلقهـا آل سعود سيدة الساحة الاعلامية، تلوكها الصـحف الأجنبيـة والعربيـة، وتنقلهـا عن بعضها البعض..

في السابق ، كان السعوديون يواجهون القوى الوطنية المعارضة لحكمهم بأنها شيوعية تريد القضاء على الاسلام الذي جاء آل سعود لاحيائه والدفاع عنه (...).. ولكن ما عساهم أن يقولوا اليوم والحركة الاسلامية تقف بشـموخ فـي ساحة المعركة، وفي مواجهة حكمهم الفاسد من أجـل تطـبيق حكـم الاسـلام العادل؟!

لابد أن تتغير الاتهامات بالطبع.. فلا يمكن أن يمرروا على المسـلمين بـأن هؤلاء شيوعيون يريدون القضـاء علـى الاسـلام.. وإنمـا هنـاك صـفات لابـد أن تبتدع لمواجهة مثل هذه الحالة..

ولذا كان من جملة الأوصاف السعودية التي اطلقت على جهيمان وصحبة، "التطرف".. "الهوس الديني".. "الجنون".. "الغرور".. "الخروج عن الدين".. "المروق والظلال، والكفر..الخ"..

ففـــي البيـــان الأول للحكومـــة الصـــادر فـــي اليـــوم التـــالي للاعتصـــام (21/11/1979)، جاء وصف (الخروج عن الدين). وفي اليوم التالي وصفهم وزير الخارجية سعود الفيصل بأنهم (مجموعة من المتعصـبين المهووسـين)[1].. كما وصفهم أمير المدينة المنورة عبد المحسن بن عبد العزيز بأن الجماعة (فئة مارقة ضالة أرادت التفرقة بين المسلمين)[2].. وفي نفس الوقت وصفهم وزيـر الداخلية (وزير القمع) نايف بن عبد العزيز بأنهم (مجرمون وقتلـة)، وفـي اليـوم التالي أضاف بأن (الحادث هو انحراف وخروج عن حقيقة الـدين الاسـلامي فـي إطار إجرامي) [3].

من جهته قال الملك السعودي السابق (خالد)، وحسـب مـا أذاعتـه إذاعـة الرياض (23/11/1979م) أنه أرسل برقية جوابية للملك المغربـي، جاء فيهـا بأن أفـراد الجماعـة (فئـة متطرفـة ومغـرورة ومنحرفـة عـن جـادة الـدين الحنيف)..

وبالنسبة للاذاعة السعودية، فقـد جـاء فـي تعليقهـا السياسـي فـي اليـوم الرابع للعملية (23/11/1979) ما يلي: (إن المملكة ستضرب بيـد مـن حديـد كل من يحاولون التستر تحت سـتار الاسـلام كـذبا وادعـاءا واسـتغلالا للأوهـام

---

[1] ـ جريدة المدينة السعودية 22/11/1979م.
[2] ـ جريدة البلاد السعودية 22/11/1979م.
[3] ـ جريدة الرياض والجزيرة 23/11/1979م.

والخزعبلات، بهدف الوصول إلى أهداف خطيرة سعياً للاساءة إلى الاسلام والمسلمين)..

فلاحظ أخي القاريء هذه الأوصاف كيف أنها تنطبق فعلاً على الحكام السعوديين لا على أولئك المعتصمين في الحرم، ولاحظ كيف أن الاعلام السعودي يصم كل محاولة لمعارضة الأسرة الحاكمة الفاسقة بأنها تمسيء إلى الاسلام، بينما هي في الواقع لا تسيء إلا إلى آل سعود أنفسهم..

وزادت حمى التصريحات السعودية، وزادت الأوصاف والنعوت الباطلة، فهذا مشعل بن عبد العزيز، وزير الدفاع السابق يعتبر حادثة الحرم شيئاً مكملا للحروب الصليبية، وأنه وإخوته يمثلون الاسلام والدفاع عنه، بينما جهيمان وجماعته يمثلون العداء الصليبي للاسلام، مع أن كراسات جهيمان تشهد بأن من أسباب انتفاضته أن آل سعود موالون للصليبيين أعداء الاسلام.. يقول مشعل هذا (إن حادث الحرم هو استمرار للحرب ضد الاسلام منذ الحروب الصليبية حتى الآن)..

وهذا سلمان بن عبد العزيز (أمير الرياض) يصفهم بالانحراف والشذوذ[1]، بينما لا يوجد على أرض الجزيرة العربية والعالم الاسلامي أكثر شذوذا وانحرافاً من آل سعود، وهذه الصفة نالها آل سعود عن جدارة، وشهد لهم الغرب بها قبل المسلمين، رغم اختلاف التوجه الديني والأخلاقي..

واعتبرهم فهد، الذي كان يومها ولياً للعهد، ويحضر اجتماعات القمة العربية في تونس، بأنهم (أعداء الدين والوطن) وأنهم (طغمة فاسدة)[2].. ثم عاد ووصفهم بأنهم (سذج)، وأوحى في تصريح له بأن الاحساس الديني المتعمق في البلاد يسبب السذاجة، وعليه فإن كل المواطنين أو معظمهم ـ برأي فهد ـ هم من السذج، يقول مضيفاً (وبطبيعة الحال فإن السذج كثيرون، والاحساس والشعور الديني أعمق عندنا هنا منها في أي بلد آخر)..

لقد كان وزير القمع السعودي أكثر المتحاملين على المعتصمين، وقد أضاف إلى قاموس السباب الذي اشتهرت به أسرته الفاجرة، بذاءة في التعبير، ووقاحة بلغت حدا تصور معه المراقبون بأن نايف يحمل حقداً دفينا في قلبه على المتدينين جميعاً داخل البلاد..

فإضافة إلى نعوتاته السابقة قال نايف عن الجماعة بأنها (شرذمة فاسدة مفسدة روعت المسلمين والطائفين في بيته الكريم الآمن)[3]، وبعد مدة قال مصححاً:

(أحب أن أصحح كلمة قيلت عن وصف هذه الفئة بالفئة الباغية، الواقع أنها أكثر من باغية، هي مجرمة وخارجة)[4].. وفي مقابلة مع سليم اللوزي رئيس تحرير (الحوادث) السابق قال بأن أفرادها (مهووسون سذج، استولت عليهم مشاعر دينية معينة)[5].

ونقلت الصحف اللبنانية تصريحا لفهد بتاريخ 25/1/1980 قال فيه: (إن الذي حدث هو، سمة ما تسميه، ولكنه أقرب إلى الهوس، وعدم الانتظام، وعدم التفكير).. وفي هذه الأثناء وصفهم نايف بأن: (مستواهم الفكري

---

1 ـ صحيفة الرياض السعودية 9/12/1979م.
2 ـ الصحف السعودية 10/12/1979م.
3 ـ الرياض 5/12/1979م.
4 ـ الأنوار اللبنانية 16/1/1980م.
5 ـ الحوادث 18/1/1980م.

والثقافي كان دون الحد الأدنى الذي يمكنهم من طرح أي قضية علمية أو دينية أو اجتماعية)..

وبلغ استخفاف الاعلام السعودي بالرأي العام حداً فظيعاً، حين قارن حادث الحرم مع طائفة جيم جونز التي قامت بعملية انتحار جماعي في (غوايانا) في عام 1978م.. وتلقفت مجلة الحوادث هذه المقارنة السخيفة ليكتب بعدها رئيس التحرير: (كنت في الولايات المتحدة، ولعل هذا هو السبب الذي جعلني أربط بين حركة "الاخوان" وحركة "هيكل الشعب" في مقاطعة "غويانا" بأميركا، حيث أقدم حوالي تسعمائة شخص عام 1978م على الانتحار بدعوة من مرشدهم "جيم جونز".. كلا الحركتين قامتا على الهوس الديني، وكلاهما انتهت بعملية انتحارية غبية، بل إن دعوة هيكل الشعب الأميركية كانت مفهومة أكثر..)[1].

فهل هذه مقارنة صحيحة؟!

إنها مغالطات واضحة تفيض بالحقد والتعامي عن الحقائق، وتجافي العقل والمنطق!، ولا عتب على اللرزي ومجلته , لانها مجلة انظمة تجارية ,تنقل ما يردده الاعلام الحكومي.. إنما العتب على أولئك الذين انضموا إلى جوقة (الطبالين) وهم يتصورون أنهم يحسنون صنعاً..

وإلا فأي عقل وذوق ومنطق يقبل بالمقارنة الفجة هذه؟!

إن الدين لكلا الطائفتين مختلف.. والأهداف كانت مختلفة ومتباعدة بعد السماء عن الأرض، والوسيلة لتحقيق الهدف كانت مختلفة، فبينما قامت (هيكل الشعب) بالانتحار بالسم جماعياً، للتخلص من هذه الحياة، كانت جماعة جهيمان تدافع عن مبدأ حق، وتعلم ان الانتحار إثم، وقد قتل أفرادها حرقاً وحنقاً وبالرصاص ثم بالسيف في ساحات الاعدام على يد جلاوزة النظام الحاكم، ودفاعاً عن أهداف دينية وسياسية.. ولا نريد هنا أن نناقش كل الترهات التي أطلقها الاعلام السعودي وأمراء الأسرة الحاكمة، فالعاقل البصير يكتشف الحقائق التي جعلها السعوديون، بسبابهم وشتمهم واضحة كالشمس في رابعة النهار.

وما يهمنا من سيل الأوصاف والنعوت السعودية هذه، هو التوقف عند أمرين هامين:

أولا: لم يذكر أي مسئول سعودي اسم الجماعة التي قامت بالاعتصام.. لم يقل أحد منهم أنهم من جماعة "الدعوة المحتسبة" التي ترجع في جذورها إلى حركة الاخوان التي أسست الحكم السعودي، أو أنها امتداد لها.. ما هو السبب يا ترى؟!

هل أن النظام الحاكم وأمراء الأسرة السعودية عرفوا بأن أفراد الجماعة (خوارج، ومهووسون، ومجانين، وجهلة، وبغاة، وسذج، وظالمون، ومنحرفون.. الخ) ولم يعرفوا اسم الجماعة فتجنبوا ذكره؟، أم أن العملية مقصودة أساساً ؟!

إن الذي يستطيع أن يصدر بيانات تفيد بجنون المعتصمين، من السهل عليه أن يكتشف اسم جماعتهم وحركتهم، فكيف وصل آل سعود لمعرفة العقول ولم يعرفوا الاسم؟!

---

[1] ـ الحوادث، المصدر السابق.

إننا لا نشك بأن الأمراء تغافلوا عن ذكر الاسم، لا لجهل منهم به، ولا لنسيانهم له، ولا لأن الاسم غير مهم في الوقت الذي كان العالم الاسلامي والعالم بأجمعه يبحث بين بيانات الحكومة المليئة بالاسفاف، عن شيء يرشدهم إلى معرفة الهوية والاسم.. وأن المسألة لم تكن مصافة، لأن المسئولين الكبار في الأسرة تجنبوا عن سابق إصرار خلال المقابلات الصحفية، الاجابة على الأسئلة التي تشير إلى الهوية..

والعالم الاسلامي ـ وإلى هذا الوقت ـ لا يعلم هوية القائمين بالعملية، سوى ما أعلنته الحكومة أنهم مجموعة خوارج احتلوا الحرم.. فهل هذا التعريف كاف لتوضيح الحقائق؟، وكيف يخرج الرأي العام بنتيجة صحيحة طالما أن التعريف اقتصر على السباب والاتهامات؟!

لقد قدمت بيانات وزارة الداخلية، وتصريحات فهد ونايف وإخوتهما، مجموع الشتائم للثوار، على أساس أنها تعريف كاف لهم، فلم يقتنع بذلك الواعون من هذه الامة، فالجميع شعر بأن حلقات كثيرة من فصول عملية الحرم طمستها السلطة السعودية.. ومع هذا تصور آل سعود بأنهم أقنعوا العالم بما قالوه، ولكنهم بعد ذلك اعترفوا ـ ولأول مرة ـ بفشل إعلامهم، وراح كل منهم يلقي اللوم على الآخر، كما سيتوضح.

ثانيا: رغم أن اجهزة النظام وأقطاب الأسرة السعودية استخدمت عدة تعريفات ولم تستقر على واحد منها، فإن هذه التعريفات والأوصاف لا يجب أن تقبل لسببين:

الأول/ أنها مجموعة من الشتائم ولا تتعدى في واقعها أكثر من ذلك.

والثاني/ أن التعريفات صدرت من نظام يقف في الجهة الأخرى من المعركة مع المعتصمين، وبالتالي فهو ليس طرفاً محايداً وصادقاً تؤخذ منه الحقائق، أو بالأحرى تؤخذ منه الاتهامات على أنها حقائق.. وكنا سنقبل بالاوصاف لو أن الذي أطلقها أناس محايدون يعرفون الجانبين على حقيقتهما، ومن ثم كنا سنعرف حقاً من هو الخارج عن الدين، ومن هو الزنديق، والمنحرف، والشاذ ؟!

وبعد هذا العرض السريع لاتهامات السلطة، سنحاول في السطور التالية توضيح هوية القائمين على العملية، وجذور تحركهم التاريخي..

قلنا أن المعتصمين ينتمون إلى (جماعة الدعوة المحتسبة)، التي هي امتداد لحركة "الاخوان" الذين قضى عليهم الملك عبد العزيز في أواخر العشرينات، بعد أن أسسوا دولته، وبعد أن قضى وطره منهم.

وهنا لا يسعنا أن نفرد بحثاً عن نشوء حركة "الاخوان" الأولى وكيف آلت نهايتها، ولكننا مضطرون إلى إلقاء بعض الاضواء الكاشفة السريعة حولها، لاستكمال حلقة التعرف على هوية المعتصمين في الحرم، وبإمكان من يريد الاطلاع أن يراجع الكتاب الذي صدر عن المنظمة مؤخراً حول هذا الموضوع بالذات، وهو (الاسلام والوثنية السعودية).

بداية "الاخوان"

وبداية الدولة السعودية

جاء الملك عبد العزيز إلى الحكم بانقلاب عسكري على ابن عجلان حاكم الرياض في يناير عام 1902م، وسيطر على المدينة بالقوة.. والمبرر الذي رفعه الملك حينها هو المطالبة بعودة ملك الآباء والأجداد، فلم يكن هدفه دينياً، بل هدفه الكرسي والحكم..

ومن الرياض قام ابن سعود بتجنيد بعض البدو والقبائل لمحاربة خصمه ابن الرشيد، الذي يتخذ من مدينة حائل مركزاً لحكمه، وذلك من أجل توسيع ملكه ليشمل معظم مناطق الجزيرة العربية التي كانت في العشرينات من القرن التاسع تحت سيطرة جده (سعود الكبير).

ورغم أن عبد العزيز أحرز بعض التقدم بمساعدة الانجليز، فاحتل بعض المدن جنوب الرياض، وحاول التوسع أكثر فأكثر.. إلا أنه عجز عن تحقيق ما كان يصبو إليه، وهو إسقاط حكومة آل الرشيد، وحكم الأشراف في الحجاز، وحكام عسير والجنوب..

في عام 1904م، احتل مدينتي عنيزة وبريدة وتوقف.. وفي عام 1908م واجه ابن سعود ثورات وتمردات في البلقان واليمن وغيرها من المناطق التابعة لدولة الخلافة..

فاستشار الانجليز على الاحتلال، وبعد تمنع ـ لأسباب تتعلق بوجودهم في الخليج، وعلاقاتهم مع تركيا ـ وافقوا على ذلك، فاحتل الاحساء بمعاونة الاهالي الذين سهلوا له الأمر من أجل الخلاص من فساد الحكم التركي، وكان الاحتلال عام 1913م/ 1331هـ.

في هذه الأثناء صعد نجم جماعة دينية أطلقت على نفسها (الاخوان)، تدعو للعودة إلى الدين، وما كان عليه السلف الصالح، وكانت هذه الجماعة قد بدأت في عام 1913م، بالتوسع من أجل إعادة المجتمع نحو الاسلام والاخوة الاسلامية، بدل الاقتتال والنهب والسلب، فوجدها الملك عبد العزيز ــ بعد عودته من احتلال الاحساء ـ منافساً لسلطانه، فحاول مراراً أن يقضي عليها بالقوة ولكنه عجز عن ذلك، وتدل المصادر التاريخية إلى أن عبد العزيز اصطدم مع فيصل الدويش زعيم (الاخوان) قبل أن يتحالف معه ثم ينتفض ضده.

وخلال عامي (1913 ـ 1915) جرب عبد العزيز أسلوب الاحتواء، فبعد زيارات ومراوغات وإظهار نفسه متدينا يحمل أهداف "الاخوان" التي يسعون إلى نشرها، استطاع إقناعهم بالانضواء تحت لوائه ورفع راية (الجهاد) لتوحيد جزيرة العرب بإسم الاسلام، ومنذ هذا الوقت (1915) اتخذت فتوحات عبد العزيز الصفة الدينية كما يؤكد كل المؤرخين، وبدأ "الاخوان" يوسعون من قاعدة عملهم ونشاطهم حتى أصبحوا جيشه، فحين يذكر المؤرخون كلمة (الاخوان) فهي ترمز بدقة إلى (جيش عبد العزيز)، فيقال جاء (الاخوان)، وقاتل (الاخوان)، وصلى (الاخوان)، وغير ذلك..

من جهته، تخلى عبد العزيز عن لقب (الأمير) أو (الشيوخ)، وسمى نفسه (إماماً) لتأكيد مساره الجديد، فكان "الاخوان"، حتى بعد أن أعلن نفسه

(سلطاناً) ثم (ملكاً)، لا يسمونه إلا بـ (الامام)، وعليه.. فقد كانوا يأتونه بالخمس الذي يقره الشرع بالنسبة للإمام!!

وكان من ضمن ما اتفق عليه زعماء (الاخوان) مع عبد العزيز ان يدعو الأخير كل القبائل إلى الاستيطان لتشكل (هجراً)، وهي جمع (هجرة)، وهي المكان الذي يهاجر إليه.. فتتحول بعدئذ القبائل إلى جماعات مستوطنة تقوم بالزراعة وقت السلم، وتحارب مع الملك وقت الحرب، فيستطيع أن يعلمهم (التوحيد) ـ الدين الجديد!! ـ ويستطيع أن يثير حماسهم، وأن يعاقبهم أيضاً.. وهذا ما كان يطمح له ابن سعود.

فهو ـ أي عبد العزيز ـ لا يستطيع أن يتوسع أكثر مما توسع، لأن البدو الذين يعتمد عليهم لا يثبتون في أرض، وإن كانوا مستعدين للذهاب إلى أي مكان للقتال، ولكن وقت الهزيمة يتراجعون بسرعة، لانهم جاؤوا للقتال من أجل المغنم والمال الذي يعطيهم عبد العزيز إياه.. أما المدن المحتلة فأفرادها مشغولون في زراعاتهم وتجارتهم، وهؤلاء لا يستطيعون مجاراته في مغامراته العسكرية.

أما (الاخوان) فهم نموذج فريد من نوعه، إنهم بدو في الأساس، استوطنوا بعض المناطق من أجل الزراعة وتعلم الدين وأصول الجهاد من أجله.. وبالتالي فهم بروحهم الدينية وقدرتهم على تحمل المصاعب ومشاكل التنقل، قادرون على الايفاء بمتطلبات المعارك كلما يدعون إليها، دون الحاجة إلى توزيع المال، ودون الخوف من الارتداد أثناء الهزيمة، لان الادبار في المعركة حرام.

إذن، فمن أجل أن يعطي لتحركاته صبغة دينية تمكنه من القتال وبعث النخوة وروح الجهاد في قواته، ومن أجل أن يكون هناك معين لا ينضب من المقاتلين الأشداء من الهجر الاخوانية، ومن السيطرة على البدو وتقييد تحركاتهم وإخضاعهم لسلطانه، قرر ابن سعود احتواء حركة "الاخوان" وتأسيس مثيلات لها بدعوة القبائل ـ وبالقوة ـ للاستيطان، وفي ذات الوقت دعا العلماء لتعليمهم بعض المسائل الدينية القشرية التي تزيد في تأكيد ولاء البدو لعبد العزيز، والقتال بإسم الجهاد، وشحنهم بمفاهيمهم غريبة تقول بأن غيرهم كفار تحل دماؤهم، وأنهم وحدهم المسلمون..

ولهذا السبب رفض ابن سعود عروض حاكم الأحساء ابن عمه (عبد الله بن جلوي) الذي نصحه بالاستمرار في مقاتلة بؤرة "الاخوان" الأولى، التي كانت (الأرطاوية) مرتعاً لها، وتذكر المصادر أن ابن جلوي شبهها بالنار التي تأكل ما حولها.

الآن.. بدأ ابن سعود يقاتل بإسم الاسلام، من أجل توسيع سلطانه ومملكته، وترك قوة (عودة ملك الآباء والاجداد) إلى حين..

وبدأت دورة الزمن، فما هي إلا سنوات قلائل حتى تحول "الاخوان" إلى قوة قال عنها أن عبد العزيز يستطيع أن يفتح بها ما يشاء، كيف شاء، أنى شاء.. فاكتسحت القوة الاخوانية الساحة السياسية للجزيرة العربية اكتساحاً، ولولا المعادلات الدولية التي كان يراها ابن سعود، لما احتاج الأخير إلى عشر سنوات لاحتلال بقية المدن والمناطق التي شكلت فيما بعد دولة آل سعود الحالية.. فقد كان بإمكان "الاخوان" القضاء على كل القوى الأخرى في

ظرف سنوات قلائل جداً، مع العلم أن عشر سنوات هي قليلـة بعمـر الزمـن (1915 ـ 1925).

لذلك يقول جلال كشك في كتابه (السعوديون والحل الاسلامي): (نجد أن من 1902م إلى 1915م، ـ وإن كان الخط البياني لصـالح ابـن سـعود ــ إلا أن الحرب سجال، والكفتان تعادلت ــ كفـة ابـن الرشـيد وكفـة ابـن سـعود ــ مـن البكيريـة إلـى جـراب.. ولكـن بعـد اتضـاح الطـابع العقائـدي بـالاخوان حسـم الموقف تماماً، وأصبح الأمر هيناً بإرادة عبد العزيز، مـتى شـاء أنهـى دولـة آل رشيد، فلما حانت اللحظة المناسبة أنهاها)..

ويقول مترجم الملـك، محمـد المـانع فـي كتـابه (توحيـد المملكـة العربيـة السعودية) ص 113: (وكان استيلاء ابـن سـعود علـى كـل مـن الحجـاز وجبـل شمر بسهولة، يرجع في الدرجة الأولى إلى جهد "الاخوان"، ولقد مر زمن فـي أواخر العشرينات من هذا القرن كانوا يسيطرون فيه على كل جزيرة العــرب، وكان في استطاعتهم أن يضموا أي جزء منها إلى دولة ابـن سـعود لـو سـألهم أن يقوموا بذلك)..

وأما فيلبي ـ العميل الانجليزي المعروف ـ فيقول بعد أن يعدد معـارك ابـن سعود: (وقد نجح ابن سعود في حروبه هذه، وكان مديناً بهذا النجاح إلى قوات "الاخوان" على الخصوص).

وفي موقع آخر يقول: (لقد انتزعت الشوكة مـن حركـة "الاخـوان" الـذين لعبوا دوراً بارزاً في خلق النظام ـ السعودي ـ الجديد، ولم يعد بإمكـانهم تأديـة أية خدمة نافعة أخرى)!!

وهكذا يتوضح دور "الاخوان" في إقامة النظام السعودي، رغم أن ما قـاله مؤيدو آل سعود لا يفي بشيء من حقهم..

احتلال الحجاز والنهاية

الحجاز كان آخر منطقة سمح الاستعمار الانجليزي لعبـد العزيـز باحتلالهـا، فاحتلت للقضاء علـى الشـريف حسـين وعلـى مطـالبه بـأن تكـون فلسـطين للعرب وليس لليهود كمـا وافـق عبـد العزيـز.. لقـد عجـز الانجليـز فـي إقنـاع حليفهم الشريف حسين بالموافقة على أن تكـون فلسـطين لليهـود، وهـددوه بكلب الحراسة (عبد العزيز) وبقوات "الاخوان"، لكنه رفض.. فأعطى الانجليز بعدئذ الضوء الأخضر لإبن سعود حتى يحتل الحجاز، بعد أن عجز لـورانس فـي إقناع الشريف وإرغامه!

بسهولة فائقة احتلت قوات "الاخوان" الطائف، وهزمـت قـوات الشـريف حسين الضخمة، فـاعملت فـي الأهـالي ذبحـاً وتقـتيلاً، لأن النـاس هنـاك كفـار وهراطقة والمسلمون هم وحدهم!!، وبعد أيـام احتلـت مكـة فـي أواخـر عـام 1924م، فيما هرب الشريف حسين للخارج إلـى الأردن ومنهـا إلـى (قـبرص) منفاه الأخير الذي اختاره الانجليز له!

وفي ذات الوقت اعتصم الشريف علـي، ابـن الشـريف حسـين فـي جـدة وقـاوم مـن هنـاك، فحوصـر لأكـثر مـن سـنة إلـى أن استسـلم وأنهيـت دولـة الاشراف بسقوط المدينة المنورة أولا، وجدة ثانياً.

في هذه الفترة عـرف ابـن سـعود ان زمـن الحـرب ولـى، وأنـه آن الأوان للانكفـاء وبنـاء الدولـة، لأنـه ليسـت هنـاك منـاطق أخـرى قابلـة للاحتلال بعـد

التقسيمات الاستعمارية التي أظهرتها اتفاقيـة (سـايكس/ بيكـو).. فلا العـراق ولا الأردن، ولا مناطق الخليج، ولا اليمن، يمكن أن يسمح الانجليز لابـن سـعود أن يحتلها، وإن كان في قدرته ـ من الناحية العسكرية ـ فعل ذلك، لأنها مناطق النفوذ الانجليزي، ولأن اتفاقيات فرنسا وبريطانيا بعد الحرب العالميـة الأولـى تقضي بذلك.

بعد اسبوعين ـ تقريباً ـ من سقوط جدة، أعلن عبـد العزيـز نفسـه (ملكـاً) وتخلى عن لقب (الامامـة)، فثـارت ثـائرة "الاخـوان" لأن مـن دواعـي قتـالهم الشريف أنه أعلن نفسه (ملكـاً)، وكـان ابـن سـعود يشـحن "الاخـوان" لقتـال "ملك العرب" الحسين بن علي!.. فكيف يقبل هو الآن بلقب (الملك)؟، وكيف يشرك نفسه مع الله باتخاذ اسـمائه، فيقـال لـه (صـاحب الجلالـة، والمعظـم، وصاحب السمو)!؟

في هذا الوقت دخل عليه جماعـة "الاخـوان" وعلـى رأسـهم سـلطان بـن بجاد قائد الجيش السعودي الذي احتل الطائف ومكة ثـم جـدة وهـم شـاهرين سيوفهم، مستنكرين فعلة الملك، ومهددين بالقتل إن لـم يتخـل عـن اللقـب، فوعدهم خيراً، ولكنهم حين خرجوا فاجـأ المجلـس بكلام جديـد، وهـو التشـنيع بفعل "الاخوان" ووصمهم بالجهل والتخلف، وأنهم ضد المخترعات "التلفـون" وغيره!!

وقد كان هذا الموقف دليل تبدل في موقـع الملـك السـعودي، فـأظهر مـا أخفاه طيلة عشر سنوات، ضحك فيها علـى "الاخـوان" والمشـايخ، بـأنه ينهـج نهجهم ويسايرهم.. لقد تحقق لابن سعود ما اراد فـأعلن الحجـاز وملحقاتهـا!، ولم يعد يعبأ بالعلماء او بـ "الاخوان"، لأنه استنفذ أغراضه منهم!!

وجاءت المشـكلة الأكـبر، وهـي أن عبـد العزيـز يعلـم أن (الجهـاد) الـذي أطلقه ضد معارضيه لا يقف عند حد.. فأهل الكويت والعـراق وسـوريا ومصـر واليمـن ومشـيخات الخليـج وغيرهـا، كلهـم كفـار كمـا كـان الكفـار فـي ديـن الاسلام!!، بيد أن الأمور انتهـت مـن الناحيـة الاقليميـة، فوضـع التجزئـة الـذي رسمه قابل للاختراق، وهذا ما لا يفهمه "الاخوان"، وإن فهموه فهم لا يعبـؤون به، فالجهاد ليس له حدود، والانجليز وغيرهم لا يخيفون "الاخوان" المتحمسين لقتالهم.

وبدأ تمرد "الاخوان" بعد عودتهم من الحجاز، فأثاروا أهالي نجد ضد الملك الذي (تغير)، فأسر الأخير إلى الرياض لضـبط الأوضـاع المتسـيبة الـتي سـببها تمرد "الاخوان" الذين أصدروا بياناً يـبين سـبب تمردهـم، والـذي يتلخـص فـي أمور أهمها:

(أن ابن سعود أصبح ملكاً ويتصرف كالملوك، وأنه يأخذ ضرائب بغير حق، وأنه يعطل الجهاد، وأنه يوالي النصارى)..

وأصدر علماء ابن سعود بياناً رداً على "الاخوان" يدين في جانب منه عبـد العزيز، ولكنهم ختموه بـأن لا يجـب الثـورة علـى (الامـام!!) إذا خـالف أوامـر الشرع!!

لم يقتنع "الاخوان" بل توجهوا إلى الشـمال، وهنـاك بـدأوا بـالهجوم علـى المركز الحدودي إلى الشمال، وهناك بدأوا بـالهجوم علـى المركـز الحـدودي العراقي في (بصـية)، واسـتولوا علـى مـا فيـه، فتحركـت جمـاهير "الاخـوان" بعشرات الآلاف تطـالب بالقتـال مـع الـدويش متمـرد علـى أوامـره، وطـالب

بإعادة ما أخذ من المركز، وقطع اعطيات جنده وكل من ينضم إليه، وأبلغ بريطانيا والانجليز في العراق والكويت أن ما فعله الدويش ليس بأمره وأنه يستعد للقضاء عليه..

ويصف المندوب السياسي البريطاني (ديكسون) في كتابه (الكويت وجاراتها) ما جرى بعدئذ بين قادة "الاخوان" وابن سعود كالتالي:

(كانت خطتهما ـ الدويش وابن بجاد ـ وضع ابن سعود في مأزق لكي يتسنى له احراجه حسب الحجة الآتية: يا عبد العزيز، انت كأمام كنت تدعو إلى الجهاد ضد الكفار والمشركين، لطالما دعوت وكررت الدعوة إلى أن العراق كدولة يجب أن يدمر، وأن كل ما يؤخذ من أهله حلال.. ولطالما رددت قول القرآن الكريم لاثبات أن كل الاعمال التي يقوم بها المؤمنون ضد الكفار والمشركين يجب أن يكافأوا عليها، والآن، وبأمر من الانجليز الكفار أنفسهم، تدعونا نحن فرسانك المختارين، سيف الاسلام، إلى إعادة ما اخذناه، لأنك تعتبر ما فعلناه خطأ، فأما أن تكون أنت دجال منافق تحب ذاتك وتبحث عن منفعتك، وإما أن يكون القرآن غير صحيح!، فليحكم علماء نجد بيننا)..

ويضيف ديكسون (ومما لا شك فيه أن الرعب دب في قلبه ـ أي قلب ابن سعود ـ بحيث أنه لم يفكر قط في عرض القضية على أية هيئة من علماء الدين، وبدل أن يقرر القطيعة مع البريطانيين، قرر ضرب "الاخوان" بسرعة مرة واحدة وإلى الأبد)..

وهنا أذاع ابن سعود بأن الدويش وابن بجاد واتباعهما هم من الخوارج، وأصدر رجال الدين ومشايخ الملك الفتاوى التي تنعتهم بذلك، والتي تجيز قتالهم، فجاءت معركة السبلة في (29/3/1929م).. فـ"الاخوان" الذين تبعوا قيادتهم "الدويش" كانوا عشرة آلاف مقاتل، وأما الملك فكان معه (40) ألف مقاتل من البدو والقبائل الأخرى، مع هذا أصيب الملك بالهلع وكذلك حاشيته لأنهم يعرفون بأس "الاخوان" وقد توقع مترجم الملك الذي رافقه في المعركة كما يذكر في كتابه (الموت أو الهرب)!!

لكن ـ المترجم ـ يعترف بأن المدافع الرشاشة "الجديدة" التي سلمها الانجليز لابن سعود، هي التي حسمت المعركة من البداية، خاصة وأن "الاخوان" لم يكونوا يعلمون بها.. فهزموا وجرح الدويش وقتل (500) من أنصاره، وانسحبت قواتهم إلى هجرتهم الأولى (الأرطاوية)، فلحق به الملك وأراد أن يعتقله، ولما جيء بالدويش محمولاً على نعش، تصور الملك أنه سيقدر على اعتقاله، لكنه علم قبل ساعات أن جيش "الاخوان" يحيط بالمعسكر، وأنه إن قتله فسيقتل هو أيضاً، فتركه، خاصة وأن طبيبه أكد له بأنه جراحات الدويش ستقضي عليه سريعاً "وهي جراحات كبيرة استغرب المانع في أنها لم تقض عليه!!".

بعدها توجه الملك إلى شقراء، وطلب مقابلة ابن بجاد الذي هو أقوى من الدويش، ومع أنصار أكثر يبلغون (30) ألف مقاتل.. فجاء ابن بجاد وحده مع قلة من أنصاره للمباحثة، فاعتقله وأرسله إلى الرياض وأنهى الأزمة..

ويعلق (ديكسون) على هذه الخيانة والغدر بقوله: (شتت ابن سعود اتباعهم ـ أتباع الاخوان ـ بعمل وصفه أصدقاؤه بانه عقاب حق، ووصفه أعداؤه بانه الغدر بعينه، ويمكن إرجاع ثورة الدويش التالية التي كلفت ابن سعود كثيراً إلى هذه الحيلة ـ الخيانة ـ غير الملكية، لأن العربي لا ينسى)..

لم يمت الدويش وإنما انطلق شرقاً يقود أعداداً كثيرة من "الاخوان" ومن أفراد قبيلة عتيبة ومطير، وبعد فترة قتل ابن الدويش (عزيز) وقتل ابن حثلين غدراً، بالطريقة ذاتها التي استخدمها ابن سعود مع ابن بجاد، ولكن تمت الخيانة هذه المرة على يد ابن حاكم الأحساء.. وبعدها راح الدويش يهاجم في العمق، في نجد، فظهر له الأنصار هذه المرة والمؤيدون من "الاخوان" غير أن الملك ـ وباتصالاته ـ حاصر الدويش شرقاً (الكويت) وشمالاً (العراق)، وهاجمتهم طائرات ومدرعات انجليزية، فاستسلموا قبل أن يصل الملك لقتالهم، بتاريخ 10/1/1930م، وهم (الدويش، ونايف بن حثلين، وسهود بن لامي)، وأخذهم سلاح الطيران الملكي البريطاني إلى البصرة، ثم وضعوا على ظهر سفينة حربية بريطانية إسمها (لوبن) في شط العرب، وبعد اسبوعين نقلوا جواً إلى معسكر ابن سعود في (خباري وضحة) بتاريخ 28/1/1930م وسلموا إليه، فأودعهم (سجن) في الرياض وانقطعت أخبارهم.. لكن بتاريخ (3/10/1931م) أعلنت الحكومة موت الدويش في السجن، وعلم أن السرطان قد أصاب حلقه فترك دون عناية إلى أن مات.

أما البقية، فقد نقلوا إلى سجن (العبيد) بالأحساء تجنباً لاثارة النجديين وبقايا "الاخوان"، وهناك لقوا حتفهم وانقطعت أخبارهم.

وبعد مرور أقل من سنة على مقتل الدويش، أعلن الملك بتاريخ (18/9/1932م) بتغيير اسم البلاد إلى (المملكة العربية السعودية) وعين فيما بعد ابنه سعود وليا للعهد، وهكذا انقلبت البلاد بغناء "الاخوان" رأساً على عقب!

البعث الجديد

مع بداية الثلاثينات الميلادية، كان التيار الديني يسير بسرعة مدهشة نحو الانحدار والتراجع، وزاد تسارع الانحدار بظهور النفط، وتأكد في الخمسينات والستينات. وفي منتصف السبعينات بلغ التراجع مداه بعد الطفرة البترولية، واستمر التراجع حتى انتفاضة الحرم، ومع بداية الثمانينات بدأ المؤشر يرتفع شيئاً فشيئاً..

وفي جانب الدولة وعرش الحكم، فقد بدأ استقراره رغم الأزمة المالية في الثلاثينات، لكنه سرعان ما تقوى بعد الحرب العالمية الثانية، وبدأ الانتاج الفعلي للنفط يأخذ دورته، ولما مات الملك ابن سعود (1953) جاء ابنه سعود، وزادت مداخيل النفط التي عززت اجهزة الدولة، وفي العموم كل مؤشر استقرار النظام في ارتفاع حتى منتصف السبعينات، ثم بدأ العد العكسي إلى الآن، خاصة بعد انتفاضة المحرم 1400هـ/ نوفمبر 1979م.. مع ملاحظة فترة عدم الاستقرار في الفترة الواقعة بين عامي (1958م/ 1964م) التي كانت فترة صراع بين أجنحة الحكم، وهي الفترة التي نمت فيها المعارضة أكثر فأكثر..

بالنسبة للتيار الديني يمكن إرجاع انحداره إلى عوامل عديدة أهمها:

1/ القمع الحكومي الذي سلط على خلاصة أفراد حركة "الاخوان"، فكانت تصفيتهم، ومن ثم جاء التراجع لعدم وجود قوة معارضة تحمل فكرة جهاد الحكام السعوديين الفاسدين، وتحاسبهم وتضغط عليهم باتجاه التمسك بأهداب الدين ـ على الأقل ـ حتى العلماء في تلك الفترة، والذين ارتخت

قوتهم بارتخاء قبضة "الاخوان" الـذين كـانوا السـبب فـي علـو نجمهـم، حـتى هؤلاء كان النظام قد احتواهم وأشغلهم بالتوافه، ودجنهم بالأعطيات والرواتب والهبـات، فصـاروا لـه بوقـاً، بـدل أن يكوانـوا أداة للإصـلاح ومعارضـة النهـج الحكومي الفاسد.

2/ مداخيل النفط أثرت بشكل كبير ــ خصوصـاً منـذ بدايـة الخمسـينات ــ على الوضع الاجتماعي، وعرضته للهـزات والقلاقـل.. فتبـدلت قيـم، وانهـارت أفكار، وتحطمت قناعات، وتغيرت مسالك وتوجهات.

فالنظام الذي بـدأ مسـتقراً، بـدأ بالانفتـاح علـى الخـارج، وبـدأت عـوارض الأمراض الاجتماعية تفد إليه، والتكنولوجيا غزت العقول وبـدلت فـي الأفكـار، وصاغت قناعات جديدة ورسختها في أدمغة الأجيال الجديدة.. الراديو والتلفاز بعدئذ، والمواصلات البرية، والصحافة، والمستهلكات الأجنبية، كلها صنعت من المجتمع المنغلق على ذاته، مجتمعاً مفتوحاً بدون ضوابط.

والأموال، أموال النفط، الـتي تسـرب جـزء منهـا إلـى المـوظفين وصـغار العمال، خلقت طبقة وسطى جديدة تنفق على المستوردات الأجنبية، وتتغنـى بتقليد ومحاكاة الآخرين، يساعدهم في ذلك ما تبثـه أجهـزة الاعلام مـن أفكـار شاذة وغريبة، وتقاليد فاسدة هي أبعد من أن تنبت بحالها في أراضي البلاد.

ولما زاد المال وكثر وسهل جمعه وبعثرته، بـدون تـوجيه وإرشـاد، ظهـرت إلى السطح أمراض المجتمعات الغربية، ودب التحلل والفسـاد الأخلاقـي فـي أوصال المجتمع، وأضحى السكان يعيشون عشرات المتناقضـات فـي حيـاتهم اليومية.. وهكذا أدى النفط دوره في زيـادة دخـل الأفـراد، لكنـه قلـب الوضـع الاجتماعي رأساً على عقب.

3/ المؤسسات الدينية تتحمل الدور الأكبر فيما وصل إليه المجتمـع، فهـي من جهة كانت السبب الأول في ديمومة النظام السعودي الفاسد المعادي لله وللإسلام، بمسـاندتها لـه وإضـافئها الشـرعية علـى ممارسـاته، وباتهامهـا كـل المعارضين له بأنهم خوارج أو ملاحدة.

ومن جهة ثانية كانت المؤسسة الدينية ـ ولا زالت ـ غارقة فـي القشـريات والتوافه والانغلاق والجهل بالعالم وبأوضاع المجتمع وما طرأ عليه، وهـي بهـذا لم تكن بمستوى التحدي الحضاري الـذي كـاد أن يقضـي علـى كـل اساسـيات المجتمع..

في فترة العشـرينات كـانت المؤسسـة الدينيـة طليعـة المجتمـع المثقفـة والمتعلمة بحساب ذلك الزمان، وفي الخمسينات والستينات والسـبعينات بـدأ المجتمع انطلاقته نحو التعليم، فتأخرت المؤسسة عـن ركـب العلـم، وانفصـل المثقفون عن رجال الدين لأسباب قد يكون منها جمـودهم، ونوعيـة المعـارف التي حصل المتعلمون عليها، وهي بالطبع علوم، ولكنها ليس علومـاً دينيـة، إن الانفصال الذي أدى إلى الاستهزاء بالمؤسسة الدينية ما كان ليتـم لـولا مناهـج التعليم الفاسدة، ولولا عدم إحاطة المشايخ بالعلوم الحديثـة ومـا اسـتجد فـي العالم من اكتشافات ومخترعات وتطور.. وبقائهم على حـالتهم السـابقة منـذ بداية القرن.

ومن جهة ثالثة، كانت المؤسسة الدينية ـ ولا تزال ـ بمجمعها، مقصرة ايما تقصير في التوجيه والارشاد الاجتماعي، ولا نقول السياسي، فلا هي سـاهمت في حل المشاكل بتوضيح الطريق ورؤية الدين تجاهها ولا هـي كثفـت جهودهـا

في محاربة التيارات السلوكية الوافدة أو على الأقل حذرت منها، بل ولم تضغط على السلطة باستخدام قبضتها ؟؟؟ لوضع حد للتجاوز المشين لكتاب الله وسنة رسوله.

ومن جهة رابعة، كانت سلوكيات مشايخ السلطة ــ ونقول الكثير منهم وليس كلهم ـ هي الأخرى بعيدة عن أن تكون مثالا وقدوة للآخرين.. فبعضهم قبل بدور الجاسوس، والبعض الآخر قبل بدور المفتي، والثالث قنع براتبه ومسكنه والعيش المرفه، والرابع قنع بزيارة الملك كل يوم اثنين وشرب القهوة معه (!!)، والخامس قبل أن يكون من حاشية الملك أو الأمير الفلاني والعلاني، فيكون ضمن الوفود المستقبلة والمودعة وما شابه ذلك..

ترى لو أن عشرة (فقط) من رجال الدين قاموا بدورهم الصحيح والذي يطلبه الله منهم، هل كانت البلاد لتصل إلى ما وصلت إليه؟!

نشك في ذلك..

العودة من جديد

في أواخر الستينات الميلادية، الثمانينات الهجرية، شعر رجال الدين أن البلاد تغيرت من رأسها إلى قدمها خلال فترة لا تتجاوز ثلاثة عقود، وكان بعضهم ممن ساهم في بناء (هجر) الاخوان، قد لحظ هذا التغير الطاريء، وإن كانت الملاحظة متأخرة جداً.. فقد نبت جيل بكامله في أوضاع متردية من الناحية الدينية، وتفتحت مداركه على بيئة اختل توازنها، وفقدت حيويتها وجديتها والتزامها، فنشأ هذا الجيل والذي تلاه حياة اللامبالاة والخمول والكسل، حياة الضعف والهزيمة والحقارة الذاتية، فيما كانت جحافل الغرب (أفكاره ومصنعاته، وتقاليده وقيمه، وخبراؤه، وعلومه، ودعاياته) تكتسح ساحة البلاد من أقصاها إلى أدناها.

أواخر الستينات كانت البداية لعودة شيء من الوعي لبعض رجال الدين، مع أنها كانت بداية سطحية ولازالت.. رجال الدين الذين يستطيعون في كل زمان ومكان أن يغيروا دولا، ويسقطوا أنظمة، إذا كانوا بمستوى المرحلة والتحدي، أحسوا بضرورة القيام بالدعوة من جديد..

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي بدأت في النصف الأخير من القرن الثامن عشر، انهارت بعد أن كونت دولة ممتدة من اليمن جنوبا إلى العراق وحدود الشام شمالاً، ومن الخليج شرقاً (عمان والبحرين والأحساء) إلى البحر الأحمر غرباً، انهارت الدولة بعد وفاة محمد بن عبد الوهاب إثر الانحراف الشديد الذي أصاب الدولة والقيادات السعودية، فدكتها مدفعية محمد علي باشا بمباركة الرأي العام الاسلامي.

وجاء التجديد والبعث على يد (الاخوان) الذين هم امتداد لجيل القرن الثامن عشر الذي بنى الدولة السعودية الأولى، فبنوا دولة آل سعود الأخيرة، ولكن ما لبث أنقضي على المؤسسين، وانفصل الدين عن الدولة، وآلت البلاد إلى الفساد والتراجع..

في هذه الفترة (1960م)، أسست الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، بضغوط ودعوة من رجال الدين، فاستجاب الملك لهم وأعطاهم أحد قصوره كمقر للجامعة، وعين الشيخ عبد العزيز بن باز أول مدير لها..

وباتفاق مسبق بين مفتي الديار السعودية وأكبر رجل دين في ذلك الوقت (محمد بن إبراهيم آل الشيخ)، وبين الشيخ ابن باز، على القيام بالدعوة من جديد بعد أن كثرت المفاسد، نبتت البذرة الأولى لما يعرف الآن باسم (الدعوة السلفية)، والتي هي امتداد لدعوة (الاخوان) ولدعوة (محمد بن عبد الوهاب)..

الحجاز الذي كان آخر المناطق التي احتلها السعوديون يختلف كثيراً عن نجد (معقل الأفكار الوهابية)، خاصة وأن هذه الأفكار لم يتح لها فرصة الترسخ بفعل السلطان والقوة، لأن الدولة السعودية التي دشنت عهداً جديداً، لا يهمها أن تكون هذه الأفكار موضع رسوخ.

ومن جهة أخرى كان الحجاز مرتعاً لكل المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة، بسبب انفتاحه على الحجاج الوافدين.. ويبدو ـ للأسف ـ أن المشايخ "مشايخ الوهابية" كان همهم في بداية دعوتهم أن يقفوا أمام المذاهب الأخرى التي تتعارض مع مذهبهم، الذي يعتبرونه صحيحاً وما عداه باطلاً، وأنهم إذا لم يظهروا مذهبهم فإنهم يخافون بأن يعبد قبر الرسول وتشوش العقائد!!

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن الدعوة السفلية الجديدة هذه، كان لها تواجد ضعيف في الحجاز، ممثلاً في (دار الحديث) التي ضمت فيما بعد للجامعة الاسلامية، من أجل تخريج دعاة للمذهب الوهابي.

بدأت الجماعة بأفراد تحت رئاسة الشيخ بن باز، وبدأت بالقاء الدروس في المساجد وتعليم الناس علم التوحيد على رأي محمد بن عبد الوهاب.. بعدها تطوع أحد المريدين ببيت ومسجد في المدينة المنورة وهي المقر الأساسي للدعوة، نظراً لوجود بن باز، والجامعة الاسلامية، لكي يكونا مكاناً للتجمع والالتقاء.

واستمرت الجماعة التي اطلقت على نفسها بعدئذ، جماعة (الدعوة المحتسبة) في التوسع شيئاً فشيئاً، حتى تضخمت في بداية السبعينات الميلادية، وتحولت إلى تجمع فاعل له ق ياداته وموجهوه، فأنشيء قسم للرحلات، وآخر للضيوف، وثالث للسفر إلى القرى من أجل الوعظ والارشاد.. وتزايدت البيوت والمقرات، كما تزايد الخطباء والوعاظ والمشايخ، وانطلقت الجماعة بعدئذ فأسست ما أسمي بـ (بيوت الاخوان)، في جدة والطائف والرياض والقصيم وغيرها، وكان من جملة نشاطات بيوت "الاخوان" استضافة عابري السبيل، وبث الدعوة بالدروس اليومية، وتعليم القرآن والحديث، إضافة إلى المحاضرة الاسبوعية، حيث يستضيف بيت "الاخوان" في المدينة في أحد المشايخ كل اسبوع مرة، وبعد إلقاء محاضرته يعلن اسم الشيخ المحاضر في الأسبوع الذي يليه وهكذا.

ومن المشايخ الذين داوموا على الحضور، أبو بكر الجزائري مسئول الجماعة الذي عينه ابن باز، والشيخ العامودي، والشيخ العشماوي، وشيخ يسمى ب (عبد الفتاح) وغيرهم.
من جانب آخر قسم أفراد الجماعة في المدينة المنورة إلى أقسام، بعضهم كان مسئولاً عن الرحلات (وكان المرحوم جهيمان رئيس هذا القسم)، وقسم للتبليغ في القرى والأرياف، وقسم للضيوف، وقد استفاد الشيخ بن باز من موقعه في إقامة شبكة اتصالات مع أفراد في مدن مختلفة من البلاد، وكان

هؤلاء هم رسل الجماعة، إضافة إلى أنه كان يرسل إلى (بيوت الأخوان) هناك، مشايخ لتوعيتهم في يومي الخميس والجمعة..

ومع أن بيوت "الاخوان" في مختلف المناطق والمدن لم تكن كثيرة جداً، إلا أنها كانت مقرات منظمة.. وقد ساعد قسم التبليغ على ربطها ببعضها، لأن أفراد هذا القسم انطلقوا إلى القرى المحيطة بالمدينة مثل (النخيل) وغيرها، وراحوا يروجون لأفكارهم وتصوراتهم..

ولم تكن مقرات "الاخوان" خالية طوال أيام الأسبوع، بل إنها كانت تمتلئ بالشباب من مختلف البلدان (اليمن ـ تونس ـ المغرب ـ مصر ـ الأردن)، وكان مجمل الحديث والنقاش يدور حول السيرة النبوية وتدارس القرآن، والتباحث في بعض المسائل الفقهية، لكنها لم تتطرق إلى أي من الأمور السياسية والأمراض الاجتماعية التي يعج بها المجتمع، إلا على يد المرحوم جهيمان، حيث انفصل بعدئذ وكون له جماعة خاصة به.

أما الدولة، فإنها لم تنظر إلى الدعوة في باديء الأمر كخطر محتمل يمكن أن يهددها في المستقبل، ولربما وجدت فيها أداة مساعدة على بث ما تريده، ومحاربة التيارات الفكرية الوافدة التي أتاحها عهد الانفتاح، خاصة وأن تأسيس الجماعة كان في خضم أزمة الصراع بين الملك سعود وأخيه فيصل، وبين سعود وجمال عبد الناصر، مما لم يتح لأحد أن يقيمها على حقيقتها، بيد أن الحكومة كانت تنظر إليها وإلى كل تحرك ديني آخر على أنه يصب ف ي جدول أرباحها، ويدل في إطار صراعها مع الآخرين.

ولربما رأى الملك سعود أن رجال الدين يجب غض النظر عنهم، خاصة وأن سخطهم من تصرفاته وسلوكياته الفاسدة قد ظهر إلى السطح.. ثم إن قادة الجماعة مشايخ معرفون بولائهم للحكم السعودي، وأن اعتراضهم هو شكلي ولا يمس الجوهر، ونعني به أصل النظام القائم، فضلاً عن أن الجماعة بعيدة عن السياسة وأوضاع المجتمع.

وعلى العموم، قوبل إنشاء الجماعة بالترحيب من معظم الشخصيات الدينية النجدية، وكان المعارضون كثيرون ومن منطلق مذهبي أيضاً.. فمشايخ الحجاز رأوا فيها إحياء للفكر الوهابي، وضرباً للمذاهب الأخرى، والمعارضون لآل سعود، وجدوا فيها أداة إضافية لقهر المجتمع باسم الدين، لأن الدولة تستغلها لصالحها..

ولأن الجماعة نشأت تحت سمع وبصر الدولة فلم تلق معارضة منها، فقد انخرطت مجموعات كبيرة في صفوفها، حيث لم تكن هناك شروط للراغبين بالانضواء، سوى تسجيل الأسماء ودفع مبلغ صغير من المال إلى بيت "الاخوان"، وحتى هذا المبلغ لم يكن إلزاميا.

وبعد أن ثبتت الجماعة أقدامها، ورتبت بيوتها ــ بيوت الاحزان ــ وانطلق أفرادها إلى المناطق الأخرى (الأحساء ـ تبوك ـ أبها) وغيرها، عقدت تحالفاً وثيقاً بأهل السنة والجماعة، وهي جماعة نشأت في مصر، وأصدرت مجلة اسمها مجلة التوحيد، وكان "الاخوان" يوزعونها ويبيعونها في مقراتهم، بل إن بعض مشايخ أهل السنة والجماعة وقفوا معها أثناء تواجدهم للتدريس في الجامعة الاسلامية، كالشيخ سعد ندا، والشيخ حسين الملا، إضافة إلى المشايخ الآخرين الذين كانوا في الجامعة الاسلامية (أبو بكر الجزائري ـ رئيس

الجماعة) و (الشيخ العامدي ـ مدرس في جامعة محمد بن سعود)، و(الشيخ محمد الأنصاري).

الانشقاق

كان آخر ما تصوره آل سعود أن تبنت جماعة معارضة في رحم الدعوة السلفية، تطالب بإزالتهم وتكفيرهم.. وكيف يكون ذلك وهم الذين يتبنون المذهب الوهابي ويدعون إليه، بل ويجيرون الآخرين على تبنيه والأخذ به!؟..

كيف يحدث ذلك والمشايخ معهم؟، كيف ينقلب السحر على الساحر هكذا بسرعة!؟

في أحد بيوت الجماعة في المدينة المنورة، كان المرحوم جهيمان العتيبي المسئول الأول عن قسم الرحلات، وكان ذا قدم سابق في الدعوة، وقد أنفق الكثير من أمواله وممتلكاته من أجلها.. وفي عام 1976م اختلف مع المشايخ حول أمر واحد ومنه تفرعت بقية المسائل، إلا وهو (وجوب مقاومة الحكم السعودي) لأنه حكم قائم على الباطل.

أخذ جهيمان بإثارة الاشكالات حول الحكم السعودي في بيوت الاخوان بالمدينة المنورة، وبدأ بمسألة البنوك الربوية الحكومية والأهلية والأجنبية المنتشرة في البلاد، وقال إن هذا كفر صريح.. وتلاه ا بطرح مفاسد الأسرة الحاكمة وعدم حلية بيعتهم وتكفيرهم، ثم ناقش قضايا سياسية من منظار فقهي، وأثار قضية كبرى أزعجت الدولة حين قام بتشطيب صور الملوك على النقود بالحبر الأسود..

العلماء والمشايخ سكتوا عن جهيمان في البداية لسببين:

الأول: أن ما يطرحه هو حق وواضح ولا يخالف معتقدهم.

وثانيا: لأن جهيمان ليس شخصاً عادياً، بل هو من أوائل السفليين الداعين لفكر الجماعة، وقد قدم عشرات الخدمات لها وأنفق مما عنده من أجل نموها.

لكن الأمور والاشكالات وصلت للدولة، فبدأت تحقق، وقامت بزرع جواسيسها في المقرات، وطالبت بن باز بردع جهيمان والدفاع عن الدولة وأفكارها، في الوقت الذي بدأ الانشقاق يتسع بين الأفراد، فهذا مؤيد وذاك معارض، وآخر انسحب من الساحة، ورابع متذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.. وهكذا.

الحكومة خافت أن تضرب جهيمان ومؤيديه بالقوة قبل أن تستحصل على فتوى من العلماء، أو على الأقل قبل أن تعزل جهيمان وتضع حداً لتأثيراته على بقية الأفراد.. وقد اعترفت السلطة على لسان وزير الداخلية بعد حادثة الحرم بأن الجماعة معروفة لدى الدولة، وأن الدولة عاملتهم بالحسنى هو لأن بعض المشايخ تدخلوا من أجلهم.. وهذا التدخل هو الذي دفع بوزير الاعلام أن يقول بعد الحادثة أن التصور الحكومي هو ان المشايخ قاموا بعمل (ما)!! مما يعطي انطباعا عاماً أن جماعة جهيمان كانت مؤيدة من قبل بعض المشايخ ـ أو لا أقل ـ كان المشايخ يتعاطفون مع أهدافها ولا يريدون لها سوءاً يأتيها من آل سعود.

هنا دعت الدولة إلى مناظرة جهيمان وجماعته، وجاءت ببعض المشايخ لكي يقنعوهم بعدم صوابية أفكارهم (المتطرفة!!).. حضر "الاخوان" ـ جماعة

جهيمان ـ ويقال أن جهيمان لم يكن بين الحضور.. فطرحوا إشـكالاتهم واحـداً واحداً، فما استطاع العلماء إلا لفلفة الأمور..

قالت الجماعة للمشايخ ـ وكان على رأسهم بن باز ـ إن البيعة لا تجـوز لآل سعود، لأنهم ليسوا مـن قريـش، ولأن سـيرتهم تخـالف الاسـلام، ولأن بيعتهـم كانت بالجبر والقهر.. فرد العلماء بأن الدولة السعودية أفضـل مـن غيرهـا، ولا زال فيها بعض الخير، ولا يمكن مقارنتها بالدولـة العربيـة الفلانيـة أو العلانيـة.. وأضافوا بأن الشيوعية سـوف تسـحق الاسـلام إذا سـقطت هـذه الدولـة فـي براثنها، وأن معارضتها تؤدي إلى ذلك!!

بالطبع هذا الجواب لا يقنع حتى الاطفال، وهذا هو الـذي حـدا بجهيمـان أن يكتب في إحدى كراساته ساخراً حول هذه المسـألة.. فحيـن يطـالب بـالحكم الاسلامي وإسقاط الدولة السعودية، لوحوا له بخطر الشيوعية!

مسألة البنوك طرحـت علـى بسـاط البحـث، حيـث أبـدى أفـراد الجماعـة استنكارهم للربا الذي تتعامل به البنوك، فرد العلماء بأن البنـوك لا تتعامـل بـه صراحة، وإن كانت الفائـدة فـي مقـام الربـا، لكـن هـذا ليـس خطـأ آل سـعود وحدهم، وإنما العالم الاسلامي جميعه، لأن البديل الاسلامي غير موجود، وكـل العالم يتعامل بغيره.. فردوا بأن المسـألة تتعلـق ببلادنـا أكـثر مـن غيرهـا، لأن الدولة ترفع شعار الاسلام وحماية الحرمين ثم تتعامـل ببنـوك ربويـة، وتسـمح للبنوك الأجنبية بالتعامل ذاته، وأن بلادنا تختلف عن بقيـة البلاد، وإذا كـان مثـل هذا الأمر مقبولاً في بلاد أخرى، فهو هنـا ليـس مقبـولا، ونحـن لا نقبـل بتجـاوز الشرع تحت أي ذريعة.

وأثيـرت مسـألة تشـطيب أفـراد الجماعـة علـى الصـور، فأجـاب أحـدهم بصراحة بأن التصوير (حرام!!) والصور التي تطرح على النقود مخالفة للشرع (حسب رؤية الوهابيين جميعهم)، ولهذا فإن إزالة المنكـر واجبـة، فـرد عليهـم العلماء بأن كلامهم صحيح وأن الصور حرام، لكن التشطيب بالحبر الأسود أمر يمس الدولة وأمنها، وفيه تجريح لأشخاص ـ اصحاب الصور ـ

ثم إن التشطيب يؤدي إلى بلبلة في المجتمع، ويدفع بآخرين إلى معارضة الدولة، فتسوء أحوال الرعية وتؤول مصالح الناس إلى الخراب والهاوية..

رد أحد أفراد الجماعة على المشايخ، بـأن مـن واجبنـا أن نشـطب بـالحبر على الصور، وهذا الواجب هو لمصلحة المسلمين حتى لا يعبد الناس أشخاصـاً ويقدسونهم ويضعونهم بمنزلة الآلهة.. وأنه إذا كانت الدولة حريصة على أمنها، فلتلغ الصور، وكفى الله المؤمنين شر القتال!!

وهكذا لم يقنع العلماء الجماعة بهذه النقطة أيضاً..

طالت الجلسة دون أن يستطيع المشايخ من إقناع أفراد الجماعـة، وحيـن شارفت النهاية بادرهم أحد المشايخ قائلا بأن معارضـتكم للدولـة فيهـا إسـاءة للدعوة، لأنها الآن تكتسـح السـاحة، وبعلمكـم هـذا سـينفض النـاس عنهـا، لأن الناس وجد فيهـا دعـوة خيـر، ليـس فيهـا سياسـة، وأن النـاس منـذ أن عرفـوا بأمركم باتوا يتهيبون من القدوم إلى بيوت "الاخوان".

وأضاف بأن الدولة فتحت عينيها، وهي لن تترك الأمـور تمـر بسـهولة بعـد الذي جرى، وأنتم تعلمون بأنها ستدس الجواسيس ليأتوها بالأخبار حفاظاً على أمنها، وعليه فإن كنتم حريصين على الدعوة، عودوا إلى ما كنتـم فيـه واتركـوا التطرف.

عادت الأمور إلى ما كانت عليه فاتسع الانشقاق، والغريب أن المشايخ لم يفلحوا في الترقيع، لأن مطالب جهيمان واستشهاداته بالانحرافات الواضحة في المجتمع أججت مشاعر الكثيرين، فانضموا إليه، خصوصاً أولئك المتنورين من أساتذة وطلاب الجامعة الاسلامية الذين تركوا مواقعهم والتحقوا به في الصحراء، وهناك تدربوا على السلاح وتفرقوا لجميع الأنصار في المدن الأخرى من البلاد، إلى أن ثاروا عام 1979م.

الآن، وبعد أن قضي على انتفاضة الحرم، طرح المعارضون لجهيمان والمؤيدون للدولة وآل سعود، بعض الاشكالات على تحركه فقالوا (هذه المعلومات والتي سبقتها، استقيت من أفراد مسئولين في جماعة الدعوة المحتسبة):

لما كان جهيمان مسئولاً عن قسم الرحلات التي ينظمها، كانت تعترض المشاركين في الرحلات بعض المسائل الفقهية، ولما كان المشايخ غائبين، فإن جهيمان ـ وحسب اجتهاده ـ يجيب عليها، على اعتبار أنه إذا اجتهد فأخطأ له أجر، وإذا اصاب فله أجران.. وهذا القول الذي نذكره هنا لمصادر معارضة لجهيمان من الجماعة نفسها ولا نعلم بصحتها من خطئها.. والاشكال الذي طرح هو أن جهيمان اعتبر نفسه في مقام المشايخ، واعترض عليه بانه مهما كان فهمه وعلمه لابد أن يرجع في القضايا الفقهية إلى المشايخ أنفسهم..

طبعاً هذه مسألة طارئة ـ كما يقول المعارضون ـ لكن الأهم من الاجتهاد الفقهي ـ حسب قولهم ـ هو الاجتهاد السياسي وتكفيره للدولة ولآل سعود.. والمشايخ كان من السهل عليهم إقناعه في القضايا الفقهية التي يقولون أنه خطيء باجتهاده فيها، لكنهم لا يقدرون على إقناعه بعدم معارضته للدولة، سيما وأنه اعتبر آل سعود صريحين بكفرهم وفسوقهم..

قال له العلماء أنهم لم يأتوا بكفر بواح ـ حسب الحديث الشريف ــ فيلزم طاعتهم، فأجابهم بأن كفرهم واضح كوضوح الشمس، وأنه لن ينتظر منهم أن يعلقوا يافطة ويعلنوا خروجهم عن الدين، لأنهم لن يفعلوا ذلك!

دعوهخ أن يأتي ويناقش، وأن لا يتخفى في البوادي، وأن يقنع الدولة بحجته، فأجابهم بأنه يعرف من تاريخ آل سعود أنهم يحبون الناصحين بل يقتلونهم بشبة تسكت الأرنب (الرعية!!)!، وأنه إن أتى فإن المطلوب منه أن يؤيد آل سعود أو يزجوا به في السجن، وقد كرر جوابه هذا في إحدى كراساته (الامارة والبيعة والطاعة) فقال ما نصه: (هذه القواعد الثلاث هي التي يتخذونها مع أهل العلم والدين، وهي أن توافقهم، أو تسكت عنهم، أو يقتلونك.. وهذه هي الأسباب التي حملتني على أن أواجههم، وأبين لهم الحق، لأني عرفت ما عندهم في من خالفهم ـ ويلمح جهيمان هنا للأخوان الأوائل الذين قتلهم عبد العزيز ـ، وأنهم لا يحبون الناصحين، بل يقتلونهم، وأنا لا أريد قربهم، ولا أريد السكوت عنهم وعن الحق، فلم يبق إلا الثالثة)..

قالوا له إن العمل بالخفاء والسرية هو (نفاق)، لانه إظهار شيء للناس، وإخفاء شيء آخر، فأجابهم بأن هذا ليس نفاقاً وليس جبنا، وأن الرسول هو أول من عمل بالسر ثلاث سنوات في مكة، حتى إذا قويت شوكته أعلن حربه على عقيدة الكفار..

وأوضح مضمون هذا القول في رسالة (الامارة والبيعة والطاعة) فقال ما نصه: (فافهم ولا تنخدع بحملة الفقه، وبمن يأخذ بجانب واحد من الكتاب

والسنة، ويقول هذا من الجبن والخوف والذل، مع أنك تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم اختفى في الغار لما عزموا على قتله)!!

وكرر ذات المسألة في ختام إحدى رسائله (الميزان في حياة الانسان) حيث جاء بقصيدة شعبية صاغها، يوضح فيها أن الرسول بقي فترة في الغار، يقول في القصيدة:

يارب ثبتنا بعد حادث صار
نقول بالحجة بغير ارتعاشي
ويارب تنصرنا على حزب الاشرار
اللي تحزبهم من أجل المعاشي
تشبهوا بالكفر في كل الأقطار
ويبغوا رجال الدين مثل الكباشي
هم يحسبون الدين به قطف الأثمار
وملاعبة من يلبس الغواشي
لابد والله نبدل الدار بالدار
وقدمنا جعفر نقل للنجاشي
وقدمنا الرسول أخذ وقت في الغار
وفي شعب أبي طالب على الجوع عاشي
ومن بعدها لابدنا نشعل النار
ماتظهر السنة طيور الخشاشي

سألوه عن تحريم الوظائف الحكومية، فقال إن الوظائف الحكومية ا لتي تقوي من قبضة الحاكم الظالم كالعمل في المباحث وغيرها حرام: (إن هذا القول هو الذي كنت أقول به من قبل ويعكسه بعض الناس فيقول هو يحرم الوظائف، فعفا الله عنا وعنهم، ونرجو أن تكون عاقبتنا وإياهم كيوسف وإخوته)..

ويلاحظ هنا أن رسائل جهيمان تحوي الكثير من الردود على اتهامات السلطة وأذنابها ومؤيديها.. مع العلم أن جهيمان طلب من جماعته "اعتزال" العمل الحكومي وأورد في رسالته (دعوة الاخوان.. كيف بدأت وإلى أين تسير) مجموعة من الأحاديث النبوية التي تطالب باعتزال العمل عند الحاكم غير الشرعي والظالم، منها:

1) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منهم فلا يكون عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً".

رواه ابن ماجه وسنده صحيح.

2) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً، فكان من خطبته أن قال:

"ألا إني أوشك أن أدعى فأجيب، فيليكم عمال بعدي يقولون مـا يعلمـون، ويعملون بما يعرفون، وطاعة أولئـك طاعـة، فتلبثـون كـذلك دهـراً، ثـم يليكـم عمال من بعدهم يقولون ما لا يعملون، ويعملون بما لا يعرفون، فمن ناصـحهم ووازرهـم وشـد علـى أعضـادهم، فأولئـك قـد هلكـوا وأهلكـوا، خـالطوهم بأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم، واشهدوا على المحسـن بـأنه محسـن، وعلـى المسيء بأنه مسيء".

(رواه الطبراني والبيهقي وهو حديث صحيح).

على اية حال، كان من الاشكالات التي واجهها جهيمان، أنه متعصب لرأيه، ولا يقبل رأي غيره حتى ولو كان ذلك واضحاً، ويستدل المعارضون بأن الشـيخ بن باز حين ناقشهم أبدوا اقتناعهم ثم نكصوا على اعقابهم، لكن الحقيقة أنهم لم يقتنعوا ولم ينكصوا، ولذا ترى جهيمان يقول حـول مسـألة تعصـبه: (نشـهد الله وملائكته وعباده المؤمنين على أن نقبـل الحـق ممـن جـاء بـه ولـو خـالف آرائنا وأهواءنا وما نشأنا عليه)

"رسالة الميزان لحياة الانسان"..

ومن الاشكالات أنه بـايع الملـك خالـد بـالحكم، فلمـاذا يخـرج علـى بيعتـه ويموت ميتة جاهلية؟، ويفرق وحدة المسلمين؟!!

أجاب جهيمان بأنه لم يبايع، وأنه حتى لو بايع، فانها بيعـة قهـر وجـبر، ومـع هذا يحق له بأن يعترض الامام الشرعي، فكيف به أن يكون ملكاً منحرفاً؟!..

ومـن ضـمن مـن أوضـحه فـي إحـدى رسـائله: (إن هـذا فيمـا إذا بـايع المسلمون كلهم إماماً، فمن فارق جماعتهم ولم يبايع مات ميتة الجاهلية، أمـا إذا لم يكن لهم إمام، فلا ينطبق هذا الوعيد، ويدلل علـى ذلـك أن النـبي صـلى الله عليه وسلم، أرشد حذيفة عند وجود الجماعة والامام بأن يعتزل، فهل ترى أن النبي يرشد حذيفة لأن يموت ميتة جاهلية؟)..

ورغـم هـذا الكـم الهائـل مـن الاشـكالات والاجابـات المضـادة، اسـتطاع جهيمان أن يشكل خلايا، ويؤسس بيوتا للأخوان في منـاطق عديـدة كالاحسـاء والرياض والمدينـة وجـدة وتبـوك وغيرهـا.. وانضـم إليـه عشـرات مـن طلاب وأساتذة الجامعة الاسلامية، وكان من بين الاساتذة (سويد بـن عقـاب العتيـبي ويحمل شهادة الماجستير، وكان حتى نهاية عام "1403هـ" معتقلاً ـ على حد علمنا ـ، وسليمان بن اشتيوي، اعتقل ثـم اطلـق سـراحه بعـد أكـثر مـن سـنة، والشيخ المزروعي الذي اعتقل ثم أخرج من الجامعة، وكذلك انضم إليـه عـدد من المعيدين وعدد كبير مـن أبنـاء مـدينته "سـاجر" فـي نجـد وقـبيلته عتيبـة، وهؤلاء يكرهون السلطة التي فتكت بأجدادهم في واقعة السبلة)..

وقد لاحظ العالم أن أفـراداً مـن مختلـف الجنسـيات شـاركوا فـي عمليـة الحرم وأعدموا بعدئذ أو قتلوا داخل الحرم، وهذا يدل على أن جهيمـان تجـاوز الطرح الاقليمي والقومي.

ومن الواضح أن الفكر التغييري الذي تبناه جهيمان ـ رغم سـلفيته ــ يرجـع على ارتباطه العـاطفي والنسـبي إلـى (الاخـوان) الأوائـل الـذين بنـوا الدولـة السعودية وكان نصيبهم الاعدام.. ونعود فنؤكـد هنـا أن الاختلاف بيـن جهيمـان وجماعة الـدعوة المحتسـبة الـتي خـرج مـن رحمهـا معارضـاً لآل سـعود، هـو اختلاف فـي شـيء واحـد وهـو معارضـة الدولـة السـعودية فقـط!، أمـا بقيـة المسائل فهو يتوافق معهـم تقريبـاً، عـداً مسـألة المهـدي.. ومسـألة المهـدي

يعترف بها السلفيون جميعاً، إلا أن التخصيص الـذي طرحـه جهيمـان هـو مثـار الاختلاف، وقد اعتبروا ذلك بدعة وخرافة.

هذا ما أردنا إيضاحه حول هوية الجماعة التي اعتصمت في الحرم.

(الفصل الثاني)

أهداف المعتصمين في الحرم

والآن، وبعـد أن أوضـحان حقيقـة القـائمين بالاعتصـام، ننتقـل إلـى فقـرة أخرى لنلقي مزيداً من الضوء على الأهداف الحقيقية وراء العملية.. إذ أن من الطبيعي أن عملاً ضـخماً كالـذي تـم فـي الحـرم، لابـد وأن تكـون لـه أهـداف بحجمه..

غير أن المسئولين السعوديين يضـحكون علـى أنفسـهم قبـل أن يضـحكوا على الرأي العام حين ينفون أنه ليست هناك أية أهداف سياسية، أو أنه ليست هناك أهداف مطلقاً، أو أ ن الهدف فقط هو مبايعة المهدي.

لم يعلن أقطاب الأسرة الحاكمة في تصـريحاتهم وبيانـاتهم الرسـمية عـن أهداف الجماعة إلا بعد (48) ساعة على الأقل من وقوع الحادث، اللهـم إلا إذا كان ما أشار إليه بيان الداخلية الأول حول مبايعة المهدي قصد منه كهدف.

بعد أربعة أيام قال وزير القمع السعودي: (إن الحادث أبعد مـا يكـون عـن أي مضمون سياسي)[1].. وصرح (فهد) بأنه (ليس للجماعـة أهـداف ومطـالب عدا المهدي المنتظر، وأن المسـألة لا تعـدو كونهـا أحلامـا وكلام فاضـي!!)[2]، وسبق وزير الخارجية الجميع حين صرح بأنه (ليس لهم أية انتماءات سياسـية، ولذلك لا يمكن القول أنهـم موجهـون مـن أي دولـة، أو أن لهـم أيـة ارتباطـات سياسية مع دولة أخرى، كما أنه لا يمكـن تصـنيفهم سـوى أنهـم مجموعـة م ن المهووسين.. وأن القضية لايمكن أن تحتسب بأنها سياسـية)[3].. وقـال عنهـم أمير الرياض سلمان، بأنهم (أشخاص اتحدوا ضـمن هـدف شـرير ليـس إلا)[4]، وعاد وزير الداخلية مرة أخرى فقال: (إنهم لم يرفعوا أي شعار سياسـي، ولـم يطالبوا بقطع البترول عن الولايات المتحدة)[5]، في الـوقت الـذي أكـدت فيـه كل صحافة العالم، أن الحادث لا يمكن فصله عن السياسة، كما لايمكن تجريد العملية من الأ هداف السياسية..

غير أن نايف وإخوته ومنهم فهد، الملك الحالي أبوا إلا أن يؤكـدوا علـى أن الثوار (قاتلوا من أجل تحقيق البيعة للمهدي وحسب)[6].. كما قال فهد..

وصرح وزيـر الداخليـة لصـحيفة (الجزيـرة) بعـد أكـثر مـن أسـبوعين مـن العملية، بـأنه (ليـس هنـاك أيـة مطـالب أو أهـداف للفئـة الباغيـة، عـدا ترويـع المؤمنين الأمنين، وسفك دمـاء الأبريـاء، وتتويـج أحـدهم مهـدياً خروجـاً علـى الدين الاسلامي[7]..

---

1 ـ جريدة الرياض 23/11/1979م.
2 ـ السفير 10/12/1979م.
3 ـ صحيفة الجزيرة السعودية 22/11/1979م.
4 ـ الرياض 9/12/1979م.
5 ـ السفير 26/11/1979م.
6 ـ الوطن الكويتية 23/2/1400هـ.
7 ـ الجزيرة 6/12/1979م.

وبعـد أكـثر مـن خمسـة أسـابيع، عقـد نـايف مـؤتمراً صـحفياً بتاريـخ (13/1/1980)، أجاب فيه على سـؤال لأحـد المراسـلين حـول الأهـداف، هـل كانت احتجاجاً على علاقات آل سعود بأميركا؟، أو على الاذاعة والتلفاز؟، قال نايف (أبداً، الواقع عندما كان أفراد الطغمة الخارجة في الحرم، لم يكن هنـاك شيء غير ما أذيع وما سجل عنهم، وهـو اعتقـادهم بالمهـدي! وأنهـم يجـب أن يقاتلوا في الحرم.. أما ما قيل عـن الراديـو والتلفزيـون فقـد وجـد فـي بعـض نشراتهم السابقة ما يقول أنهم يحرمون هذه الأشياء.. أما ما يتعلـق بـالبترول فلم نسمع شيئاً عنه)..

وقبل هذا التصريح بثلاثة أيام أدلى نايف في مقابلة له مع جريدة (السفير) بقوله (لقد انتظرنا حتى تمكن بعض المصلين من الخروج مـن الحـرم وحصـنا على المعلومات الأولية، وعلى مطالب المسلحين الذين ما أرادوا شيئاً من ال دولة، بل هدفوا إلى مبايعة من سموه المهدي المنتظر)[1]..

لقد بات مؤكداً لدى جميع صحف العالم ووكالات الأنباء أن هنـاك مطـالب سياسية للجماعة، فقد أكد مراسل وكالة الأنباء الفرنسية في جدة (بأنه أصـبح من المؤكد أن هناك أهدافا سياسـية للمتمرديـن)[2].. وشـككت جريـدة النهـار بـأقوال المسـئولين السـعوديين فقـالت (بـاتت النظريـة الرسـمية القائلـة أن عمليـة مكـة بعيـدة عـن أي دوافـع سياسـية، موضـع تشـكيك لـدى الأوسـاط المطلعة في جدة)، وأضافت نقلا عن صحيفة الواشنطن بوست الأميركيـة (ن الهجوم المسلح على المسجد الحرام يعتبر تحديا مباشرا للحكومـة السـعودية ولحقها في الحكم، ومن الصعب ارتكاب خطأ أكـبر مـن اعتبـار الحـادث حلقـة معزولة من الهستيريا الظلامية تنتهي بعـودة الأمـن)[3].. ثـم كـررت الصـحيفة مضمون هذا القول بعد مدة فقالت (إن أهداف حركة الحرم الشريف، صورت ظهور للمهدي المنتظر، ولكن الأهداف السياسية لم تغب عنها)[4]..

والطريف أن مصدراً سعوديا مسئولاً صـرح لمجلـة (نيوزويـك) الأميركيـة (أن هـدف الجماعـة الـتي احتلـت المسـجد الحـرام، كان بـث القلاقـل وعـدد الاستقرار في الجزيرة العربية)[5]، وربما تصـور جهابـذة الحكـم السـعودي أن الهدف هذا لا يعتبر سياسياً أيضا!

والأكثر طرافة ما ذكرته إحدى الصحف الكويتيـة حـول مطـالب الجماعـة، التي قالت أنهم (طـالبوا بمنـع التلفزيـون وكـرة القـدم علـى أسـاس أن ذلـك رجس من عمل الشيطان، كما طالبوا بخلـع الملـك، وعـدم إحلال بيعتـه علـى أساس أن أهل النظـام شـياطين، وليـس علـى اسـاس مطـالب سياسـية)[6]، فتبين ـ عزيزي القاريء ـ كيـف أصـبح هـدف خلـع الملـك غيـر سياسـي بنظـر الصحافة المتعاطفة مع الحكم السعودي، فهـل هـذه الصـحافة يمكـن الوثـوق بها؟، وأقصد الصحافة العربية التي تتعاطف في معظمها مع آل سعود.

مجلة الحوادث، التي كانت أثناء الأحـداث وبقلـم رئيـس تحريرهـا السـابق سليم اللوزي، تنقل بحرص وبخبث التوجهات الحكومية السعودية، هذه المجلة

---

[1] ـ السفير 10/1/1980م.
[2] ـ الرأي العام 28/11/1979م.
[3] ـ النهار 30/11/1979م.
[4] ـ النهار 23/12/1979م.
[5] ـ مجلة نيوزويك 17/12/1979م.
[6] ـ صحيفة الأنباء الكويتية 11/12/1979م.

قالت عن الأهداف من خلال استعراض للمباديء المزعومة للجماعة كالتالي (إن أسماءهم معروفة لدى دوائر الأمن، خاصة بعدما وزعوا خلال الحج منشورات تعبر عن مبادئهم.. وهي المباديء التي تقول بالعودة إلى الماضي، وبوجوب التخلص من الحضارة الجديدة، والعمران والرفاهية، بحيث نسي المسلم المؤمن ـ حب زعمهم ـ ما أوصى به الدين.

ولقد عالجت السلطة يومها اعتراضاتهم بالفهم والمسامحة، على اعتبار أن هناك دائما فئات متعصبة، كان تعترض على سياسة الأخذ بأسباب التقدم والأشياء الحديثة، ومنه الاعتراض على إدخال التلفزيون إلى الحياة السعودية، إضافة إلى التصدي لبرنامج المداس المختلطة، ومحاولة وقف البث الاذاعي، لان هناك أصواتاً نسائية تخرج من الراديو.

ولكن اعتراضاتهم لم تكن بواسطة العنف، وإنما اتخذت اشكالا لا مسالمة، كالشكوى للأمير سلمان، أو تدبيج خطاب احتجاج للملك أو الأمير فهد والأمير نايف)..

وأضافت المجلة ــ الحوادث ــ أن أفراد الجماعة (سلفيون.. وهم فئة انبثقت خارج المملكة وضمت عدداً قليلاً من الشبان والطلاب المتزمتين، وهي تدعوة إلى الأخذ بأصول السلف، كاستخدام الحصان والجمل بدلا من السيارة والطائرة.. والعيش في الخيام بدلاً من القصور، وأكل التمر بدلا من اللحوم، والطريف أنهم أدخلوا التمور معهم إلى المسجد باعتبارها غذاءاً كاملا.. ولقد وضعوها مع الأسلحة في السيارات التي تحمل اسم شركة سعودية متعهدة لتأمين الأكل، ثم تسللوا بها إلى العنابر المخصصة لتخزين المؤونة في الطبقة السفلى)[1]..

إن ما قالته (الحوادث) يشكل في الواقع إدانة للحكم السعودي قبل غيره، فالاعتراضات قدمت للمسئولين قبل الانتفاضة، كان التلفزيون والراديو والدراسة المختلطة وغيرها جزء من أهدافها، لكنها لم تكن كلها.. والاعتراض على التلفزيون والراديو ليس بسبب عداء المعتصمين للحضارة كما زعم الاعلام السعودي وغيره، وإنما بسبب ما يحدثانه من فساد داخل أوساط المجتمع، وما يبثانه من مفاهيم تناقض المسلمات الاسلامية، فالاعتراض كان على الأفلام الفاسدة والأغاني الماجنة، والأفكار الغربية وغيرها.. وأي مسلم حقيقي يعترض على هذا الهدف.

أما أنهم يستخدمون الحصان بدل السيارة، ويأكلون التمر بدل اللحم، ويفضلون الخيام على المنازل، فهذا الكلام غير معقول وغير صحيح، وهو تهريج واضح.. ولا أدلك على ذلك أن الحوادث ناقضت نفسها حين قالت بأن المتمردين استخدموا سيارات شحنوا فيها التمر.. كما نسيت الحوادث ـ وقبلها ـ جريدة أحمد الجار الله (السياسة الكويتية)[2]. أن سكن المنازل لا تخالف ما سار عليه السلف، بل وحسب معلوماتنا المؤكدة، أن جهيمان تبرع بمنزل له يسكنه من أجل الدعوة.. وأما أكل اللحم فهو اختراع صحفي، فهل كان السلف الصالح لا يأكل لحماً.. أم ماذا؟، لقد اختير التمر ــ كما اعترفت

---

[1] ـ الحوادث 7/12/1979م.

[2] ـ ذكرت جريدة السياسة 27/11/1979م، أن (للمجموعة نظريات غريبة من ضمنها ان التفزيون حرام، وكذلك كل ما يرد فيه من برامج، ومثله في الحرمة الاذاعة والأغاني والسجائر، وكل أنواع الرفاهية البشرية.. وأن هم حلقات في بعض المساجد يطرحون فيها أشياء تدل على معارضة كاملة لكل أصول الدين السائدة)..

الحوادث والمجلات والجرائد الأخرى ـ لأنه سهل التخزين، إضافة إلى قيمته الغذائية العالية..

وما نخلص إليه من خلال استعرضناه من أقوال المسئولين حول الأهداف، أ، السلطات السعودية استقرت على ثلاثة أمور:

1/ ليس للجماعة أية أهداف سياسية.

2/ أن الهدف الوحيد هو مبايعة المهدي.

3/ أن مطالبهم تتلخص في مناهضة التلفزيون والكرة والراديو.

وبمناقشة هذه الأمور الثلاثة يتضح لنا كذب وافتراء الأمراء السعوديين الحاكمين..

الأهداف السياسية:

كان الحرص الحكومي في نفي الأهداف السياسية للجماعة، واعتبارها جماعة ذات أهداف دينية مشوهة، واضحاً.. ومرد هذا الحرص هو أن النظام السعودي لا يعترف بأي معارضة سياسية، وهو يحاول دائما أن يرجع الخلاف إلى أرضية عقائدية.. فالمعارضة الوطنية التي كانت واضحة خلال الستينات ليست معارضة سياسية ـ بنظره ـ وإنما هي جماعات تنشر وباء الشيوعية والاشتراكية للقضاء على الاسلام الذي يدافع هو عنه..

فالذي قتل فيصل وهو الأمير (فيصل بن مساعد بن عبد العزيز) لم يكن هدفه سياسيا حينما مارس عملية الاغتيال، وإنما كان يهدف إلى القضاء على الاسلام، كما ذكرت السلطة في بيانها القاضي باعدامه..

والذين أعدموا في ساحات الرياض (السبعة عشر) في الستينات، لم يعدموا بحسب رأي آل سعود لأنهم استخدموا العنف ضد الحكومة، ولا لأنهم ينهجون خطاً سياسياً معاديا للنهج الأميركي الحكومي، وإنما وكما قال آل سعود ـ لأنهم أرادوا القضاء على دين محمد!

وهذا الأسلوب في التعامل مع المعارضة السياسية استخدمه آل سعود مع الأنظمة العربية المعارضة أيضاً، فقبل صلحهم مع عبد الناصر، كانوا يعتبرون الحرب السياسية معه ـ وحتى العسكرية ــ حربا بين الاسلام والكفر.. وتكررت المسألة مع ليبيا في أواخر السبعينات، وشنت السلطات السعودية حرباً إعلامياً أرجعت فيها الخلاف بين القذافي وفهد، إلى أنه خلاف بين الكفر والاسلام، بل وأوعزت السلطة إلى مشايخها لتصدير فتاوى بهذا المضمون..

ولكن.. بأي وسيلة سيخرج النظام السعودي من مأزقه، إذا كانت المعارضة السياسية إسلامية.. وتجر النظام إلى الصراع على الأرضية الدينية؟!

كل القيادات التي شاركت في عملية الحرم ـ والعديد من أفرادها هم من خريجي الجامعة الاسلامية ـ ويلقون تعاطفاً نسبياً من بعض رجال الدين، وأهدافهم لا يختلف عليها اثنان من المشايخ أنفسهم، والأوساط الشعبية المطلعة تشهد لهم باستقامتهم وإيمانهم..

فأي موقع حرج هذا الذي أوقع فيه النظام نفسه؟ هل يقول للعالم ــ وكالعادة ـ أنهم شيوعيون حمر، يريدون القضاء على الاسلام؟.. هل يقول أن هؤلاء جاؤوا لاقتلاع آل سعود من جذورهم وإعادة الحكم إلى موضعه الذي يعتقدون أنه صحيحاً؟!

هنا أخرج النظام من دفاتره القديمة عبارات يستخدمها للطواريء، كلما أملت به وعدة سياسية معارضة.. فهو لا يريد أن يعترف بأن هناك من يعارض لدرجة حمل السلاح، ولا يريد أن يقول بأن الدافع ديني ومن أجل الدين، لأنه يعتبر نفسه المدافع الأول عنه.. ولهذا ظهرت عبارات (الخوارج) (والمتطرفين) (والمهووسين) (وأعداء التقدم) ليطلقهاعليهم، وهي ذات العبارات التي أطلقها كبير آل سعود ومؤسس دولتهم الملك عبد العزيز، وها هم أبناؤه يسيرون على نهجه.

إن الشيء الذي لا يختلف عليه اثنان ممن تابع نشأة الجماعة وأفكارها، هو أنها معارضة للحكم السعودي ونهجه الفاسد في الصميم.. فهي جماعة متدينة تريد تطبيق الاسلام، وقطع دابر التغريب، والارتباط بالغرب، والقضاء على كل الأفكار والشوائب التي يبثها النظام في القاعدة الشعبية عبر مدارسه وجامعاته وإعلامه.

وأهم أمر أعلن هو عدم اعترافها بشرعية الحكم السعودي، وهذا ما نلمسه من خلال الكراسات التي كتبها جهيمان العتيبي، القائد الفعلي للجماعة، وهذه الكراسات تنضح بمعاداتها للحكم السعودي، بل إن جهيمان أوضح في بعضها أن الكثير من المشايخ المرتبطين بأذيال آل سعود، عادوهم لأنهم ضدهم.. والأكبر من هذا أن جهيمان عرض رسائله على الشيخ (عبد العزيز بن باز) وهو أكبر رجل دين في الدولة وله كلمته المسموعة، فما اعترض على نقده وأفكاره، سوى تخصيص هذا النقد في آل سعود.. فهل يحق لآل سعود ـ بعدها ـ الزعم بأن الجماعة لم تقم بحركتها من منطلق سياسي؟، وأن ليس لها أهدافاً سياسية؟!

إن هذا التصرف السعودي لا ينم إلى عن جهالة وتخبط، خاصة إذا ما عرفنا أن الجماعة وزعت كراساتها على أكبر عدد ممكن من الحجاج أثناء الحج، بل إن مثل هذه الكراسات وزعت في دول الخليج منذ زمن، كالكويت وغيرها.. هذا إضافة إلى أن نايف، وزير القمع السعودي وأجهزته، اعترفوا بأن للجماعة منشورات، وأن أجهزته حصلت على نسخ منها، فلماذا لم يوضح هو أو أي من إخوته ماذا بها؟، مع العلم أن العديد من الصحف الخليجية نشرت فقرات مطولة منها تنم على معارضة واضحة لآل سعود.. بل إن مجلة الحوادث نشرت صورة لبعض هذه الرسائل.

ماذا يقول جهيمان في رسائله؟

إنه يقول: لا للارتباط بالغرب وموالاة النصارى.. لا للحكم السعودي لأنه لم يقم على هدي من الشرع ولا يسير حسب أوامر الشرع، وبالتالي فلا طاعة له.

في كراس (دعوة الاخوان.. كيف بدأت وإلى أين تسير؟) قال فيما قال (وبعد هذا فارقنا أهل الوظائف والمتعلقين بأذيال الحكومة، وبقينا مع الحق ولكنه غريب، إذا فنحن معه غرباء وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء".. فانك ترى أن الاخوان المتجردين للسنة حينما وصلوا إلى هذه الحالة، لم يبق لهم مناصر، لا من الحكومة، ولا من المشايخ، ولا من الجماعات الأخرى.. فإن كل صاحب باطل قد ناصبهم العداء، وأنت ترى أنهم ـ أي الاخوان ـ يتبرأون من الحكومة وتلبيسها، ومن المشايخ ومداهنتهم، ومن الجماعات المختلفة وأخطائهم، فلم يبق إلا رب العالمين..)

ويضيف:

(والذين كبرت عليهم دعوتنا وآذتهم كثيراً هم المشايخ، الذين يفتون الناس بغير دليل من الكتاب والسنة، فاذا سئلوا عن الدليل تبين للناس جهلهم وضلالهم.. ولذلك فهم أكثر من تعرض للاخوان وحذر الناس منهم، والصقوا بهم كل تهمة وكل شبهة، حتى لبسوا على عامة المسلمين.. ولا تستغرب، فقد وضعوا أحدهم مراقباً على الاخوان في الرياض حينما فتحوا بيتاً يجتمعون فيه، يعني "مباحث"، وهو الشيخ صالح بن سعد اللحيدان. الموظف بمعهد إمام الدعوة.. وساروا في معاداة الاخوان بين صاحب قصد سيء متكبر عن الانقياد للحق، وبين جاهل يستمع أقوال الناس ولا يتبين)..

وبعد أن يعدد المرحوم جهيمان مواقف المشايخ، يعود فيذكر أن الشيخ بن باز يوافقهم في أفكارهم، ولا يوافقهم في انتقاداتهم لسياسة آل سعود.. يقول: (وأنا أعلم أن العالم المتجرد للسنة قليل من العلماء (وأنا أعلم أن العالم المتجرد للسنة قليل من العلماء المشهورين بين الناس، فإن بعضهم ولو عمل بها، لا يقول بها، ولا يدعو إليها، وكنت أعلم رجلين هما اللذان يهتمان بالسنة وعندهم علم، وهما الشيخ "بديع" حفظه الله، والشيخ "عبد العزيز بن باز" عافاه الله، فليطمئن بعض إخواننا أننا قد عرضنا عليهما رسالة "رفع الالتباس" فلم يذكرا فيها شيئا، ثم قرأ بعض الاخوان "السبع الرسائل" و "نصيحة الاخوان" على الشيخ عبد العزيز بن باز، فما أنكر شيئا إلى التخصيص على هذه الدولة ـ السعودية ـ بالذات ونحو ذلك.. فلم نوافقه عليه لاعتقادنا أنه حق يزول به اللبس عن كثير من الناس)..

وفي رسالة (الامارة والبيعة والطاعة، وكشف تلبيس الحكام على طلبة العلوم والعوام) هجوم صريح على الحكم الملكي السعودي، وكيف أنه حكم مخالف للشرع، ولم يقم باختيار المسلمين ورضاهم.. فجهيمان يصفه بقوله.. (واليوم إن ما يحكم المسلمين الملك الجبري الذي ليس مبنياً على البيعة، وقد خالف شرع الله في عدة أمور منها:

أولا: أن الحكام فيه ليسوا من قريش.

ثانيا: أنهم لا يقيمون الدين، بل يهدمونه ويحاربون أهله.

ثالثا: أنهم لا يأخذون البيعة من رعيتهم بصفقة اليد وثمرة القلب وطوعه واختياره، بل بالجبر والقهر..)

ويضيف:

(فأنت تعلم أن الطاعة لا تجب إلى لمن يقودنا بكتاب الله، أما من يقود المسلمين بالأنظمة المختلفة والقوانين، ولا يأخذ من الدين إلا ما وافق هواه، فهذا لا سمع له ولا طاعة، وقد عرفت بطلان بيعته فيما تقدم، والوعيد على من خرج من الطاعة، هو على من دخل في الطاعة ثم خرج منها، فأما من لم يبايع ولم تجب عليه طاعة أصلا، فهذا لم يخرج من طاعة..

وإذا نظرت اليوم في تطبيق هذا على الواقع، رأيت أننا نعيش اليوم في الملك الجبري، الذي ليس المسلمون فيه يختارون الخليفة، وإنما هو الذي يفرض نفسه عليهم ثم يأتونه يبايعونه بيعة مجبورين عليها، ولا يترتب على عدم رضاهم بهذا الخليفة أن ينعزل.. كلا، بل الأمر جبري)..

فهل هناك أكثر صراحة من هذه الأقوال مخالفة للحكم السعودي من أساسه؟.

أو لا يعتبر رفض الحكم السعودي هدفاً سياسياً مقنعاً لأولئك الذين يفصلون بين الدين والسياسة كآل سعود؟!

وهذه فقرة أخرى اقتطفناها من كراسات المرحوم جهيمان تبين موقفه من آل سعود:

(فهؤلاء الحكام ليسوا أئمة، لأن إمامتهم للمسلمين باطلة، ومنكر يجب إنكاره، لأنهم لا يقيمون الدين، ولم يجتمع عليهم المسلمون، وإنما أصحب ملل سخروا المسلمين لمصالحهم، بل جعلوا الدين وسيلة لتحقيق مصالحهم الدنيوية، فعطلوا الجهاد، ووالوا النصارى، وجلبوا على المسلمين كل شر وفساد، نسأل الله أن يريح المسلمين منهم، ويجعل لهم من لدنه ولياً، ويجعل لهم من لدنه نصيراً)..

وهذه الفقرة الأخيرة وحدها تكفي للرد على مزاعم أمراء الأسرة السعودية الحاكمة.

وسائل الاعلام العالمية والأهداف السياسية

ذكرنا في الصفحات السابقة جانبا من أقوال الصحف والمراسلين الأجانب حول ا÷داف الجماعة التي اعتصمت في الحرم من الناحية السياسية، وها نحن ننقل فقرات أخرى مما ذكرته الوسائل الاعلامية التي هي في معظمها متعاطفة مع الحكم السعودي، والتي نشرت أكثر من مرة على صفحاتها أقوال المسئولين السعوديين، نافية وجود أي أهداف سياسية للجماعة.

* قالت جريدة الأنباء الكويتية بتاريخ "23/11/1979م":

(ذكرت أنباء جدة أنه على الرغم من أن المجموعة المارقة لم تعرف أهدافها من خلال العملية الاجرامية، إلا أن بعض المصادر ذكرت أن هؤلاء قدموا المطالب الآتية:

قطع النفط عن الولايات المتحدة، والاعتراف بالمهدي المنتظر، ومقابلة الملك خالد والأمير فهد)..

* قالت جريدة النهار اللبنانية "1/12/1979م" أن من بين مطالب الجماعة: (إلغاء الملكية، وانتخاب إمام المسلمين، والعودة إلى الحجاب الكامل للنساء، وإلغاء تعليم النساء، ومنع أجهزة الفيديو، علما أن هذه الأجهزة والأفلام التابعة لها محظورة رسميا في السعودية، وإن كانت السلطات تبدي تساهلاً في مكافحة انتشارها)[1]..

* ونقلت جريدة النهار عن مجلة نيوزويك قولها: (إن العاهل السعودي كان ينوي زيارة المسجد الحرام يوم الهجوم، لكنه أرجأ هذه الزيارة لاصابته بوعكة.. ونسب كبير محرري المجلة "أرنودو شغريف" روايته، هذه إلى مصادر الاستخبارات الأوروبية الغربية، موضحاً أن المهاجمين كانوا ينوون الاحتفاظ بالملك خالد إلى أن تتحقق مطالبهم التي هي، إقامة جمهورية إسلامية، وخفض الانتاج النفطي، والتخلي عن الروابط القائمة مع الغرب..

---

[1] ـ أجهزة الفيديو لم تكن ممنوعة يوم قامت الانتفاضة وإلى الآن، وأشارت إحصائيات دولية، أن نسبة أجهزة الفيديو لعدد المواطنين في البلاد (السعودية) هي أعلى نسبة في العالم، وكانت جريدة الوطن الكويتية قد أشارت في عام 1984م، إلى أن النسبة تزيد عن (900) جهاز فيديو لكل ألف مواطن.. أما الأفلام المنتشرة فهل لا أخلاقية وجنسية في معظمها، والحكومة لا تشدد على منع دخولها.

وذكر أن المهاجمين كـانوا يتوقعـون رفـض مطـالبهم، وفـي هـذه الحـال كـان سيحاكمون العاهل السعودي أمام محكمة ثورية)[1]..

* ذكـرت صـحيفة "الغارديـان" البريطانيـة بتاريـخ "4/2/1980م" مؤكـدة على الأهداف السياسية: (يجب تفسير حوادث العنف في مكة علـى أنهـا تحـد لسلطة العائلة المالكة وشرعيتها في ممارسة الحكم).. كما ذكرت النيوزويـك الأميركية في "21/2/1980": (إن خطط المتمردين هي الاطاحة بالملك خالد والعائلـة المالكـة، لتأسـيس حكومـة إسـلامية أكـثر تشـدداً مـن الحكومـة الحالية)!!، وكانت النيوزويك قد قالت في وقت سابق بأن: (هناك دلائل تشـير في مجملها على أن حادث مكة كان بداية لمحاولـة انقلابيـة كـادت أن تنجـح)، ونقلت عن مصادر أوروبية قولها بأن: (الحادث كان جـزءاً مـن جهـود منظمـة واسعة الانتشار كانت تهدف إلى إسقاط الحكومة السعودية)[2]..

علـى أيـة حـال، لقـد تـبين للـرأي العـام المحلـي والعـالمي، أن الاهـداف السياسية لم تغب عن عملية الحرم، والتي هي في أساس أهـداف دينيـة، إذ لا يمكن الفصل ــ بوجهـة نظرنـا وبوجهـة نظـر مـن قـام بالعمليـة ــ بيـن الـدين والسياسة..

المهدي ومبايعته

لقد حاول الاعلام السعودي أن يجعل من قضية المهدي المنتظر، القضــية الرئيسية لانتفاضة الحرم، فقد كان يوجه الاذهان إلى أن مبايعة المهدي كـانت الهدف الوحيد للثوار، كما أن فكرة المهدوية أصبحت الميدان الوحيـد للتحليـل والبحث عن وسائل الاعلام السعودي.. فكانت صـحف النظـام تطـرح الفكـرة بشكل رئيسي وباستمرار في صدر صفحاتها الأولى.. كما أن العلماء والخطباء المرتبطين بالسلطة ركزوا في أحاديثهم وخطبهم على هذا الموضوع بالــذات، فبعضهم نفى الفكرة من أساسها واعتبرها من الخرافات، والبعض الآخر أبدى رؤى متناقضـة حـول مـن يكـون المهـدي؟!، وهـل انـه محمـد بـن عبـد اللـه القحطاني الذي قالت به الجماعة أم لا؟!، وحاول الجميع ان يثبـت أن المهـدي ليس هو قطعاً..

والسؤال: لماذا اختارت أجهزة إعلام السلطة قضية وأكـدت عليهـا، بينمـا تغافلت عن الأهداف المهمة والخطيرة الأخرى؟!

لقد أراد النظام ضرب عدة عصافير بحجر واحد:

فأولا: ليجرد عملية الحرم من أي طابع سياســي أو اجتمـاعي، وليضـفي عليها طابعاً دينيا ذا أبعاد ضيقة..

وثانيا: ليفسح المجال لاشـغال الـرأي العـام بقضـية ثانويـة عـن مجمـل القضـايا المهمـة الأخـرى الـتي طرحتهـا الانتفاضـة، والمتمثلـة فـي جـذورها ودوافعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وثالثا: ليستثير المسلمين بطرحها، حيث أن المذاهب الاسـلامية تختلـف فيمـا بينهـا حـول تفاصـيل فكـرة المهدويـة، وأن تركيـز الاعلام عليهـا، سـيثير الاختلافات، ويعزل المنتفضين عن بقية المسـلمين الـذين لا يـرون رأيهـم فـي الموضوع.

---

[1] ـ جريدة النهار 17/12/1979م.
[2] ـ نيوزويك 17/12/1979م.

وأيا تكن الآراء مختلفة حول فكرة "المهدوية" بين المسلمين، خصوصاً في تحديد إسم المهدي، فإن من الأمور القاطعة والمحسومة هي أن "الجماعة" تؤمن بفكرة المهدي، وتحدده في شخص محمد بن عبد الله القحطاني.. على اعتبار أنه قرشي، وأن اسمه كاسم النبي (محمد بن عبد الله)، ويبدو أيضا أن من الأمور المؤكدة هو أن، الجماعة أرادت مبايعة (المهدي) في الحرم الملكي وبالتوقيت الذي أرادوه وهو في مطلع العام الجديد من القرن الهجري الجديد.. ومن الأمور التي حسمت وأكدت هي أن الجماعة طلبت فعلاً من المصلين مبايعة المهدي كأمام لهم، وللمسلمين جميعاً.. إذ أن جهيمان وبعض القياديين في الجماعة ـ وهم قلة ــ اقتنعوا بأن القحطاني هو "المهدي" وأن الأوصاف التي ذكرتها الأحاديث المنقولة تنطبق عليه، لكن هؤلاء لم يعلنوا للعالم ولأفراد جماعتهم الذين هم في المراتب العادية أن هناك (مهدي) يجب مبايعته، وإنما دعوهم للاجتماع في الحرم، وهناك أعلن جهيمان أن هذا هو (المهدي) وقدمه الناس للتعرف عليه، موضحا الاوصاف المنطبقة عليه.

والشيء الذي يجب التأكيد عليه هنا، هو أن الجماعة لم تستخدم القوة وإجبار المصلين على المبايعة، لسبب واحد وبسيط هو أن هذا الأسلوب يخالف قناعاتهم، فإذا كان جهيمان ضد الحكم السعودي والملوك السعوديين لأنه يجيرون العامة على مبايعتهم قهراً، فالأولى به أن لا يستخدم هذا الأسلوب.. والسبب الآخر الذي يؤكد ما ذهبنا إليه، هو أن أي حاج من المصلين الذين حضروا الواقعة، لم يؤكد المزاعم السعودية حول إجبار المصلين على المبايعة، بل نفوها جملة وتفصيلاً..

والآن دعنا نستعرض هنا بعض الحقائق حول الموضوع:

أولا: إذا كانت عملية الحرك هدفها الوحيد مبايعة (المهدي) في الحرم ــ كما روجت السلطة السعودية ــ فلماذا لم يخرجوا من الحرم بعد انتهاء المبايعة؟!.. لماذا لم يخرجوا من الحرم مع أهليهم، ولماذا السلاح والرجال والمؤون؟!

ثانيا: لو كانت السلطة السعودية دقيقة في متابعتها (للجماعة) لأمكنها توقع شيء في الحرم أية لحظة.. ذلك إن احدى رس ائل جهيم ان خصصت لموضوع (المهدي) وخروجه (الفتن وأخبار المهدي والدجال ونزول عيسى عليه السلام وأشراط الساعة).. وهذه الرسالة تحول تصوراً كاملا لما يمكن حدوثه:

1/ فجهيمان وجماعته اندفعوا في مواجهة الحكم السعودي نظراً للانحراف الشديد في المسيرة، فضلا عن أن الحكم السعودي أبى أن يصلح الأوضاع سلما، وقد جربت الجماعة هذا الأسلوب، بالرسائل والبرقيات، والمناظرات مع المشايخ وغير ذلك..

2/ والجماعة من جهة أخرى ترى أن الحكم السعودي غير شرعي، ويجب إزالته، خاصة وأن جهيمان يرى أن الحكم يجب أن يسلم إلى رجل من قريش، وآل سعود ليسوا كذلك، وهذا ما دعاه إلى إيجاد بديل للحكم وهو القرشي (القحطاني) الذي أعلن أنه المهدي.. هذا إضافة إلى أن جهيمان رأى أن آل سعود وملوكهم لا يجرون الأمور حسب الشرع، وأنهم أتوا على أسنة الرماح..

3/ ورسالة جهيمان المذكورة وضعت النقاط على الحـروف، فهـي تصـور الامر على أن (المهدي) سيخرج من مكة، ويكـون القتـال فـي الحـرم بعـد ان يهجم عليهم الجيش الغازي، وبعدها يخسف الله الأرض تحـت أقـدام الغـزاة.. والطريف أنه تساءل في رسالته عن كنه هؤلاء، وأجاب الله أعلم!

أي انه ترك الأمر سراً، رغم أنه بيت النية للاعتصام في الحرم وهناك يعلن اسم (المهدي) وهنـاك أيضـا يخسـف اللـه بـالجيش السـعودي الـذي يبـدؤهم بالقتال..

4/ اعتمد جهيمان على أحاديث تبين أنه في مطلع كـل قـرن يظهـر مجـدد للدين، وهذا هو سر توقيته للعملية، كما كانت فكرة المهدوية هـي الـتي قـادته إلى الاعتصام بالحرم، وليس كما ذكر أنه كان يريد إلقـاء القبـض علـى الملـك هناك أو ما أشبه..

ثالثا: بغض النظر عن صحة أو خطأ قتل (المهدي) "محمـد بـن عبـد اللـه القحطاني"، وبغض النظر عن مـا أملـه جهيم ان مـن العمليـة خصوصـا قضـية الخسف بالجيش المعادي، فإن الأمر الذي لا يغيب عن بـال المراقـب، أن مـن أعلن أنه (المهدي) ثم تبين أن ليس كذلك كثيرون.. والقحطاني ليس أولهـم.. فالاجتهادات لمختلف الفرق الاسلامية ولـدت (مهـديين) كـثر، لـن يكـون آخـر القحطاني، أو محمد بن عبد الله الذي أعلـن نفسـه مهـدياً فـي السـودان ف ي النصف الثاني من القـرن الماضـي، والـذي خلـف جماعـة كـبيرة تحمـل اسـم الطائفة المهديـة، والـذين ينتمـي إليهـم الصـادق المهـدي زعيـم حـزب الأمـة السوداني، وزعيم الطائفة أيضاً..

رابعا: إن محور عملية الحرم لم يرتكز على المطالبة بالمبايعة، رغم أنها كـانت حلقـة هامـة فيهـا، فالهـدف أساسـاً هـو إسـقاط النظـام وفـق الرؤيـة المذكورة (الخسف للجيش)، ومـن ثـم يـأتي البـديل للحكـم وللأشـخاص بعـد مبايعة الناس، ويعين القحطاني الذي رشحه جهيمان ـ شرط أن ـ ترضـى عنـه العامة، وتبايعه بيعة كاملة بشروطها.

خامساً: كما أشرنا سابقاً أن جماعة جهيمان نشـأت مـن رحـم الجماعـة السلفية، ولكنها تختلف عنها في انها معارضـة للحكـم السـعودي، وأنهـا تـؤمن بفكرة (المهدي) على النحو الذي طبقه جهيمان في الواقع..

والجماعة اكتسبت أفكار المعارضة مـن حركـة (الاخـوان) السـلفية الـتي قضى عليها عبد العزيز في أواخر العشرينات الميلادية، ولكنها تختلف عنها في إضافة مسألة (المهدي).. مع العلم أن جهيمان وكثير مـن أتبـاعه مـا هـم إلـى امتداد لأجدادهم الذين قتلوا ضمن من قتل في واقعة السبلة وغيرها والتي لم يقم بعدها للاخوان قائمة.. ولا غرابة هنا أن نجد جهيمان ـ وبعد انفصاله عـن جماعة "الدعوة المحتسبة" ـ اتخـذ تسـمية أجـداده (الاخـوان) فعـرف نفسـه وجماعته بجماعة (الاخوان)، ودافع عن أسلافه أيمـا دفـاع، وشـن فـي الـوقت ذاته هجوماً عنيفاً على المشـايخ المرتبطيـن بالنظـام، لأنهـم زودوا آل سـعود بالفتاوى التي تجيز قتلهم..

ومع هذا كله فإن أفكار الاخوان السابقين واللاحقين، هي أفكار السلفيين، مع بعض الاختلافات الهامشية والثانويـة جـداً.. والفـرق كمـا ذكرنـا لا يعـود إلا لأمرين أساسـين: الأول: قضـية (المهـدي) والثـاني وهـو الأهـم: معارضـة آل سعود..

حول التلفزيون والكرة ومعاداة التقدم

قدم الاعلام السعودي جماعة المعتصمين للجمهور بصورة مزرية قبيحة، ومارس تشويها متعمداً في هذا المضمار ليرسم صورة مبتذلة في أذهان المواطنين، مليئة بالتعصب والجهل والتخلف.. ومع أن كثيراً من الأقوال التي وصفت بها الجماعة ضمن هذا الاطار صحيح، إلا أن له تفسيرات تختلف عن تفسيرات السلطة السعودية والاعلام العربي المتعاطف معها.. هذا مع العلم أن هذا الموضوع لا يمثل إلا زاوية من الزوايا التي يجب أن تدرس لفهم الانتفاضة..

فتحريم السجائر، والفيديو والتلفزيون، وإسبال الثوب، وحلق اللحية، وحرمة تصوير ما له روح، والدراسة المختلطة.. هذه كلها محرمة بوجهة نظر الجماعة، وصحيح أيضا أنهم ضد الأغاني، وضد السينما، وضد خروج الأصوات النسائية من الراديو، وضد تمثيلهن في التلفزيون وظهورهن على شاشاته وغيرها..

ولكن من غير الصحيح أنهم ضد السيارة والطائرة، وضد سكن البيوت ومع العيش في الخيام، وأنهد ضد أكل اللحوم وغيرها، فهذه دعايات فارغة لا أساس لها من الصحة.

وقبل أن نبين وجهة نظر الجماعة حول هذه الامور، يجب أن نوضح بعض الحقائق التي تتعلق بالموضوع:

الأولى: ـ أن أجهزة الاعلام السعودية تعرضت في حديثها عن ما أسمته معاداة الجماعة للتقدم والوسائل الحديثة وما أشبه، ولكن بصورة عرضية سطحية، وهي بهذا تتضامن مع ما قالته الصحافة العربية التي روجت الأنباء انطلاقاً من تعاضدها مع الحكم السعودي..

الشيء المهم ذكره هنا، أن البيانات الرسمية الحكومية خلت من التعرض للجماعة حول هذه القضايا المحرمة، لسبب واضح هو ان المؤسسة الدينية في البلاد، والتي يعتمد علهيا النظام في إسباغ الشرعية عليه، تقول بهذه الأفكار وتروج لبعضها عبر الصحافة المحلية أيضا، وعليه.. فمن غير الممكن أن يهاجم النظام رسمياً هذه المحرمات لأنه يتبناها، خوفا.. أو طمعاً بتأييد المشايخ.

الثانية: أن المحرمات التي أعلنها أفراد الجماعة، مؤيدة بنصوص دينية في معظمها، وإن كان التفسير والفهم لها يختلف بين بقية المسلمين.. كما أن هذه المحرمات لم تكن الأصل في المعارضة للنظام، وإنما هي جوانب من مآخذ الجماعة على الحكم السعودي**،** ولم تكن هذه المحرمات أيضا إلا جانبا ثانويا من الأهداف، إذ أن الهدف الرئيسي هو اسقاط الحكم السعودي.

الثالثة: أن السلطة السعودية استخدمت ذات الاسلوب وذات التهمة مع ذات الجماعة (الاخوان) في عهد الملك عبد العزيز.. فالملك اعتبر الاخوان السابقين أنهم مغالون في الدين، وأنهم ضد التلفون، وضد والتلغراف، وضد السيارات، وضد المخترعات الحديثة فقط، ولم ينسب إلى ثورة الاخوان الاولى أنهم معادون له لأنه عميل للأجانب (الانجليز) وأنه حول الامامة إلى ملك جبري، وأنه عطل (الجهاد)!

وفـي ذات التعامـل مـع الأهـداف.. نقـص، إذ أنـه لا ينظـر إليهـا كمجمـوع متكامل، وإنما يتناول جزءاً منها بالتعليق والتفسير المغلـوط، وتقـديمه للـرأي العام بالصورة التي تخدم أغراضه..

وإذا كان مـن الصـحيح أن الاخـوان الأوائـل كـانوا ضـد بعـض المخترعـات الحديثة، فإن السبب لا يعدو أمرين:

أولهما: أن الحكم السعودي ومشايخه هم الذين افتوا بحرمتها.

وثانيهما: أن هذه المخترعات ـ خصوصـاً التلفـون والسـيارات الحديثـة والأسلحة الجديدة المستوردة ـ تـؤثر علـى سـير المعـارك، وتقـوي جهـاز ابـن سعود ضد معارضيه من الإخوان وقـد اعـترف مـترجم الملـك بهـذه الحقيقـة، حينما أوضح أن الرشاشات الانجليزية الحديثة كانت السبب الأول فـي انتصـار ابن سعود في معركة السبلة ضد الاخـوان.. وفـي موقـع آخـر مـن كتـابه تفيـد الابلاغ عن مواقع المعارضين، وقد استفاد ابن سعود منها فعلاً حينما ثـار (ابـن رفادة) فقضي عليه سريعاً نتيجة سهولة الاتصالات السلكية[1]..

ويكفي أن نعرف بـان أاتجـاه العـام فـي صـفوف المنضـوين تحـت اللـواء السعودي ـ وبدون استثناء ـ كان ضـد التفـون بالـذات، إضـافة إلـى كـونه ضـد الانجليز والتعامل معهم.. وتذكر المصادر أن القوات السـعودية الـتي هـاجمت الطـائف عـام 1924م، كـان أول عمـل لهـا بعـد إسـقاط الحاميـة العسـكرية الهاشمية، هو تكسير السـعودية أنـه وبعـد أكـثر مـن خمسـة عشـر عامـاً مـن القضاء على الاخوان، لازال مشايخ السلطة ضد الهـاتف، بـل إن بعضـهم كـان ضد السيارات حتى الأربعينات الميلادية.

وبالنسـبة لجماعـة الاخـوان (الحاليـة) الـتي اعتصـمت فـي الحـرم، فـإن افكارهـا واعتراضـاتها والأمـور الـتي قـالت بحرمتهـا لا يختلـف عليهـا مشـايخ السلطة أنفسهم، ولكن الاعتراضات الاخوانية كانت مسيسة، وهـذا الأمـر هـو الذي حدا بالمرحوم جهيمان أن يقول بأن الشيخ ابن باز، وهو الرجل الأول في المؤسسة الدينية الحكومية، لم يعترض علـى الرسـائل الـتي كتبهـا سـوى مـا خصص ضد الدولة السعودية..

فالأصـل، أن الافكـار المطروحـة لا تتعـارض مـع رؤيـة مشـايخ السـلطة أنفسـهم، وبالتـالي فهـي مقبولـة فـي الأوسـاط الشـعبية ومعروفـة وليسـت مستغربة.

ولهذا السبب تحاشت السلطة في بياناتها الرسمية التعرض والطعـن فـي رؤى الاخوان تجاه القضايا المطروحة بإسـم (التقـدم والعمـران والرفاهيـة).. مع العلم أن صحافته غمزت وأوحـت بطـرق عديـدة عـن أن الجماعـة رجعيـة ومتعصبة..

والمرحوم جهيمان، لم ينتظر التشهير مـن الصـحافة السـعودية وأخواتهـا، لتقول أنه معاد للتقدم وما أشبه، بل أوضح ذلك في رسائله منعاً لأي التبـاس، وأورد الحجج التي عنده حولها..

فهو يقول متهكما على السلطة ومشايخها: (مـا معنـى وجـود هيئـة الأمـر بالمعروف، والافتاء والدعوة والارشاد، والشريعة أصول الدين والدعوة؟، ومـا

---

[1] ـ راجع كتاب "توحيد المملكة العربية السعودية" لمحمد المانع (مـترجم الملـك)، وراجـع أيضـاً كتـاب (الاسلام والوثنية السعودية) لمؤلفه فهـد القحطـاني، والصـادر عـن منظمـة الثـورة الاسـلامية فـي الجزيـرة العربية.

معنى وجود السينما ودور اللهو، وإدارة الفنـون وغيرهـا؟، ومـا معنـى الانفـاق على هذه وتلك؟، أليس هذا مهزلة؟!، وإرضـاء لأصـحاب الشـهوات، وإسـكات للدعاة، وضحك على المشايخ؟!).

ويقول في موقع آخر من إحدى رسائله: (وهل ممكـن إعلان الجهـاد علـى دول الكفر، ولنـا عنـدهم سـفراء، ولهـم عنـدنا سـفراء وخـبراء واسـتاذة؟، فلا تنخدع بزخارف المزخرفين.. كيف ندعو للاسلام والنصـارى أسـاتذتنا!؟، وهـل ممكـن أن نـدعو لرفـع رايـة الجهـاد وعلـم النصـرانية يرفـرف بجـانب علـم التوحيد!؟، فدعونا يا قوم من المهزلة، ولا نكن مغرورين ومخدوعين إلى هذا الحد، لابد أن يكون عنـدنا فرقـان بيـن الحـق والباطـل).. والطريـف أن وزيـر الداخلية نفى أن تكون الجماعة المعتصمة فـي الحـرم أن تكـون لهـا مطـالب سياسية، وان تقطع العلاقات مع أميركا، إذ ماذا يدل هذا الكلام؟!

وحول حلق اللحية وإسبال الثوب، فقد تعرض جهيمان لذلك أكثر من مـرة في كراساته، يقول في إحداها (التوحيد كيف بينه القرآن ودعـا إليـه/ ص 35): (وتجد أقواماً يعلنون إبليس بأفواههم ويطيعـونه بأعمـالهم، ويحبـون الرسـول صلى الله عليه وسلم بألسنتهم ويعصونه بأفعالهم، وأقرب مثال في المصـلين الذين يقولون أنهم موحدون، يتبعون داعي الله، ولا يتبعون داعي إبليـس، تجـد منهم من يحلق لحيته، أو قصر منها، ويسبل ثوبه، وهم يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حرم ذلك كله بقوله "اعفوا اللحى" وبقوله: "ما أسفل من الكعبين فهو في النار".. الخ)..

ومن الجدير بالذكر أن جهيمان لا يؤمن بالمـدارس والجامعـات الحكوميـة في الدراسات الدينية، ويشن حملة على الأسـاتذة الـذين تخـالف ممارسـاتهم وتصرفاتهم الدين الاسلامي الذي يزعمون أنهم يدرسونه للطلاب.

أمـا التـدخين، فهـو محـرم لـدى مشـايخ السـلطة قبـل غيرهـم، وإذا كـان جهيمان قد قال بحرمته، فهو لم يضف جديـداً، تمامـا كمـا هـو الحـال بالنسـبة لحلق اللحية وإسبال الثوب.. وكذلك يصدق القـول بالنسـبة للتصـوير، فلا زال مشايخ السلطة يحرمون التصـوير إلـى هـذه اللحظـة، بـل إن الصـحافة تنقـل أحيانا إجابات للشيخ ابن باز حول هذا الأمر تؤكد حرمة التصوير!

أما التلفزيون والفيديو والراديو، فكان بالامكـان ــ بوجهـة نظـر جهيمـان ومشايخ السلطة ـ القبول بها، لو كان نفعها أكثر مـن ضـررها.. ولكـن تحـولت هذه الأجهزة إلى أدوات حكومية لنشر الفساد.. وإذا كان جهيمان قـد اعـترض عليها قبل سـت سـنوات.. فـإن الصـحافيين اليـوم يسـطرون فـي الجرائـد المحلية إشارات الخطر من جهاز الفيديو وتأثيره على سلوك الجيل الشـبابي، الذي أصيب بالفساد حـتى التلـف.. خاصـة وأن السـلطة تتسـاهل فـي تمريـر الأفلام الماجنـة والخليعـة، لدرجـة أنهـا تبـاع وتـؤجر فـي عشـرات الآلاف مـن المحلات المنتشرة اليـوم فـي البلاد.. بـل إن الحكومـة ــ ومـن خلال البرامـج التلفزيونية والاذاعية ـ بثت الميوعة والانحلال في المجتمع، متجاوزة بذلك كـل الأعراف والتقاليد المحلية، ومتجاوزة المباديء الدينيـة الـتي تحـرم مثـل هـذه الأمور.. حتى وصل الحال أن تظهر ممثلات سعوديات على شاشـة التلفزيـون بدون حجاب، يقمـن بـأدوار يخجـل المـرء مـن ذكرهـا، مـع العلـم أن الحجـاب مفروض من الناحية الرسمية!!

وبعد هذا، إذا كان جهيمان قد حرم التلفزيون فعلاً وهو ما لم يظهر في أي من رسائله، فإنه إنما يحرمه لمساوئه الكبيرة، ولو كان توجه النظام السعودي الاعلامي أخلاقياً، ويراعي الدين، ويهتم بتربية الجيل وتثقيفه، لكان قد اتخذ رأيا آخر، هذا إذا سلمنا جداً أن جهيمان أفتى بحرمته..

وأما دور السينما، فهي لم تصبح تجارية بعد، ولم تصرح لها الحكومة علنا، لكن من المعروف أن هناك عشرات ـ بل مئات ـ السينماءات منتشرة في أنحاء البلاد، وكلها بعيدة عن الرقابة الحكومية، وتنشر أفلاماً منحطة أخلاقياً، والقائمون عليها كلهم من أفراد العائلة الحاكمة، كما هو حصل في الأندية الرياضية ـ مثلا ـ.

إن محور القضية هنا، ليس في وجود جهاز التلفزيون والراديو وغيرهما، وإنما في تأثيرهما وضررهما.. أي في التوجه الحكومي.. ولهذا قالت بعض الصحف أن الجماعة تحرم الراديو لأن أصواتاً نسائية تخرج منه، وكذلك التلفزيون، كما قالت أيضا أنها ضد الأغاني، وهذا طبيعي جداً، وهو مآخذ على آل سعود وليس على جهيمان، وكذلك قل بالنسبة للدراسات المختلطة، فهذه ليست علامات تحضر حتى يدافع عنها إعلام آل سعود..

بقيت نقطة أخيرة.. إننا نعتقد بأن المآخذ الوحيد الذي يمكن أن يوجه للجماعة، هو تكبيرهم للجزئيات ووضعها في مصاف الأمور المهمة.. ووجود شيء من الانغلاق في الفكر، وإن كنا نعتقد بأن الاجواء التي نمت وترعرعت فيها الجماعة أثرت بشكل كبير في وجود هذا الأمر، وهذه الأجواء المنغلقة والحصار الذي يفرضه النظام على مصادر الفكر والثقافة، مسئول عن إيجادها النظام ا لسعودي نفسه، لأن الانسان يتأثر بمحيطه، فإن كان مليئاً بالتعصب والانغلاق فلابد أن يلحق به شيء منه.. والجماعة هي وليدة مجتمعها ومتأثرة بأوضاعه، وبالتالي فإن السلبيات الموجودة فيه نالت منها شيئاً قليلاً..

كما أن أمراء الأسرة الحاكمة بتصرفاتهم الماجنة، وفسوقهم المعهود عنهم، وتجاوزهم لكل المحرمات، ولد ردة فعل غاضبة قد تصل إلى النقيض.

فبالنسبة للتصوير، وبالرغم من أن المؤسسة الدينية الحكومية في البلاد مجمعة على حرمته، مستندة على فتاوى ونصوص قد لا يعتقد بقية علماء المسلمين داخل البلاد وخارجها بها أو بانطباقها فعلياً على الموضوع، رغم هذا فإن السلطة تجري الأمور حسب مصلحتها..

ويذكر أنه في منتصف الخمسينات اصدر مفتي الديار السعودية بيانا بحرمة التصوير، وفي اليوم التالي ظهرت الصحف السعودية بدون صور على الاطلاق بأمر من الملك سعود، كما يذكر السفير العراقي المفوض في جدة أمين المميز في كتابه (المملكة العربية السعودية كما عرفتها).. وبعد أيام غير الملك سعود رأيه وطلب وضع صوره، وظهر بيان حول الأمر يبين أهمية التصوير للإسلام!!

وفي أواخر السبعينات، بل وطوال فترة السبعينات، كانت جماعة (الاخوان) تغطي صورة الملوك السعوديين الموجودة على النقود بالحبر الأسود، مما استثار آل سعود، فجاؤوا ببعض مشايخهم ليفتوا خلاف رأيهم، بأن الصور ووضعها ضروري ومحلل شرعاً!

والقضية المركزية هنا، أن تحريم الصور لازالت المؤسسة الدينية السعودية القائمة على العقيدة (الوهابية) مصرة على حرمته.. وما لم تتغير

القناعات أولا، وينظر إلى تفسير النصوص بتجرد ثانيا، فإن أفكار جهيمان وأمثال جهيمان لا تشذ عن القاعدة حول قضية التصوير.

ومهما يكن من أمر، فإن من الواجب على كل باحث أن ينظر لأهداف الجماعة من كل الزوايا وأن يأخذها بمجموعها وليس بابتسارها.. فالجماعة طرحت أهدافاً دينية وسياسية لا يختلف عليها دعاة الحق، كإسقاط النظام الملكي وقطع الروابط مع الغرب، وتصفية المجتمع من السلبيات والأمراض الاجتماعية التي نتجت عن العهد الملكي السعودي الفاسد.. وما عدا هذه الأهداف فإنها أقل أهمية، ولا يجب أن تؤخذ على أنها الهدف الكلي للجماعة.

(الفصل الثالث)

الجماعة والجهات الأجنبية

تزخر الساحة العربية والعالمية بتحركات سياسية وعسكرية تقوم بها فئات وتنظيمات عديدة، غير أن من المؤسف أن الكثير من هذه التحركات وما يتبعها من مواقف لا يعبر عن قناعات هذه التنظيمات. وإنما يعبر عن رأي الأنظمة التي تدعمها.

والتحرك الذي حدث في مكة، هو تحرك محلي بالدرجة الأولى، ومسبباته وجذوره داخلية، وإن كنا نعتقد بأن التحرك الاسلامي في الجزيرة العربية لا ينفصل بأي حال من الأحوال عن موجة البعث الجديدة التي زحفت على ديار المسلمين بعد انتصار الثورة الاسلامية في إيران..

ومن جهة ثانية، لم يكن للجماعة التي اعتصمت في الحرم أي روابط مع أي نظام باعتراف آل سعود أنفسهم.. خاصة وأن جهيمان أوضح في كراساته موافقة من حكام الدول الاسلامية ومن الغرب الصليبي..

يقول في أحدها: (كل من هذه الدول الإسلامية لها نصيب من إظهار الاسلام، ولها نصيب من موالاة الكفار، وإنما اختلفوا في اتجاهاتهم، وكلهم متفقون على محاربة الحق وأهله إذا خالف سياستهم وسياسة من يوالونهم من أعداء الاسلام)..

وفي موقع آخر يشن هجوماً على المشايخ الذين يسبغون الشرعية على الحكام الفاسدين كالحكام السعوديين، بمدحهم لهم وتحبيبهم للناس، يقول: (لو كان لإبليس دولة، لوجد علماء وخطباء شريطة أن يعطيهم الشهادة والمرتبة والمعاش، فنجدهم يتكلمون فيما لا يمس سلطانه، كما تجد علماء الدول في الزمان، كلما جاء حاكم ذكروا ما فيه من خصال الخير ليحببوه إلى الناس، ويحببوا الناس إليه، فالمعروف ما عرفته الحكومة، والمنكر ما أنكرته، والله المستعان)[1]..

ورغم وضوح مواقف الجماعة تجاه الغرب والأنظمة الفاسدة، فانك تجد أن بعض الصحف ـ وخلافاً للمعقول ـ قالت أنها عميلة للأميركيين وإسرائيل!!، وقد حاول آل سعود في البداية أن يلصقوا العملية بجهات أجنبية، أو كما قال فهد بصفاقة ووقاحة بالغة، وبعد أكثر من شهر من وقوع العملية، أن الجماعة محرضة سوفييتيا[2]!!، ولم يشأ أن يقول بأن التحريض أميركي، لأن الأميركان

---

1 ـ دعوة الاخوان كيف بدأت وإلى أين تسير ـ جهيمان بن سيف العتيبي، ص 23.

2 ـ مجلة النهار العربي والدولي 23/12/1979م.

أصدقاءه، وما دام يبحث عن كبش فداء ويتعمد التشويه، فليلصقها في الملاحدة الروس!!
وهنا سنبحث بشيء من التفصيل مسألة ارتباط الجماعة بالجهاد الأجنبية وكذبها، وكيف أن أقوال السعوديين مدسوسة ومبتذلة، وذلك من دراسة أمرين دارت حولهما المسألة: الأول تعدد جنسيات القائمين بالعملية، والثاني تسلح الجماعة..

تعدد الجنسيات

رغم أنه بالنسبة لجماعة الاخوان، أو بالنسبة إلينا كحركة إسلامية عقائدية، لا اعتبار لجنسية المجاهد، فالجهاد في سبيل الله ونصرة المستضعفين ومقاومة الحكام الظالمين المستبدين، فوق الجنسيات والحدود الاقليمية والعنصريات والعرقيات.. إلا أن النظام السعودي الفاسد، حاول الاستفادة من قضية تعدد الجنسيات من زاويتين:

الأولى: التركيز على أنهم غير سعوديين، أو أن السعوديين همن قلة، للأيهام بأن لا وجود للمعارضة في البلاد، أو أن وجودها لا يتعدى بضعة خوارج مهووسين.. هذا في الوقت الذي كانت فيه الحكومة تحث الخطى في القضاء بسرعة على المعتصمين لتمرير هذه الأكذوبة، لكن القتال استمر فترة طويلة من الزمن، فاضطر آل سعود أخيراً إلى الاعتراف بالأمر الواقع، وهو أن أغلب أفراد الجماعة هم من أبناء البلاد..

الثانية: الايهام بأن هناك جهات أجنبية مخربة وراء حادث الحرم، بدليل وجود جنسيات متعددة، هي بمثابة أيد مخربة، أو بالأحرى طليعة مخربة للجهات الأجنبية.. وقد انكشفت حقيقة الاكذوبة السعودية لأكثر من سبب، فالمسئولون السعوديون، وبالتحديد أمراء الأسرة الحاكمة، اختلفوا فيما بينهم حول الجنسيات، مما يعطي تشكيكاً في الرواية السعودية، ومن طرف آخر، تأخر الحسم العسكري السعودي للقضاء على ما أسماهم (بالشرذمة)، فانهارت الآمال التي بناها على الشائعات والأكاذيب، وتعرف الرأي العام على الأمور بمرور الأيام..

ومن جهة ثالثة، تبين أن كل الدول تقريباً قد تبرأ من العملية، وأن الاتهامات الجانبية فيما بينها ليست سوى ذيول للخلافات السياسية..

في اليوم الثالث للعملية، طالعتنا صحيفة الجزيرة السعودية (22/11/1979م) بتصريح لوزير الخارجية، كان كجواب حول سؤال عن جنسيات المعتصمين، قال فيه: (إنهم ينتمون إلى عدة جنسيات، منهم السعوديون، كما أن هنالك خليطاً آخر يجري الآن تصنيفه).. ويلاحظ من التصريح أن وزير الخارجية رغم اعترافه بمشاركة المواطنين، إلا أنه لم يشأ القول بأن معظمهم من أبناء البلاد، مشيراً بطرف واضح إلى أنهم قلة، والبقية من الخارج، أو أجانب حسب الرواية السعودية.

وفي مقابلة مع أمير المدينة السابق الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز مع جريدة البلاد السعودية نشرتها في نفس اليوم الذي صدر فيه تصريح وزير الخارجية، قال: (إن الانحراف لا يعرف جنسية ولا لوناً، ولهذا فإنه ليس هناك ما

يدعو للاستغراب في أن يضل هؤلاء ويقدموا على فعلهم الاجرامي.. غير أن خروج فئة من أبناء هذا البلد على دينهم يعتبر أمراً مؤسفاً حقاً)[1]..

لم يقل الأمير أن أبناء البلد خرجوا على الحكم السعودية، وإنما خرجوا على دينهم، ولم يقل بأن مواجهة الحكام الفاسدين كآل سعود واجب كل مسلم، لأن مجاهدة أعداء الله لا تخضع للون أو الجنسية، وإنما قال بأن الانحراف (أي قتال آل سعود) لا يعرف جنسية.. وهذا تبرير للأسباب التي دعت غير المواطنين لقتال آل سعود..

ومع هذا يريدنا الأمير أن لا نستغرب، لأنه يعلم أن الرأي العام الخارجي، تصور أن الحكم السعودي قوي متين، ويستند إلى دعم شعبي، فإذا بالانتفاضة تقلب هذا الرأي، ولهذا تأسف الأمير!

وأخيراً اعتراف وزير الداخلية في مؤتمره الصحفي الذي عقده بتاريخ 4/12/1979م، أي بعد اسبوعين من وقوع الحادث، بأن الغالبية من أفراد الجماعة المعتصمين هم من أبناء البلاد، لقد قال الأمير: (للأسف.. الغالبية منهم سعوديون، ومعهم جنسيات إسلامية أخرى من بلاد متعددة)[2]..

والوضح في الأمر، قبل المؤتمر الصحفي لوزير الداخلية (4/12/1979م)، أن الاتهامات كانت تلقى جزافاً على أطراف لم تكن لها صلة بالحادث.. وقد ساعد على ترويج الاتهامات أن النظام السعودي لم يعط جوابا صادقاً وشافياً حول هوية المعتصمين.. لذا كانت الصحف العربية والأجنبية تروج الاتهامات ضد هذه الفئة أو تلك..

فأميركا التي كانت لاتزال تعيش صراعاً حاداً مع الحكومة الاسلامية الوليدة في إيران، اتهمت الشيعة بأنهم وراء العملية.. والسادات وإسرائيل اتهما الفلسطينيين والشيعة، وبعض الدول اتهمت (الاخوان المسلمين) لأنها تعيش صراعاً معهم، وقسم آخر اتهم (الزيود)، وآخرون اتهموا اليمن الجنوبي، وغيرهم اتهم إيران، أو روسيا، أو إسرائيل وأميركا!! وما كانت هذه الشائعات لتلقى رواجاً لو أن آل سعود حددوا جنسيات المعتصمين منذ البداية..

الأميركيون، الذين أعلنوا منذ اليوم الأول وقبل كل أحد عن الحادث، قالوا على لسان الناطق بإسم الخارجية الأميركية، وحسب ما ذكرته الصحف اللبنانية، (أن هذه المجموعة لم تعرف هويتها وأهدافها، وقد تكون من المذهب الشيعي).. وانتشر الخبر في البداية على أن الشيعة هم وراء العملية بدعم من إيران، ومما ساعد على رواج هذه الإشاعة هو مسألة (المهدي المنتظر)، فبالرغم أن جميع المسلمين يعتقدون بـ(المهدي المنتظر)، إلا أن الكثير كان يتصور أن هذا الاعتقاد يخص الشيعة وحدهم..

من جهته، روج النظام لهذه الفكرة إمعانا في التضليل، ونقلت جريدة السفير[3]، عن أحد أعضاء الوفد السعودي في تونس الذي يحضر القمة العربية قوله: أن (الآذان قد أدي على الطريقة الشيعية).. ويبدو أن هذا التصريح المغرض قد جاء قبل أن تتوضح الصورة للوفد السعودي المرافق في قمة تونس، وإذا كان ذلك صحيحاً فليس هناك أمر يبرره أو يسوغه..

---

[1] ـ صحيفة البلاد السعودية 22/11/1979م.
[2] ـ جريدة الرياض 5/12/1979م.
[3] ـ السفير 22/11/1979م.

وعاد النظام مرة أخرى فأكد أن المعتصمين هم من الشيعة، فقد ذكرت صحيفة (الجمهورية) المصرية، أن مصدراً سعودياً مسئولاً قال بأن: (المسلحين الذي هاجموا البيت الحرام، ينتمون إلى زمرة خارجة عن الدين الاسلامي، منشقة عن طائفة الشيعة)[1]..

وتلقفت جريدة الفجر (الظبيانية) الخبر المختلق، فقالت عن لسان القادمين من السعودية: (أن لم يستطع لحد الآن تحديد الهوية السياسية للمسلمين المسلحين الذين هم على الأغلب من الوهابيين أو من منظمة أهل الحجاز.. غير أنهم أشاروا إلى أن المسلحين رفعوا "الآذان" على الطريقة الشيعية عقب احتلالهم للمسجد الحرام، وهذا نفي لآن يكون الجناة منا لمذهب الوهابي)! وما كانت (الفجر) بحاجة على نقل هذا الكلام من القادمين، طالما أن الصحافة العربية وعلى لسان المسئولين السعوديين قد قالوا به قبل يومين على الأقل!.. غير أن وزير الداخلية ــ وبعد أن زادت الاتهامات ضد أميركا نفسها على أنها وراء الحادث ـ نفى أن يكون لأميركا أو إيران أو أي دولة أخرى علاقة بالحادث، فقال: (إنه لم يثبت انتماء هذه المجموعة إلى إيران أو إلى أي جنسية معينة أخرى)[2]..

وبعد أن نفى أمراء الأسرة علاقة الأنظمة بالجماعة، تحولت المسألة على (الاخوان المسلمين) وعلى (جماعة التكفير والهجرة).. صحيفة عكاظ السعودية وبعد ثلاثة أيام من إعلان نفي وزير الداخلية، اتهمت الاخوان المسلمين، وكتبت في مقال لعلي حسين شبكشي، تحت عنوان (تأملات في الحادث) آراء الحكم السعودي، فقالت: (هل الحادث ـ حادث الحرم ـ جزء من المخطط العالمي للقضاء على الدعوة الاسلامية، بأضعاف المسلمين بضرب بعضهم البعض، وبالتأثير على بعض ذوي النفوس المريضة باقناعهم بشعارات ودعوات زائف بهدف التأثير على الغير؟).. ثم يتساءل الكاتب مرة أخرى: (هل لجماعة الاخوان المسلمين ـ وقد خربت في مصر والسودان والآن ف ي سورية ـ علاقة بمثل هذه الجماعة "التي احتلت الحرم"، بعد أن رأى القائمون عليها أن تتحول إلى جمعيات دينية ذات طابع سي لتكون أكثر انتشاراً وتغلغلاً في العقول البسيطة دون أن تدري؟)[3].. إذن فالاخوان المسلمون وراء الحادث بنظر الاعلام السعودي والقائمين عليه!!

وتلقف أحد الجار الله، هذه المقالة ليطرح صياغة جديدة، ويكتب بما نشيت عريض على صدر صحيفته (المعتدون على الحرم من الاخوان المسلمين)[4]، وكذلك فعلت جريدة النهار التي نقلت عن الرأي العام حديث الافك وسطرت: (في الكويت تحدثت الصحف عن انتماء مهاجمي المسجد الحرام إلى فصيل من الاخوان المسلمين في مصر، يحمل اسم جماعة التكفير والهجرة، ويرفض كل مظاهر الحياة الغربية الحديثة)[5]..

وبصريح العبارة، توضح أن آل سعود تبنوا فكرة أن الجماعة (الاخوان) لها علاقة بالاخوان المسلمين، أو بجماعة التكفير والهجرة، وهو ادعاء باطل من أساسه، وقد نشرت الصحف السعودية بعد (11) يوماً من وقوع الحادث،

---

[1] ـ الجمهورية 22/11/1979م.
[2] ـ جريدة المدينة 23/11/1979م.
[3] ـ عكاظ 26/11/1979م.
[4] ـ الرأي العام الكويتية 27/11/1979م.
[5] ـ النهار 28/11/1979م.

وكعلامة واضحة لتبني هذا الرأي، تصريحاً للشيخ حمود العقيل، أعلن فيه (أن هذه العناصر تنتمي إلى جماعة التكفير والهجرة ي مصر، وهم طائفة من الخوارج، كما هو معلوم) (...)، وتلقفت أجهزة السادات الدعائية الفكرة، فروج لها، لأنه في حرب مع هذه الجماعة وغيرها من الجماعات الاسلامية.. فبعد إعدام عشرة من المصريين بعد أسرهم ضمن قائمة ألـ (63) شخص، نقلت الصحف العربية تصريحا لمصدر مصري مطلع قوله: (أن المصريين العشرة الذين قطعت رؤوسهم أمس في السعودية لاشتراكهم في عملية المسجد الحرام، قد يكونون أعضاء في جماعة التكفير والهجرة الاسلامية المتطرفة، وأوضح المصدر أن السلطات المصرية كانت قد طلبت من السعودية تسليمها عدداً من أعضاء هذه الجماعة، لكن السعودية رفضت الطلب)[1].

وأخيراً، وبعد أن روج النظام هذه الحكايات الدعائية الفارغة، وبعد أن استنفذ أغراضه الدنيئة منها، قال نايف في مؤتمره الصحفي في (13/1/1980): (لا علاقة بين المتمردين وجماعة التكفير والهجرة في مصر).. والسؤال لماذا لم يقل نايف هذا الكلام إلا بعد أن انتهت العملية، أي بعد شهر و 24 يوم على وجه التحديد.. أليس هذا دليلا واضحا على أن الأمراء استنفذوا غرضهم التشويهي لحادثة الحرم.

أما الصحافة المصرية التي تعبر عن رأي السادات، فقد تراوحت اتهاماتها وتخبطاتها حول جهتين، الأولى: اتهام إيران أو عناصر شيعية داخلية متعاطفة معها، الثاني: اتهام الأنظمة المخالفة للسادات، ومنها روسيا واليمن الجنوبي وليبيا!!

فعلى سبيل المثال، قالت (الأهرام): (أن هناك احتمالين: أحدهما أن تكون الجماعة من أنصار الخميني، والآخر أن العملية ربما كانت بتدبير عناصر شيعية متعاطفة مع الخميني)[2]، وقد جاء هذا الاتهام في اليوم الثالث للعملية، وبعد أكثر من شهر اتهمت صحيفة الجمهورية، واعتماداً على مصادر المخابرات الغربية، كلا من ليبيا وعدن وروسيا بالتخطيط[3]..

وإسرائيل اتهمت منظمة التحرير بأنها وراء العملية، وأنها عن رأيها السابق من أن الخميني وراء العملية، رغم أنها اشركت إيران ضمن القصة المصطنعة.. وأوضحت إسرائيل أن الأسلحة جاءت من اليمن الجنوبي، وأن أفراد الجماعة تدربوا هناك في معسكرات تابعة لجورج حبش!!

أما روسيا فقد اتهمت المخابرات المركزية الأميركية على أنها وراء الحادث، جاء ذلك ضمن تعليق لوكالة (نوفوستي) الروسية، التي قالت: (أن وكالة الاستخبارات الأميركية وعملاءها هم الذين دبروا عملية المسجد ونفذوها بحسب معلومات مصادر مطلعة.. وذلك كجزء من خطة لاعداد المناخ الملائم للتدخل العسكري المباشر ضد إيران)[4]..

على العموم، أميركا اعتبرتها مؤامرة شيعية وروسية، وروسيا اعتبرتها مؤامرة أميركية، والسادات اعتبرها مؤامرة شيعية إيرانية/ ليبية/ يمنية/

---

[1] ـ النهار 10/1/1980م.
[2] ـ الأهرام المصرية 22/11/1979م.
[3] ـ الجمهورية المصرية 25/12/1979م.
[4] ـ جريدة النهار 28/11/1979م.

روسية، وإسرائيل رأتها مؤامرة خمينية/ فلسطينية، وبعض الأنظمة قالت فيها أنهم إخوان مسلمون، أو تكفير وهجرة، أو أن السادات وراءها، وأنظمة أخرى قالت أنها صهيونية/ أميركية.. الخ، أما النظام السعودي فقد اعتبرها كل ذلك، وكان السبب الأول وراء هذه الاتهامات التي روجها كل نظام ضد معارضيه، لأنه لم يعلن عن جنسيات القائمين بالعملية إلا متأخراً جداً وبصورة غير قطعية، ولأنه نفسه وجه بعضاً من هذه الاتهامات ضد الجماعة.. آملا في تشويه سمعتها، حتى يجمع الرأي العام على معارضتها..

فمن يقف ضد أميركا يكون ضدها لأنها مؤامرة أميركية، ومن يتعاطف مع الغرب خوفاً على مصالحه أو إعجاباً بالحياة الغربية أو تأييداً لأنظمة الحكم الموالية لواشنطن أو خوفاً على ديار المسلمين من البعبع الشيوعي!!، فعليه أن يقف ضدها لأنها حركة خطيرة مدفوعة شيوعياً!!

ومن يقف مع السادات فهو ضدها لأنها ليبية أو يمنية أو سورية، ومن يقف ضد السادات فعليه أن يقف ضدها لأنها مصرية أميركية، والطائفي عليه أن يرفضها لأنها شيعية خمينية، وفي العموم على الجميع أن يعارضها لأن الجميع يتفق تقريبا على أنها مؤامرة صهيونية!!، وبالتالي لا يكاد المتتبع للأحداث أن يخرج من دوامة هذه المواقف إلا إذا كان يمتلك حسا دينيا ووعياً سياسياً يجعله يرفض هذه الترهات المعلنة..

حول السلاح والتدريب:

من الأمور المؤكدة أن الجماعة (الاخوان) استفادوا استفادة كبيرة جدا من (الحرس الوطني) في الجانب العسكري، سواء من حيث التسليح والتزود بالذخيرة من مخازن الحرس، أو من حيث التدريب على السلاح..

ذلك أن الجماعة لها مجموعات كبيرة من المؤيدين والمتعاونين داخل جهاز الحرس.. كما أن عشرات من أفراد الجماعة كانوا يعملون في وقت سابق في الجهاز، ومن ضمن هؤلاء المرحوم جهيمان نفسه الذي اشتغل في الحرس مدة ست سنوات على الأقل.. ولا شك أن الصداقات والعلاقات العشائرية ساهمت إلى حد كبير في تأمين السلاح من مخازن الحرس.. خاصة وأن بعض قياديي الجماعة كانوا يتولون مناصب عالية فيه.. هذا إضافة إلى أن السخط داخل صفوفه قد دب منذ زمن بعيد بسبب الفساد والرشاوي والانحراف المعشعش فيه.. وكان من الطبيعي أن تتضامن مجموعات من الضباط وذوي الرتب الصغيرة وبعض الرتب العالية، مع الأهداف التي كان يبشر بها (الاخوان) ويدعون إليها.. وهي أهداف واضحة ومقبولة شرعاً وعقلاً، فضلاً عن أن ممارسات (الاخوان) وسلوكياتهم المنضبطة والتزامهم الذي عرفوا به في الأوساط الشعبية، ومعارضتهم للفساد داخل أجهزة الدولة وفي الأسرة المالكة، واضح..

والسؤال الأكثر أهمية وإلحاحاً، ليس هو من أين جاءت الجماعة بالسلاح؟، وإنما أين تم تدريب العناصر، تلك التدريبات القاسية التي كانت ثمارها صمودهم أكثر من عشرين يوماً أمام القوة العسكرية الحكومية التي تفوقها عدداً وعدة؟!

قد لا نستطيع إعطاء إجابة محددة لهذا السؤال، لكننا نستطيع التأكيد على أمر واحد، هو أن أفراد الجماعة تلقوا تدريباتهم داخل البلاد.. والاجابات

المحددة قد تكون السلطة السعودية قد حصلت عليها إثر القضاء على المعتصمين، أو على الأقل حصلت على بعض المعلومات عنها..

هناك في البادية الواقعة بين المدينة ومكة والقرى التي حولهما، تدرب الاخوان.. ولأن حمل السلاح في البادية لا ينظر إليه بحساسية كما هو في المدن، أو لأنه أمر اعتيادي، فقد استطاعت الجماعة تدريب أفرادها بسرعة تامة بعيداً عن أعين السلطة.. ولا شك أن جهيمان استفاد من خبرته، وخبرات رفقائه في التدريب الذي لاحظ المراقبون أنه أفضل من تدريب السلطة لأفراد قوات الحرس الوطني نفسه، وهذا ما أثبتته المعارك التي خاضتها القوات الحكومية ضد الجماعة.

وقد يقول قائل أن إيمان الاخوان بعدالة قضيتهم، بعكس القوات الحكومية التي انخرطت من أجل المال، والتي تعاطفت مع أهداف الجماعة، عرقلت نشاط الحكومة العسكري، وقوت موقع المدافعين.. وهذا صحيح ولا خلاف عليه، لكن لا يمكن بأي شكل من الأشكال التغاضي عن كفاءة أفراد الجماعة وحسن تدريبهم.

حول التسلح يمكن وضع الأطر التالية لتصريحات وبيانات السلطة السعودية:

1/ تقول السلطة بأن الأسلحة (متوفرة) في البلاد، بمعنى أن المصدر داخلي، وأشارت إلى أن هناك (بعض) الأسلحة المهربة من الخارج.

2/ أن الأسلحة عادية ومتنوعة ولكنها (مميتة)، على حد قول وزير الداخلية!!.. وذلك للتقليل من أهميتها.

3/ أوحت تصريحات المسئولين إلى أن جهات خارجية مولت الجماعة بالسلاح، ثم عادت وأعلنت أن ذلك لم يثبت حتى الآن.

4/ أغفلت تصريحات المسئولين وبيانات الداخلية الجانب المهم، وهو مكان التدريب، وهناك القليل من الاشارات إلى هذا الموضوع.. وقد أعطت السلطة الفرصة لصحافتها وللصحافة العربية والعالمية أن تتهم هذه الدولة أو تلك على أنها وراء تدريب الجماعة.

في البيان الأول لوزارة الداخلية الصادر في اليوم الثاني للعملية (21/11/1979م)، أشار إلى الأسلحة إشارة عابرة بقوله: (ومعهم بعض الأسلحة).. ولم يذكر نوع الأسلحة ومصدرها وكيف تدربت الجماعة عليها وأين تم التدريب؟، بل اكتفى بذكر (بعض) الأسلحة للإيحاء بأن العملية محدودة وصغيرة وأن قوات القمع السعودية في طريقها للسيطرة على الموقف..

وفي اليوم التالي (22/11ـ 1979م) قال وزير الخارجية: (أن السلاح الذي يحملونه هو من نوع السلاح الخفيف المتواجد والمنتشر، ولذلك لا يمكن إعطاء هذا الحادث أي بعد أمني خاص)[1].. وملخص التصريح:

* أن السلاح من النوع الخفيف..

* أنه متواجد داخل البلاد ومنتشر،أي أن المصدر داخلي كما يوحي التصريح، الذي لم يشر إلى كيفية انتشاره وسببه.

* النتيجة التي يريد أن يخلص إليها التصريح أنه لا يجب (إعطاء الحادث أي بعد أمني خاصة) لأن الأسلحة متواجدة ومنتشرة، وبالتالي فالمسألة عادية وغير مفاجئة..

---

[1] ـ الجزيرة 22/11/1979م.

وفي اليوم الرابع للعملية (23/11/1979م) نشرت الصحف السعودية بيانا لوزير الداخلية، نفى فيه خبر إسقاط الجماعة لطائرة هليوكبتر عسكرية تابعة للقوات المسلحة السعودية، وكانت ضمن الطائرات التي هاجمت المعتصمين في داخل الحرم، وأكد من جديد أنه (ليس في حيازة المتمردين سوى أسلحة خفيفة)..

غير أن أحد القيادات العسكرية في الجيش السعودي، قال في اليوم الثامن للعملية، أن القوات السعودية استطاعت في هذا اليوم (27/11/1979م) تحديد نوعية الأسلحة، ولم يكن بالمقدور التعرف عليها قبل ذلك.. وهذا التصريح يوضح كيف أن تخرصات المسئولين تصبح حقائق بمجرد التصريح بها، وأنهم يجيزون لأنفسهم قول ما يريدون الاكتراث بالحقائق.. لقد قال القائد السعودي الرائد محمد النفيعي: (كان العسكر يستطيعون تحديد نوعية السلاح من نوعية رمايته، ولكن نظراً لكثرة ما أطلق النيران، واختلاط الأصوات مع بعضها البعض، ما استطعنا، ولم نستطع كذلك أن نقبض على شخص معه سلاح.. إنما النتائج في هذا اليوم، استطعنا أن نقبض عليهم بأسلحتهم ونحدد نوعية الأسلحة التي استخدموها تحديداً قاطعاً)[1].. فالرائد العسكري يقول أنه استطاع تحديد نوعية السلاح بشكل قطعي في اليوم الثامن للعملية، بينما وزير الخارجية والداخلية، قرروا النوعيات في اليوم الثالث!

وهنا بدأت التصريحات السعودية تأخذ منحى جديداً، فمع بداية ديسمبر ظهرت التلميحات السعودية بأن هناك جهات تمويل بالأسلحة.. ترى هل اكتشف السعوديون شيئاً جديداً؟

يعتقد ذلك..

فمن الأمور شبه المؤكدة أن شحنات ضخمة من السلاح وصلت من لبنان إلى البلاد.. وأن (الاخوان) هربوا قطع سلاح كثيرة من هناك.. والمسئولون السعوديون لم يفاجأوا بقضية التهريب من الخارج، ولكنهم كانوا حريصين على معرفة ما إذا كانت هناك مجموعات سياسية أو أنظمة وراء العملية، ويبدو أن المسئولين قد توصلوا فعلاً إلى حقيقة واحدة، هي أن السلاح وتهريبه للداخل كان مجرد عملية تجارية تحت بين طرفين، كان (الاخوان) احدهما.. ولم يستطع أمراء الأسرة الحاكمة إيجاد دليل واحد يثبت مزاعمهم وافتراءاتهم..

ففي مؤتمره الصحفي الذي عقده بتاريخ 4/12/1979م، قال وزير الداخلية ما نصه: (أن المعتدين مسلحون، كما أنهم ممولون بالسلاح)..

وبعد يومين من تاريخ عقد المؤتمر نشرت صحيفة الجزيرة السعودية (6/12/1979م) تصريحا لنايف أشار فيه إلى وجود تهريب للسلاح من الدول المجاورة: (السلاح الذي كان لدى هذه الفئة هو سلاح عادي يملكه أي مواطن سعودي.. وهناك بعض المحاولات التي قد تنجح أحياناً في تهريب بعض أنواع السلاح الخفيف عبر حدود السعودية من بعض جاراتها..) وأضاف (أن وزارة الداخلية ستصدر نظاماً يمنع حمل السلاح دون الحصول على ترخيص رسمي، وأن هذا النظام لا يعني سحب السلاح من أفراد القبائل والبدو.. إن هذا الأمر غير وارد لأي مواطن سعودي يعتبر وجود السلاح جزءاً من رجولته)..

---

[1] ـ الجزيرة السعودية 28/11/1979م.

وفي تصريح الأمير هذا بعض المغالطات ينبغي التنبه لها:
1/ بالرغم من أن السلاح منتشر، خاصة بعد انتفاضة المحرم 1400هـ، فإن من المبالغ به أن يقول الأمير بأن سلاح الجماعة عادي يملكه أي مواطن.. فهو يريد أن يوضح بأنه ليست هناك حساسية في حمل السلاح لأي شخص كان، وأن الدولة لا تمنع ذلك.. وإنما الجديد هو استخدام السلاح ضد الحكومة.. وهذا من باب تقليل الأهمية للطرف المقابل وهم (الاخوان).. فما دام كل الناس يمتلكون السلاح، ولم ينتفض كلهم ضد الحكم السعودي، فهذا يعني أن هذه الفئة قليلة وضعيفة، ولا تحظى بتأييد شعبي داخلي.
2/ نظام حمل السلاح الذي أعلن عنه وزير الداخلية ـ مبكراً ـ صدر في أواخر عام 1403هـ، وقد طلبت الوزارة بموجبه أن يسجل كل حامل سلاح، إسمه ونوعية سلاحه لدى وزارة الداخلية ابتداء من 1/1/1404هـ، وحتى نهاية السنة (1404هـ)، وإلا فإن العقوبة وخيمة، ولكن لأن أحداً لم يراجع، فقد زادت الوزارة المدة لسنة أخرى تنتهي في نهاية عام 1405هـ، ونعتقد بأن الوزارة لن تفلح في مسعاها..
والسبب هو أن السلاح، حمله واقتناؤه ممنوعان رسمياً، وأن معظم الأسلحة التي يمتلكها أفراد الشعب ـ إن لم نقل كلها ـ جاءت عن طريق التهريب، وليس هناك أحد مستعد أن يسلم سلاحه ويفرض الضغوط على نفسه، مع ما يتبع ذلك من تحقيقات أو سجن أو سحب السلاح كلية، بمجرد تهديد الوزارة، لأن تهديدها ومنعها له قائم بالفعل، ومنذ عشرات السنين، والذي يقرأ قول وزير الداخلية: (سيصدر قريباً نظام يمنع حمل السلاح) يتصور أن حمل السلاح كان جائزاً، ثم أصبح محرما، بينما التحريم كان ـ وكما قلنا ـ قبل عشرات السنين، حتى للبنادق العادية التي تستخدم لصيد الطيور.. بل إن الوزارة سحبت بعد الانتفاضة لعب الأسلحة النارية الخاصة بالأطفال من محلات بيع اللعب وذلك خوفاً من تطويرها إلى سلاح قاتل!
لقد كان واضحاً لأفراد الشعب أن وزارة الداخلية، بعد أن عجزت عن منع تهريب السلاح، تسعى لجمعه وتحديد مواقعه والتعرف على مهربيه بحجة وأهمية هي تنظيم استعمال السلاح..
3/ يتزايد الشعور في الأوساط الشعبية بالحاجة إلى السلاح، خاصة منذ منتصف السبعينات، وقد تزايد هذا الشعور بعد وقوع الانتفاضة عام 1400هـ.. وهناك أسباب عديدة تؤجج هذا الشعور المتنامي، منها ما عبر عنه وزير الداخلية بقوله أن السلاح يعتبر جزءا من رجولة المواطن.. خصوصاً لأولئك المقيمين في البادية من أبناء القبائل.. ومنها عدم الشعور بالأمن وتقصير أجهزة الدولة في ذلك..
والأهم من كل هذا استعداد الفئات المعارضة من الجماعات الدينية والقبائل لمقاتلة النظام والعائلة المالكة الفاسدة، مما يحتم عليها أن توفر السلاح في يدها بانتظار الفرصة المواتية.
وتنقل مصادر مطلعة أن مجموع ما هرب من السلاح الخفيف إلى الداخل عام 1403هـ، يفوق ما حصل عليه الحرس الوطني نفسه.. وإن صحت هذه التقديرات، فإن مستقبلاً مظلماً ينتظر العائلة المالكة الفاسدة.
وفهد ـ الملك السعودي الحالي ـ أشار هو الآخر إلى التمويل بالسلاح، فقال في تصريح له نشرته مجلة النهار العربي والدولي: (إن السلاح سوفياتي

والتحريض كذلك)[1]، موحياً بأن روسيا وراء السلاح! وهو تصريح فظ ومستهجن ومكشوف.

وجاء نايف مرة أخرى وحدد الدول التي تم منها التهريب (اليمن الشمالي سابقاً، ثم لبنان).. ففي ندوة عقدها الوزير بتاريخ 8/1/1980م في جامعة الرياض (الملك سعود) قال: (إن المعتدين دخلوا الحرم بسلاح يتكون من بنادق ورشاشات تشيكية ـ وليست سوفياتية ـ الصنع، موجودة في المملكة منذ حرب اليمن عام 1383هـ، حيث تسربت إلى البلاد عن طريق بعض القبائل، وعن طريق التهريب، وبعضها بعد حرب لبنان، كما كان لديهم أسلحة أخرى مثل المسدسات وبنادق الصيد).. وما هي غلا ثمان وأربعين ساعة حتى نشرت جريدة السفير مقابلة مع نايف، أضاف فيها إضافات حول الأسلحة، بقوله: (ويهمني أن أشير هنا أن الأسلحة التي كانت بحوزتهم هي أسلحة خفيفة، وشعب المملكة ـ وخصوصاً أهل ألبادية ــ يملكون الأسلحة الفردية، إضافة على أن الذخيرة كانت تهرب إلى داخل المملكة من لبنان إلى سورية، ومن سورية على الأردن فالعراق، ثمن يجري توزيعها بين أنحاء المملكة والخليج)، وأضاف..(وأمر التهريب والأسلحة ليس بغريب في أي حال، لقد كان مقتحمو الحرم يملكون رشاشات خفيفة وبنادق ومسدسات، ولكنهم لم يكونوا يمتلكون أي أسلحة متطورة، ولا حتى قنابل)[2]..

ولما انتهت العملية وأعدم المعتصمون في ثمان مدن من البلاد، غير وزير الداخلية رأيه حول مسألة التهريب بعد أن اكدها في أحاديثه السابقة، ففي مؤتمر صحفي عقده في (15/1/1980) قال أنه (يمكن) أن يكون بعض الأسلحة مهرباً من الخارج: (بالنسبة للأسلحة فليست هناك كمية كبيرة، بل هي أسلحة موجودة في البلد، ولكنها طبعاً أسلحة مميتة، وهي رشاشات متنوعة، منها صناعة شرقية وصناعة غربية وعددها محدود، وكذلك بنادق قديمة مما يستعمل في البلد ومسدسات، وطبعاً كانوا يطلقون النار بكثافة، وكانت لديهم ذخيرة، ويمكن أن يكون بعض هذه الأسلحة مهرباً، ولكن ليس هناك مصدر يمكن أن نسميه ممولاً لهؤلاء، أو يقيم الشبهة على وجود جهة ما قد اشتركت في تسليحهم)..

فإذا كان الأمر بعد القضاء على المعتصمين وإعدامهم لم يتأكد بعد من أن جهة وراء تسليحهم، فلماذا سمح فهد وإخوته لأنفسهم بأن يقولوا بأنهم (ممولون) أو أن (الأسلحة سوفياتية والتحريض كذلك) كما قال فهد؟!

وهكذا يتبين أن الادعاءات السعودية حول ارتباط الجماعة بجهات أجنبية ما هي إلا محض افتراء، وهذا ما اعترف به آل سعود أنفسهم في تصريحاتهم المتناقضة.. وبالتالي فلا الاستفهامات حول (جنسية) المهاجمين أفادت في تمرير الأكذوبة، ولا (تسليح وتدريب) الجماعة أقنع أحداً حتى المسئولين أنفسهم..

---

[1] ـ النهار العربي الدولي 23/12/1979م.
[2] ـ السفير 10/1/1980م.

الفصل الرابع

كيف تمت العملية؟

الاعتصام في الحرم: ألفان من المقاتلين الأشداء، يعتصمون في الحرم.. وكان بإمكانهم أن يقضوا على الأسرة الحاكمة ويفنوها عن بكرة أبيها لو أنهم هاجموا القصور، وكان بإمكانهم أيضاً احتلال مبنى الاذاعة والتلفزيــون بسهولة ويسر، مما يتيح لهم شرح وجهات نظرهم للرأي العام.. بل وكان مــن المحتمل جداً أن يجدوا تعاطفاً شديداً من القوات المسلحة، ومن المواطنين، الأمر الذي يجعل من نجاحهم في إسقاط الحكم السعودي شبه أكيد..

معظم الناس كانوا يتصورون أن عملية إسقاط الحكم السعودي ستكون بالسلاح، سواء من الجيش أو من تنظيمات شعبية دينية، ويكون احتلال مبنى الاذاعة والتلفزيون ثم احتلال القصور الملكية وإلقاء القبض على رجال الأسرة الحاكمة.. أول الأعمال، ولم يدر بخلدهم أن تكون العملية في مكة، ومحورها بيت الله الحرام..

لقد كان ذهول الرأي العام راجعاً إلى أمرين:

الأول/ أن العملية كانت مسلحة وقويـة ومنظمـة وموجهـة ضـد الحكـم السعودي، الذي كان الغرب يتصور أنه قوي متين وقائم على أساس شعبي..

والثاني/ كون العملية قد وقعت في بيت الله الحرام، وهو أقدس بقعة على وجه الأرض، ولا شـك أن الأمـر الثـاني فاجـأ العـالم أكـثر.. فهنـاك نسـبة كبيرة لا يفاجئها مواجهة المواطنين للحكـم السـعودي، نظـراً لعلمهـا بفسـاده وضـعفه، ولكـن موقـع العمليـة فاجـأ المجمـوع تقريبـاً، فهـل هنـاك خطـأ فـي الاختيار؟!

صحيفة (السفير) اللبنانية علقت على المؤتمر الصحفي لـوزير الداخليـة (4/12/1979م) بانطباع الرأي العام العربـي والعـالمي فقـالت: (إن السـؤال الرئيسي الذي لم يتوقع أحد الاجابة عليه من جانب وزيـر الداخليـة السـعودي، هو: ماذا كـان هـدف المتمرديـن؟.. ولمـاذا اختـاروا المسـجد الحـرام، وليـس الاذاعة والتلفزيون ـ على سبيل المثال ـ ؟.. وهو ما كـان سـيتيح لهـم إمكانيـة التحدث إلى الشعب وشرح موقفهم، وربما دعوة الشعب إلـى الثـورة.. وهـل كانوا يعتقدون أن احتلال المسجد وحده سيسقط نظـام الحكـم؟.. وأي نظـام حكم ترى كانوا يناضلون من أجله؟، وهل كانت ثمة عمليات تمرد مـن المقـرر أن تتم في مكان آخر غير مكة؟، وهـل تراجـع بعـض الرجـال دون اتمـام هـذه العمليات الأخرى؟)[1]..

---

[1] ـ السفير 6/12/1979م.

لماذا الحرم الملكي وليس غيره قررت الجماعة الاعتصام فيه؟، وهل المسألة لا تتعدى الاعتصام، أم أن القصد كان فعلاً محاربة النظام وقتاله من هناك؟..

حسب المعلومات المتوفرة، فإن العملية كانت اعتصاماً، ومما يعزز هذه المسألة:

1/ أن المعتصمين اصطحبوا نساءهم وأطفالهم وأقرباءهم معهم داخل الحرم، مما يعني أن النية كانت متجهة أساساً للسيطرة على الحرم والبقاء فيه وإعلان مطالبهم.

2/ إن عملية الحرم ـ والتي شدت انتباه الرأي العام ـ استحوذت على النصيب الأكبر من اهتمام الاعلام، بينما كانت في الواقع حلقة من الحلقات العديدة، وقد أغفلت الأعمال الأخرى التي وقعت خارج الحرم، والتي كانت من الناحية السياسية والعسكرية أخطر بكثير مما دار ف ي الحرم.. بمعنى أوضح، كانت عملية الحرم جزءاً مكملاً لمجموعة من الأجزاء التي تهدف في النهاية إسقاط الحكم السعودي..

وقد بدأ للوهلة الأولى أن الجماعة استهدفت باعتصامها في الحرم كسب الشرعية الدينية منه، وذلك بإعلان مطالبهم أمام الحجاج والمصلين في الحرم، وإعلان معارضتهم للمفاسد الحكومية التي تمارسها العائلة الحاكمة.. هذا إضافة إلى طرح شخصية بديلة للحكم السعودي يقبل بها المسلمون، هذه الشخصية كانت (محمد بن عبد الله القحطاني) الذي عرف بالمهدي.

3/ أن التخطيط للعملية يوضح وحسب ما ذكرته الصحف ووكالات الانباء ـ انه يهدف للبقاء طويلاً داخل الحرم، وقد هيأت الجماعة لنفسها كميات كبيرة من الغذاء.

ويرد على هذا القول، بالسؤال التالي: إذا كان أفراد الجماعة ينوون الاعتصام، فلماذا حملوا السلاح معهم ودخلوا به في الحرم؟!، إن الأمر يوضح وكأن الجماعة كانت تنوي فعلاً القتال داخل الحرم!

ولتوضيح المسألة نورد النقاط التالية:

أولاً: من الأمور المؤكدة أن أفراد الجماعة أدخلوا السلاح معهم إلى الحرم، إضافة إلى الذخيرة والمواد الغذائية التي أهمها التمور.

ثانياً: أن حمل السلاح يعبر عن عدم ثقة بالسلطة الحاكمة، وتشير كراسات المرحوم جهيمان إلى عدم الثقة هذه في الكثير من المواقع.. ولا شك أن أفراد الجماعة كانوا يتوقعون ـ بنسبة معينة ــ أن القوات الحكومية ستهاجمهم وتقتلهم للتغطية على مطالبهم تحت أي ذريعة.. وجاء التحسب إلى هذا الأمر أن يدافعوا عن أنفسهم بسلاح يكون متواجداً تحت أيديهم.. خاصة وأنهم كانوا يرون أنهم سيحرجون السلطة التي تدعي الاسلام، إذا ما قاتلتهم فيه..

ثالثاً: بات في حكم المؤكد أن القوات الحكومية، وبأمر أمراء الأسرة الحاكمة، هي التي بدأت بالقتال بحجة تحرير الرهائن الذين قبض عليهم، وقد تبين أن لا رهائن عند المعتصمين، وهذا ما اعترف به وزير الداخلية بعدئذ..

والقول أن المعتصمين هم الذين بدأوا القتال أمر يحتاج إلى دليل، فهم اعتصموا في الحرم وأغلقوا الأبواب واستعدوا للدفاع.. وكان بإمكان الأسرة

الحاكمة تجنب القتال لو أرادت ذلك، ولكنها استقدمت قواتها وخبراءها الأجانب، إضافة إلى دباباتها وطائراتها وهاجمتهم، فدافعوا عن أنفسهم وفقاً لقوله تعالى: **(ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم)..**

كل هذا يشير إلى أن الجماعة كانت تريد تجنب القتال في الحرم، رغم أنها قامت بأعمال عسكرية في خارجه أيضاً.. ومن الطبيعي أن لا يبدأوا القتال، لأن في ذلك مخالفة واضحة للشرع، بعكس أمراء الأسرة الحاكمة، الذين عجلوا بالمواجهة العسكرية أصلاً في تغطية سريعة للأحداث والمطالب السياسية والدينية التي طرحتها الجماعة.

كيف تم الاعتصام؟

قبيل انبلاج الضوء الأول من صباح يوم الثلاثاء (1/1/1400هـ)، كانت أعداد كثيرة من السيارات تنزل ركابها في الشارع المحيط بالمسجد الحرام، واتجه مئات من الرجاء والنساء والأطفال ـ يزيدون عن (1000) شخص ـ نحو البيت العتيق، وهم يهتفون بنداء (الله أكبر.. الله أكبر)، ودخلوا المسجد الذي كان ممتلئاً بالمصلين والحجاج، وسيطروا على أبواب الحرم وأغلقوها، ثم سيطروا على مكبرات الصوت وإذاعة الحرم، ف ي الوقت الذي انتهت فيه صلاة الجماعة التي تمت بإمامة أحد مشايخ السلطة وهو الشيخ محمد بن سبيل..

بعدها خطب أحد المعتصمين في المصلين (ويقال أنه جهيمان نفسه) وأعلن لهم رفضه للحكم السعودي لأنه قائم على غير هدي من الشرع، موضحاً ذلك بالأدلة الشرعية، واستنكر الفساد الأخلاقي والاجتماعي المنتشر بتساهل من الحكومة والأمراء، كما أدان عدداً من الأمراء، وشدد في هجومه على أمير مكة فواز بن عبد العزيز والذي أقيل بعد الانتفاضة، متهماً إياه بالفساد والانحراف والتجاهر بالفسق، وتساءل كيف يجوز لمثل هذا الشخص أن يتولى أقدس مقدسات المسلمين؟!

وقد أوضح الخطاب أهداف الجماعة وأفكارها ومآخذها على الملوك والأمراء السعوديين، وقد دار مجمل الخطاب حول:

1/ إنهاء الحكم الملكي السعودي، وأن لا بيعة للأمراء السعوديين لأن بيعتهم وحكمهم قائم على الجبر والقهر، وأنهم في مسلكهم لا يلتزمون بالدين بل يهدمونه.

2/ المطالبة بقطع الروابط مع حكومات (النصارى) وخصوصاً الولايات المتحدة الأميركية، وإخراج الأجانب (النصارى) من مدرسين وأساتذة، وخبراء عسكريين، ومستشارين وجواسيس.

3/ القضاء على الفساد والانحراف في المجتمع، والتشدد في تطبيق الأحكام الشرعية، وإدانة النظام الحاكم على إهماله لها..

وفي ختام الخطاب، قدم جهيمان، محمد بن عبد الله القحطاني، على أساس أنه "المهدي" وإمام للمسلمين، موضحاً الصفات التي تدل عليه.. وطالب المصلين التعرف عليه ومبايعته إن شاؤوا، وقد بايعه جميع أفراد الجماعة الذين قدموا من دول مختلفة، ومن مناطق مختلفة في البلاد..

بعد هذا وزعت الأسلحة التي كانت مخزنة في (قبو) المسجد، واتخذ المدافعون مواقعهم في منارات الحرم ومآذنه الضاربة الارتفاع في أجواء مكة، وذلك استعداداً لما قد تقوم به السلطات السعودية، التي وصلتها الأنباء بعد ثلاث ساعات من العملية.

كيف أدخلت الأسلحة إلى الحرم؟

في الثلاثة أيام الأولى من العملية، كانت المعلومات المتوفرة لدى رجال الصحافة والاعلام، هي أن الأسلحة أدخلت في (نعوش) لكي لا ينكشف الأمر.. ويبدو من تتبع مسار المعلومات هذه أنها أخذت من مصادر سعودية علياً.. مع ملاحظة أن الأوضاع لم تعرف بعد، فلا الهويات ولا الجنسيات، ولا العدد، ولا نوعية السلاح، كل هذا لم يكن معلوماً، فكيف اهتدت السلطة إلى ما هو أصعب من ذلك، وهو طريقة إدخال السلاح؟!

فقد نقل عن الوفد السعودي المرافق لفهد في مؤتمر القمة في تونس هذه المعلومة، وروجت على نطاق واسع في الثلاثة أيام الأولى.. وأشارت الصحافة العربية إلى: (معلومات وردت من تونس حيث يوجد ولي العهد السعودي الأمير فهد ـ قبل أن يصبح ملكاً ـ لحضور القمة العربية، أن الأسلحة أدخلت في ثلاثة نعوش، وهي مكونة من رشاشات ومسدسات)[1]..

وإذا كان ما قاله فهد أو حاشيته صحيحاً، فلماذا لم يعلن وزير الداخلية ـ وهو القريب من الأحداث ـ ذلك؟، ولماذا تجاهلته بيانات الوزارة المتكررة والكثيرة؟!

الطريف أن فهد، غير الرواية السابقة التي اخذتها عنه وكالات الأنباء والصحف، فقال بعد أن شارفت الأحداث على نهايتها ـ أو انتهت بالفعل ـ قال في مقابلة له مع جريدة (السفير) البيروتية: (حول السلاح لابد من الاشارة إلى أن كل بيت في السعودية ـ في البادية أو في الحاضرة ـ يمتلك السلاح، هذه طبيعتنا من الأصل، أما الجديد في الأمر كونهم قد دخلوا بأسلحة خبئوها في عباءاتهم، أو دفعوا مبلغاً من المال لأحد البوابين في المسجد الحرام ـ 40 ألف ريال ـ فساعدهم على إدخال الذخيرة والأسلحة، هذا هو الشيء المفاجيء الذي حدث)[2]..

ويلاحظ أن قضية (النعوش) مختلقة، كما هي مسألة الرشوة (40 ألف ريال) التي زعمها فهد، وهو يعلم أن المرتشين هم بطانته وأفراد أسرته، وأن أفراد الجماعة ما قاموا بما قاموا إلا من أجل القضاء على الرشوة وإضرابها..

(النعوش) لم يذكرها فهد ولم يذكرها بعدئذ أحد من المسئولين، والرشوة لم يكررها أحد، حتى نايف الذي نشرت له (السفير) مقابلة في اليوم التالي (10/1/1980)، لم يتحدث فيها عن شيء من هذا القبيل، بل قال: (لقد أدخلت سيارتان إلى القبو، واحدة كانت تحمل تمراً والأخرى كانت تنقل نساءاً للمساعدة في إخفاء الذخيرة وحوالي "10" قطع سلاح)!!

الآن أصبح دخول الأسلحة بالسيارات إلى القبو التابع للمسجد، فلماذا كان الحديث عن العباءات؟، وهل صحيح أن ما أدخل لا يتعدى عشر قطع سلاح، كما قال نايف؟!.. إنها نكتة لا أحد يصدقها..

---

[1] ـ السفير 22/11/1979م.

[2] ـ السفير 9/1/1980م.

نعم.. أدخلت الأسلحة إلى القبو وبالسيارات، ولكن لا أحد يعلم بالضبط عدد السيارات، ولا مقدار الذخيرة، ولا عدد قطع السلاح.. والدلائل تشير إلى أن الأسلحة استخرجت من القبو ووزعت على أفراد الجماعة، ولم يكن الأفراد يحملون السلاح أثناء دخولهم، ولربما كانت بعض المسدسات قد أدخلت مع قلة من الأفراد نظراً لصغر حجمها، ولربما أدخلت بعض الذخيرة من الأبواب.. لكن المجموع الكلي للسلاح والذخيرة قد أدخل من القبو.. وكان من السهل انكشاف الأفراد لو أن ما قاله وزير الداخلية صحيحاً أن كل فرد أدخل قطعة أو قطعتين من السلاح معه..

يقول نايف: (وقد دخل غالبية هؤلاء الخوارج إلى الحرم بقطعة أو قطعتي سلاح، مثل بندقية ومسدس، أو ما يماثلهما، مما يمكن إخفاؤه بسهولة، ودخلت الذخيرة بسيارة من مدخل مفتوح بدون حتى بوابة، ويقود إلى الأقبية، وكان ذلك قبل صلاة الفجر، إلى مكان ليس فيه أي شخص، وليست عليه حراسة، ويمكن أن تدخل هذه السيارة مع سيارات المقاول المسئول عن إصلاحات مبنى الحرم، وقد اتضح أن بعض من لهم علاقة بأبواب الحرم قد ساعدهم في تسهيل الدخول، كما وجدت بعض الذخيرة وقطع السلاح القليلة في بعض سياراتهم التي كانت موجودة قرب الحرم)[1]..

والأمر الآخر الذي لم تشر إليه تصريحات الأمراء الحاكمين يتعلق بالأوضاع خارج المسجد الحرام، فقد أكد عدد من الحجاج أن الأسلحة كانت توزع في خارج المسجد، ولدرجة أن البعض تصور أن الأسلحة التي أدخلت بعد السيطرة على المسجد الحرام، أكثر بكثير مما أدخل سابقاً، وقد يكون هذا الكلام صحيحاً، مع أن السلطات لم تشر إلى الموضوع رغم أهميته.. فقد ذكرت صحيفة (الرأي العام) الكويتية في اليوم الرابع للعملية على لسان الحجاج: (أنهم شاهدوا عدة عربات في الخارج وهي تحمل رجالاً يسلمون أسلحة وذخائر إلى المزيد من الهاجمين)[2]..

والجدير بالذكر أن الصحف الكويتية نشرت بتاريخ (28/11/1979م) خبراً مفاده، أن السلطات السعودية الحاكمة اكتشفت مخابيء تحوي كميات كبيرة من الأسلحة في مختلف أنحاء مكة المكرمة والمدينة المنورة..

وأشارت جريدة الأهرام المصرية، والدستور الأردنية، إلى معلومات وردت من مصادر مطلعة في باريس مفادها أن: (المسلحين تزودوا بسبع سيارات نقل محملة بالأسلحة، واثنتين أخريين مملوءتين بالتمر، حتى يصمدوا في المسجد أمام أي حصار طويل) وأن المجموعة: (مزودة على ما يبدو ــ ليس فقط بالمعدات والأغذية ـ ولكن أيضاً بأقنعة واقية من الغاز)، وأن (حصول المتمردين على أقنعة واقية من الغاز ـ إذا كان صحيحاً ـ فإن له دلالات أخرى، فهو يثبت بوجه خاص، أن الذي فكر في الاعداد للهجوم جماعة مدربة عسكرياً، ومعدة إعداداً جيداً.. لأنه إذا كان من السهل الحصول على المدافع الرشاشة والمسدسات التي تتواجد في كل مكان، فإن أقنعة الغاز لا توجد معروضة في الأسواق، الأمر الذي يدفع إلى التفكير في أن هذه الأقنعة قد تم

---

[1] ـ الأنوار اللبنانية 16/1/1980م.
[2] ـ الرأي العام 23/11/1979م، وكذلك السياسية الكويتية 22/11/1979م.

استيرادها برغم المراقبة المشددة التي تقوم بها السلطات السعودية في المطارات والموانيء)[1]..

والأقرب إلى التفكير من الاستيراد هو أن المهاجمين حصلوا على الأقنعة من مخازن الجيش السعودي أو الحرس الوطني، فهذه الأقنعة التي لا تتوفر إلا لدى الجيوش النظامية، والتي يستفاد منها في مواجهة الغاز المسيل للدموع، والقنابل الحارقة للأوكسجين، يمكن الحصول عليها من الداخل (من مخازن القوات المسلحة) بأسهل من تهريبها من الخارج..

ومنذ بداية الالتحام بالقوات الحكومية، خرجت وكالات الأنباء والصحف، بانطباع مفاده، أن المعتصمين ماهرون في الرمي، وأنهم مدربون تدريباً حسناً، لدرجة ان جريدة القبس الكويتية نقلت عن صحيفة نيويورك تايمز، قول مسئول سعودي كبير، أن أفراد الجماعة (مدربون على أحدث أساليب حرب العصابات)[2].. وهذا ما دعا الصحف إلى التساؤل عن الجهة التي قامت بتدريب الجماعة، مما حدا بصحيفة الدستور الأردنية أن تقول: (إن علامة الاستفهام الكبرى المرتسمة الآن في السعودية، والتي يتركز التحقيق مع المعتقلين حولها، هي: من أين حصل أفراد هذه الجماعة على الأسلحة والتدريب على استخدامها؟)[3]..

وكرر سليم اللوزي نفس التساؤل في مجلته (الحوادث) قائلاً: (والأسئلة التي يطرحها المسئولون عن الأمن في السعودية لا تتعلق بهويات هؤلاء الأشخاص، بقدر ما تتعلق بالجهة التي دربتهم، أو استخدمتهم، أو أمنت لهم السلاح)[4]..

جزء من العمليات:

أشرنا في الصفحات السابقة إلى أن عملية الحرم كانت جزءاً من العمليات التي تهدف بالنتيجة إلى إسقاط الحكم السعودي.. وقد شملت العمليات مختلف المناطق والمدن في البلاد.. كما بينت ردود الفعل السعودية على الحدث بما يفيد اتساعه وشموليته.. وهذا إضافة إلى أن المصادر المخابراتية الغربية أشارت إلى أن حادثة الحرم ما هي إلا رأس حربة لانقلاب كان على وشك القضاء على الأسرة الحاكمة.

فمجلة النيوزويك أشارت إلى العملية على أنها كانت: (عملية انقلاب كاد أن ينجح)[5].. وصحيفة اللوموند الفرنسية أشارت إلى (أن حادث مكة كان دون شك محاولة تستهدف تغيير النظام)[6]..

وفي العموم، هناك شبه اتفاق على أن حادثة الحرم لم تكن منفصلة عن الحوادث الأخرى التي وقعت في البلاد في نفس الفترة.. ومما يعزز هذا القول:

---

[1] ـ الدستور والأهرام المصرية 30/11/1979م.
[2] ـ القبس 18/12/1979م.
[3] ـ الدستور 30/11/1979م.
[4] ـ الحوادث 7/12/1979م.
[5] ـ نيوزويك 17/12/1979م.
[6] ـ اللوموند 3/12/1979م.

أولا: أن ردود فعل النظام على عملية الحـرم كـانت شـاملة، فـإذا كـان الحـادث وقـع فـي مكـة، وليـس لـه ربـط بالمنـاطق الأخـرى، فلمـاذا إقفـال المطارات، وتعطيل الاتصالات وفرض حظر التجول، في عدد من المدن، وغير ذلك من الإجراءات!؟..

ثـانياً: أفادت مصـادر وثيقـة الاطلاع، أن السـلطات السـعودية اعتقلـت مئات من أفراد الجماعة والمتعاطفين معهـم، مـن الأحسـاء وتبـوك والريـاض والقصيم وغيرها، إضـافة إلـى مكـة والمدينـة وجـدة والطـائف.. وتـدل حملـة الاعتقالات المكثفة على أعمـال وقعـت فـي بعـض هـذه المـدن، كتبـوك مثلاً، وليس على اكتشاف لخلايا الجماعة وأفرادها.

ثالثاً: أفادت الحكومة والمصادر الاعلاميـة الغربيـة، أن مخـابيء عديـدة للسـلاح اكتشـفت فـي عـدة مـدن، إضـافة إلـى منـاطق متفرقـة مـن مكـة المكرمة.. ويدل توزيع السلاح على خطة معينة لإسقاط الحكم السعودي، نفذ جزء منها، واعتور أجزاء أخرى النقص، مما سبب عدم التنفيذ.

رابعاً: لقد أعلن في الصحف عن حدوث عدة وقائع في عـدة مـدن فـي البلاد، منها مهاجمـة القصـور الملكيـة فـي الريـاض، وأن قنبلـة انفجـرت فـي القصر الملكي، وأن أحداثاً وتوترات وقعت في اليوم الثاني للعملية في مدينة الرياض.. كما نشبت اشـتباكات فـي الطـائف بيـن القـوات الحكوميـة وأفـراد الجماعة، احتل بعدها مطار الجوية.. وأفادت مصادر أخرى أن الجماعة حاولت السيطرة على إذاعة القرآن الكريم واحتلال قصر الإمـارة فـي مكـة.. إضـافة إلى التحرك الذي وقع في قاعدة تبوك والذي كان بمثابة تمرد، وقد نقل شاهد عيان كان من بين المعتقلين بتهمة الانتمـاء للجماعـة أنـه نقـل مـع مئـات مـن الشباب الملتحين من تبوك إلى جدة، ويعتقد أنهـم كـانوا جنـوداً وضـباطاً مـن أفراد القاعدة التي وقع فيها التمرد.. الخ.

خامساً: اعترفت السلطات السعودية بأن محاولة فاشلة للسيطرة على المســجد النبــوي فــي المدينــة المنــورة قــد وقعــت فــي ذات اليــوم (20/11/1979م)، قام بها أفراد من الجماعة.

سادساً: وتناقلت وكـالات الأنبـاء خـبراً مفـاده أن الجماعـة كـانت تتوقـع وجود الملك في الحرم، وأنها كانت ستلقي القبض عليه.. وإن كان هـذا الخـبر مشكوك فيه..

القبض على الملك خالد:

لا يعلم حتى الآن من الذي روج للخبر الذي يقول بالقاء القبض على الملك خالد داخل الحرم.. رغم تصورنا أن المسـألة مفتعلـة مـن الأسـاس.. وهنـا لا بأس بالإشارة إلى بعض الملاحظات حول هذه النقطة بالذات:

الأولى: أن الجماعة كان يمكن لها أن تصل إلى الملك نفســه، دون أن يكون هناك تخبط في التوقيت في أن يكـون الملـك حاضـراً فـ ي الحـرم أم لا، وفي مكان غير الحرم.

ولو أنها كانت تخطط للوصول إليه وقتله، ولو أن العملية كانت تهدف مجرد قتل الملك، فإن من الأمور شبه المؤكدة أن الجماعة كان بإمكانها الوصول إليه عبر طرق مختلفة.

الثانية: ليس من عادة الملك أو الأمراء الحضور إلى المسجد الحرام فجراً، فهم قد تعودوا على الحضور نهاراً، ثم تخرج القوات الحكومية الحجاج لا فساح المجال لهم، ولكي تأخذ أجهزة التصوير السينمائية دورتها على أصحاب اللحى و (العقل)!، مع ملاحظة أن الأمراء والملك قليلاً ما يحضرون.. ثم إن الملك يوم وقوع الحادث كان نائماً في الرياض، ولا نعتقد أن حسابات الجماعة كانت بمثل هذه السذاجة.. بيد أن التصور المنطقي أن الاعلام الموالي للحكم السعودي أراد أن يوضح للرأي العام بأن الملوك والأمراء السعوديين ملازمون للحرم ويشتغلون بالصلاة فيه على الدوام، وهو ما لا يفعله أي منهم في الواقع.

الثالثة: أن من بين الأمور التي ساعدت على ترويج مثل هذا الخبر، هو وجود رؤوس الحكم الأقوياء خارج البلاد، فولي العهد السابق ــ فهد ــ كان يحضر مؤتمر القمة العربية في تونس أثناء وقوع الحادثة، وولي العهد الحالي ـ عبد الله ـ ورئيس الحرس الوطني، كان يقضي اجازته السنوية في مصيفة المفضل (كازابلانكا)!، أما الملك خالد فهو ضعيف لا دور له ــ من الناحية العملية ـ، الأمر الذي أعطى الانطباع لدى المتابعين أنه بالقاء القبض على الملك خالد سينتهي كل شيء، ومن ثم جاءت صياغة الخبر بالطريقة المعلومة، وأضاف مروجو الخبر أن الملك أصيب بوعكة منعته من الحضور إلى المسجد الحرام، فأفسدت خطة المهاجمين.

وأخيراً، فرغم أن مسألة إلقاء القبض على الملك قد تكون محتملة ومخطط لها من بين الأهداف، إلا أن الشكوك في الأمر لازالت قوية، وتمنع الأخذ بها.. خاصة وأن الأمراء الحاكمين ــ وبعد أن اتضح أن مسير الرواية لا يخدمهم ـ نفوها بكلمات وتجاهلوها، حتى أن نايف ـ وزير القمع ــ وبعد شهر ونصف من الحادث، أي بعد انتهائه قال مجيباً على سؤال طرحته جريدة السفير عليه يتعلق بخطف الملك: (هذه أول مرة أسمع فيها مثل هذا الكلام، لكن هذا غير صحيح بكل الأحوال)[1]، فتصور ــ صديقي القاريء ــ أن العالم يتناقل الخبر، وينتشر كالنار في الهشيم مدة لا تقل عن شهر، وتنشره وكالات الأنباء والصحف العربية والأجنبية، ثم يأتي الوزير الأمير ليقول بأنه ــ ولأول مرة ـ يسمع فيها أن هناك أمراً يتعلق باختطاف الملك!.

الفصل الخامس

الأمراء الرهائن!

لم يكن هناك رهائن..

هذه خلاصة الموضوع الذي كثر اللغط حوله.. وهذه الحقيقة جاءت في آخر قائمة الاعترافات السعودية..

هل كانت هناك رهائن بيد المعتصمين؟..

---

[1] ـ السفير 10/1/1980م.

ليس هناك رهائن سوى الأمراء الحاكمون أنفسهم، فقد كانوا طيلة أيام العملية يعيشون حياة أشبه ما تكون بحياة الرهائن، وسوى ذلك.. لم يكن إلا خيال محض..

الأمر الحاكمون هم الرهائن الوحيدون.. الاعلام حاصرهم، وجهيمان كشفهم على حقيقتهم، وأبان للعالم ضعفهم.. وتصريحاتهم خرجت عن إطار المعقول، وكانت مليئة بالكذب.. لم يستطيعوا إقناع العالم بالروايات المتعددة والمتناقضة التي يخترعونها كل يوم..

والعمل العسكري المرافق للتمرد الواسع، جعلهم يخافون على حياتهم، وكان الكثير يتصور أن أيامهم معدودات.. الجيش والحرس خذلهم والأميركان ـ أصدقائهم ـ هم أول من أنبأ العالم عن العملية، وكانوا في طليعة المروجين للأخبار والتكهنات التي جاءت في معظمها خلاف الروايات الحكومية.. والاعلام الحكومي كان مقصراً.. والاجراءات التي اتخذت كانت فجة، وجاءت بعكس النتائج المتوخاة..

والسؤال.. من الذي اخترع بدعة (الرهائن)؟.. ولماذا؟

البدعة كانت صناعة سعودية حكومية (100%)، وهي من اخطر البدع التي اطلقها آل سعود إبان الحادثة الخطيرة، لأن الهدف الأساسي منها كان ـــ في البداية ـ هو تأمين المظلة الشرعية لاستخدام السلاح والحسم العسكري ضد المعتصمين في الحرم، فما دام هناك رهائن، وما دامت حكومة (حامي الحرمين) مسئولة عن أرواح الناس، فإن السبيل الذي تسلكه سيكون شرعياً إذا ما اتخذت أي إجراءات قمعية، وبدأت بقتال أفراد الجماعة، من أجل تأمين إطلاق سراح الرهائن..

وبعد أن تأخر الحسم العسكري، أراد الأمراء الحاكمون، أن يجعلوا من قضية الرهائن ـ المصطنعة ـ المشجب الذي يعلقون عليه سوءاتهم وضعفهم.. فتأخير الحسم كما ادعى آل سعود، كان بسبب وجود رهائن، وأنهم كانوا حريصين على أرواحهم، مما استدعى مراعاة بعض الأمور التي أدت بالنتيجة إلى تأخر الحسم العسكري.

في البيان الأول لوزارة الداخلية، يتوضح أن هناك نية سعودية مبيتة لمهاجمة المعتصين، بحجة إطلاق سراح الرهائن، وقد ألمح البيان إلى وجود رهائن بقوله: (وقد قامت السلطات المختصة باتخاذ كافة التدابير للسيطرة على الموقف، وبناءاً على فتوى من العلماء جميعاً، اتخذت الاجراءات لحماية أرواح المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام)[1].. ولا شك أن القاريء يلاحظ من صياغة البيان أن التدابير السعودية ما هي إلا الاعداد للهجوم العسكري قبل محاولة فض الخلاف مع الجماعة (سلماً)، لأن آل سعود تعودوا على حل الأمور بمنطق السيف والعنف..

ومن جهة أخرى يلاحظ أن هناك إضفاءاً شرعياً على التدابير العسكرية، منها: (فتوى العلماء جميعاً)، رغم أنه لم توجد حتى ذلك الحين أي فتوى من العلماء جميعهم أو قليلهم، ومنها: (حماية أرواح المسلمين) وهي حجة واهية، تبين أن آل سعود هم وراء الاشاعة القائلة بوجود رهائن بين المعتصمين.

---

[1] ـ بيان وزارة الداخلية الصادر بتاريخ 21/11/1979م.

والسؤال الذي ما فتيء يتكرر: ألم يكن بمقدور آل سعود التأني في مهاجمة الحرم بالدبابات والطائرات؟.. ألم يكن بمقدورهم فرض الحصار على المسجد من بعيد حتى ينتهي زاد وذخيرة المعتصمين؟.. ربما يقول آل سعود أنهم كانوا في موقف المدافع عن أرواح الناس.. ولكن تبين بعدئذ أن لا وجود لأي رهينة، فلماذا بدأوا بالقتال؟!.. إذ ليس من المعقول أن يقاتل أفراد الجماعة عدواً غير متواجد على أرض المعركة وقريباً من المسجد الحرام.. ولو لم تكن القوات السعودية متواجدة للقتال، ماذا عسى ان تفعل الجماعة؟.. المتوقع أنها ستنتظر وتنتظر إلى أن ينتهي الزاد ثم تخرج، أو تفضي الأمور إلى حلول أخرى قد تكون عسكرية ولكن ليس في الحرم..

لكن آل سعود أبوا إلا القتال، وجهزوا قائمة من الذرائع، بعضها فتاوى (جاءت متأخرة)، وبعضها إشاعات عن وجود رهائن، وكل ذلك أملا في إنهاء الموقف وحسمه بالسرعة التي تطمس أخبار المعتصمين وهوياتهم وأهدافهم..

والجماعة أكدت مراراً أنها لا تنوي القتال في الحرم، وأنها حملت السلاح لتدافع عن نفسها، وقد اعترف نايف بعد انتهاء العملية أن أفراد الجماعة قالوا: بأنهم لم يقصدوا القتال في الحرم: (وقد قالوا أنهم ما قصدوا أن يقاتلوا، ولكنهم حملوا السلاح دفاعاً عن أنفسهم، لكن التحقيق أثبت كذب ادعاءاتهم هذه، والحقيقة أنهم قالوا لمن معهم: اذهبوا إلى هناك وقاتلوا وأطلقوا النار، لأن البيعة لن تتم بمجرد هز الرؤوس، بل باستعمال الرشاشات)[1]..

هذا ما قاله نايف.. وإننا من جانبنا لم نعهد أن أفراد الجماعة يقولون كذباً، فهم متشددون حتى في المستحبات، فكيف بهم يفعلون المحرمات الصريحة الواضحة؟!.. ولكن الكذب كما تبين للقاريء هو ديدن آل سعود، الذين يكذبون، ويكذبون، ويكذبون، من أجل أن يصدقهم الناس..

إن مسألة (كذب) ادعاءات الجماعة حول أنهم (ما قصدوا أن يقاتلوا، ولكنهم حملوا السلاح دفاعاً عن أنفسهم) لا تحتاج إلى تحقيق حتى يثبت كذبها من عدمه.. فمن الذي جاءهم في الحرم وقاتلهم فيه؟!، ومن الذي دك الحرم ومآذنه بالمدافع والطائرات؟!، ولو أن الجماعة كانت تقصد فعلاً القتال، لاختارت مكاناً آخر غير الحرم.. فقد كان بإمكانها مهاجمة ثكنات عسكرية، أو غير ذلك.. وفوق ذلك، كان من الممكن أن يؤخذ قول نايف على جانب من محمل الجد، لو أنه أثبت بأن الرهائن كانوا موجودين وقتلوهم، أو أن البيعة كانت تحت وطأة السلاح.. أو لو أن نايف أثبت أن هناك قتالاً قد تم قبل وصول القوات الحكومية وابتدائها بالقتال.. أما أن يهاجموا ويقتلوا ويؤسر بعضهم، ثم يقول بأن التحقيق أثبت أن حملهم للسلاح ليس من أجل الدفاع عن النفس!!

والآن لنعد إلى ما قاله المسئولون السعوديون حول الرهائن المزعومين..

في اليوم التالي للعملية ذكرت صحيفة (القبس) الكويتية على لسان أحد أعضاء الوفد السعودي في تونس، ويعتقد أنه (فهد) نفسه، بأن (اختطاف الرهائن هو من تدبير المرتزقة)[2].. وفي نفس اليوم الثاني للعملية قال وزير

---

[1] ـ السفير 20/1/1980م.

[2] ـ القبس 21/11/1979م.

الخارجية: (ويوم أمس ـ أي في يوم العملية 20/11/1979م ـ تمت السيطرة على الموقف وفق إجراءات الحكومة التي قررتها سلفاً، حيث خرج المصلون بطريقة رتبتها وزارة الداخلية، ولم يبق إلا في حدود ثلاثين شخصاً يجري الآن تأمين سلامتهم)[1].. ويلاحظ أن وزير الخارجية حاول القول بطريقة "ما" أنه لا وجود لرهائن كثيرين، إذ أن من المتوقع أن رد الفعل الاسلامي سيكون شديداً، وسيثير زوبعة خارجية لن تكون محصلتها في صالح الحكم السعودي، وسيتساءل المسلمون عن مصير أهاليهم الحجاج، وعن التقصير السعودي في الحفاظ على أرواحهم..

المسألة الثانية التي تؤخذ على التصريح، هو القول بأن المصلين خرجوا من الحرم وفق ترتيبات أعدتها وزارة الداخلية (سلفاً) وفي اليوم الأول من العملية.. وفي هذا إيحاء بكفاءة الأجهزة السعودية وحرصها على أرواح الحجاج والمصلين، مع أن الوقائع كلها تشير إلى أن المصلين خرجوا قبل وبعد وصول القوات الحكومية بسهولة ويسر، ودون تعرض من أفراد الجماعة، وبدون أي مساعدة حكومية مهما قل شأنها، وقد كذبت تصريحات الحجاج الذين كانوا متواجدين في الحرم ادعاءات وزير الخارجية هذه..

والمسألة الثالثة التي تؤخذ على التصريح، هو أن الوزير حدد عدد الرهائن الموجودين بثلاثين شخصاً، ولا ندري من أين جاء بالرقم المفتعل هذا؟.. خاصة وأن المسئولين السعوديين ناقضوه أكثر من مرة، إضافة إلى أن المسئولين انفسهم لم يكونوا حتى تاريخ التصريح يعرفون هوية الثائرين ولا عددهم، فكيف عرف عدد الرهائن!؟

والمسألة الرابعة التي تبطل ادعاء آل سعود حول الرهائن، هو عدد الرهائن أنفسهم، إذ لو أن المعتصمين قرروا الاحتفاظ برهائن، لكان بإمكانهم أسر ما لا يقل عن عشرة آلاف شخص وحشرهم في الأقبية، وهذا الرقم هو أقل من (عشر) المصلين المتواجدين آنذاك في الحرم.. فلماذا قرر المعتصمون الاحتفاظ بثلاثين رهينة ـ كما يدعي آل سعود ـ؟!.

وفي ذات اليوم الذي نشر فيه تصريح الوزير ـ الآنف الذكر ـ نشرت إحدى الصحف اللبنانية خبراً نقل عن مسؤول سعودي في تونس قوله: (إن المهاجمين كانوا لا يزالون يحتفظون حتى ساعة متأخرة من ليل أمس ـ 21/11/1979م ـ بنحو مائة رهينة)[2].. بعدها عزف وزير الداخلية على أرواح الأبرياء قائلاً: (من منطلق الحرص على أرواح الأبرياء الذين لا يزالون متواجدين داخل بيت الله الحرام، فإن قيادة قوى الأمن تحاول قدر الامكان تجنب أي عمل قد يؤدي إلى الاضرار بالمسلمين)[3].. والطريف أن راديو الرياض ناقض أقوال مسئولية، فأعلن في اليوم الثاني (21/11/1979م) أن المسجد الحرام قد أخلي من الحجاج والمصلين، أي أن الرهائن حرروا.. لكن وزير الاعلام قال في اليوم التالي (22/11/1979م) ان الرهائن لازالوا موجودين، وكرر قول وزير الداخلية من أن: (جهة الأمن المختصة كانت حريصة أن تعالج هذا الموضوع بكل حكمة، وبكل تحسب لأرواح الأبرياء الذين لا ذنب لهم في هذه القضية).

---

[1] ـ الرياض 22/11/1979م.

[2] ـ النهار 22/11/1979.

[3] ـ الجزيرة السعودية 22/11/1979م.

وعاد التخبط مرة أخرى حول مصير الرهائن، فقد صرح مصدر سعودي في نفس اليوم الذي صرح فيه وزير الاعلام، بكلام قال فيه أن الرهائن حرروا جميعاً وأطلق سراحهم..

في اليوم التالي (23/11/1979م) نشرت الصحف الكويتية خبراً مفاده (أنه تم تحرير الرهائن الذين كانوا في المسجد الحرام).. وبعد ثلاثة أيام، قالت صحيفة المدينة السعودية: (قام رجال الأمن بإخراج جميع الرهائن المحتجزين)[1].. غير أن المسئولين السعوديين لم يثبتوا على قول، وكذلك صحافتهم، فراحوا يعزفون من جديد على وتر الرهائن، فصحيفة تقول (حرروا) وأخرى تقول: (يوجد رهائن)، وثالثة تنفي، ورابعة تؤكد.. الخ.. والعجيب أن المسئولين السعوديين لم يستقروا على رأي حتى بعد انتهاء الأحداث وإعدام الوجبة الأولى من الأسرى.. فهل يفسر هذا بغير الأكاذيب؟، وأن الرهائن كانوا محض اختلاق؟.

بقيت نقطة أخرى حول القضية، فقد أشارت بعض الصحف نقلاً عن وكالات الأنباء: (أن عائلة الشيخ أحمد زكي يماني، وزير البترول والثروة المعدنية السعودي "السابق"، هي من بين الرهائن الذين احتجزهم المسلحون داخل الحرم، وأن هذا هو احد الأسباب التي منعت الحكومة السعودية من اقتحام مناطق يحتلها المسلحون داخل المسجد، وعلم أن عائلات عدد من المسئولين السعوديين الآخرين هي أيضاً داخل المسجد، لكن لم يكن في وسع هذه الأنباء تحديد هويات هذه العائلات)[2]..

إن هذا الخبر هو أيضاً من ضمن الافتراءات والأكاذيب، وقد يكون شبيهاً في أوجه معينة مع مسألة تواجد الملك خالد في الحرم يوم وقوع العملية.. فعائلات المسئولين لا تزور المسجد، لا فجراً ولا ليلاً أو نهاراً، فالحرم ليس مكانهم.. مكانهم الحقيقي هو القصور العامرة بالفجور، وترددهم ليس على المساجد وإنما على مصايفد العالم في (نيس أو هاواي أو ماربيا أو لندن) أو غيرها، فهذه الأماكن تشهد بوجود عوائل المسئولين السعوديين وفي مقدمة قائمتهم عوائل الأسرة الحاكمة، شهوراً عديدة كل عام..

ولعل إقحام عائلة اليماني في الواجهة، ترجع إلى تخوف غربي على مصيره ومصير عائلته، لأنه رجلهم القوي، وسندهم والمدافع عن مصالحهم.. وربما تصورت الأجهزة الغربية، أن الجماعة ــ وبحكم كونها شديدة العداء للغرب ـ ستضرب أهم رؤوس المدافعين عنه، وفي مقدمتهم اليماني، صديق الغرب الحميم.. أو أنها كانت تريد الاستفادة من الحديث في تلميع الوجوه المتغربة، بإبرازها في مقدمة القائمة التي تريد الجماعة القضاء عليها.. ومادامت الجماعة ـ حسب التعريفات السعودية ـ (خارجة عن الدين، ومهووسة، ومرتزقة، ورجعية متحجرة، ومتطرفة، ومنحرفة، وشاذة، وطغمة فاسدة، وفئة مارقة وضالة ومجرمة..) فإن الطرف المقابل وهم آل سعود، واليماني وغيره من المسئولين، عكس ذلك، وأن اليماني سيكون حاوياً لكل الأوصاف الحسنة والخيرة!!

وما نخلص إليه هنا في قضية الرهائن هو:

---

[1] ـ المدينة 26/11/1979م.

[2] ـ الأنوار اللبنانية نقلا عن وكالة رويتر للأنباء 22/11/1979م.

* أن المسئولين السعوديين ناقضوا بعضهم البعض، حول وجـود (رهـائن)، وحول عددهم.. الأمر الذي يثبت كذب الادعاء الحكومي.

* أن المسألة كان يراد منها التشنيع وترويج الاتهامات بالباطل ضـد أفـراد الجماعة.

* أن الهدف من خلق الاشاعة، كسـب شـرعية لاقتحـام الحـرم عسـكرياً، وإقناع العلماء بإصدار فتـوى تجيـز ذلـك.. إضـافة إلـى تعليـل ضـعف الأجهـزة العسكرية وتأخرها في الحسم بحجة وجود رهائن.

* أن تصريحات المسئولين لـم تتطـرق إلـى الكيفيـة الـتي تـم بهـا تحريـر (الرهائن) المزعومين؟، فإذا كـانت القـوات العسـكرية لـم تسـتطع أن تأسـر معتصماً واحداً إلا في اليوم الثامن من العملية، فكيف استطاعت تحريـر مـالا يقل عن مائة ألف حاج في اليوم الأول؟!

* إن متابعة متأنية للتحرك العسكري السعودي وهجـومه المتكـرر لاحتلال الحرم، يثبت بأن الحكم السعودي لم يكن مهتماً بأرواح من أسماهم بالأبريـاء، بل إن أجهزة المخابرات أكدت بأن من قتل من المصلين، إنما تـم علـى أيـدي القـوات السـعودية نفسـها.. وقـد كـرر معهـد (شـيلوح/ ديـان) الصـهيوني للدراسات الاستراتيجية هذه الحقيقة.

* كشف الحجاج أنفسهم أنهم لم يلاقوا أي ضغط من أفراد الجماعـة، بـل أنها ساعدت على إخراجهم بفتح بوابات الحرم..

وأخيـراً اعـترف الحكـم السـعودي نفسـه بـأن مسـألة الرهـائن لـم تكـن واقعية..

ماذا قال الحجاج؟

لو كان هناك رهائن حررتهم وزارة الداخليـة، كمـا ادعـى آل سـعود، لكـان الاعلام السـعودي أول المسـتفيدين منهـم، ولأجـرى عشـرات ــ بـل مئـات ــ المقـابلات معهـم، ليوضـحوا للعـالم بأسـره كيفيـة ارتهـانهم، وسـوء معاملـة (الاخوان) لهم.. وهذا بحد ذاته (صيد) سمين، يغري أجهزة الاعلام السـعودية، التي كانت تبحث عن أي شيء ضـد الجماعـة لتشـويه صـورتها، ولمـا عجـزت لجأت إلى وسيلة الضعيف، وهي كيـل السـباب والشـتائم الـتي لا تليـق بـذوي الخلق الكريم..

ترى هل عجـزت أجهـزة الاعلام السـعودية عـن (اصـطياد) رهينـة واحـدة تقدمها للعالم، وتؤكد مزاعمها؟!.. وكيف استطاعت معظـم الصـحف العربيـة والأجنبية إجـراء لقـاءات مـع بعـض الحجـاج المتواجـدين داخـل الحـرم، أثبتـوا عكس ما قالته السـلطة، بينمـا أجهـزة السـلطة وصحافتها وأبواقهـا الدعائيـة الأخرى لم تستطع أن تفعل ما فعلته الصحف الأخرى، رغم وقوع الحـدث فـي داخل البلاد؟!

إن هذا الأمر غريب، أن تكون هناك مزاعـم تحتـاج إلـى تأكيـد، وأن تكـون هناك أدلة متوفرة، ثم لا يستخدمها الحكم السعودي.. هذا ليـس مـن عـادة آل سعود، ولا من طبـاعهم، فلـو أنهـم وجـدوا رهينـة واحـدة، لأقـاموا الـدنيا ولـم يقعدوها..

والآن، هذه نماذج مما قاله الحجاج:

1/ أجرت جريدة (السفير) مقابلة مع ثلاثة من الحجاج اللبنانيين، قال اثنان منهم، وهما من رجال الدين: (إن المسلحين لم يتعرضوا للمصلين بالأذي سوى أنهم أغلقوا أبواب الحرم، ومنعوا الناس من الخروج، وعند صلاة الضحى، بعد السابعة صباحاً، فتحت بعض الأبواب، وراح الناس يخرجون، وكنا بينهم.. وأن الكثيرين خرجوا قبل ذلك من فتحات قائمة في الجدار الخارجي للحرم على ارتفاع بسيط، من دون أن يمنعهم أحد)..

أما الثالث ـ وهو مدرس ـ فقد قال: (لم يكن المسلحون يمنعون الناس من الخروج)، واستطرد قائلاً: (كان معي جالون من ماء زمزم، وقد تركته في الداخل، وعند خروجي اكتشفت أن اثنين من رفاقي مازالا في الداخل فعدت للبحث عنهما، وقد وجدت أحدهما وخرجنا سوياً من الحرم على أمل أن نجد الآخر خارجاً، لكننا لم نجده.. عدت إلى باحة الحرم مرة أخرى فوجدت جالون الماء مازال في مكانه، وبعد أن تجولت قليلاً بحثاً عن صاحبي، افتقدت جالون الماء، عندها ذهبت إلى البئر ومعي جالون صغير فارغ قصدت أن أملأه.. هناك كان أحد المسلحين، قلت له: أرجوك املأ لي هذا الوعاء من ماء زمزم، وما تريد من نقود أعطيك. أجابني: ما قيمة الفلوس بعد الآن؟، ثم ملأ لي الجالون ماءاً وهو يبتسم مرحاً.. وبعد الساعة الثانية عشر ظهراً خرجت من المسجد الحرام للمرة الأخيرة)[1]..

2/ أشارت صحيفة مغربية (المحرر) أثناء لقائها مع حاج مغربي، كان أحد شهود واقعة الحرم إلى قوله: إن أحد أفراد الجماعة خطب في الناس بواسطة الميكروفون و: (خير جموع المصلين بين الاستمرار في تأدية الصلاة أو مغادرة المسجد)، وقال أنه هو نفسه غادر المسجد بعد أن انتهى من أداء صلاة الفجر..

الجدير بالذكر أن مصادر سعودية روجت خبراً مفاده أن إمام الحرم (الحكومي) الشيخ محمد بن سبيل هو من بين الرهائن، ثم عادت وقالت أنه قتل برصاصهم.. لكنه خرج ضمن من خرجوا وأدلى بأقواله للمسئولين السعوديين، ونشرت له الصحف المحلية قوله: (وقد خرجت مجموعة كبيرة خلال الربع الساعة الأولى بعد أن فتحت الأبواب)، وأن (المسلمين لم يتمكنوا بعد ذلك من مغادرة المسجد الحرام إلا متسللين)[2]..

ومثل هذه الشهادات هي التي حدت بجريدة "النهار" أن تقول في ذات اليوم الذي نشر فيه تصريح إمام الحرم: (نقطة أخرى باتت واضحة، هي أن المتسللين لم يأخذوا رهائن بالمعنى الدقيق للكلمة، بدليل أنهم سمحوا لمن يريد من الحجاج بمغادرة المسجد، وتركوا الخيار للمؤمنين في متابعة صلاتهم)[3].. وهو الذي حدا بصحيفة مصرية أن تقول: (إن هناك شيئاً أصبح مؤكداً، هو عدم وجود رهائن محتجزين)[4].. وهو الذي دعا (النهار) للتأكيد في اليوم التالي: (إن المهاجمين لم يحتجزوا رهائن، ولمن يطلقوا النار على أي من المصلين)[5]..

---

[1] ـ السفير 29/11/1979م.
[2] ـ البلاد السعودية 24/11/1979م.
[3] ـ النهار 24/11/1979م.
[4] ـ الجمهورية المصرية 24/11/1979م.
[5] ـ النهار 25/11/1979م.

لكن ولي العهد السابق ـ والملك الحالي ـ والذي يعتبر فعلاً من مهندسي سياسة الكذب السعودية، هذا الفهد يأتي بعد أن نشرت الصحف قناعاتها قبل شهرين، يأتي وبدون حياء، وبعد أن علم لدى القاصي والداني أن لا وجود للرهائن، ويقول لمجلة الأسبوع العربي، أن (المحافظة على أرواح الأبرياء داخل الحرم الشريف، كانت من بين الأسباب التي جعلت من عملية القضاء على المعتصمين أن تستغرق وقتاً طويلاً)[1]..

ولو أن فهد يمتلك ذرة من الحياة لما ناقض ما قاله شقيقه وزير الدفاع قبل ثلاثة أيام من نشر مقابلته في (الأسبوع العربي).. لقد سأل (سليم اللوزي) رئيس تحرير (الحوادث) وزير الدفاع: قلتم أن المسلحين كانوا يحتجزون رهائن، ثم ثبت أن لا رهائن..

أجاب سلطان: لم نقل رهائن، كان هناك 26 حاجاً بقوا في الأقبية حتى آخر لحظة، ولذلك سميناهم "المسلمين الأبرياء"[2].. فتأمل كم هو كذب الأمراء السعوديين فج ومفضوح!؟.. واعلم ـ عزيزي القارئ ـ أن آل سعود باعترافهم الهامشي هذا بأن لا وجود للرهائن، ما كانوا ليقولوا به إلا بعد أن فضحهم من أسماهم وزير الدفاع بـ (المسلمين الأبرياء)..

وهكذا يتبين أن الرهائن الوحيدين طوال مدة الحادثة، ما هم إلا الأمراء السعوديون أنفسهم!

الفصل السادس

إستنفار لحماية العرش

لقد كان وقع انتفاضة الحرم على الأسرة السعودية شديداً، فزعزعت كيانها الهش، ونشرت الخوف والرعب ف ي قلوب مسئوليها، وأوقعتهم في مأزق لم يستطيعوا اجتيازه، حيث كان التردد والقلق والحيرة ظاهرة بوضوح على مجمل تصرفاتهم وسلوكياتهم، حتى أنهم ما كانوا يعرفون كيف يتصرفون.. وماذا يقولون.. وكيف يبررون للعالم ما حدث بحيث يصدقهم!؟..

وقد قامت السلطة إثر اتضاح حجم العملية، بالعديد من الاجراءات التي تتخذ لأول مرة في تاريخ البلاد، وهي تبين في مجملها حجم الخطر الواقع على الأسرة الحاكمة وجديته.. وتشكل الاجراءات بمجموعها عملية استنفار ضخمة من أجل حماية العرش السعودي الفاسد الذي يكاد أن ينهار.. وكان من أبرز هذه الاجراءات ما يلي: ـ

1/ في اليوم الأول للحادث، أصدرت السلطات أوامر بتجريد أسلحة أفراد الشرطة والجيش النظامي من الذخيرة، وأمرت بغلق العنابر. وحول هذا الحادث علق أحد رؤساء الشرطة في جدة قائلاً: (فلو أن جملة من اللصوص وبأيديهم السكاكين دخلوا علينا لولينا هاربين)[3]..

---

[1] ـ مجلة الأسبوع العربي عدد 1058، 21/1/1980م.
[2] ـ الحوادث 18/1/1980م.
[3] ـ دير شبيغل الألمانية 23/12/1979م.

وقد عزت مصادر مطلعة مسألة تجريد الأسلحة من ذخيرتها تحسباً من أن يكون للجماعة امتدادات تنظيمية داخل الجهاز العسكري، أو أن تكون الشرطة والجيش تعد أن العملية مشتركة لاسقاط الحكم السعودي، أو لأن الحكومة خشيت أن تستغل عناصر في الجيش واقع البلبلة والتخبط في جهاز الحكم السعودي، فتقوم بانقلاب عسكري وتستولي على السلطة..

2/ حدث استنفار (إعلامي) لأجل التغطية على الأحداث، والغريب أن الاذاعة السعودية قطعت برامجها، وراحت تذيع المارشات العسكرية، والأناشيد العسكرية الحماسية، وكأن النظام دخل معركة كبرى مع الصهاينة وليس مع (شرذمة لا يتعدى عددها أصابع اليد الواحدة) كما قال وزير الداخلية[1].

3/ شددت الحراسة على الوزارات والمنشآت الحكومية الهامة، إضافة إلى القصور الملكية والأميرية، وبعض السفارات، وأهمها سفارة أميركا في جدة، ولوحظ أن ثلاثة جنود بدلاً من جندي واحد كانوا يتولون حراسة السفارة الأميركية من الخارج، إضافة إلى عربة مدرعة تقف قريباً منها، وقد وضعت بعض العربات المدرعة بالقرب من كل الوزارات والقصور الهامة.

4/ وضع الجيش والحرس الوطني في حالة التأهب القصوى، واستدعى الضباط الكبار من بيوتهم أو من مصايفهم، وألغيت جميع الاجازات.. وقد شملت حالة التأهب قوات الأمن الداخلي وأجهزة الاستخبارات.. وحتى الجنود الذين لم يستطيعوا الذهاب إلى معسكراتهم بسبب حظر التجول، فإن السيارات العسكرية كانت تأخذهم من منازلهم.. ومن جهة أخرى أوكلت مهام الأمن الداخلي للحرس الوطني بصورة مطلقة، وقد حشدت أعداد كبيرة من مشاته ومدرعاته على مداخل المدن الرئيسية وعند الوزارات، وقامت دورياته بالتجول في الأحياء طوال الوقت.. والأكثر من ذلك أعطيت للحرس أوامر بمحاصرة بعض الثكنات العسكرية التابعة للجيش خوفاً من انقلابه.. وحول هذا الموضوع كتبت (أخبار اليوم):

(ذكر أحد القادمين إلى بيروت من المملكة العربية السعودية، أن "58" ألفاً من القوات السعودية و "35" ألفاً من الحرس الوطني، قد وضعوا في حالة تأهب للمرة الأولى منذ اغتيال الملك فيصل عام 1975م، وقال أن جميع الاجازات قد ألغيت في الجيش والقوات الجوية، وأن قوات الحرس الوطني تسيطر تماماً على الأمن في جميع المدن الكبرى بالمملكة، وتقوم هذه القوات بحراسة المباني الحكومية، وأعضاء الأسرة الحاكمة وقصورهم، وتجوب دوريات الحرس شوارع المدن ليلاً ونهاراً)[2]..

5/ فرض حظر التجول في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف، وفي ذات الوقت كان حظر التجول ساري المفعول في مدن وقرى المنطقة الشرقية إثر انتفاضتها العارمة التي رافقت أحداث مكة، وقد نفى وزير الاعلام السابق (محمد عبده يماني) خبر الحظر، بعد أن شاع وانتشر داخل

---

[1] ـ قال وزير الداخلية في ندوة عقدت له مع طلاب جامعة الرياض (الملك سعود) في 8/1/1980م، أن عدد أفراد الجماعة لا يزيد عن (أصابع اليد الواحدة)!!.

[2] ـ أخبار اليوم 24/11/1979م.

البلاد وخارجها على النحو الذي نشرته الصحف: (إن السلطات السعودية فرضت حظر التجول في المدينة المنورة والطائف، بالاضافة إلى مكة) [1].

6/ شددت السلطات الرقابة على المطبوعات والرسائل البريدية في مختلف انحاء البلاد، وذلك خشية توزيع منشورات مضادة، ومنع تسرب أي أنباء إلى الجمهور، خلاف ما تروجه الوسائل الاعلامية. ويضاف إلى ذلك أن السلطة توقعت أن تكتشف بعض الخبايا والأسرار عن الجماعة، فلجأت إلى مثل هذه الوسائل القذرة.

7/ أغلقت المطارات والحدود البرية والبحرية، وصدرت أوامر وزارة الخارجية السعودية لكل سفاراتها بمنع إعطاء أية سمة (تأشيرة) دخول للبلاد، ولأي شخص كان.

فبالنسبة للمطارات، أصدر وزير الدفاع أمراً بإغلاقها أمام الطائرات القادمة، وأجلت الطائرات المغادرة خوفاً من أن يهرب أفراد الجماعة.. وقد نفى الوزير (سلطان) أن يكون أحد قد أصدر أمراً بإقفال المطارات، وإنما توقفت تلقائياً، وهذا كلام غير منطقي وغير عقلاني، لقد قال: (لم يصدر قرار بإقفال المطارات.. لقد توقفت حركة الطيران من باب الاحتراز.. لم يكن التوقف بقرار، وتقديري أنه كان هناك خوف من أن يهرب أحد من المنتمين إلى الخوارج)[2]، وفي نفس الوقت نشرت مجلة الحوادث في ذات العدد الذي خرج فيه تصريح سلطان، نشرت اجابتين مغايرتين احدهما لعبد الله ــ ولي العهد الحالي ـ، والأخرى لنايف وزير الداخلية، فالأول أجاب قائلاً: (على حد علمي لم تغلق المطارات)!!.. وقال الثاني: (لم يصدر قرار من وزارة الداخلية أوامر من هذا النوع)..

وبعد فتح المطارات ثانية: (شددت عمليات التفتيش بالنسبة للقادمين والمغادرين، وقد لوحظ أن الآلات الالكترونية والأجهزة التلفزيونية الموجودة في المطار لهذا الغرض قد تضاعف عددها)[3].

أما بالنسبة للحدود البرية، فقد منعت الشاحنات من الدخول، وأرجعت السلطات الركاب المسافرين من الدول الأخرى، ووضعت السيارات الدورية في مجال الخدمة (24) ساعة ليلا ونهاراً.. كل ذلك من أجل منع تهريب سلاح، ومنع دخول أفراد قد يشاركون المعتصمين في قتالهم، وكذلك قطع أية احتمالات لهرب أي من أفراد الجماعة.. ولا شك أن هاجس السلاح كان الأقوى، وهو الأمر الذي أكدته الصحافة على وجه خاص، فقد أشارت مجلة (الأسبوع العربي)[4] إلى ذلك بقولها: (فرض المزيد من الاجراءات الأمنية المشددة على طول حدود السعودية البرية والبحرية، لمنع تهريب الأسلحة).

الجدير بالذكر أن حواجز عسكرية قد ظهرت فور وقوع الحادث على معظم الطرقات الهامة والرئيسية، وكان هناك عسكريون يدققون في الهويات وفق قوائم يحملونها، كما قطعت الطرق الرئيسية المؤدية إلى مكة، خاصة بين مكة وجدة، ووجد الحجاج صعوبة في مغادرة المدينة المقدسة

---

1 ـ الأهرام 25/11/1979م.

2 ـ الحوادث 18/1/1980م.

3 ـ السفير 14/12/1979م.

4 ـ مجلة الأسبوع العربي العدد 1058، 21/1/1980م.

بسبب الاجراءات الأمنية المشددة، بل إن السلطات اعتقلت عدداً كبيراً من الحجاج للاشتباه بأنهم من ضمن المتعاطفين والمؤيدين للجماعة.

8/ طردت السلطات السعودية أعداداً ضخمة من المسلمين والعرب، وخاصة من الباكستانيين والايرانيين خلال الأسبوعين الأولين.. وقد استخدمت السلطات لهذا الغرض (26) طائرة بينها عشر طائرات (جامبوجت 747) لنقل المطرودين إلى بلادهم، كما تم اعتماد قسائم هجرة جديدة للخارج بالنسبة للأجانب، وخاصة من العرب[1]..

9/ منذ الساعات الأولى للحادثة قطعت وزارة البرق والبريد والهاتف الاتصالات الهاتفية الخارجية، وقد أشارت وكالات الأنباء إلى القطع في اليوم التالي للعملية دون أن تعلم الأسباب، لأن الحادثة كانت خافية حتى ذلك الحين.. جريدة النهار أكدت القطع اعتماداً على أفادات الصحافيين ووكالات الأنباء في الدول الخليجية، وصحيفة اللوموند قالت في اليوم الثالث بأن وزارة الخارجية الأميركية أكدت بأن جميع الاتصالات قد انقطعت مع المملكة السعودية.

من جهتها ذكرت صحيفة (السفير) أن فهداً حاول الاتصال بجدة من تونس، ولكنه لم يستطع، مما جعل الوفد السعودي يصر على العودة عاجلاً[2].. ومع أن الخبر بات في حكم المؤكد، إلا أن وزير البرق والهاتف (علوي درويش كيال) استشاط غضبا للأنباء التي أكدت قطع الاتصالات، فأراد الكذب كما يفعل أسياده الأمراء، ولذا طالعنا بتصريح نشرته صحيفة الجزيرة السعودية في اليوم السادس للعملية، يقول فيه: (لا صحة للانباء التي دستها الوكالات العالمية حول قطع الاتصالات الدولية بين المملكة والعالم الخارجي، وان هذه الاتصالات مازالت مقطوعة حتى الآن.. ان حقيقة ما حدث في الواقع ما هو إلا خلل فني طارئ عادي وقع يوم الثلاثاء الماضي، واستمر قرابة أربع ساعات حيث تم اصلاحه فورا وعاد الأمور إلى حالتها الطبيعية) وأضاف الوزير: (ان كل ما ذكرته هذه الوكالات لا يرتكز على اساس من الصحة، وان عملها هذا نوع من الدس الرخيص)[3]..

وابى الأمراء الحاكمون إلا أن يثبتوا بأن كلام وزيرهم هو الدس الرخيص بعينه، فالأمير عبد الله، ولي العهد الحالي، اعترف بقطع الاتصالات وقال: (كان قطع التلفونات خطأ)، وسلطان علل الخطأ بقوله: (اما التليفونات فقد اوقفت لفترة ساعات، لأننا لم نكن نعرف شيئاً عن طبيعة الحركة المسلحة في الحرم، فلما عرفنا عاد كل شيء إلى طبيعته)، أما نايف فقال ان الاتصالات قطعت لمدة يوم كامل وليس ساعات وقدم تعليلاً ساذجاً بقوله ان التليفونات (قطعت من باب الاحتراز، لقد خشينا من نقل الأحداث على غير حقيقتها. ولكن لم نلبث ان اكتشفنا ان الذين يريدون اختلاق القصص لا يهتمون كثيراً بوجود تليفونات ام عدم وجودها، فاعدناها مع اذاعة البيان الأول الذي صدر بعد 24 ساعة من وقوع الحادث)[4]!!

---

[1] ـ السفير 14/12/1979م.
[2] ـ السفير المصدر السابق.
[3] ـ الجزيرة 25/11/1979م.
[4] ـ الحوادث 18/1/1980م.

إذن قطعت الاتصالات خوفاً وليس بسبب عطل فني، وان وكالات الانباء لم تتعمد الدس الرخيص كما قال وزير البرق والهاتف، وانما هو الذي مارس الدس والكذب..

10/ تعطلت الدراسة في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، وكلية الشريعة بمكة المكرمة، لأن العديد من أفراد الجماعة كانوا من بين المشاركين في عملية الاعتصام، أو من الداعمين الذين قدموا لهم شتى المساعدات.

11/ قطع الأمير عبد الله بن عبد العزيز رئيس الحرس الوطني عطلته الاستجمامية في المغرب وعاد سريعاً إلى البلاد، ووصلها بعد صلاة المغرب في اليوم الثاني للعملية (21/11/1979) وفور وصوله استقبل السفير الأمريكي السابق (جون وست).. أما فهد فقد خشي العودة من تونس إلى البلاد في ظروف تكتنفها الغموض وفضل البقاء آمنا في تونس ريثما تنجلي حقيقة الأمور.. وقد لاحظ المراقبون الصحفيون المتواجدون في تونس آنذاك، الوجوم الشديد الذي ارتسم على وجه فهد، ولوحظ ولأول مرة أن فهد يدخن امام آلات التصوير بشراهة وعلى المكشوف، رغم ان التدخين من المحرمات الكبيرة عند علماء النظام الحاكم نفسه!!

وقد كانت مشاركة فهد في المؤتمر ضعيفة بعد سماعه أنباء العملية، حتى كادت ان تتلاشى، مما تسبب في تعطيل مشاريع قرارات من البحث لعدم امكانية مشاركة الوفد السعودي فيها. ونشير هنا إلى (مشروع قرار) بشأن جنوب لبنان الذي كان الوفد اللبناني يريد طرحه بدعم من السعودية، إلا أنه لم يحصل ذلك.

من جهة أخرى ألغى فهد زيارته التي كان ينوي القيام بها إلى لندن والمقررة في (3/12/1979م) للمشاركة في المؤتمر الدولي للقدس والذي نظمه المجلس الاسلامي في بريطانيا، وأخطر فهد المجلس بأنه لن يستطيع مغادرة البلاد بسبب أحداث مكة[1].. وقد بقي فهد منذ عودته للبلاد في نهاية اليوم الثالث للعملية في مكة يراقب سير العمليات العسكرية وتطوراتها..

12/ تشدد أمراء الأسرة الحاكمة أكثر من ذي قبل في منح (سمة) الدخول للصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء.. ففور وقوع الحادثة تدفق الصحفيون والمراسلون بالعشرات على أبواب السفارات السعودية في الخارج طالبين سمات دخول لتغطية الحدث، وكان معظمهم على يقين بأنه لن يحصل على أي شيء.. فالسلطة السعودية وفي الأوقات العادية ترفض منح (السمة) إلا لمن اوجد ترتيبا معيناً مع وزارة الاعلام ليأتي ويشاهد ما يريد آل سعود له أن يشاهد، وليخرج بعدئذ ويكتب في صحيفته ما يريده آل سعود.. وهذا لا يحدث إلا مع الصحافيين التابعين لصحف معروفة بولائها وارتباطها المالي مع آل سعود.. هذا في الأوقات العادية ولصحف موالية من رأسها لقدمها، فكيف سيكون الأمر بالنسبة للصحف المستقلة ـ ان وجدت ـ ؟!

بل ان الصحف السعودية ذاتها لم يسمح لأفرادها بتغطية الأحداث، أو حتى الاقتراب من المسجد الحرام، وكان على الصحف ان تكتب ما تمليه وزارة الداخلية من بيانات فقط!!

---

[1] ـ السفير 2/12/1979م.

اما بالنسبة للصحف الأخرى، حتى ولو كانت متعاطفة، خاصة في فترة وقوع الأحداث، فإنها لم يسمح للعاملين فيها بدخول البلاد، فضلاً عن الاقتراب من الحرم او الاتصال بالمعتصمين.. ولذا رجع جميع الصحافيين من السفارات السعودية بخفي حنين، ولا نعلم ان صحفياً واحداً سمح له بدخول البلاد أثناء الأحداث، إلا بعد انتهائها (كما حدث لسليم اللوزي رئيس الحوادث ــ ورئيس تحرير صحيفة السفير) وكلاهما خرجا بنتيجتين مختلفتين، فاللوزي كتب مؤيداً لآل سعود كعادته، والآخر اعطى انطباعا بحياده ـ على الأقل ـ.

وحول سمات الدخول أوضح احد محرري صحيفة (الايكونوميست) البريطانية الأمر بقوله: (ان حكومة العربية السعودية لم تكن كريمة ابدا فيما يتعلق بمنح سمة الدخول للمراسلين، وقد أصبحت اكثر تشدداً بهذا الصدد منذ وقوع حوادث العنف في الشهر الماضي "نوفمبر" بمكة. وقد عرف الآن الكثير عن الذين شاركوا في الهجوم على المسجد الحرام، وكان الحدث أخطر ما وقع في المملكة منذ حدوث محاولة الانقلاب التي قامت بها القوة الجوية قبل عشر سنوات)[1].

13/ اصدر وزير الدفاع (سلطان آل سعود) أمراً بإغلاق مصنع السلاح والذخيرة في (الخرج)، وكذلك جميع مصانع المتفجرات التي تستخدم في الانشاءات، أو تلك التي يستخدمها عمال النفط لاستكشاف مواقعه.. وكان التخوف الرئيسي أن تكون هذه المصانع هي الممولة للجماعة بالسلاح وغيره. وبهذا الصدد تناقلت وسائل الاعلام العربية خبر اغلاق مصنع للمتفجرات تابع لشركة سويدية في مدينة (جدة)، ففي اليوم الرابع من الحادثة (23/11/1979م) أعلن ناطق بإسم شركة (نوبيل نيترو) صاحبة المصنع قوله: (ان سلطات المملكة العربية السعودية اغلقت مصنعاً تابعاً للشركة في جدة، بسبب الاستيلاء على المسجد الحرام في مكة) و (ان المصنع الذي ينتج متفجرات لاستخدامها في الأعمال الهندسية المدنية قد أغلق يوم الأربعاء الماضي، أي بعد يوم واحد من اقتحام مسلحين للمسجد، ويقوم جنود بحراسة المصنع منذ ذلك الحين)[2]..

14/ منذ اليوم الأول للحادث شنت قوات الأمن الحكومية، حملة اعتقالات واسعة جداً، شملت معظم المعارضين للحكم السعودي، والذين اطلق سراحهم قبل سنوات، كما اعتقلت السلطات مئات الأفراد الملتحين على اعتبار انهم ضمن أفراد الجماعة.

وتركزت حملة الاعتقالات في المدينة المنورة وجدة وساجر (مسقط رأس جهيمان) وكذلك في الاحساء والرياض ومكة المكرمة وتبوك[3].. واعترف الأمراء الحاكمون بفعلتهم الدنيئة هذه، فقد قال فواز أمير مكة (آنذاك) بقوله: (تم القاء القبض عليهم في أطراف مكة المكرمة وبعض مدن المملكة، وقد اعترفوا اعترافاً كاملاً بأنهم جزء من هذه الزمرة الضالة، ونحن مستمرون في تعقب هذه العناصر الخارجة)[4].. وأوضح وزير الداخلية في

---

[1] ـ الايكونوميست 15/12/1979م.
[2] ـ الأنوار اللبنانية 24/11/1979م.
[3] ـ نقل شاهد عيان، كان من بين المعتقلين انه اعتقل مع مئات من الأفراد الملتحين.
[4] ـ صحيفة البلاد السعودية ـ 8/12/1979م. في مدينة تبوك، وارسلوا إلى جدة، ثم إلى مكة المكرمة.

مقابلة له مع صحيفة السفير[5]، كيف ان الاعتقالات طالت المشتبه بهم، وهم كثيرون، بمعنى ان الاعتقالات كانت عشوائية لا يقرها قانون او دين، يقول نايف: (اما الاعتقالات التي جرت في الأيام الأولى للحادث فقد طالت المشتبه بهم والذين قد تكون لهم علاقة بالمهاجمين، وبعد التحقيقات اطلقنا سراح الأبرياء، واكتفينا بالمذنبين والذين نعرفهم من قبل وعددهم محدود جداً ولا يتعدى 100 شخص. هذا طبعاً غير الذين قبض عليهم داخل الحرم)..

وأفادت مصادر مطلعة كانت من بين المعتقلين، ان مالا يقل عن سبعة آلاف شخص قد اعتقلوا في المنطقة الغربية والشمالية (جدة، الطائف، مكة، المدينة، تبوك، حقل).. وقد ضاقت السجون السعودية بهؤلاء، لدرجة ان ساحات السجون وإلى الأبواب كانت مملوءة بالمعتقلين، اما العنابر والزنزانات الفردية والجماعية فقد حشر فيها أكثر من أربعة اضعاف عددها..

وبعد أكثر من شهر على وقوع الحادث، بدأت وزارة الداخلية بتصنيف المعتقلين (وكثير منهم من الحجاج) إلى ثلاثة أصناف:

الأول: ويتضمن الاشخاص الذين ثبت من خلال التحقيق ان لاذنب لهم، وهم الذين التقطوا من المساجد، او الذين كانوا متواجدين في موقع الحادث، او الذين التقطوا من الشوارع اعتباطاً.. وهذا القسم بقي في سجون (جدة) ـ الحديث هنا ما يزال عن سجناء المنطقة الغربية والشمالية فقط ـ لأكثر من عام، حيث تأكد آل سعود تماماً ان كل شيء قد انتهى وان هؤلاء لا دخل لهم بالحادث.

الثاني: ويتضمن الافراد المشتبه بهم، الذين لهم علاقة نسبية أو قبلية مع أفراد الجماعة، وكذلك المعتقلين السابقين الذي يحتمل بنسبة (50%) إن لهم ارتباطاً بالجماعة، حتى وان لم يشاركوا في العملية. وأفراد هذا القسم توزعوا بين سجن (العدل) بمكة المكرمة، وهو بالمناسبة من أسوأ سجون آل سعود، واحد سجون الطائف، وبقي قسم منهم في جدة.

الثالث: وهم الذين ساهموا في الحادثة، وقد فصلوا عن غيرهم في السجون، وعوملوا معاملة خاصة (تليق!!) بحالهم، ولم يفرق السعوديون بين أفراد هذا القسم من ناحية المعاملة، حتى الجرحى منهم الذي جيء بهم من الحرم الشريف.

وفي منطقة الاحساء، اعتقل آل سعود مالا يقل عن (200) شخص من أفراد الجماعة الذين لم يشاركوا في العملية، ونقل قسم منهم إلى سجون (الرياض)، وقد التقى عديدون من هؤلاء بالمعتقلين من الاحساء والمدن التابعة للمنطقة الشرقية الذين كانوا قد تظاهروا ضد آل سعود في ذات الفترة (محرم 1400هـ)..

أما سجون الرياض فقد شملت أكثر من ألفي شخص، معظمهم من المتعاطفين مع اهداف الجماعة، وقد فتح آل سعود سجون مؤقتة لأعداد غفيرة من أبناء مدينة (ساجر) التي ينتمي اليها جهيمان وقبيلته (عتيبة)..

أما حالة السجناء ومعاملتهم فهي قاسية وشديدة لا يعرف مداها إلا الله واولئك الذين ذاقوا مرارتها من المعتقلين.. وهنا لا يسعنا الحديث عن هذا الأمر بالتفصيل، ولكن معلومات وردت لمحرر هذه السطور من أحد

---

[5] ـ السفير 10/1/1980م.

المعتقلين في تبوك أولاً، ثم جدة ثانيا، ثم مكة ثالثاً، ثم هرب من سجن جدة مع عدد من المعتقلين بعد أن أعيد إليه مرة أخرى، وصف الحالة بمرارتها وقسوتها، وأفاد بأن المعتقلين عذبوا حتى الموت، وأنه كان يسمع أصواتهم وأناتهم حتى آخر لحظة، وان الاطفال الذين اعتقلوا مع اهاليهم توفي العديد منهم في سجن (العدل!) بمكة.. وأضاف بأن السلطة تنقل يومياً عدداً من القتلى داخل السجون لتدفنهم خارجه.

من جهة أخرى قال هذا المعتقل بأن الجلاوزة عصبوا عينيه مدة تزيد على الشهرين لم ير النور خلالها.. وقد استخدمت السلطة سياسة التجويع، فكان المعتقل يمضي أكثر من أسبوع بدون طعام أو ماء.. وكذلك بالنسبة للمرافق، فقد حبس المعتقلون لمدة ثلاثة أيام، ولم تلمس اجسادهم قطرة ماء مدة اعتقالهم.. ولكن بعد أكثر من شهرين من وقوع الحادثة سمح لهم باستخدام المرافق مرة كل يوم.

وأضاف بأن الكلام داخل الزنزانات الانفرادية، والعنابر ممنوع، وحتى تلاوة القرآن، حيث كان أفراد الجماعة يقرأون القرآن ويؤذنون للصلاة دون علم بوقتها، وكان الجلاوزة يأتون المتكلم فيشبعونه ضرباً ورفساً ولكماً.

وعن نوعية وسائل التعذيب، قال بأن استخدام الصعق بالكهرباء يتكرر دائماً مع المعتقلين، وكذلك تنكيس المعتقل، حيث تربط رجلاه في السقف ويترك جسمه يتدلى إلى الأرض، وان أفراداً ماتوا بسبب اهمالهم اكثر من يومين، هذا اضافة إلى الضرب بالعصا، والسب والشتم، وقلع الأظافر، واطفاء السجائر في مناطق حساسة من جسم المعتقل، واستخدام شفرات حادة لتجريح المعتقل واسالة دمه، وغيرها من الوسائل اللاانسانية.. ونتمنى ان نتمكن في المستقبل من اظهار هذه الوسائل الخبيثة في كراس يحوي تفاصيل هذا الاجرام السعودي معتمدين على أقوال هذا المعتقل وغيره ممن وصلتنا اخبارهم.

15/ ومن بين الاجراءات الفورية التي اتخذها آل سعود بعد الحادثة مباشرة، اخلاء المناطق المحيطة بالحرم من السكان، تمهيداً لعمل عسكري ضد المعتصمين.. ففي اليوم الثاني للعملية صرح مصدر سعودي في تونس بأن: (السلطات السعودية قامت باخلاء المناطق المحيطة بالحرم من السكان، وتوجهت اعداد كبيرة من قوات الأمن الداخلي وطوقت منطقة المسجد والميادين المحيطة به)[1].

غير أن آل سعود سرعان مانفوا هذه المقولة، فقالت صحيفة الجزيرة السعودية (27/11/1979): (كذب المواطنون هنا ما تردد عن فرض حظر التجول او اخلاء المنازل والدور القريبة من الحرم المكي واكدوا للجزيرة ان هذه الشائعات لااساس لها من الصحة، ولم يطلب منهم اخلاء منازلهم).. وكالعادة يفهم الناس من النفي السعودي (اثبات) لما يناقضه! فالنفي يعني ـ غالباً ـ صحة الخبر.

هذه لمحة سريعة عن التدابير التي اتخذها آل سعود لمواجهة الانتفاضة في الحرم، وهي كما يتوضح أكبر استنفار حدث طوال عهد آل سعود منذ بداية الثلاثينات من هذا القرن الميلادي.

---

[1] ـ السفير 22/11/1979م.

أما تفاصيل الهجوم السعودي الذي رافق هذه الاجراءات، فهو ما سنبحثه في موضوعنا القادم.

الفصل السابع

آل سعود يدكُّون الحرم

بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من وقوع حادثة الحرم، بدأ السعوديون عملهم العسكري ضد المعتصمين، مستخدمين كافة الأسلحة المتوفرة لديهم (ثقيلة ومتوسطة وخفيفة) إضافة إلى سلاح الطيران في المعركة.

ولم يكن السبب في تأخر وصول القوات السعودية إلى الحرم يرجع إلى أن آل سعود، أرادوا حل المسألة سلمياً، والاستجابة للمعتصمين بالاجتماع مع مسؤولين منهم يفاوضونهم بشأن الاشكالات والمطالب الشرعية التي اعلنها المعتصمون.. وإنما كان التأخير ــ رغم كونه قصيراً ــ يرجع إلى الاستعداد المكثف في تجهيز القوات، وتطويق ذيول الحادث، وتهيئة الرأي العام بصياغة بيانات باهتة لا تكشف عن حقيقة الأمر.. إضافة إلى ان الأسرة الحاكمة أرادت أن تسترد انفاسها وتناقش الأساليب الكفيلة بإنهاء المشكلة قبل أن يسمع بها العالم، فاتخذت وسائل أولية كان من بينها، اغلاق المطارات، وقطع الاتصالات الخارجية، وتجريد أفراد الجيش من السلاح وغيرها مما ذكرناه في الصفحات السابقة.

مبررات الهجوم السعودي

أشار البيان الأول لوزارة الداخلية، الذي صدر صبيحة اليوم التالي للعملية (21/11/1979م) إلى أن السلطات قد قامت (بإتخاذ كافة التدابير للسيطرة على الموقف، وبناء على فتوى من العلماء جميعاً، واتخذت الاجراءات لحماية أرواح المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام)..

وهذا المقطع يشير إلى تبريرين رئيسيين للهجوم الذي بدأت به القوات الحكومية قبل صدور البيان، وهما:

1/ فتوى العلماء "جميعاً"!!!

2/ حماية أرواح المسلمين المتواجدين بالحرم!

ونريد هنا أن نناقش مسألة (فتوى العلماء "جميعاً!") هذه!، اما حماية أرواح المسلمين، فقد اوضحنا بما فيه الكفاية ان احداً منهم لم يتعرض لأذى وان جميعهم خرجوا من الحرم بدون اكراه، وانه لا توجد أية رهائن بيد المعتصمين على الاطلاق، وهو ما اعترف به آل سعود بعد حين.

أما الفتوى من "جميع!!" العلماء، فهي مفتعلة، إذ لم تكن هناك أية فتوى بهذا الخصوص، وما قاله البيان لا يعدو في كونه افتراءاً واضحاً.. ومما يعزز هذا القول ويؤكده التالي:

1/ ان السلطات السعودية لم تظهر أي فتوى للعالم، ولم تنشر الصحافة السعودية هذه الفتوى المزعومة، رغم حاجة آل سعود إليها..

2/ ان الاجراءات الحكومية سبقت الفتوى بأيام، فالصحافة اعلنت في اليوم السادس للعملية مضمونها ونصها الحرفي، بينما العمل العسكري بدأ ــ كما تقول مصادر موثقة ـ بعد غروب شمس اليوم الأول 20/11/1979م.. أي

بعد أقل من 12 ساعة من وقوع الحادث.. والحكومة نفسها اعلنت انها بدأت العمل العسكري في اليوم التالي.. بينما وزارة الداخلية أعلنت أن قوات الأمن رتبت اخراج المصلين من الحرم في اليوم الأول.. ولأن كل المصلين ـ تقريباً ـ خرجوا بعد صلاة الظهر، فهذا يدل على ان القوات الحكومية كانت متواجدة منذ الساعات الأولى للحادث، وتقول مصادر مطلعة ان هذه القوات جاءت بعد اقل من ساعتين من وقوعه. مع ملاحظة ان المصلين خرجوا بعد ان فتح افراد من جماعة الاخوان بعض الابواب وبترتيب منهم، وليس بترتيب من وزارة الداخلية.

3/ ان امراء الاسرة الحاكمة فوجئوا بما حدث، وكان رد فعلهم الفوري هو ارسال قواتهم واتخاذ الاجراءات التي تقطع ذيول الحادث والتي أشرنا اليها آنفاً.. ولم يكن يدر بخلدهم انهم بحاجة إلى فتوى أو ما أشبه، فالمهم ان يقضوا على المعارضين وبأي وسيلة، والفتوى ـ ان كانوا بحاجة اليها ـ تأتي تباعاً، وبعض وعاظ السلاطين مستعدون لتقديمها في أي وقت، سواء قبل الهجوم أو بعده.. وعلى أية حال كان رد فعل المسؤولين الأولي سريعاً بدون فتوى.

4/ لو أننا اخذنا كلمة (جميعاً) التي وضعها البيان السعودي الأول إلى جانب كلمتي (فتوى العلماء)، لكفانا برهاناً يبطل المزاعم السعودية.. فالبيان حرص على أن يقول (العلماء جميعاً)، ولم يقل (العلماء) ويسكت، مما أثار الريب والشك، لأن العلماء (جميعاً!!) لا يقل عددهم عن (10000) رجل. ولأن هذا العدد موزع على كل انحاء البلاد، ولان هؤلاء العلماء لا تربطهم مؤسسة حكومية واحدة، فبعضهم تابع لوزارة الأوقاف، وبعضهم لدار الدعوة والافتاء، وبعضهم مستقلون، وبعضهم معارضون، وكثير منهم يعتقدون بمذهب غير مذهب الدولة الرسمي، وهكذا.. فكيف.. يصح القول أن جميع العلماء افتوا؟! وكيف استطاع آل سعود أن يجمعوهم في فترة قصيرة لا تزيد بأي حال من الأحوال عن 24 ساعة، خاصة وأن البيان الذي أشار إلى فتوى (العلماء جميعاً!) صدر في صباح اليوم التالي (21/11/1979م) ولأن العملية وقعت في صباح اليوم السابق فإن الفترة الموجودة 24 ساعة فقط، ولابد أن يكون العلماء المزعومون، اجتمعوا في هذا الوقت وابلغوا بالحادث كل في موقعه او جيء بكل منهم من مدينته، ووقعوا على فتوى مزعومة لم يظهر لها أثر قبل أن يعلم كل الناس بالحادث، وقبل ان تعلن الدولة رسميا بالأمر في اليوم التالي!!

إذن فإن القوات الحكومية العسكرية، قامت بمهمتها قبل استصدار الفتوى، وما كان آل سعود بحاجة إليها لأنهم كانوا يتوقعون بأن القضاء على المعتصمين سيستغرق فترة قصيرة يمكن خلالها لفلفة الأمور وتغطيتها إعلامياً.. لكن الخبر انتشر من خلال الاذاعات في مساء ذلك اليوم، والسعوديون قدروا ان الأمر سيستغرق بضعة أيام ـ على الأكثر ـ فكانوا بحاجة إلى فتوى تجيز لهم عملهم الجبان بمهاجمة بيت الله الحرم في الشهر الحرام وفي البلد الحرام، خلال الفترة المتبقية.

الحل السلمي!

صحيح أن جماعة جهيمان دخلت الحرم بالسلاح واعتصمت فيه، لكنهم لم يكونوا ينوون القتال، وإنما كان ذلك احتياطاً منهم، وقد اعترف وزير الداخلية بالأمر، وذكر أن أفراد الجماعة: (قالوا انهم ما قصدوا أن يقاتلوا ولكنهم حملوا السلاح دفاعاً عن أنفسهم)[1].. وعليه فإن آل سعود يتحملون مسؤولية هتك حرمة الحرم ودكه بالمدافع والطائرات والدبابات، لانهم لم يبدوا أية رغبة أو تحمس في حل الأمور سلمياً، وكل ما فعلوه ان طلبوا من أفراد الجماعة أن يقدموا استسلاماً ذليلاً اليهم، ليفعلوا بهم الافاعيل، كما فعلوا بأسلافهم.

وبالطبع لم يقبل المعتصمون الاستسلام، وطالبوا ـ حسب ما ذكرت بعض وكالات الأنباء ـ بالتفاوض مع الملك أو ولي عهده (كان ولي العهد آنذاك فهد)، إلا أن نايف وسلطان، وبعد مداولات واتصالات بفهد في تونس، وعبد الله في قصره العامر بالفجور في كازبلانكا، قررا رفض الطلب واصرا على الاستسلام بسرعة، وإلا فإن القوات العسكرية جاهزة.

ولقد أشار الحجاج والمتواجدون على مقربة من الحرم، ان القوات السعودية والفرق الأمن استخدمت مكبرات الصوت في إبلاغ المعتصمين بوجوب الاستسلام والقاء السلاح، وهو المطلب الوحيد الذي كرروه!

وهناك مسألة اخرى، فإذا كان آل سعود لا يريدون الاستجابة لمطالب أفراد الجماعة ـ التي يتفق جميع المسلمين عليها، أو على معظمها ـ فقد كان هناك حل آخر، وهو محاصرتهم فترة من الزمن، لينفذ ما عندهم من طعام وماء، وحتى يتسنى للمفاوضات ان تأخذ مجراها باتجاه السلم.. غير ان فهد ولي العهد آنذاك والملك الحالي، اعطى أوامره المباشرة من تونس لاقتحام الحرم بالدبابات، مع العلم ان الملك خالد كان متواجداً في البلاد، ولكنه ضعيف فلم يؤخذ رأيه بضرورة التأني قبل الاقتحام.. وقد اجيب طلب فهد بالاقتحام ــ حسب الرواية السعودية ــ في يوم الأربعاء الموافق 21/11/1979م، وبدأت القوات السعودية بمهمتها. وقد أكدت العديد من الصحف ووكالات الأنباء، الخبر القائل بأن فهد هو الذي أصدر الأوامر، منها ما قالته صحيفة القبس الكويتية[2] في اليوم الثاني: (ان الامير فهد بن عبد العزيز الموجود حالياً في تونس لحضور مؤتمر القمة، اصدر أوامره إلى قوات الأمن السعودي باقتحام المسجد الحرام في مكة).. ومن المهم ان نوضح هنا، ان الصحيفة نشرت الخبر نقلاً عن وكالة الانباء الفرنسية، في صباح 21/11/1979م)، وهو اليوم الذي قالت الحكومة السعودية أنها بدأت فيه العمل العسكري، مما يوضح ان وكالات الأنباء وصلها خبر الاقتحام قبل الوقت الذي حدده آل سعود (صباح الأربعاء ـ 21/11/1979). وهذا يعني ان الاقتحام كان قبل الصباح، أي في مساء 20/11/1979م على الأقل، وهو ما ذكرناه قبل صفحات.

---

1 ـ السفير 20/1/1980م.

2 ـ القبس 21/11/1979م.. واللوموند الفرنسية 22/11/1979م.

فتوى العلماء

أصدر العلماء فتوى في يوم 24/11/1979م، أي في يوم الخامس للعملية، ونشرتها الصحف السعودية في اليوم السادس.. لكن الغريب في الأمر أن الفتوى صيغت على أنها صادرة في اليوم الأول، وقد وقع عليها ثلاثون عالماً، والتفسير الوحيد لهذا التضارب بالتاريخ، يرجع إلى ان الملك خالد اجتمع مع عدد من العلماء المتواجدين في الرياض بعد وقوع الحادثة، ووضعهم في صورة ما جرى حسب التصور الحكومي، وقدم لهم معلومات عن رهائن وقتل للمصلين والحجاج وغيرها من المغالطات، فلم يصدروا فتوى كتابية لأن مجموع هيئة كبار العلماء غير موجودين وان من غير المعقول ان تصدر بتوقيع رجل أو رجلين أو ثلاثة، فلما تواجدوا واجتمعوا في 24/11/1979م، أقنعهم آل سعود بكتابة الفتوى على اساس انها صادرة في اليوم الأول، منعاً لإحراج آل سعود الذين اتخذوا اجراءات عسكرية سبقت فتواهم بأيام.. وهكذا صدرت الفتوى بتاريخ 24/11/1979م، ونشرت بتاريخ 25/11/1979م، على أساس أنها حررت بتاريخ 20/11/1979م!! وهذا هو نصها:

(بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه، وبعد: ففي يوم الثلاثاء اليوم الأول من شهر محرم عام اربعمائة وألف من الهجرة، دعانا نحن الموقعين ادناه، جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود، لدى جلالته في مكتبه في المعذر، واخبرنا ان جماعة في فجر هذا اليوم بعد صلاة الفجر مباشرة، دخلوا في المسجد الحرام مسلحين، واغلقوا أبواب الحرم، وجعلوا عليها حراساً مسلحين، وأعلنوا طلب البيعة لمن سموه المهدي، وبدأوا مبايعته، ومنعوا الناس من الخروج من الحرم، وقاتلوا من مانعهم، وأطلقوا النار على اناس داخل المسجد وخارجه، وقتلوا بعض رجال الدولة، واصابوا غيرهم، وانهم لا يزالون يطلقون النار على الناس والمسجد، واستفتانا في شأنهم وما يعمل معهم، فأفتيناه ان الواجب دعوتهم إلى الاستسلام، ووضع السلاح، فإن فعلوا قبل منهم وسجنوا حتى ينظر في أمرهم شرعاً، وان امتنعوا وجب اتخاذ كافة الوسائل للقبض عليهم ولو ادى إلى قتالهم، وقتل من لم يحصل القبض عليه منهم ويستسلم إلا بذلك، لقول الله تعالى: "ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين". ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من أتاكم وأمركم جميع يريد ان يفرق جماعتكم ويشق عصاكم فاضربوا عنقه"، رواه مسلم.. والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ونسأل الله أن يعلي كلمته، وينصر دينه، وان يخذل من أراد للإسلام والمسلمين بسوء، وان يشغله بنفسه، انه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)..

ولنا هنا ان نبين عدة امور:

الأول: ان الفتوى لم تكن من (جميع!!) العلماء، كما أشار بيان وزارة الداخلية الأول، وانما من (30) عالماً فقط، وهناك عشرات غيرهم لم يوقعوا على الفتوى، اما لأنهم معارضون لآل سعود، أو لأنهم معارضون لنص الفتوى، أو لأن آل سعود لم يستدعوهم للتوقيع!

ويلاحظ ان جميع الموقعين يعملون ضمن مؤسسات تابعة للدولة، رغم اننا نعتقد بأن عدداً منهم متعاطفون مع جماعة جهيمان، الأمر الذي كشف عنه فهد واخوه نايف..

الثاني: ان الفتوى اصدرت على أساس ان المعلومات التي قدمها الملك خالد واخوته صحيحة، ولما كانت المعلومات هي من جهة طرف الخصم، وليس لها أساس من الصحة، فإن الفتوى المترتبة عليها باطلة.. ولو ان رجال الدين اوضحوا بأن فتواهم قائمة على معلومات موثقة وصحيحة ومن طرف غير آل سعود لكنا نقبل بها.. لكن آل سعود لم يسمحوا لهم بالاقتراب من الحرم، ولم يعطوهم فرصة مناقشة المزاعم السعودية والتأكد منها، لأنها واردة من خصم لا دين له ولا أخلاق، فكيف يحق للقاضي ان يصدر حكمه وفتواه بناء على معلومات قدمها احد المتخاصمين؟! وهل تأكد الموقعون من أن أفراد الجماعة اطلقوا النار على أناس داخل المسجد وخارجه، وانهم قاتلوا من مانعهم بشأن بيعة المهدي، بل كيف عرف العلماء انهم لا يزالون يطلقون النار على الناس والمسجد؟!

انه لشيء مضحك ان يطلق أفراد الجماعة النار على الناس اعتباطاً هكذا، وانه لأمر مدهش ان تتضمن الفتوى ان أفراد الجماعة يطلقون النار على (المسجد)!!، فهل أصبح المسجد هدفاً لرصاص الجماعة التي تحتمي به وتلتجيء إليه.. فتصور أخي القاريء ان كل فرد من أفراد الجماعة وجه سلاحه إلى زاوية أو عمود أو سقف من زوايا وأعمدة وأسقف المسجد!!.. الا يدعو هذا إلى السخرية..

الجدير بالذكر، ان مجموعة من المواطنين وجهت سؤالاً إلى عدد من العلماء الموقعين على الفتوى، ولفتت انتباههم إلى خطأ المعلومات التي استقوها من آل سعود، والتي ثبت خطؤها واعترف آل سعود بذلك، مما يعني ان الفتوى قامت على أساس غير صحيح، فأجابوهم اجابات مختلفة، كانت احداها، قول احدهم: ان الفتوى صيغت لتوضح ان المعلومات جاءت من الملك، وانه مسؤول عن خطئها وصحتها، اما الفتوى فهي تعني انه إذا كانت هذه المعلومات التي قالها الملك لهم صحيحة ففتواهم في محلها، اما إذا كانت خاطئة فالفتوى ليس هذا موقعها.. فرد المواطنون بأن الفتوى لا توضح الجزء الأخير من الاجابة، فقال بما معناه، ان العلماء لا يستطيعون التوضيح أكثر وأبلغهم بأن عدداً من العلماء استاؤوا من تصريحات الأمير فهد ونايف، لأنهما قدما للصحافة معلومات تخالف المعلومات التي قدمها الملك لهم!!

الثالث: توضح صياغة الفتوى أمرين، أولهما: ان ضغطاً حكومياً مورس بحق الموقعين، وثانيهما: انها لم ترض آل سعود تماماً.. ومما يدلل على ذلك حذر العلماء في بعض الجوانب منها:

* ان الفتوى نسبت كل المعلومات إلى الملك خالد، مما يعني أنه واخوته الأمراء كانوا يريدون من العلماء اصدار شيء يؤيدهم قبل أن تنقشع الغيوم وتظهر الأسرار، ويتضح التخبط في اعطاء المعلومات من جانب الحكومة.. بمعنى ان المعلومات التي قدمت كان هدفها ادانة الطرف المقابل بأية وسيلة، وليس بهدف ابداء رأي من أجل حل المشكلة.

* أن الفتوى لم تفتح الباب على مصراعيه أمام آل سعود لاقتحام الحرم، رغم ان الملك قال لهم بأن الجماعة هم الذين بدأوا بالقتال، بل طالبوا

بدعوتهم للاستسلام بصورة تحفظ للحرم قدسيته، بل وعرضوا على الملك ان يقوموا بوساطة رفضها أمامهم.. وأشارت جريدة الوطن الكويتية في اليوم الثالث للعملية ــ أي قبل صدور الفتوى بيومين ــ (ان علماء الاسلام في المملكة قد نصحوا بتجنب سفك الدماء داخل الحرم المكي)[1] وبالطبع كانت النصيحة موجهة أساساً لأركان الحكم السعودي، وليس لاولئك المحاصرين داخل الحرم.

* يبدو ان آل سعود ضغطوا على العلماء لتبيان ان المعتصمين خارجون عن الدين (خوارج) وانه يجوز قتالهم لأمرين، أولاً: لأنهم بدأوا القتال داخل الحرم، وثانياً: لأنهم خارجون على طاعة أولي الأمر.. وإذا كان العلماء قد سلموا بالأمر الأول على مضض وبناء على معلومات الملك، فإنهم تحفظوا عن تسميتهم بالخوارج، لذا جاؤوا بالحديث: (من اتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق جماعتكم، ويشق عصاكم فاضربوا عنقه).. هذا مع العلم ان بيعة آل سعود باطلة وان أمر المسلمين لم يجتمع عليهم..

* أشارت الفتوى إلى محاكمة أفراد الجماعة (شرعا) في حال استسلامهم، حيث جاء قولهم: (فإن فعلوا قبل منهم وسجنوا حتى ينظر في أمرهم شرعاً).. وكان التأكيد على المحاكمة الشرعية أمر مهم، فالعلماء يعلمون هوية الجماعة، ويعلمون انها لا تقر المحاكم غير الشرعية التي تأخذ بها جميع أجهزة الدولة، والتي تستند على قوانين وضعية، لذا قالوا (شرعاً) وفي هذا القول رغم قسوته شيء من التعاطف مع أهداف الاخوان رغم عدم اقرارهم واتفاقهم على الوسيلة التي يلزم بها الاصلاح. وكان بإمكانهم القول (محاكمتهم) بدون الحاجة إلى ذكر لفظة (شرعاً) التي تعني ان هناك احكاماً غير شرعية، وان وزارة الداخلية يلزم عليها ان تترك للعلماء محاكمتهم وليس لها أن تقر الحكم الذي تريده، وهو (الاعدام) لحامل السلاح بوجه الدولة!

واشتعل القتال

بمجرد ان وصلت الأوامر ببدء الهجوم من مقر فهد في تونس، قام وزير الداخلية بإبلاغ وزير الدفاع الذي كان متواجداً في مكة عند الحرم يستحث قواته على الهجوم، بالأوامر التي كان ينتظرها.

غير ان وزير الدفاع عجز لساعات عديدة من اقناع جنوده بخوض المعارك داخل الحرم.. ويذكر (Robert Lacy) الذي أمضى خمس سنوات في السعودية، تعلم خلالها اللغة العربية، وكتب كتاباً عن البلاد بإسم (The kingdom ـ المملكة) كان خلاصة المعلومات التي حصل عليها من خلال مقابلاته العديدة لمئات الأمراء المسؤولين.. يقول هذا الكاتب، ان الأمير سلطان خطب في الجنود حاثاً إياهم على القتال دفاعاً عن الاسلام والوطن! لكنهم لم يستجيبوا، لأن القتال في الحرم أمر لا يقبله إلا من لا دين له ولا شرف. فغضب سلطان من هذا العصيان الصريح للأوامر العسكرية، خصوصاً ان العلماء لم يصدروا فتوى تجيز القتال حتى ذلك الحين، مع العلم ان التربية العسكرية لأفراد القوات المسلحة لا يدخل فيها أي اعتبار لشرعية القتال وضرورة اجازة العلماء له، وانما المهم فقط اطاعة أوامر القيادة السياسة فحسب..

---

[1] ـ الوطن 22/11/1979م.

بعد هذا جاء الأمراء بعدد من وعاظ السلاطين الذين كـانوا متواجـدين فـي مكة لإقناع الجنود بما عجز سلطان اقناعهم به، غير ان الجنود اصروا علـى ان يصدر الشيخ بن باز فتوى بذلك وهو مالم يكن متوفراً حينهـا.. وعـادت الأمـور إلـى التـوتر ووصـل الأمـر إلـى تمـرد بعـض أفـواج الجنـود علـى كـل الأوامـر العسكرية، ولم يستجيبوا لطلب قياداتهم إلا على مرتبة منهم..

وهنا قام سلطان خطيباً مرة ثانية وثالثة، فامتدح الجنود واخلاصهم لدينهم ومليكهم ووطنهم!! وأشار بيده إلى المسجد الحرام المحاصـر، وقـال ان هـذا اقدس مكان على وجه الأرض، وهو محتل من (الخـوارج) المعـادين للإسـلام.. ثم رمى بغترته إلى الأرض وصاح: إذا لم تقاتلوا انتم دفاعاً عن بيت اللـه فمـن الذي يدافع عنه، هل آتي بالجنود الباكستانيين ليقـاتلوا عنكـم؟! وختـم خطـابه بأن ابدى ثقته مرة أخرى بولاء المقاتلين الجنود وانهم سيقاتلون..

مـا ان انتهـى مـن خطـابه حـتى صـاح عـدد مـن الضـباط الكبـار معلنيـن استعدادهم لخوض المعارك، وآلت الأمور إلى عمل حاسم وسريع.. فالـذين لا يقاتلون يرسلون إلى السجون والمعتقلات، والراغـبين فـي نيـل (الشـهادة!!) يتقدمون.. وهكذا جاء الحل بعد حين، رغم العقبات الشديدة.

وبالفعل رفض مئات من الجنود خوض المعارك فأرسلوا إلى سجون جـدة ومكة بعد تجريدهم من أسـلحتهم.. وكـانت هـذه هـي العقبـة الأولـى أمـام آل سعود في بدئهم بقتال (الاخوان) المعتصمين في الحرم..

تقدم الجنود السعوديون من المسجد الحرام فـي بـاديء الأمـر، واطلقـوا النـار علـى أفـراد الجماعـة المتحصـنين فـي المنـائر والسـطوح، تتقـدمهم المدرعات التي تشكل درعاً واقياً لهم من الرصاص القادم من الأعلـى.. غيـر ان هذه المدرعات لم تستطع التقدم كثيراً و توقفت عند أبـواب الحـرم، وهنـا خرج الجنود محاولين فتح الأبـواب، وكـأنهم فـي نزهـة سـريعة، غيـر أن أفـراد الجماعة افنوهم عن اخرهم بعد ان ظهروا امامهم بلباسهم العسكري.

تلك كانت البداية..

التقدم نحو الحرم مكلف بشـرياً.. وفتـح الأبـواب عمـل ضـخم لا يسـتطيع الجنود القيام به حتى ولو وصلوا اليها..

استمر تبادل اطلاق النار بين الجانبين إلى ما قبـل وقـت الظهـر فـي يـوم الأربعاء 21/11/1979م.. القوات الحكومية تطلق النار مـن الأزقـة المحيطـة بالحرم أو من وراء المدرعات والدبابات الرابضة قباله، والاخوان يـردون علـى المدافع الرشاشة الحكومية بأسلحتهم الخفيفة التي كرر آل سعود مـراراً بـأن المعتصمين لا يملكون سواها.

المشكلة التالية التي واجهـت آل سـعود هـي سياسـية واعلاميـة بالدرجـة الأولـى، فهـم اعطـوا انطباعـاً لـدى الـرأي العـام الـداخلي والخـارجي، بـأن المعتصمين (قلة)، فبيان وزارة الداخلية الأول الذي صدر في اليوم الأول لبـدء المعارك (21/11/1979م) وصف أفراد الجماعة بـأنهم (زمـرة) للتقليـل مـن شأنهم.. وهذا يعني ان هذه الزمـرة سيقضـى عليهـا سـريعاً، خلال سـاعات أو أيام قلائل.. لكن ذلك لم يحدث.. فالنظام كان حريصاً علـى هـبيته، فلـم يشـأ القول بأن عدد المعتصمين كبير وانهـم ليسـوا (شـرذمة) أو (زمـرة)، لأنـه ان فعل، فذلك يعني بأنه يعترف بوجود معارضة كبيرة للنظام والأسـرة الحاكمـة، ويكسر جدار الخوف امام فئات الشعب للالتحاق بالمعارضين.

وعليـه فقـد اصـر النظـام وعلـى وصـفه بـأنهم (شـرذمة) و (وزمـرة) و (طغمة)، حتى لا يكاد يخلو تصريح أو بيان حكومي إلا وذكر هذه الصفات!

غير ان هذه الصـفات اوقعتهـم فـي مـأزق، فقلـة عـدد أفـراد المجموعـة، تستوجب ان يكون الحسم سريعاً، وإلا فسر الأمر بأحد هذين التفسـيرين: امـا ان هناك ضعف في القوات الحكومية العسكرية الأمـر الـذي يجعلهـا تتبـاطيء فـي الحسـم العسـكري، وأمـا ان عـدد المعارضـين كـبير ومـوقعهم قـوي، وتسليحهم جيد، وتدريبهم حسن.

من جهة أخرى كان هناك خطأ في الحسابات العسـكرية السـعودية، وهـذا الخطأ يرجـع إلـى الجهـل وسـوء التقـدير، إذ لـم يكـن لآل سـعود علـم بالعـدد الحقيقـي للمعتصـمين ولا بكفـاءتهم وخـبرتهم القتاليـة، رغـم انهـم قـدموا معلومات متناقضة للصحافة تتعلق بعددهم..

عدد المعتصمين

من حـق النظـام ان يضـع تقـديرات ويعلنهـا للنـاس، شـرط ان يـذكر انهـا تقديرات للعدد فحسب.. لكن ليس من حقه ان يعلن ارقاماً نهائية ينفيهـا كـل ساعة، لأن ذلك استخفاف وضحك على الرأي العام وتكون عـاقبته ان احـداً لا يصدق الروايات السعودية التي تناقض بعضها بعضاً..

في بيان وزارة الداخلية الأول حرص وزير القمـع (نـايف) ان لا يشـير إلـى العـدد، وهـذه عـادة آل سـعود، فهـم لا يحبـون ان يطلعـوا احـداً علـى حجـم المعارضين لهم، واكتفى البيان بتقليل اهمية (الاخـوان) بقـوله انهـم (زمـرة)! وان السلطة اتخذت كافة الاجراءات لانهائها.. لكن احد اعضاء الوفد السعودي في تونس اعطى رقماً لصحيفة الأنوار اللبنانية (21/11/1979م) قال فيه ان العدد (30) شخصاً.. فقد كتبت الصحيفة: (تبلغ الوفـد السـعودي إلـى مـؤتمر القمة خلال اتصال هاتفي مع المسؤولين في الرياض، ان رجال الشـرطة فـي مكة المكرمة فرقوا "30" شخصاً من المتطرفين حاولوا التظاهر. وقد القـي القبض على أربعة اشخاص من هؤلاء بعـد العثـور علـى أسـلحة معهـم. وكـان المتطرفون يرددون الهتافات بظهور المهدي المنتظر قبـل ان يفرقهـم رجـال الشرطة)!

البيان السعودي لم يذكر رقماً، ومسؤول سعودي يقـول ان عـددهم (30) شخصاً وثم تأتي اذاعة مونتكارلو، وفـي ذات اليـوم (21/11/1979م) لتقـول على لسان مسؤول سعودي لم تذكر اسمه بأن عدد "المتمرديـن" كـان بيـن (200 ـ 300) مسلح.. بينما ذكرت جريدة الأخبار المصرية ان عددهم أكثر مـن (200) شـخص، امـا وزارة الخارجيـة الأميركيـة فإنهـا أعلنـت فـي مسـاء (20/11/1979م) ان عددهم يتراوح بين (60 ـ 100) شخص[1].

هذه الأرقام ـ عدا الأخير منها ـ اعلنت في اليوم الثاني للعملية.

وكما تناقضت أقوال المسؤولين السعوديين بشـأن العـدد، فـإن الصـحافة العربية والأجنبية وضعت تقديرات مغايرة أخرى..

---

[1] ـ النهار 21/11/1979م.

وفي اليوم الثالث (22/11/1979م) قال وزير الخارجية سعود الفيصل لصحيفة الجزيرة السعودية ان (المعلومات التي توفرت لنا ان عددهم في الداخل كان لا يتجاوز المئتي شخص) [2]..

اما جريدة الأنباء الكويتية[2] فإنها قالت استنادا إلى ما ذكره احد الحجاج المصريين: (انه كان هناك عدة مئات من المهاجمين وربما كانوا الفا).. وعادت (الأنوار) لتنفي ما قالته بشأن ال (30) متظاهراً في اليوم السابق، فتقول: (ان الانباء والمعلومات الواردة من الرياض تفيد ان عددهم حوالي 600 شخص). في حين ذكرت الاهرام تقدير احد الحجاج المصريين بأن العدد يصل إلى حوالي (1000) شخص[3]، بينما اوصلت الهدف الكويتية (22/11/1979م) الرقم إلى (4000) شخص.

وفي اليوم الرابع، نفى وزير الداخلية الأنباء التي ذكرت ان العدد يزيد عن مئتي شخص، إلا ان امام المسجد الحرام الشيخ محمد بن سبيل الذي زعمت السلطات السعودية انه قتل على يد أفراد الجماعة، اعطى رقما مغايرا لما قاله وزير الداخلية، فقال في اليوم الخامس ان العدد يتراوح بين (300 ــ 400) شخص[4]، في حين أكد وزير النفي (الاعلام) محمد عبده يماني ان العدد يقل عن مائتين[5].. وذكرت (الرأي العام) بأن العدد (كان حوالي مئتي شخص في بداية العملية، ثم أخذ في التزايد بصفة مطردة ووصل إلى قرابة ألف شخص)[6]، فهل جاء التزايد اعتباطاً أو انه اكتشاف جديد!!، أم أن مجموعات من الحرس انضمت إلى المقاتلين كما أكدت ذلك أخبار المطلعين؟! ونقلت وكالة (رويتر) للأنباء عن دبلوماسيين في جدة (ان عدد المحاصرين في المسجد الحرام يبلغ عدة مئات)[7]، وهكذا تجاوزت اخبار الصحف والمطلعين أرقام الحكومة الرسمية، بل ان الصحف السعودية نفسها ذكرت ارقاماً اكبر مما ذكره آل سعود أنفسهم!

وفي اليوم السابع للعملية قالت (الأنباء) الكويتية (26/11/1979م) ان شهود عيان قالوا: (ان المسلحين كانوا حوالي ثمانمائة)، وفي اليوم الثامن صرح أحد مرافقي وزير الخزانة الأميركي (وليم ميللر) الذي كان في زيارة لجدة بأنه (جمع معلومات من مصادر مختلفة تفيد بأن عدد المسلحين يتراوح بين "200 ـ 1000" شخص)[8].

وفي اليوم التاسع اعطى احد قيادات الجيش الرائد محمد النفيعي رقماً آخر وزاد عن الــ (200) شخص التي زعم وزير الداخلية انهم اقل منها.. فقال: (تحدد حسب الاستطلاع الأولي بأن عدد تلك الفئة الباغية يتراوح من "200 ـ 500" فرد)[9].. هذا في اليوم التاسع والاستطلاع مازال أولياً!!، مع ان

---

[2] ـ الجزيرة 22/11/1979م.
[2] ـ الأنباء الكويتية 22/11/1979م.
[3] ـ الاهرام 22/11/1979م.
[4] ـ البلاد 24/11/1979م.
[5] ـ الدستور الأردنية 24/11/1979م.
[6] ـ الرأي العام 24/11/1979م.
[7] ـ السفير 24/11/1979م.
[8] ـ الجمهورية المصرية 27/11/1979م.
[9] ـ الرياض 28/11/1979م.

أمراء الأسرة الحاكمة صمتوا بضعة ايام ولم يتحدثوا عـن أرقـام جديـدة كتلـك التي اعطوها بشكل قاطع في وقت سابق.

والأمر المضحك ان مصدراً سعودياً خالف رقم الرائد النفيعي وقدم الرقم السـابق (200) شـخص.. ومـتى؟، فـي ذات اليـوم الـذي نشـر فيـه تصـريح الرائد!!. تقول الرأي العام عن المصدر السـعودي: (ان عـدد المتمرديـن يبلـغ حوالي "200" مسلح تسليحاً جيداً)[1].

في الوقت الذي ذكرت فيه النهار اللبنانية (28/11/1979م) عن صـحيفة الفايننشال تايمز قولها، ان مصادر مؤكدة في جدة قالت: (انهـم ليسـوا حفنـة من الرجال كما زعمت السلطات السعودية).

وفي الثلاثين من نوفمبر 1979م، الموافق لليوم الحادي عشر مـن وقـوع حادثة الحرم، قالت (النهار) ان عدد أفراد الجماعـة نحـو (1000) شـخص[2].. مـع العلـم ان الحكومـة السـعودية روجـت انبـاء تفيـد بـأن المستسـلمين مـن (الزمرة والشرذمة!!) وصل إلى (300) شخص على الأقل حتى اليوم الحادي عشر.. في حين أكدت وكالة الأنباء الفرنسية ان (مئات) لازالوا موجودين فـي أقبية الحرم، ونسبت (الاهرام) القاهرية إلى الوكالة قولها: "انه لايـزال هنـاك في دهاليز المسجد، مئات من الرجال يقاتلون، ورجال يموتون، ورجال تفيـض دموعهم، ربما من الغاز المسيل للدموع، وربما من شدة الغضب واليأس"[3].

وأخيراً، اعترف وزير الداخلية بأن أفراد المجموعة أكثر من مائتين، ولكنـه اعتراف مشروط، فقد قال في مؤتمر له بتاريـخ (4/12/1979م) بـأنهم أكـثر (قليلاً!!)، أي أكثر بالعشرات فقط، ومع هذا لم يـذكر الرقـم بالتحديـد، وفـوق ذاك عاد مرة أخرى وأكد انهم لم يزيدوا عن مائتين.

ففي مؤتمره الصـحفي بتاريـخ (4/12/1979م) قـال: (المعلومـات الـتي لدينا تقول ان عددهم حـوالي مئـتي شـخص، ولكـن الـذي لمسـناه انهـم أكـثر قليلاً)، ولم يذكر رقم القليـل هـذا رغـم ان الحـادث انتهـى!!.. والمضـحك انـه ناقض نفسه بعد شهر من تصريحه هذا، فقال فـي نـدوة لـه مـع طلاب جامعـة الرياض (الملك سعود): (ان عدد المسلحين لم يكن يزيد عـن مئـتي شـخص)، بل وصلت به الصفاقة وقلة الحياء إلى أن يقول في ذات الندوة ان عـددهم (لا يزيد عن أصابع اليد الواحدة)!!.

من كل هذا يتبين ان المسؤولين السعوديين لم يكونوا وقت وقوع الحادث يعرفون الأرقام حقيقة، ولو عرفوها لما قالوها، ورغم ان المعـارك بينـت لهـم ان عدد المعتصمين كبير، ولكنهم يريدون تقليص العدد حفظـاً لهيبتهـم.. ولـذا استمروا في اعطاء أرقـام قليلـة مضـللة تتناسـب مـع قـول (فئـة، وشـرذمة، وزمرة).

والآن لنعد إلى المعارك الـتي وقعـت فـي الحـرم، فالحسـابات السـعودية التي بنتها العائلة المالكة ابان الهجوم كانت قاصرة، مما الحق اضـراراً فادحـة بالقوات الحكوميـة، وممـا زاد الطيـن بلـة، حالـة التخبـط فـي القـوات وعـدم انسجامها، إضافة إلـى الخـبرات العسـكرية المحـدودة الـتي فرضـت خططـاً عسكرية اودت بحياة المئات من العسكريين.

---

1 ـ الرأي العام 28/11/1979م.

2 ـ النهار 30/11/1979م.

3 ـ الاهرام 30/11/1979م.

بعد افناء الفوج الأول الذي تدعمه المدرعات خارج الحـرم، عـرف القـادة العسكريون عدة أمور اهمها: ان عدد المعتصمين كبير، وان خـبراتهم القتاليـة جيدة، وان عملاً عسكرياً تقليديا لـن يفـك أبـواب الحـرم ويسـهل أمـر دخـول القوات.

استدعى وزيـر الـدفاع طـائرات الهيلوكبـتر المقاتلـة بعـد ظهـر الأربعـاء (21/11/1979م) لتشـارك فـي عمليـة عسـكرية ذات اتجـاهين، آملاً بحسـم سريع:

الاتجاه الأول/ ان تتقدم الدبابات لتفتح الطريق أمام الجنود، وذلك بدك سور الحرم المطهر بالقذائف في مناطق معينة، وان تقتحم عدداً من بوابـات المسجد عنوة، والتي هي مغلقة باحكام في وجه القوات الحكومية.

الاتجاه الثاني/ ان تقـوم طـائرات الهيلوكبـتر بـالتحليق فـوق المسـجد الحرام، وتصفي المدافعين الذين على سطحه، وان تقوم قدر الامكان بتعطيل واشغال المتواجدين في المنائر، ريثمـا تنـزل الطـائرات المظليـين، ويتخـذون مواقعهم داخل المسجد، بعد تصفية المتواجدين داخـل باحـة الحـرم، ولينضـم هؤلاء بعدئذ للجنود الذين سيتدفقون من سور وبوابات الحرم..

وكانت النتيجة ان الاتجاه الأول نجح جزئياً بعد مضي ساعات طويلة، رغـم انها كانت عملية مثبطة لعزائم الجنود، الذين تصوروا قبل مجيئهم إلـى الحـرم انهم لـن يخوضـوا هكـذا معـارك وبالأسـلحة الثقيلـة تكـون سـاحتها بيـت اللـه الحرام.. وقد وردت أخبـار خاصـة ان (13) شخصـاً اعـدموا (ميـدانيا) بسـبب رفضهم توجيه قذائف دباباتهم نحو سور وبوابات الحرم.. إضافة إلى ان زوبعة مثيرة حدثت في صفوف الحرس الـوطني، حيـث شـعر مجموعـة كـبيرة مـن فلوله انهم يخوضون حرباً غير مشرفة وليس لها أي مبرر، خاصة وان المسجد الحرام سيكون خراباً ودماراً.

اما الاتجاه الثاني، فإنه كان مقامرة بكل معنى الكلمـة، فـإنزال المظليـين دون تحسب لمواقع النيران ادى إلى مقتـل معظـم (أو كـل) المشـاركين فـور هبوطهم الى الأرض، بل ان عدداً منهم قتلوا قبل ان يصلوا إلى الأرض[1].

هنـا تنبهـت القيـادة العسـكرية إلـى أن المهمـة الأولـى ينبغـي ان تكـون اسـتخدام الغـازات المسـيلة للـدموع لإربـاك المعتصـمين.. لكنهـا وجـدت ان مخزونها من القنابل المسيلة للدموع قليل او معـدوم لا يفـي بـالغرض، سـيما وأن أفـراد الحـرس الـوطني المتواجـدين فـي المنطقـة الشـرقية (وعـددهم عشرون الفاً) لمواجهة المتظاهرين هناك، قد سلموا كميات من هذه القنابل.. مما دعا القوات الحكومية الى الاستعانة بالسـفارة الأميركيـة بجـدة لتزويـدها بها[2].. والجدير بالذكر ان السفارة الأميركية ـ في جدة وغيرها مـن البلـدان ــ تمتلك عادة كميات من الأسلحة الخفيفة والقنابل السـامة والمسـيلة للـدموع تحسباً لأي هجوم طاريء.

من جهة أخـرى، اشـارت وكـالات الأنبـاء فـي اليـوم التـالي لبـدء الهجـوم العسكري السعودي، أي فـي (22/11/1979م) إلـى الخسـائر الفادحـة الـتي تكبدتها القوات السعودية على وجه الخصوص، وأشارت بعد أيام إلى الطريقة التي تمت بها عملية اقتحام المسجد الشريف.

---

1 ـ Anthony Cordesman, The gulf and the Search for strategic stability, P234.

2 ـ المصدر السابق.

فقد ذكرت الحجاج: (ان المدفعية السعودية قد دكت أسوار الصحن لتسمح للقوات الخاصة بالتسرب من خلال الثغرات للداخل، كما اخذت الدبابات استحكاماتها حول الصحن في الساعة السادسة من مساء الأربعاء (21/11/1979م)، وأخذت تطلق قذائف انذار، بينما كانت طائرات القوة الجوية تطير على ارتفاع منخفض جداً فوق المدينة)[1].. والمخجل ان احد وعاظ السلاطين حمد الله على فعلة آل سعود بالحرم، حيث قال احدهم: (استطاعت القوات والحمد لله "!!" بواسطة مدفعيتها ان تفتح بعض أبواب الحرم من بعيد، وان تدخل معها الدبابات التي نزلت في المسجد حتى وصلت المطاف[2]، وان تطلق النار من الداخل على هؤلاء المجرمين)[3]. وقالت جريدة (الأنباء) الكويتية نقلاً عن شاهد عيان: (ان قوات الأمن السعودية حطمت أربع صوامع من الحرم الشريف خلال الهجوم الذي شنته على محتلي المسجد.. وان قوات الأمن السعودية ربما تكون قد الحقت بعض الاضرار بأبواب المسجد)[4].. وقالت صحيفة كويتية أخرى[5]: (ان معركة ضارية دارت في الجناح الغربي من المسجد، ادت إلى اشعال النار فيه، وإلى سقوط عشرات القتلى والجرحى).

وحول القتلى اشارت وكالات الأنباء إلى اعداد غفيرة منهم منذ الأيام الأولى للهجوم السعودي، فبعد يوم واحد أي في (22/11/1979م)، قالت صحيفة السفير، ان مصدراً سعودياً ذكر بأن (معركة قصيرة بالسلاح الاتوماتيكي بين المسلحين والحرس الوطني السعودي قد وقعت وسقط خلالها عدد كبير من القتلى)[6]، في حين ذكر مصدر سعودي آخر لجريدة الاهرام المصرية[7]: (ان مائتي شخص من المسلحين قد لقوا مصرعهم اثناء الاشتباكات التي جرت بينهم وبين القوات السعودية).. وكانت صحيفة الهدف قد ذكرت في (22/11/1979م) بأن ما يزيد على (600) شخص قتلوا أثناء معارك اليوم الأول (21/11/1979م).. كما سبق للاهرام[8] ان نسبت إلى مواطنين قولهم: (ان عدداً كبيراً من طائرات النقل في السعودية من طراز هيركوليز ـ 130 الأميركية قد شوهدت وهي تقلع وتهبط من مطار جدة منذ يوم الثلاثاء 20/11/1979م، ويعتقد ان الطائرات تقوم بنقل الجرحى إلى جدة بعد ان اكتظت مستشفيات مكة بالجرحى).. وبعد أيام قالت الاهرام بتاريخ (27/11/1979م) نقلاً عن وكالة يونايتدبرس ان (عدد القتلى والجرحى الذين سقطوا اثناء المعارك التي جرت أمس الأول يبلغ المئات). وقالت (الرأي العام) نقلاً عن مصادر دبلوماسية: (ان الاصابات كانت جسيمة في الجانبين وان المستشفى العسكري في جدة قد وضع في حالة استنفار لاستقبال الجرحى من مكة)[9].

---

[1] ـ اللوموند 24/11/1979م.
[2] ـ أي على بعد امتار لا تزيد عن العشرة من الكعبة المشرفة!!.
[3] ـ جريدة الرياض السعودية 4/12/1979م.
[4] ـ الأنباء الكويتية 27/11/1979م.
[5] ـ الرأي العام 26/11/1979م.
[6] ـ السفير 22/11/1979م.
[7] ـ الاهرام 25/11/1979م.
[8] ـ الاهرام 24/11/1979م.
[9] ـ الرأي العام 25/11/1979م.

ومع ان القوات الحكومية كانت حتى آخر اليوم الأول لم تستطع فعل شيء كبير سوى اختراق سور الحرم ودك الصوامع والأبواب رغم الخسائر الكبيرة، إلا أن اعلام آل سعود انهى المعركة لصالح آل سعود اعلامياً، فقد صدر بيان حكومي في آخر اليوم الأول لبدء الهجوم السعودي، (21/11/1979م) جاء فيه: (ان العملية ستنتهي قريباً).. مما يوحي بأن كل شيء انتهى، وما هي إلا ساعات فقط!!، وهذا كذب وافتراء وتغطية على الفشل الحكومي الذريع.. وفي صباح يوم (21/11/1979م) نشرت الصحف السعودية تصريحاً كاذباً لوزير الداخلية قال فيه (ان قوات الأمن سيطرت على الموقف داخل الحرم)!.

ومن الأمور التي اتضح كذبها ان الاذاعة السعودية اذاعت في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الأربعاء (21/11/1979م) اذان العصر، وقالت انه اذيع من المسجد الحرام، بينما القوات السعودية لم تستطع حتى ذلك الحين من اختراق سور الحرم!.. وفي نفس اليوم (21/11/1979م) اتصل الملك خالد برئيس الباكستان وطمأنه بأنه (قد تمت السيطرة تماماً على الموقف في مكة)[1]. الجدير بالذكر ان وكالة الأنباء الباكستانية اشارت إلى الاتصال الهاتفي بين خالد وضياء الحق.. في حين عللت أوساط مطلعة سبب هذا الاتصال، بأن الحكومة السعودية طلبت قوات خاصة باكستانية لمساعدة القوات الحكومية في الهجوم على المسجد الحرام، خاصة بعد أن حدث تمرد وتذمر داخل القوات المسلحة وبالأخص الحرس الوطني.

وكانت مصادر غربية[2] قد أشارت إلى أن النظام السعودي عزل ضباط الوحدات الآلية في الحرس الوطني والذين كانوا يحيطون بالحرم، وعين ضباطاً من الجيش، الأمر الذي سبب في امتناع بعض قوات الحرس من تلقي الأوامر من هؤلاء الضباط الجدد الذين لا يعرفون اسلوب توجيه أفراد الحرس، بسبب اختلاف طبيعة الأوامر بين وحدات الحرس والجيش، وغياب الثقة بينهما.

وفي هذه الأثناء أفادت مصادر محلية ان مالا يقل عن ألف جندي من الحرس قد انضموا عملياً إلى جماعة جهيمان، وقاتلوا معه حفاظاً على البيت الحرام.

من جهة أخرى، وفي يوم الخميس (22/11/1979م) أجرت الاذاعة السعودية مقابلة مع وزير الاعلام قال فيها: (انه يأمل انتهاء دراما احتلال المسجد الحرام في مكة خلال الساعات القليلة القادمة)..

في حين نشرت جريدة الرياض[3] في ذات اليوم تصريحات لمصدر مسؤول جاء فيه: (بات من المؤكد ان تتمكن قوات الأمن من انهاء حادثة الحرم خلال الساعات القليلة القادمة).. ولعل وزير الاعلام اعتمد في آماله على تصريح المسؤول هذا، الذي (يؤكد!!) ان الساعات القادمة ستنهي المسألة، التي استمرت ليس ساعات فحسب بل اسبوعين كاملين!

غير ان وزير الداخلية شعر بأن القوات الحكومية لن تستطيع ان تنهي الأمور خلال ساعات فبدأ يسوق التبرير تلو الآخر، ليغطي على الفشل

---

[1] ـ اللواء اللبنانية 22/11/1979م.
[2] ـ الرياض 22/11/1979م.
[3] ـ الرياض 22/11/1979م.

الحكومي ويحفظ لقوات آل سعود هيبتها، فقال فـي تصـريح نشـرته الصـحف السـعودية[1]: (انـه بـالرغم مـن سـيطرة قـوات الأمـن علـى الموقـف داخـل المسجد الحرام، وبالرغم من سهولة اقتحام الأماكن التي يتحصـن فيهـا أفـراد تلك الزمرة الخارجة على الدين داخل المسـجد، إلا أنـه مـن منطلـق الحـرص على أرواح الأبرياء الذين لا يزالون متواجدين داخل بيت الله الحرام، ومراعـاة لحرمة المسجد الحرام التي اهدرها اولئك المجرمون، فإن قيادة قـوى الأمـن تحاول قد الإمكان تجنب أي عمل قد يؤدي إلى الاضرار بالمسلمين)!!.

لقد اوضحنا في صفحات سابقة ان قضية الرهـائن كـانت مفتعلـة لتحقيـق أمرين: **الأول:** تبرير الهجـوم العسـكري ضـد الاخـوان فـي الحـرم، والثـاني: تحول القضية إلى تـبرير ضـعف الحسـم العسـكري الحكـومي وضـعف القـوة العسكرية السعودية.. وبينا ان المسألة ملفقة واعترف آل سعود بتلفيقها حين أكدوا بأن الرهائن غير موجودين، وأوردنا اعتراف وزير الـدفاع حـول المسـألة حين سأله اللوزي رئيس تحرير الحوادث: (قلتم ان المسلحين كانوا يحتجزون رهائن ثم ثبت ان لا رهائن، فأجاب الوزير: لم نقل رهائن. كان هناك 26 حاجاً بقوا في الأقبية حتى آخر لحظة ولذلك سميناهم المسلمين الأبرياء[2].

وها هو وزير الداخلية يبرر عجزه بالقول (حرصاً على المسـلمين الأبريـاء) أي ان هناك رهائن.. وقد ذكر ذلك صراحة في عشرات بل مئات التصريحات.. ويهمنا ان نؤكد بأن الذي قتل الحجاج المصلين أو ما أسـماهم وزيـر الـدفاع بـــ (المسـلمين الأبريـاء)، هـم آل سـعود، وهـذه حقيقـة اكـدتها مراكـز البحـوث الغربية، والصحف والوكالات. وحين اقتحم آل سعود الحـرم، لـم يكـن يهمهـم أرواح أحد، حتى أرواح جنودهم، انما يهمهم ان يحفظوا عرشهم المهتز.

اما الحفاظ على المسجد الحرام، فهو كلام مسـتهجن، فـآل سـعود يـأتون بدباباتهم وطائراتهم ومدافعهم ويقصفون الحرم، ويدمرون صوامعه وبوابـاته، ويشبون النار في زواياه، ويطيحوا بالمـآذن جـراء القصـف، ومـع هـذا يـدعون الحرص على المسجد، فاي حرص هذا، والصحافة السعودية تحمـد اللـه علـى ان قوات الأمـن اسـتطاعت ان تـدمر الأبـواب بواسـطة الـدبابات وتقـف فـي المطاف وتطلق القذائف على المعتصمين؟!

وفي هذه الأثناء كانت المعارك على أشدها داخـل المسـجد، وقـد وصـفت وكالات الأنباء نقلاً عن دبلوماسـيين فـي جـدة، ان خسـائر القـوات الحكوميـة تقدر بالمئات وان القوات الحكومية عاجزة (حتى اليوم الخامس العملية) عـن السيطرة على المسجد.. في حين ان آل سعود يزعمون انهـم سـيطروا عليـه وانه لم يبق من (الشرذمة!) إلا (شرذمة!).. بل ويؤكدون انهم أسروا أكثر من (200) شخص من المعتصمين، بينما لـم يعـترفوا ف ي وقـت سـابق بـأن عـدد أفراد الجماعة يزيد عن مائتين بـأي حـال مـن الأحـوال.. والطريـف ان الرائـد النفيعي مسؤول الاعلام اثناء العملية، قـال بـأن القـوات الحكوميـة لـم تأسـر احـداً حـتى اليـوم الثـامن للعمليـة (27/11/1979م) فـي حيـن ان آل سـعود اسروا المئات قبل هذا التاريخ بأيام!! فوزير الاعلام يصـرح فـي اليـوم الثـالث للعملية (22/11/1979م) بأنه (قد قبض على معظم الأفراد ولله الحمـد)[3]..

---

[1] ـ الحوادث 18/1/1980م.
[2] ـ الرياض 23/11/1979م.
[3] ـ المصدر السابق.

ويؤكد: (الآن نستطيع ان نقول ان الأمور لله الحمد في سبيلها إلى الانتهاء. والآن لم تبق من هذه الشرذمة إلا اعداد قليلة.. وان الأمور تحت السيطرة تماماً) مع انه قال انها ستنتهي خلال ساعات! ويضيف التبرير المعتاد حول عدم الحسم السريع بأن: (المجموعة الخارجة عن الدين الاسلامي، وهي تحت سيطرة جهاز الأمن، كان من الممكن ضربها بقوة في أية لحظة من اللحظات، ولكن جهات الأمن المختصة، كانت حريصة على ان تعالج هذا الموضوع بكل حكمة وبكل تحسب لأرواح المسلمين الأبرياء المتواجدين داخل المسجد الحرام، الذين لا ذنب لهم ولا حول في هذه القضية، وفي هذه الفتنة التي أصابت المسلمين)[1].

وفي يوم (23/11/1979م) اعلنت جميع الصحف السعودية ان قوات الأمن (ألقت القبض على معظم أفراد المجموعة الخارجة عن الدين)!..

وفي ذات اليوم وردت أنباء عن ان القتال لا زال يدور في باحة المسجد والمآذن، وان المعتصمين تمكنوا من الصمود رغم هجوم طائرات الهليوكبتر، التي أسقطوا منها اثنتين، وقالت وكالات الأنباء ان المعتصمين تحصنوا في المنارتين الشرقية والغربية من المسجد، مع العلم ان وكالات الأنباء قالت بأن الحكومة السعودية ستنهي العملية خلال عدة ساعات قادمة!، فيما الساعات تتحول إلى أيام بقدرة قادرة!

فبعد يوم كامل أي في (24/11/1979م) عاد حديث الصحف حول: (توقع السلطات السعودية ان تنتهي العملية خلال الساعات القليلة القادمة)[2].. في حين لم يذكر المسؤولون السعوديون شيئاً عن اخبار المعارك، وانما تحدث اليماني ـ وزير الاعلام ـ عن (ان القوات السعودية تقوم الآن بتعقب فلول الزمرة الباغية)[3]، فالمسألة اذن ليست مسألة ساعات، وان العملية صعبة للغاية لن يفيدها قول حماسي يختصر الأيام والأسابيع في ساعات معدودة!

وفي اليوم الخامس من وقوع الحادث (24/11/1979م)، ذكرت الصحف العربية نقلاً عن وكالة يونايتدبرس ان وزير الاعلام أصدر بياناً في الرابع والعشرين من نوفمبر أعلن فيه سيطرة قوات الأمن كاملاً على المسجد، ووعد بأن يصدر وزير الداخلية بياناً بعد اتمام القبض عليهم، أي ان العملية لم تنته، والظريف انه بعد (12) ساعة من اعلان بيانه الأول عاد فقال كلاماً آخر وهو ان (الارهابيين ستتم محاصرتهم خلال الساعات القادمة)! وهكذا تخبط وزير الاعلام ـ النفي ـ كما يتخبط الأمراء والصحافة، لأن الكذب حبله قصير، خاصة وان كل مسؤول يصدر البيان حسب هواه، فهذا يعلن نهاية العملية خلال الساعات، وآخر يقول ان محاصرتهم ستتم خلال ساعات، وثالث يؤكد ان العملية انتهت.. الخ.. بل ان الصحف السعودية وقعت في هذا التخبط كل يوم، فهي كل يوم تبشر بانتهاء العملية ثم ما تلبث ان تكذب ما تكتبه لانها تنقل أقوال المسؤولين المتناقضة كل يوم.. حتى ان جريدة الشرق الأوسط نشرت في (24/11/1979م) خبر (تمكن قوات الأمن من فرض سيطرتها الكاملة يوم الجمعة 23/11/1979م، وشلت حركة الشرذمة "!!" الباغية، وهي تقوم بمطاردة بعض الفلول لاعتقالها)، وقد نشرت هذا القول تحت

---

[1] ـ الانباء الكويتية 24/11/1979م.
[2] ـ الاهرام 24/11/1979م.
[3] ـ الرياض 25/11/1979م.

عنوان مثير (انتهت عملية التطهير والعقاب سيكون صارماً)!، فهل انتهى كل شيء حقاً؟!

وفي اليوم السادس (25/11/1979م) انهت جريدة الرياض المعارك بفوز القوات الحكومية على الورق!!، فقالت تحت عنوان (حادثة الحرم في مراحلها النهائية) مايلي: (أصبحت جريمة الاعتداء الآثم على الحرم الشريف في مراحلها النهائية، ولم يتبق سوى عملية تنظيف وتطهير الحرم الشريف، ومن المتوقع ان يصدر اليوم بيان يوضح الخطوات الحكيمة التي تم خلالها معالجة الموقف والاسلوب الذي اتبع للقبض على العصابة المارقة)[1]. ولا ندري ماذا قصدت الجريدة من تنظيف وتطهير الحرم، هل إزالة الاوساخ والجثث، أم ازالة المعتصمين الذين لازالوا حتى ذلك الحين يقفون سداً منيعاً أمام تدفق القوات الحكومية؟!

الطريف ان وزارة الاعلام اعلنت في ذات الوقت (25/11/1979م) عن انتهاء الحادث رسمياً، فقال في بيان أذيع: (نحمد الله ان مكننا من انهاء المشكلة التي خلقتها المجموعة الخارجة عن الدين في المسجد الحرام، والطريقة التي حنقت بها دماء المسلمين، واضطرت المارقين على الاستسلام لقوى الأمن م ع الحفاظ على حرمة المسجد الحرام وقدسيته. نحمد الله فقد كان ذلك فضلا من الله سبحانه وتعالى على هذا البلد، وعلى قيادته وشعبه، فقد اثبتت قيادتنا الحكيمة انها قادرة على مواجهة مثل هذه الأمور بحكمة وقدرة وفعالية، تحفظ لهذا البلد استمرارية امنه واستقراره في ظل الشريعة السمحاء التي نعتز بها جميعاً، وبالانتماء اليها ونجعلها دستورنا ومنهاج حياتنا. وان العملية الآثمة قد انتهت بفضل الله ثم بفضل الجهود الخيرة التي بذلتها قوات الأمن، والوعي الكامل الذي أبداه المواطنون)..

إذن استسلم المعتصمون، وانتهت العملية والمشكلة، وحفظ آل سعود حرمة المسجد الحرام وقدسيته.. رغم انهم انزلوا دباباتهم ومصفحاتهم فيه وهدموا أركانه واشعلوا في ربوعه النار!!.. وكل ذلك بفضل من الله على آل سعود الذين يمثلون القيادة الحكيمة!

الجدير بالذكر ان الاعلام السعودي سرب للصحافة ووكالات الأنباء خبر انتهاء المشكلة، إلا أن بعض الصحف خافت من أخذ قول الاعلام السعودي بحرفيته، لأنها ادركت أن العملية لم تنته.. فجريدة الأنباء الكويتية، نقلت عن مصادر سياسية سعودية رسمية: (أن الوضع في المسجد الحرام هو تحت السيطرة الكاملة للقوات السعودية، وأن قضية إخلاء المسجد من بقايا فلول الأشرار هي قضية ساعات فقط)[2]، بينما أحمد الجار الله صاحب جريدة السياسة نقل ما سربه الاعلام السعودي بحرفيته، فاتصل بجريدته من الرياض، لتكتب تحت عنوان بارز: (انتهت أبشع جريمة في التاريخ الاسلامي.. وبدأ التحقيق).. وإذا كان هناك من جريمة حقاً، فهي جريمة آل سعود الذين استباحوا حرمة بيت الله ودنسوه وقتلوا المؤمنين فيه..

وقالت السياسة تحت العنوان المذكور: (يمكن القول بأن عملية المسجد الحرام قد انتهت تماماً في الساعة الخامسة من بعد الظهر يوم أمس السبت (24/11/1979م)، وتحققت السيطرة الكاملة على الموقف بشكل نهائي،

[1] ـ الأنباء 25/11/1979م.
[2] ـ السياسة 25/11/1979م.

وفق الترتيبات التي وضعتها الحكومة السعودية، والتي هي الحفاظ على مبنى المسجد واعتقال الأشخاص الذين قاموا بالعملية أحياءاً قدر الامكان)[1]..

شيء طريف حقاً.. أن تستورد السياسة مثل هذه الأخبار، خاصة وأنها حددت الوقت بالساعات أيضاً، وهو ما لم تفعله الصحف السعودية، وما لم يذكره بيان وزارة الاعلام نفسه.. والدليل على ان هذا التوقيت صحيح بالساعات والتاريخ، هو أن الصحف السعودية، لم تشر إلى بيان وزارة الاعلام في اليوم التالي (26/11/1979م).. لأنها لم تشأ أن تضع أخبار المعارك وتصريحات الأمراء الكبار التي تفيد باستمرارها، إلى جانب بيان وزارة النفي، بصورته القاطعة التي تحدث بها عن نهاية العملية.. مع هذا لم تخل أقوال الصحف من التناقضات فيما بينها، بل إن الصحيفة الواحدة تناقض نفسها في ذات الوقت وفي نفس العدد.. فجريدة المدينة قالت بأن الحادثة انتهت يوم الأحد (25/11/1979م) وأنه (تم القبض على البقية الباقية من المجرمين حيث استسلم آخر عدد منهم، وهناك فرق تقوم بتمشيط البدروم على الفور، وتم اعتقال المهدي المزعوم محمد بن عبد الله والقبض على والدته وزوجته وإخوانه).. وأضافت (ومن جهة أخرى قام رجال الأمن بإخراج جميع الرهائن المحتجزين من اليوم الأول داخل المسجد الحرام)[2].. وهذا القول لا يخلو من مغالطات مفضوحة:

أولاً: إذا كانت العملية قد انتهت واستسلم آخر عدد منهم، فلماذا التمشيط للبدروم؟!.. وكان بإمكان الصحيفة أن تنتظر ربع ساعة ـ لو كان خبرها هذا عاجلاً ــ لتتأكد أن التمشيط حصل وأن من اعتقلوا هم كل ما تبقى من المجموعة.. مع هذا نشرت الصحيفة في نفس اليوم تصريحاً لنائب وزير الداخلية أحمد بن عبد العزيز قال فيه: (إن الفتنة تعتبر في حكم المنتهية) [3].. أي أنها لم تنته بعد، خلاف ما قاله بيان وزارة الاعلام السابق..

ثانياً: زعمت الصحيفة أنه تم إلقاء القبض على (المهدي المزعوم!) محمد بن عبد الله، ولم تذكر تكملة الاسم وهو القحطاني لأمر في نفس يعقوب، لأن وزير الداخلية اعتبره (تركيا!!).. مع العلم ان مصير القحطاني لم يعلن عنه إلا بعد انتهاء الحادث، وقالت (الداخلية) أنه قتل ونشرت صورته!!.. فكيف تم إلقاء القبض عليه إذن؟!

ثالثاً: قالت ان قوى الأمن أخرجوا جميع الرهائن، ولكن لم يكن هناك رهائن.. وإنما (26) حاجاً، سماهم وزير الدفاع بالمسلمين الأبرياء بقوا حتى آخر لحظة من العملية، أي حتى تاريخ 15 محرم 1400هـ، الموافق 4/12/1979م، بينما الصحيفة قالت أن إخراجهم تم يوم (25/11/1979م) أي قبل (9) أيام من انتهاء الحادث!!

أما جريدة الرياض[4]، فقد دمجت بين الانتهاء والتطهير، وهما أمران لا يجتمعان فما دام هناك (تطهير) أو (تمشيط).. لا فرق، فإن العملية لم تنته، وإلا لمن التطهير والتمشيط؟!.. تقول الرياض: (تواصل قوات الأمن عمليات تطهير المسجد الحرام من آثار حادث الفئة الباغية التي اعتدت على قدسيته،

---

[1] ـ المدينة 26/11/1979م.
[2] ـ الرياض 26/11/1979م.
[3] ـ الشرق الأوسط 27/11/1979م.
[4] ـ الجزيرة 27/11/1979م.

كما تقوم في نفس الوقت بعمل التنظيفات اللازمة استعداداً لاستقبال جموع المصلين، وقد استقبل المسلمون والمواطنون انتهاء الحادثة بسعادة بالغة)!

وظهرت (السعادة البالغة!!) في ذات اليوم (26/11/1979م)..

حين أصدر وزير الاعلام بياناً تبريرياً أوضح فيه أن العملية لم تنته.. فبعد أن كرر المقولة الزائفة بحرص آل سعود على حرمة البيت المقدس من التدمير، وحرصهم على أرواح الرهائن المزعومين، أضاف اليماني: (وهذه العملية جعلت عملية اقتحام المسجد، وعملية القضاء أو القبض على هذه الفئة عملية صعبة، خصوصاً بسبب وضع المسجد الحرام)، ولا يعني قول الوزير وضع المسجد الحرام من الناحية الدينية والقدسية، وإنما وضعه من ناحية حجمه وكثرة أعمدته وتحصن المعتصمين الشديد في رحابه.. ويكمل قائلاً: (والذين يعرفون المسجد الحرام يعرفون أنه عبارة عن قلعة محصنة بمناراتها التي تمركزوا فيها.. وتمركزت مجموعات وأفراد من هذه الفئة أيضاً في طبقات المسجد المختلفة ومن خلال الشرفات، بحيث أصبحت عملية اقتحام المسجد في غاية الصعوبة)، إذن ما الذي دعا الوزير أن يقول في وقت سابق، بأن قوات الأمن قادرة على سحق المجموعة في أي لحظة من اللحظات؟.. ولماذا يكذب كل يوم بأن العملية انتهت أو أنها ستنتهي خلال ساعات؟!!

وظهر التخبط الاعلامي السعودي على أشده في اليوم التالي (27/11/1979م)، فالصحف نشرت تبريرات الوزير حول سبب تأخر الحسم السريع، ولكنها نشرت أيضاً خبر انتهاء العملية باستهجان وغباء!.. فجريدة الشرق الأوسط قالت عن مصادر رسمية: (أن المسجد الحرام سيفتح أمام المصلين بعد الانتهاء من تنظيفه وغسله.. وأن مسئولاً سعودياً قال إثر استسلام آخر فلول العصابة "إن من واجبنا أن نبقى في مواقعنا أكثر حرصاً واهتماماً"..)[1]، في حين قالت صحيفة الجزيرة تحت عنوان (أمس كانت الرياض في فرحتين) تحدثت فيه عن زيارة أميري الكويت والبحرين للرياض، فقالت: (جاءا ليجددا العهد، ويطمئنا عن قرب، ويهنئا بانتهاء المحنة.. لقد كانت الرياض في فرحتين، فرحة القضاء على طغمة الفساد والإفساد التي عاثت فساداً وشراً، واختارت المسجد الحرام لتعلن فسادها وشرها على الأمة، وفرحة لقاء الأشقاء يتبادلون المشورة، ويتناقشون في خير الرعية)!

فالعملية هنا انتهت.. بعكس ما قال وزير الاعلام الذي لا يكذب!

إلا أن هذه الصحف أبت إلا أن تكذب نفسها في اليوم التالي (28/11/1979م)، فنشرت مقابلة مع الرائد النفيعي، أكد فيها أن العملية لم تنته، رغم زعمه باستسلام أعداد كبيرة من الجماعة.

وعادت الصحف بعد (24) ساعة، لتعلن أن الحادث انتهى من جديد!، وأن تطهير المسجد انتهى، بل إن جريدة الرياض[2]، أكدت أن المواطنين يطوفون بالكعبة، وأن الكعبة لم يصبها أي ضرر.. وهي بهذا تنفي الأنباء التي تحدثت عن إصابة مبنى الكعبة المشرفة بعدة قذائف من الدبابات، وأن أركاناً منها تهدمت على يد القوات الحكومية!، وفي ختام حديث الجريدة قالت: (ولم يتبق إلا نفر قليل لازال يختبيء تحت الأقبية الأرضية، في حين تواصل قوات

---

1 ـ الرياض 29/11/1979م.
2 ـ السفير 29/11/1979م.

الأمن تضييق الخناق عليها، ويتوقع أن تستسلم بين لحظة وأخرى).. وهي بهذا القول تنسف كل المزاعم التي ذكرتها قبل أسطر.

ونسبت (الـرأي العـام) للتلفزيـون السـعودي قـوله: (إن الحمـائم عـادت ترفرف على الحرم في أمان، ويتوقـع أن يعـود فتـح المسـجد أمـام المصـلين والطائفين والساعين إبتداءاً من اليوم "29/11/1979م"..).. غيـر أن جريـدة السفير شككت في انتهاء الحادث بقولها: (استمرت أمس، لليوم التاسع علـى التوالي، عملية احتلال المسجد الحرام في مكة، دون أن يصدر من السـلطات السعودية ما يشير إلى المرحلة التي وصلت إليها الحملة)[1].

وفي يوم (30/11/1979م) نشرت الصـحف السـعودية خـبر، قيـام أميـر مكة السابق (فواز) وأخوه وزير الداخليـة (نـايف) بجولـة ميدانيـة دعائيـة فـي الحرم، لتأكيـد خـبر انتهـاء الحـادث وإلقـاء القبـض علـى المعتصـمين، وقـالت الصحف بأن عدداً غفيراً من المواطنين أدوا صلاة الظهر جماعـة فـي الحـرم، كدليل على أن البيت المقدس قد طهر وانتهى أمره.. إلا أن الصحف لم تنــس أن تقــول فــي نفــس اليــوم أن (الفئــة الباغيــة قــد حوصــرت فــي الخلاوي والسراديب السفلية) على حد قول جريـدة الريـاض فـي (30/11/1979م).. بمعنى أن المشكل لايزال قائمـاً ينتظـر الحسـم، وهكـذا كـان اليـوم التـالي (1/12/1979م).. فالصحف تتحدث عن (استمرار التضييق على الفئـة الباغيـة وتطارد فلولها)!!

الجدير بالذكر أنه بانتهاء شهر نوفمبر، تشددت الصـحافة ووسـائل الاعلام العربية والأجنبية ـ بل والمحلية أيضاً ـ في الحديث عن شـدة المعـارك وهولهـا وخسائر القوات الحكومية الكبيرة فيها، رغم الأساليب البشعة التي قام بها آل سعود في سبيل إفناء المعتصمين..

فاليماني ـ وزير الاعلام آنئذ ـ تحدث عن قوة الجماعة مبرراً تأخير الحسـم بالآتي: (إن هؤلاء المتمردين في غابة كثيفة من الأعمدة بصـورة لا مثيـل لهـا، ويجيدون الاصابة ويحـددونها فـي أجسـام العسـكريين، ممـا جعـل بعـض هـذه القوات تخلـع الملابـس العسـكرية للتمـويه).. وكـانت القـوات الحكوميـة قـد قطعـت الكهربـاء والمـاء عـن المعتصـمين، وألقـت عليهـم القنابـل السـامة والحارقة للأوكسجين، بل وأحرقت الاطارات ودفعت بها إلي الأقبية، لكن ذلك لم يفل من عزم المدافعين، الذين كانوا يرتدون أقنعـة واقيـة مـن الغـازات[2]، وقد تحدثت جريدة الشرق الأوسـط السـعودية (1/12/1979م) علـى لسـان مصدر سعودي بالقول: (إن قيادة قوى الأمـن تحـاول اسـتخدام وسـائل عـدة لإخراج من بقي من أفراد هـذه الجماعـة فـي الطبقـة السـفلية، وإحـدى هـذه الوسائل حرق إطارات السـيارات عنـد مـداخل الغـرف لجعـل الحيـاة فيهـا لا تطاق.. إضافة إلى ضخ المياه إلى داخل الغرف، وهي طريقة تعلق عليها قوى الأمن آمالاً كبيرة لأسر البقية الباقية)..

لقد ضخ الماء الملوث بكميات هائلة داخل الأقبية، حتى أصبحت كـأحواض السـباحة.. ممـا أدى إلـى غـرق بعـض أفـراد الجماعـة.. غيـر أن الصـحافة السعودية زعمت أن الغرق قد تم (بفعل رباني إلهي) حين طفحت بئـر زمـزم

---

1 ـ مجلة الوطن العربي ـ العدد 147.
2 ـ المدينة 6/12/1979م.

فأغرقت مجموعة من العصابة!.. تقول جريدة المدينة[1]: (خلال الساعات الأخيرة لتصفية الفئة الباغية من يوم أمس "5/12/1979م" من قبل رجال الأمن، وأثناء اقتحامهم للخلاوي التي كان المجرمون يختبئون بها، كانت إرادة الله تقف سنداً مع رجالنا الذين كانوا يدافعون عن بيته الحرام، حيث شوهدت بئر زمزم وهي تطفح بمائها لتغرق سبعة أشخاص من الفئة الخارجة كانوا في القبو الملاصق لبئر زمزم.. وهكذا ينتقم الله من البغاة الطغاة)!

من جهة ثانية ذكرت جريدة السفير اللبنانية ع.ن مصادر سعودية: (أن الحكومة انتهجت سياسة تجويع المسلحين) من أجل القضاء عليهم أحياء، ونشرت جريدة الرياض بتاريخ (4/12/1979م) وصف أحد مشايخ السلطة (حمود العقيل) نقلاً عن شاهد عيان للمعارك بقوله: (ومهما وصفت ووصف غيري هول المعركة وضراوتها، فإن القاريء لا يستطيع تصور معشار ما حصل من هؤلاء المجرمين، ولعله يبين بعض الشيء ما حدثني به أحد كبار القضاة في محكمة التمييز بمكة المكرمة، من أنه مرّ حول المسجد الحرام من جميع الجهات على سيارته ـ لأنه يحمل تصريحاً بذلك من الجهات المسئولة ـ فكادت أن تصرعه روائح الجثث المتكدسة في المطاف والمسعى وفي جميع أروقة المسجد.. والتي لم يتمكن المدافعون عن بيت الله من إزالتها وإبعادها، وذلك في يوم الأحد 6/1/1400هـ، أو الاثنين بعده وهذا هو غالب الظن)[2].. وكذلك (ما ذكره لي بعض من تمكن من رؤية وسط المسجد من فوق الجبال المحيطة به، من أن المطاف مليء بالقتلى لا سيما بين المقام والحجر الأسود.. والمعركة عنيفة وضارية، ولكي يتصور القاريء اللبيب بعضها، يجب عليه أن يعرف أن المسجد ـ على سعته وعظمته ـ تحول إلى قلعة تحصن بها هؤلاء الظالمون الفاسقون، وأصبح المسجد كله مصدراً للرصاص المنهمر على عباد الله المسلمين من فوق المآذن الشاهقة، ومن النوافذ والزوايا، ومن جميع الجهات، وأن الحرب ضروس مستعصية، وبدا لبعض الناس أن دخول القوات المسلحة مستحيل)..

ويذكر "باتريك سيل" المعروف باطلاعه على شؤون سوريا.. (يبدو أن عملية تصفية المهاجمين داخل المسجد الحرام كانت أكثر دموية مما أذيع، إذ يقدر عدد القتلى بألفين!!.. منهم "1500" من رجال الجيش والحرس الوطني السعودي)[3].

وبعد أيام من انتهاء الحادث، برر سليم اللوزي تأخر الحسم السعودي وإصابات الجنود السعوديين الكثيرة بقوله: (وقد أخبرني أحد الأمراء من أولاد الملك عبد العزيز، أن المسئولين في المملكة فوجئوا ـ مثلي وأكثر ـ فوجئوا بالعملية، وفوجئوا بحجمها، كما اكتشفوا أنهم لم يكونوا يعرفون جغرافية المسجد، ولم يكونوا يعرفون أن هناك أقبية وسراديب وخلاوي بالحجم والمواصفات التي ظهرت، وأن هناك أسرة يأوي إليها المتعبدون والمعتكفون والنساك، لم يكونوا يعرفون شيئاً كثيراً عن هذا العالم الذي كانت تحت

---

[1] ـ هذا الكلام يوضح ان القوات السعودية لم تستطع السيطرة على باحة الحرم حتى اليوم السادس من وقوع الحادث، وهذا يكشف كم هو كذب أمراء آل سعود، الذين أعلنوا من اليوم الثاني انهم انهوا العملية تماماً وإلى الأبد!!.

[2] ـ السفير 1/2/1980م.

[3] ـ الحوادث 8/1/1980م.

الأرض، ولذلك عندما وقعت الحادثـة، كـانت تنقصـهم المعرفـة الكاملـة لأرض المعركة، وعلى العكس.. كانت جماعة جهيمان قد درسوا المواقع، واكتشــفوا خباياها، وقدروا إمكانية المقاومة فيها)[1].

والغريب أن أمراء آل سعود، وبعد أن كثرت الاصابات فـي جنـودهم، وراح العالم يتحدث عنها، بدأوا بالعزف على وتر الشهادة (!!) والتغنـي بهـا، لتقليـل وقع الخسائر وفداحتها.. فوزير الداخلية يقول: (إن الانســان مصـيره المـوت، طال به الزمن أو قصر، ولكن الذي يموت هذه الميتة الشريفة هـو المحظـوظ دنيا وآخرة)[2].. وتحدث فهد (الملك الحالي) عن الشـهادة فقـال: (إنـه يتمنـى أن يستشهد في سبيل الله والدفاع عن بيته، لنيل مرضاة رب العزة والجلالة!)[3].

وتحدث عبد الله (ولي العهد الحالي) عـن الشـهادة فقـال: (إنـه لفخـر أن يموت الانسان دفاعاً عن عقيدته السمحاء وأرض الله الطـاهرة)!!، فـي حيـن قـال مشـعل (وزيــر الـدفاع السـابق).. بعـد ان راج خـبر قتلـه.. (لـو كـان استشهادي في سبيل الدفاع عن بيت الله الحرام، فإن ذلك أقصى ما أتمنـاه.. لأن في ذلك شرف لي، وإن روحي ودمي فداء لله، ثـم لمليكـي جلالـة الملـك خالد، وسمو ولي عهده الأمير فهد، وسمو النـائب الثـاني الأميـر عبـد اللـه)[4]، ولقد فاتتهم (الشهادة!) لأنها لم تكن صفقة أو رشوة أو سرقة من الخزينة!!

على أية حال مضى يوم (1/12/1979م) والصحافة تتحدث عن (التضييق المسـتمر) علـى الجماعـة الـتي زعـم آل سـعود أنهـا تستسـلم، أو هـي فـي الطريق.. وأن المسجد الحرام تواصل فيه الأجهزة الحكوميـة العمـل (لتهيئتـه للمصلين)[5]، بمعنى ان الحديث عن افتتاحه وانتهاء تطهيره وصلاة المـواطنين فيه منذ يوم (29/11/1979م) ما هو إلاّ كذب محض.. وافتراء رخيص، يؤكده آل سعود يومياً في تصريحاتهم.

ومــر يــوم (2/12/1979م) وهــو اليــوم الثــالث عشــر دون أن تحســم المعارك، ومضى يوم (3/12/1979م) والصحافة تتحدث عـن (تطهيـر الحـرم وتهيئتـه للمصـلين).. وفـي يـوم (4/12/1979م) الموافـق (15/1/1400هــ) أعلن وزير الداخلية ـ وللمـرة الأخيـرة ــ انتهـاء المعـارك وإلقـاء القبـض علـى البقيـة الباقيـة مـن المعتصـمين.. فقـد أصـدر الـوزير بيانـاً نشـرته الصـحف السعودية في نفس اليوم، جاء فيه ما نصه: (أنه تم بعون من الله وتوفيقه في الساعة الواحدة والنصف من صباح هذا اليوم الثلاثاء الموافق 15/1/1400هــ تطهير قبو المسجد الحرام مـن جميـع أفـراد الطغمـة الفاسـدة الخارجـة عـن الدين الاسـلامي، ممـن كـانوا فيـه، حيـث أسـر بعضـهم وقتـل البعـض الآخـر، وسوف يصدر بيان إلحاقي بالتفاصيل كاملة في وقت لاحق إن شاء الله)..

ومع أن الساعات تحولت إلـى أسـبوعين كـاملين، فـإن فهـد ــ المعـروف بكذبه الشنيع ـ صرح بعد أيام: (بأن عملية تطهير المسـجد الحـرام فـي تقـدير العسكريين من الخارج تحتاج إلى شـهرين، وتطهيـر الأقبيـة إلـى ثلاثـة أشـهر،

---

[1] ـ الرياض 4/12/1979م.
[2] ـ المدينة 2/12/1979م.
[3] ـ البلاد 24/11/1979م.
[4] ـ البلاد 24/11/1979م.
[5] ـ الرياض 1/12/1979م.

ولكنها تمت في وقت قياسي!)[6]، وهذا تبرير سخيف لا يستحق التوقف عنده، لأن العـالم كلـه شـهد العجـز والتخبـط السـعودي علـى حقيقتـه.. ولـولا دعـم القـوات الأجنبيـة للقـوات السـعودية، ولـولا قيـادة الخـبراء الغربييـن الكفـرة للمعارك في بيت الله ضد المعتصمين فيه من المؤمنين، لما تمكـن آل سـعود من إنهاء العملية..

الفصل الثامن

أسرار التدخل الأجنبي

الدعم الفرنسي:

على أثر تولي الأمير تركي الفيصل رئاسة المديرية الخاصـة للإسـتخبارات في البلاد، بدأت العلاقة بين هذه المديرية، وبين هيئـة الاسـتخبارات الفرنسـية في النمو، وكان ذلك في سـبتمبر 1977م. وقـد ظهـرت حقيقـة هـذه العلاقـة الوثيقة للعيان أثناء انتفاضة الحرم في نوفمبر 1979م، حينمـا اعتصـم الثـوار المسلمون في الحرم المكي الشـريف، مطـالبين بإسـقاط الحكـم السـعودي القائم على الفساد..

وكان قلق السعوديين من ذلك الحادث عظيماً، إذ أنه أظهر حقيقــة حـاول الأمراء إخفاءهـا بشـتى الوسـائل، وهـي وجـود آلاف قطـع السـلاح فـي أيـدي الشعب، ووجود آلاف المعارضين للنظام الذين يستمدون قـوتهم مـن التجمـع الديني في المناطق المقدسة، التي تزعم الأسرة السعودية دائماً أنهـا مواليـة لها.

فـي بدايـة العمليـة، أرسـلت المخـابرات الفرنسـية خبيرهـا فـي شـؤون مكافحة الثورات (كلنل جيليـد) علـى رأس فرقـة مـن القـوة الضـاربة للـدرك الوطني الفرنسي (GING). والمدربة على مكافحة ما يسـمونه بــ (العمليـات الإرهابية)، حيث كانت مهمة هذه الفرقة تقـديم النصـائح فيمـا يتعلـق بتنسـيق عمليات القوات السعودية التي تحاصر المعتصمين في الحرم المكي.

لم يؤثر وجود المستشارين الفرنسيين في وضع القوات السـعودية كـثيراً، فهذه القوات ـ رغم تسليحها المتقدم ــ تفتقـد إلـى التـدريب الجيـد، والتجربـة العمليـة.. لـذلك طلـب الملـك خالـد شخصـياً مـن الرئيـس الفرنسـي آنـذاك (فاليري جيسكار ديستان)، إرسال مجموعة أخـرى مـن الــ (GING) لتـدريب القوات السعودية وقيادتها لانتشال الأسرة الحاكمة من محنتها..

وحسب معلومات مجلـة (لوبـوان) الفرنسـية، فـإن الحكومـة الفرنسـية، أرسلت خمسة خبراء آخرين في 23/ نوفمبر/ 1979م لهـذا الغـرض.. وشـيئاً فشيئاً أصبح لدى القوات السـعودية قـدرة كافيـة للقيـام بهجـوم نهـائي قـاده المستشارون الفرنسيون، وأدى إلى تحطيم المقاومة داخل المسجد الحـرام، وإعادة السيطرة عليه في الأيام الأولى من شهر ديسمبر 1979م.

وعلى إثر ذلك، اتسعت رقعة العلاقات بين أجهزة الأمـن السـعودية، وبيـن المخابرات الفرنسية.. ومما زاد هـذه العلاقـات عمقـاً ووثوقـاً الصـداقة الـتي

---

[6] ـ الجزيرة 10/12/1979م.

تطورت بين الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، وبين (ألكسندر مارنشيل) قائد المخابرات الفرنسية آنئذ، حسب ما أكدته معلومات مجلة (لوبوان).

ومنذ ذلك الحين وحتى الآن، يزداد عدد المستشارين الفرنسيين العاملين في وزارة الداخلية السعودية وجهاز المخابرات، وقد شكلت لجنة سعودية فرنسية مشتركة في المجال الأمني، تضم مجموعة من كبار موظفي الحكومتين، كان من بينهم (جاك بيير ريتش) من وزارة الداخلية الفرنسية، و (جاك سولير) قائد البوليس الوطني الفرنسي.. وتضم من الجانب السعودي الفريق أول عبد الله آل الشيخ مدير الأمن العام، والفريق أول محمد هلال قائد القوات الخاصة.

الجدير بالذكر أن الحكومة السعودية نفت مشاركة أية جهة أجنبية في قمع المعتصمين داخل المسجد الحرام.. وبعد نشر مجلة (لوبوان) تفاصيل المساعدة الفرنسية بتاريخ 28/1/1980م، استاء فهد وحكومته من ذلك، وأوكل لسفارته في باريس أن ترد على مجلة (لوبوان) بالقول: (إن أي قوة أجنبية لم تشترك في الاقتحام الذي قامت به القوات السعودية).. و(أن المنطقة التي فيها مكة وبالتالي المسجد الحرام لا يمكن تدنيسها، إذ أن الدخول إلى الأماكن المقدسة غير مسموح به إلا للمسلمين)[1]..

ولكن متى كان آل سعود يراعون حرمة للأماكن المقدسة، وهم الذين اقتحموا البيت الحرام بالدبابات ورجموه بالصواريخ، وألقوا عليه القنابل من الطائرات؟!.. إن آل سعود لا يهمهم تدنيس بيت الله بتواجد المسيحيين فيه، وإنما يهمهم حفظ ملكهم العقيم، الذي من أجله يقتلون الناس ويدنسون الأماكن المقدسة، ويهتكون الحرمات.

من جهة ثانية، ذكرت وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية: (أن الرئيس فاليري جيسكار ديستان، أوفد مبعوثاً خاصاً على مستوى عال إلى الرياض لتهدئة السلطات السعودية التي تشعر بالاستياء نتيجة نشر أنباء عن تدخل قوات فرنسية خارجية لانهاء عملية المسجد الحرام) [2]..

دعم المخابرات الأميركية وألالمانية

يشير تقرير نشرته صحيفة الواشنطن بوست ــ الوثيقة الصلة بالإدارة الأميركية ــ إلى أن الحكومة السعودية طلبت مساعدة (هيئة التدريب العسكري الأمريكي) و (قوات سلاح الهندسة للجيش الأمريكي)، فور قيام انتفاضة الحرم الشريف. وطوال الفترة التي استغرقتها عملية قمع الانتفاضة، كان المسؤولون السعوديون على اتصال مستمر بالخبراء الأميركيين في مجال الأمن!

ونقلت مجلة (مكافحة الجاسوسية) الأميركية في عددها الصادر في يوليو 1981م، عن مصدر موثوق، أن شركة فينل (Venil) وهي مؤسسة للخدمات الأمنية الخاصة على ارتباط بالمخابرات المركزية الأميركية (C.I.A)، قدمت خدمات مباشرة ومهمة لقوات الحرس الوطني فيما يتعلق بتنفيذ العمليات الخاصة، وأن هذه الخدمات أثرت تأثيراً واضحاً في قمع الانتفاضة.

---

[1] ـ البلاد 24/11/1979م.
[2] ـ البلاد 24/11/1979م.

وتضيف المجلة، بأن المحاولات الكثيرة التي بذلتها القوات السعودية للسيطرة على المسجد الحرام واجهت فشلا ذريعاً، رغم كونها مجهزة بالسلاح المتطور مثل صواريخ تاو (TOW)، مما دعا الأمراء السعوديين إلى وضع ثقتهم الكاملة في حلفائهم الأميركيين والفرنسيين.. ومن هذه النقطة توسعت أعمال شركة فينل.

فبعد قمع الانتفاضة بدأت الحكومة السعودية في دراسة برنامج أمني موسع يأخذ في الاعتبار المساعدة الفنية والبشرية التي ستقدمها الدول الحليفة.. وعلى هذا الأساس وقع وزير الداخلية مجموعة عقود تبلغ قيمتها الأولية 159 مليون دولار مع عدة شركات أجنبية، كان حصة (فينل) فيها بمثابة حصة الأسد.. ويشتمل البرنامج الأمني على إنشاء قوات خاصة لمكافحة العمل الثوري (الارهاب بتعبير الحكام)، كما قررت الحكومة شراء عدد من طائرات الهليوكبتر المتقدمة لدعم حركة البوليس في المدن، وكذلك أنواعاً مختلفة من التجهيزات البوليسية، مثل المقطورات المصفحة لقيادة العمليات والاتصالات قرب مواقع التمرد والاشتباكات المحتملة، وأنظمة إليكترونية لأمن المنشآت، وأنظمة اتصال متطورة.

وبابتداء عام 1980م تزايد ـ وبشكل ملحوظ ـ عدد الخبراء الأميركيين في مجال الأمن والتجسس، والذين كان معظمهم قد أمضى مدة سابقة في خدمة (C.I.A). وقد انضم هؤلاء الخبراء إلى (ريموند كلوز) الذي كان منذ عام 1977م يعمل كمستشار أول لمديرية الاستخبارات السعودية.. وكلوز هذا هو أحد رؤساء الـ (C.I.A) السابقين، وقد تكفل بإعادة بناء جهاز المخابرات السعودي مستفيداً من خبراته السابقة كرئيس لفروع المخابرات المركزية الأميركية الاقليمية في لبنان، ومصر، والباكستان.

أما عن دور الألمان، فقد وردت معلومات في فبراير 1980م تناقلتها الصحافة الأميركية، من بينها صحيفة (Philadilfia Incuerer) تقول: أن مساعدات ألمانية غربية عاجلة عرضت على المسئولين السعوديين لانهاء الانتفاضة، وأن نخبة من مدربي فرقة مكافحة الارهاب الألمانية المعروفة بإسم (G.C.G.9) أرسلت بناءاً على طلب فهد إلى الرياض، لمساعدة السعوديين في تنفيذ مهمات وصفتها الصحيفة بأنها عاجلة عند الأزمات..

ومنذ سنوات تبين لدى السعوديين أن الفرقة الألمانية (G.C.G.9) هي من أقوى الفرق في العالم على الاطلاق، في مجال تنفيذ المهمات المستعجلة الخاصة بمكافحة (الارهاب).. وعلى هذا الأساس، وردت ـ وترد ـ أنباء غربية متواترة أن الرياض وثقت علاقتها بالمسئولين الألمان للاستفادة من هذه الفرقة في مجال تدعيم أمن الحكم السعودي، وذلك بتدريب القوات الخاصة السعودية.. ومن الأمور المؤكدة أن الفرقة الألمانية بعثت بعشرات من المدربين ممن يتقنون اللغة العربية لتنفذ مهماتهم..

دعم الأردن

ذكر مراسل صحيفة (اللوفيغارو) الفرنسية في عمان، جورج ستوكلين، أن القوات الأردنية التي أرسلت بناء على طلب الحكومة السعودية، هي التي (قادت عمليات الابادة في الأماكن المقدسة)[1] وقد سبق لصحيفة (السفير)

[1] ـ الرياض 1/12/1979م.

البيروتية[1]، أن نشرت في الأيام الأولى لحادثة الحرم، نقلاً عن وكالة أنباء ألمانيا الغربية: (أن السعودية استعانت بقوات مظلية أردنية، وأن وحدات من هذه القوات وصلت إلى السعودية فعلاً).. ثم نشرت الصحيفة بعد أسبوعين تقريباً تفاصيل الدعم الأردني، فقالت: (أن بلدة الشونة الشمالية في غور الأردن شيعت في يوم السبت 18 محرم 1400هـ، الجندي عمر تركي الخالدي المشرقي، الذي قتل أثناء الهجمات التي شنت على محتلي المسجد الحرام بمكة، والتي شارك فيها جنود من الجيش الأردني.. وذكرت المصادر أن خسائر القوة الأردنية التي شاركت القوات السعودية في مواجهة المسلحين الذين اعتصموا بالمسجد الحرام قد بلغت حوالي خمسين فرداً ما بين قتيل وجريح، وأن جميع هؤلاء قد نقلوا إلى الأردن بواسطة الطائرات العسكرية.. وأكدت المصادر ذاتها، أن القوة الأردنية التي أرسلت كنجدات لتدعيم القوات السعودية في قتال المسلحين المعتصمين بالحرم المكي، هي كتيبة الصاعقة "91" التي يبلغ عدد أفرادها 300 رجل، بقيادة الضابط تحسين شقتم، الشركسي الأصل)[2].

والمهم في الأمر أن الحكومة الأردنية لم تنف هذه الأخبار، بعكس المسئولين السعوديين الذين أصبحت مهمتهم النفي.. فقد نفى وزير الاعلام ما نشرته السفير معتبراً الخبر: (مختلق من أساسه، ولا أساس له من الصحة إطلاقاً)[3]..

هذه بعض الاشارات القليلة التي تؤكد على مشاركة القوات الأجنبية إلى جانب آل سعود في القضاء على انتفاضة الحرم.. وهي على أية حال إشارات قليلة، فالأجزاء السرية وفصولها لا يعلم بها أحد سوى آل سعود والحكومات المساعدة لهم، وسيأتي يوم تتبين فيه الصورة على حقيقتها بشكل أشمل وأوسع..

الفصل التاسع

الخسائر البشرية

حاولت الحكومة أن لا تعلن عن أي خسائر من جانبها للرأي العام.. بينما أعلنت ـ وقبل انتهاء القتال وإنهاء التمرد ـ عن مئات القتلى والجرحى والأسرى في صفوف أفراد الجماعة المعتصمين.. وذلك لإظهار قوة وبراعة القوات السعودية المهاجمة!

لكن مثل هذه الأرقام المعلنة عن خسائر (الاخوان) أوقع آل سعود في مأزق.. فالأرقام الكبيرة من القتلى والجرحى والأسرى تعطي للرأي العام شعوراً مؤكداً بأن عدد ما تسميهم الحكومة بـ الخوارج والشراذم كبير جداً، ولذلك جاءت أرقام الخسائر كبيرة!

فإذا كان الأمير نايف يؤكد ـ وحتى بعد انهاء الحادث ـ بأن عدد (المتمردين) لا يزيد عن المائتين، فلماذا إذن أعلن المسئولون في تصريحاتهم

---

1 ـ الجزيرة 10/12/1979م.
2 ـ صحيفة النهار 29/1/1980م.
3 ـ المصدر السابق 5/2/1980م.

أن قتلى ما يسموهم بـ (المعتدين) بلغ ستمائة شخص، كما ورد في أحد التصريحات؟!

ومن جهة ثانية أوضحت أرقام الخسائر أن خسائر القوات الحكومية أن يكون قليلاً، فإذا كان عدد قتلى أفراد الجماعة (600) شخص، فإن قتلى القوات الحكومية لن يكون بأقل من هذا الرقم بأي حال من الأحوال..

على أننا قد نفهم من أرقام الحكومة الكبيرة التي أعلنت أنها خسائر (الاخوان) أنها كانت تمهد الرأي العام المحلي لتقبل ما ستعلنه الحكومة عن الخسائر في قواتها.. فهي حين تضخم الرقم فإنما من أجل أن تجعله أكثر قليلاً أو كثيراً من خسائرها.

الآن وقد انتهى الحادث.. بدأ الناس يتساءلون أكثر، بل ويلحون في السؤال عن حجم الخسائر.. فإذا كانت السلطة قد أخرت إعلان الأرقام المتعلقة بالضحايا أثناء سير المعارك بحجة أو بأخرى، فإن من غير المقبول أو غير المنطقي أن تستمر في التكتم عنها..

والمسألة الثانية المتعلقة بهذا الأمر، هي أن الأرقام المتوقع إعلانها يجب أن تكون حاسمة وقاطعة لا تزيد أو تنقص بين يوم وآخر، أو بين تصريح وآخر، أو بين ما يعلنه مسؤول حكومي وآخر.. سيما وأن المعركة انتهت، وما على الدولة إلا أن تحصي وتعلن العدد..

صحيح انها ستتلاعب بالأرقام، ولكنها ستؤخذ على أساس أنها أرقام حكومية قد يكون بها خطأ، وهذا الخطأ لن يكتشفه إلا القليل، إلا إذا أعلن ما يغايره ويعارضه..

والذي حدث هو ليس فقط أن الأمراء السعوديين تلاعبوا بالأرقام، فهذه مسألة ربما لا ينتبه لها المواطنون العاديون، ولكنهم أثبتوا أن أرقامهم مضللة، فكل مسؤول يعطي رقماً غير الذي اعطاه سلفه، بل إن المسؤول نفسه يبدل في الأرقام بين الفينة والأخرى ويناقض نفسه بنفسه.. وهنا لا يشفع الرأي العام لمثل هؤلاء على هذا التلاعب، لأن المعارك انتهت، وليس هناك أي عذر لاخفاء الحقائق.

الأمير نايف وزير الداخلية، عقد بعد انتهاء العملية في الرابع من ديسمبر 1979م، مؤتمراً صحفياً، أعلن فيه: (أن عدد ضحايا حادث الاعتداء على الحرم المكي هو "60" شهيداً من القوات المسلحة، و "200" مصاب)، واعتبر الأمير هذه الخسائر كبيرة حين أكمل مبرراً: (لأن المعتدين كانوا يطلقون الرصاص بكثافة، كما أن عدد القتلى من المعتدين حوالي "75" والأسرى "170"). ولم يشر الأمير إلى الجرحى من أفراد الجماعة، ولا إلى القتلى في صفوف الحجاج والمصلين..

وبعد ستة أيام أعلن نايف نفسه: (أن عدد الاصابات بين المصلين بلغ 26 قتيلاً، بينهم ثلاث نساء، إضافة إلى تسعة أشخاص لم تعرف هوياتهم، و "109" جرحى)[1]..

وجاء دور وزير الدفاع سلطان بعد أكثر من شهر ليقول: (لقد استشهد حوالي 24 ضابطاً من أصل 28 إصابة)[2].. وأكمل بأن عدد قتلى (الاخوان) وصل إلى (107) قتيل، بزيادة قدرها (32) قتيلاً.. وذلك لأن آل سعود

---

[1] ـ اللوفيغارو 18/12/1979م.
[2] ـ السفير 25/11/1979م.

اكتشفوا (15) جثة أثناء (تطهير!!!) الأقبية.. واضاف سلطان، بأن (27) شخصاً من الجماعة توفوا متأثرين بإصاباتهم.. وبذا يكون الرقم النهائي لقتلى الاخوان (107) يضاف إليها (63) شخص أعدموا في الساحات العامة في عدة مدن، ليصل إلى (170)..

وكان وزير الداخلية قد سبق أخاه وزير الدفاع بتسعة أيام، فأعلن أرقاماً أخرى مخالفة لما أعلنه هو في مؤتمره الصحفي الذي عقده في (24/12/1979م)، حيث اعترف بأن خسائر القوات الحكومية ليس (60) شخصاً، وإنما (127)، أي أكثر من ضعف العدد السابق، بينهم (12) ضابطاً، و (115) ضابط صف وجندي..

والجرحى في القوات المسلحة، قال نايف أن عددهم (200) شخص، ثم زاد العدد ليصل إلى (451) جريحاً بينهم (49) ضابطاً[1].

وفي نفس التاريخ (9/1/1980م) وهو اليوم الذي أعطى فيه تصريحاته السابقة الذكر، وهو نفس اليوم الذي طلب منه إعدام (63) شخص من (الأسرى)، قال: (لقد خفقت عقوبة القتل إلى السجن لمدد مختلفة على تسعة عشر شخصاً، وبلغ عدد النساء والصبيان "23" وأفرج عن "38" شخصاً لم يثبت اشتراكهم).

والخلاصة التي نستنتجها من كل هذا القول:

* أن عدد الأسرى الذي أعلن أنه (170) شخصاً، ليس صحيحاً، بل هو أكثر من ذلك بكثير..

فإذا كان عدد المعدومين من الأسرة 63 شخصاً..

وإذا كان عدد النساء والصبيان من الأسرى 23 شخصاً..

وإذا كان عدد الذين أفرج عنهم من الأسرى 38 شخصاً..

وإذا كان عدد الذين خفقت عقوبتهم إلى السجن من الأسرى 19 شخصاً..

وإذا كان عدد الذين توفوا من الأسرى 27 شخصاً..

فإن مجموع كل هذا يساوي 170 شخصاً بالتمام والكمال..

فهل هؤلاء هم كل الأسرى؟

كلا..

بدليل أن الملك خالد حين طلب من نايف إعدام 63 شخصاً، بناءاً على أمر وجهه إليه بتاريخ 9/1/1980م، جاءت فقرة تدل على أن هناك أسرى آخرون غير ما ذكر حتى الآن.. حيث جاء في أمر الملك: (أما الذين لم يكن جرمهم كجرم هؤلاء ـ أي جرم الثلاثة والستين المطلوب اعدامهم ـ، وإنما كان لهم مشاركة في مساعدة هؤلاء المجرمين بتموينهم وتوزيع الذخيرة والأسلحة عليهم، أو حراسة الأبواب لهم، هؤلاء لن يكون جزاؤهم القتل، وإنما سيكون جزاؤهم السجن، وسنبلغكم بتحديد مدة السجن لكل واحد منهم في وقت لاحق، بعد تقرير العقوبة على كل واحد حسب جرمه.

أما النساء اللاتي شاركن في مساعدة هذه الفئة الفاسدة بالخدمة وتقديم الماء والطعام أو توزيع الأسلحة والذخيرة، فتسجن كل واحدة منهم سنتين.. وأما الصبيان الذين شاركوا في الجريمة ولم يبلغوا الحلم، فيدخلوا في دار الرعاية لاستصلاحهم وتعليمهم..)..

---

[1] ـ السفير 9/12/1979م.

وهذا المقطع يوضح أن هناك أسرى كثيرون غير هؤلاء الذين أجملنا عددهم فوصل (170)، ولكن عددهم جميعاً غير معلوم، ولا شك أن الرقم الاضافي سيكون بالعشرات.. إن لم يكن بالمئات..

* ما أفصح عنه النظام بشأن عدد قتلى المجموع، من القوات الحكومية والاخوان، والحجاج، (323) شخصاً.. على أساس أن عدد قتلى الاخوان (170)، وعدد قتلى القوات الحكومية (127)، وعدد قتلى الحجاج (26)..

* أما عن عدد الجرحى، فحسب روايات النظام، يبلغون (560) شخصاً، على أساس أن جرحى القوات الحكومية (451)، وعدد جرحى الحجاج (109)، بينما لم يذكر النظام أرقام جرحى الاخوان، ربما على اعتبار أنهم أسرى.

إذن عدد القتلى (323)، والجرحى (560) حتى آخر تصريحات آل سعود بتاريخ 18/1/1980م..

ولكن بعد ثمانية أيام.. أي بتاريخ 26/1/1980م، قال فهد في مقابلة له مع إحدى الصحف اللبنانية، أن عدد القتلى من الطرفين (في حدود الـ "600" شخص)[1]. وإذا حذفنا من الـ (323) عدد قتلى الحجاج (26) شخصاً، فتكون الزيادة التي أضافها فهد (303) قتيل.. أي أكثر من ضعف الرقم المعلن!!.. فمن الصادق!؟.. نايف؟.. أم فهد؟.. أم سلطان؟.. أم أنهم جميعاً من الكاذبين؟، وأن الأرقام الحقيقية أكبر من الـ (600) بكثير؟!

لقد جاءت الأرقام الحكومية مخيبة لتوقعات المواطنين، الذين سمعوا وقرأوا أشياء كثيرة عن المعارك وأهوالها، فلم يصدقوا ما أعلن، من أباطيل وأضاليل.. ولو راجعنا كل ما قالته وكالات الأنباء والصحف، وما قاله الحجاج والشهود العيان للحادثة، وأحصينا الأرقام التي نشرت يوماً بيوم، لوصلت الأرقام بالآلاف.. ولا بأس هنا أن نشير إلى بعض الأرقام التي ذكرتها الصحف ووكالات الأنباء أثناء الحادثة وبعدها..

* في اليوم الثالث من الاعتصام، الموافق لليوم الثاني من بدء الهجوم السعودي على الحرم (22/11/1979م)، تحدثت صحيفة الهدف الكويتية عن عمليات يوم الأربعاء 21/11/1979م فقالت: إن أكثر من ستمائة شخص قد قتلوا.. بينما أعلن دبلوماسي سعودي في باريس: (أن عشرات الأشخاص قد قتلوا في عملية اقتحام المسجد الحرام)[2].

وقالت صحيفة "السفير" نقلاً عن مصدر سعودي بأن معارك يوم الأربعاء: (سقط خلالها عدد كبير من القتلى)[3].

* ذكر حاجان مصريان قدما من مكة إلى القاهرة مساء الخميس 22/11/1979م، أن قرابة 200 شخص من الحرس ومن جموع المصلين قد لقوا مصرعهم.. في حين قالت الأهرام[4]، نقلاً عن مصدر سعودي بعد ثلاثة أيام من بدء المعارك: (أن مائتي شخص من المسلحين لقوا مصرعهم).. وقد سبق للأهرام أن قالت قبل يوم واحد من نشرها الخبر السابق، أي في (24/11/1979م): (ذكر السعوديون الذين يقيمون قرب المطار في جدة، أن

---

1 ـ الجزيرة السعودية 10/12/1979م.
2 ـ الصحف السعودية 11/12/1979م.
3 ـ الحوادث 18/1/1980م.
4 ـ تصريح وزير الداخلية بتاريخ 9/1/1980م.

عدداً كبيراً مـن طـائرات النقـل فـي السـعودية مـن طـراز هيركـوليز ــ 130 الأميركية، شوهدت وهي تقلع وتهبط من مطار جدة منذ يوم الثلاثاء الماضي "20/11/1979م"، ويعتقد أن الطائرات تقوم بنقل الجرحى إلى جـدة، بعـد أن اكتظت مستشفيات مكة بالجرحى).

* وفي اليوم الثـامن للعمليـة الموافـق (27/11/1979م) قـالت الأهـرام نقلاً عن وكالة (يونايتد برس) أن: (عدد القتلى والجرحى الذين سـقطوا أثنـاء المعـارك الـتي جـرت أمـس الأول ــ الأحـد، 25/11/1979م ــ بيـن القـوات المسلحة والمسلحين يبلغ المئات)..

* وبعد انتهاء المعارك بأكثر من أسبوعين، قالت صحيفة نيويورك تايمز أن مسئولاً سعودياً: (اعترف بوجود خسائر في الأرواح أكبر بكثير مـن تلـك الـتي أعلن عنها)[1]. بعدها جاءت مجلة (لوبوان) الفرنسية لتصفع الأرقـام الرسـمية وتضع تقديراتها هي، فقالت أن عدد القتلى خمسة آلاف[2]..

* وما كانت مجلة (لوبوان) لتضع تقديراتها، لولا معرفتها التامة أن الأرقام الرسمية مخادعة ومضللة..

* وشككت صحيفة الأوبزيرفر البريطانية هي أيضاً في الأرقام الحكوميـة، حين ذكرت أن: (عدد القتلـى يقـدر بـألفين، منهـم 1500 مـن رجـال الجيـش والحرس والوطني السعودي)[3].. بعدها بثلاثة أيـام علقـت صـحيفة الغارديـان البريطانيـة حـول الخسـائر مبديـة شـكوكها فـي الأرقـام الرسـمية، فقـالت: (تكبدت القوات السعودية المنتصرة خسائر فادحة فـي الأرواح، حـت بالقيـات إلى الأرقام الرسمية)[4].

إن الأرقام الحقيقية غير معروفة، لكن مصادر مقربة من الأجهزة الرسمية أفادت بأن عدد القتلى حوالي (2600) قتيل، منهم (450) مـن أفـراد جماعـة الاخـوان، وأن عـدد الجرحـى قـارب (4000) شـخص، غـالبيتهم مـن القـوات الحكومية..

الفصل العاشر

حفل الاعدام

قبل أن تنهي قوات السلطة القضاء على الاخـوان، كـان النظـام والأمـراء الحاكمون قد أصدروا قراراتهم بإعدام كل أسير.. قبل أن يحاكم!.. بل قبل أن يقبض عليه!!.. وهذا ما تشهد عليه أقوال المسئولين السعوديين، وتصـريحات بعض رجال الدين المرتبطين بهم..

فبعد إلقاء القبض على البقية الباقية من المعتصمين المنهكين، اقتيـدوا بلا شفقة إلى أحد سجون (مكة)، ثم رحلوا بعد ساعات إلى سجن فـي جـدة، مـع حراسة مشـددة.. ثـم بـدأت عمليـات التحقيـق الموسـعة مـع (الأسـرى) ومـا رافقها من تعذيب وحشي شديد، ظهرت بعض آثاره على شاشـات التلفزيـون السعودي، الذي عرض فيلمـاً مختصـراً عـن الحـادث بعـد إلقـاء القبـض علـى

[1] ـ البيرق 26/1/1980م.
[2] ـ الجمهورية القاهرية 22/11/1979م.
[3] ـ السفير 22/11/1979م.
[4] ـ الأهرام 25/11/1979م.

الاخوان.. وقد أحدث عرض ذلك الفيلم اشمئزاز المواطنين لتلك المعاملة القاسية، خاصة حينما جاء رجال السلطة لتقديم الماء للثوار العطشى، حيث كانوا يسحبون الكأس من الأسير بمجرد أن يضع شفتيه على الكأس، مع سيل من السباب والشتائم وشد الشعر.. كما رأى المواطنون آثار التعذيب والارهاق والدماء والحروق بادية على أجسادهم النحيلة.. وبرغم هذا التعذيب الهمجي، كانت قلوب الاخوان عامرة بالثقة والايمان والسكينة، وهذا ما حدا بجريدة (الفاينانشيال تايمز) اللندنية أن تقول بأن المتمردين كانوا ينتظرون الاعدام وهم متماسكون، ولا يبدو عليهم أي أثر للخوف والوجل[1].. وحتى (سليم اللوزي) رئيس تحرير (الحوادث) والموالي للسعوديين اعترف بشيء من التعذيب حينما قال: (وكانوا يتمتمون بالصلاة والدعاء، كلما تعرضوا للشتم واللطم وجر شعر الرأس)[2].

وبعد التحقيق، أعدم النظام (180) شخصاً من الأسرى سراً وبدون إعلان.. بل وبدون محاكمة، وذلك بتاريخ 5/1/1980م، كما ذكر ذلك أحد السجناء الذين قضوا عاماً كاملاً في السجن بتهمة الانتماء لمجموعة المرحوم (جهيمان)..

ولأن الاعدام تقرر.. وبدون محاكمة، فقد أعدم (63) شخصاً بتاريخ 9/1/1980م، بناءاً على أمر الملك لوزير داخليته، وقد قسم الـ (63) ليعدموا في ثمان مدن.. لإرهاب المواطنين، لأن إعدامهم بحد السيف.. تم في الساحات العامة.

وقبل شهر من الاعدام ظهرت تصريحات المسؤولين أن نيتهم تتجه لإعدام الأسرى قبل التحري والمحاكمة، وما التأجيل إلا من أجل (التحقيق) وليس (المحاكمة)!

فصحيفة الدستور الأردنية تذكر بتاريخ 10/12/1979م، أي قبل شهر من الاعدام، أن وزير الدفاع السعودي سلطان بن عبد العزيز قال: (أنه طبقاً للقرآن الكريم، سوف تقتطع رؤوسهم جميعاً، بغض النظر عن جنسياتهم).

مع أن رجال الدين حين أصدروا فتواهم بعد أيام من وقوع الحادث (25/11/1979م) طلبوا من الملك محاكمتهم شرعاً، لأن هناك محاكمات وزارة الداخلية غير الشرعية، وعدد من المحاكم الأخرى التابعة للوزارات التي تقوم على قوانين وأنظمة مستوردة، لكن المحاكمة الشرعية لم تظهر أبداً.. فرغم أن المواطنين توقعوا أن يصدر حكم بإعدام بعض المعتقلين الأسرى، ويوقع عليه عدد من رجال الدين الموالين للحكم ـ وهذا أسوأ ما توقع ـ.. لكن المفاجأة ظهرت حين أصدر حكم الاعدام بناءاً على أوامر ملكية، وليس وفق القضاء والمحاكمة الشرعية..

فقد قدم وزير الداخلية مقترحات بشأن عقوبة الاعدام وغيرها إلى الملك.. فوافق عليها الملك وأصدر أمراً ملكياً بتنفيذها، وذلك بتاريخ 9/1/1980م.. ومما جاء في الأمر:

(.. فقد اطلعنا على ما رفعتموه لنا من الاعترافات التي أدلى بها المجرمون الذين اعتدوا على الحرم، وأدخلوا فيه السلاح والذخيرة، وأغلقوا أبوابه على المسلمين الذين أدوا فيه صلاة الفجر في اليوم الأول من شهر

[1] ـ السفير 21/12/1979م.
[2] ـ لوبوان 28/1/1980م.

محرم المنصرم عام 1400 هجرية، وقد روعوا المسلمين في الحرم الذي جعله الله آمناً، والبيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، وسفكوا الدماء المحرمة، وأزهقوا الأرواح البريئة بغير ذنب، وأجبروا الناس في الحرم على مبايعة أحد أفراد الفئة الضالة المفسدة زاعمين أنه المهدي، وهددوا من لم يستجب بالسلاح..

واستناداً على فتوى من أصحاب الفضيلة العلماء[1].. ولأن هيئة كبار العلماء قد أصدروا في دورة مجلسهم الخامسة عشر بياناً استنكروا فيه هذه الجريمة الخطيرة[2].. وهذا البيان يحتم علينا معاقبتهم عقوبة تزجر عن الفساد، ونرضي بها ربنا سبحانه، ولأننا تلقينا الفتاوى التي تبين جزاء هؤلاء، منها ما هو مشافهة من عدد من العلماء.. ومنها ما هو محرر من عدد آخر من كبار العلماء، وفيها قولهم عن هؤلاء المفسدين ما نصه: "نفيدكم سلمكم الله ان هؤلاء لهم حكم المحاربين الذين قال الله فيهم:

"إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم"..

ثم أمر الملك أخاه وزير دخليته: (وعلى هذا فاعتمدوا قتل الأشخاص الموضحة أسماؤهم بالبيان المرفق.. أما الذين لم يكن جرمهم كجرم هؤلاء، وإنما كان لهم مشاركة في مساعدة هؤلاء المجرمين بتموينهم وتوزيع الذخيرة والأسلحة عليهم أو حراسة الأبواب لهم، هؤلاء لن يكون جزاؤهم القتل، وإنما سيكون جزاؤهم السجن، وسنبلغكم بتحديد مدة السجن لكل واحد منهم في وقت لاحق، بعد تقرير العقوبة على كل واحد حسب جرمه.. أما النساء اللاتي شاركن في مساعدة هذه الفئة الفاسدة بالخدمة وتقديم الماء والطعام أو توزيع الأسلحة والذخيرة، فتسجن كل واحدة منهن سنتين.. وأما الصبيان الذين شاركوا في الجريمة ولم يبلغوا الحلم، فيدخلوا في دار الرعاية لاستصلاحهم وتعليمهم حتى يكونوا أعضاء صالحين في مجتمعهم الاسلامي)!!.

إن هذه العقوبات ليست شرعية مطلقاً، والفتاوى والبيانات التي استند اليها مريبة.. ففتوى العلماء الصادرة في اليوم السادس للأحداث ـ 25/11/1979م ـ لا يمكن الاستناد عليها في إطلاق حكم الاعدام، لأنها لم تصدر عن محاكمة، وتخلو من أي أمر به إعدام، بل ورد فيها مسألة المحاكمة الشرعية، كما أنها صدرت لاعطاء رأي في موضوع القتال داخل الحرم، وليس لاعطاء حكم في المعتصمين.. وبيان هيئة كبار العلماء صدر قبل اسبوع من إطلاق الحكم، وليس في إشارة إلى إعدام المعتصمين، لأن الموقعين ليسوا الجهة التي تولت المحاكمة أو التحقيق.. ويقول الملك أنه تلقى فتاوي تبين جزاء المعتصمين مشافهة من بعض العلماء، فكيف يؤخذ برأي هؤلاء في موضوع حساس كهذا بالتليفون ودون محاكمة!؟.. ثم من هم هؤلاء العلماء الذين زعم الملك بأنهم أعطوا حكمهم بالاعدام مشافهة أو مراسلة؟!.. ثم لماذا لم يدع الحكم السعودي الأمر لرجال الدين حتى يقرروا من يعدم ومن

---

1 ـ السفير 1/2/1980م.
2 ـ الغارديان 4/2/1980م.

يسـجن؟، فهـذه مهمـة القضـاة الشـرعيين، وليسـت مهمـة الملـوك والأمـراء المعادين للدين..

لماذا لم يحاكمهم الشيخ بن باز مثلاً؟.. ولماذا لم تفسح السـلطة المجـال للعلماء الذين يثق بهـم النـاس؟.. فمـن الأمـور المؤكـدة أنـه لـو تـم محاكمـة المعتصمين وفق محكمة شرعية، لتحول آل سعود إلى مجرمين.. ولهذا خشي فهد وإخوته من تسليم أمر محاكمتهم لرجال الدين، ويقال أن الملك خالد كان يريد محاكمتهم أمام السلطات الدينية، لكن فهد وإخوته تجاوزوا رغبة الملك!، لخوفهم من أن تأتي الأحكام وفق مالا يشتهون، ولعلمهم أن عـدداً مـن رجـال الدين الكبار يتعاطفون معهم، وإذا جرت المحاكمة، ستتوضح الحقائق وتظهـر الخفايـا المتعلقـة بأسـرار المعـارك، كمسـألة الرهـائن.. ومـن بـدأ بالقتـال.. والتورط الأجنبي.. وغير ذلك.. وحينها سيثبت للعلماء أن فهد وإخوته هم الذين يجب محاكمتهم..

ولا شك ان السديريين السبعة كـانوا ــ ولازالـوا ــ يكرهـون رجـال الـدين، ويعلمون مقدار تعاطف العلماء مع الاخوان، ولا أدلك على ذلك تصريحاتهم..

فوزير الداخلية ضاق ذرعاً بدفاع رجـال الـدين الـذين كـانوا يطـالبون فـي فترات سابقة بإطلاق سراح أفراد الجماعة، فقال في نـدوة مـع طلبـة جامعـة الرياض (الملك سعود): (إن المعتدين كانوا معروفين لدى أجهزة الأمـن، وقـد سبق أن وقفوا وقبض عليهم، ولكن المشكلة أنهم كانوا يتسترون وراء الـدين، ويتصرفون بإسم الاجتهاد والإرشاد، وخدعوا الكثير من الناس.. إننا كمسئولين كنا عندما نوقف أحداً منهم، نجد "من يقول" أن ليـس وراءهـم أي شـيء)[1].. ولكن من هم الذين يدافعون ويقولون ليس وراءهم شيئاً؟!

يجيب نايف على ذلك باللف والدوران، بأن هناك من يكلفهم دون أن يذكر اسم رجال الدين: (إن تحركات المجموعة التي قامت بالحادث لم تكن خافيـة على أجهزة الأمن أبداً، والدليل أن من بين المهاجمين من كان مقبوضـاً عليـه قبل الحادث وأفرج عنهم نتيجة تعهدات اعطاها، أو اعطاها من كفله)[2]..

بيد أن ولي العهد آنذاك "فهـد" ــ وهـو مـن أشـد المعـادين لرجـال الـدين وللحركة الاسلامية ـ أجاب بدون لبس، وذلك في نفس اليـوم الـذي نشـر فيـه تصريح نايف السابق، فقال: (وللأمانة أذكر أننا قـد اتخـذنا فـي بعـض الأحيـان إجراءات ضدهم في السابق، لكن رجال الدين ــ وهـم كـثيرون عنـدنا ــ كـانوا يتدخلون للإفراج عنهم)[3]، ثم أضاف حول المحاكمات بأن التعـاطف الشـعبي هو بمثابة استفتاء لاعـدام المعتصـمين: (لقـد كـان رد الفعـل الشـعبي بمثابـة استفتاء.. لقد تحرك الجميع بما فيهم رجال الدين الـذين لا سـلطة لنـا عليهـم، فأصدروا فتاوى، بل إن بعض من كـان مـع الخـوارج ــ أي مـن رجـال الـدين ــ وبعـض مـن سـاعدهم فـي البدايـة بحسـن نيـة، ولاعتقـادهم أنهـم يـأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، انفضوا عنهم)[4].

---

[1] ـ الرأي العام 9/12/1979م.

[2] ـ الحوادث 8/1/1980م.

[3] ـ ربما يقصد الفتوى التي صدرت بتاريخ 25/11/1979م، وهي فتوى تخلو من الأمـر بالاعدام، لأنها صدرت أساساً كاجازة للحكم السعودي في قتال المعتصمين.. وقد أوضـحنا خلفياتها في موقع سابق من الكتاب.

وسأل سليم اللوزي، نايف: (يروى أنكم حاولتم القبض على السيد جهيمان العتيبي فلم تستطيعوا الامساك به؟).. أجاب: (قبضنا عليه من قبل، وتدخل بعض رجال الدين فأفرجنا عنه وعن رفاقه)[1]..

وبغض النظر عن صحة قول نايف بأنه قبض على المرحوم جهيمان أم لا، فإن من الواضح من أقوال آل سعود أنهم متذمرون من رجال الدين الذين يدافعون عن الجماعة.. وقد قال اللوزي صراحة: (الذي استطعت أن ألتقطه من أفواه الناس في مكة، أن حركة جهيمان ليست جديدة، بل كانت معروفة وترجع إلى ما قبل خمس سنوات، لقد كان جهيمان يتردد على الجامعة الاسلامية، وكانت له اتصالات ومناقشات وصولات مع الشيخ عبد العزيز بن باز، وهو أحد أشهر علماء الدين الاسلامي في السعودية.. كفيف البصر.. يشغل مركز الافتاء في المملكة، والذي لم يقرأ منشورات جهيمان استنتج بأن الشيخ بن باز كان يؤيد دعوة جهيمان.. أما الحقيقة فهي أن قائد دعوة الاخوان قد هاجم الشيخ في كتابه..)[2]..

لقد أوضحنا أوجه الاختلاف في الرأي بين جهيمان والمشايخ، وأكدنا بأن أفكار جهيمان واجتهاداته الدينية لا تتعارض مع رؤى المشايخ في شيء، سوى في قضية المهدي، الذي يؤمن بوجوده المشايخ، إلا أنهم يتفقون مع جهيمان في "التخصيص"..

أما الخلاف الرئيسي فكان محوره سياسياً، ويدور حول فساد الدولة وضرورة محاربة الحكام لأنهم فسقة ومنحرفون.. ومع أن المشايخ يعترفون بالفساد، إلا أنهم لا يؤمنون بأسلوب العمل المناهض للدولة.. وهذا يدعونا إلى التأكيد بأن الشيخ بن باز لا يختلف مع جهيمان إلا فيما ذكر، وكان دائم المعين له ولجماعته، ويطالب بإستمرار بإطلاق سراح الأفراد المعتقلين..

وجهيمان من جهته لم يهاجم الشيخ بن باز، بل إنه قال في إحدى كراساته، أن العالمين بالسنة قليلون ومنهم الشيخ بن باز، الذي عرض جهيمان عليه رسائله فلم يعترض عليها إلا في تخصيص هجومه على دولة آل سعود..

وأفضل ما يوضح أوجه الخلاف ما ذكره جهيمان نفسه في كراسة (الامارة والبيعة والطاعة ـ وكشف تلبيس الحكام على طلبة العلم والعوام)، والتي ربما استقى منها اللوزي أن جهيمان ضد الشيخ، بينما هي غير ذلك..

يقول جهيمان في كراسته موجهاً كلامه للمشايخ جميعاً: (هل قمتم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وهو أن تشهدوا على المحسن أنه محسن، وعلى المسيء بأنه مسيء؟.. فالشهادة ظاهرة وليست مختفية في القلب، فهل ـ يوماً من الأيام ـ قلت أيها الموظف[3] للرئيس أو الأمير، أو الوزير، أو الملك: أنت مسيء في هذا العمل المخالف للشرع؟. وهل نهيتم بنهي النبي صلى الله عليه وسلم، بعدم العمل شرطياً أو أميراً أو جابياً، أو خازناً عند أمير

---

[4] ـ نشرت الصحف السعودية البيان بتاريخ 3/1/1980م، ووقعه 16 شخصاً من المشايخ، وتضمن سبع تهم للاخوان، إلا أن هذا البيان ليس محاكمة، وليس به أية إشارة إلى أنهم يطالبون بإعدام أفراد الجماعة، خاصة وأنه لم تتم محاكمتهم..

[1] ـ اليوم 9/1/1980م.

[2] ـ المصدر السابق.

[3] ـ السفير 9/1/1980م.

يقرب أشرار الناس، ويؤخر الصلاة عن مواقيتها.. أم لا؟، وهل عملتم بما جــاء في الحديث التاسع من المجاهدة باليد واللسان والقلب؟.

الواقع أنكم بخلاف هذا الكلام، ولا سيما من كان من أهل العلم.. فبأسباب معصيته في الشد على اعضادهم، اغتر به من يقتدي به من عامة المسـلمين.. وإلا فوالله لو أن المرشدين ـ كما زعموا ـ فـي دار الافتـاء والحـرس والجيـش وغير ذلك، بينوا تحريم هذه الأعمال عند أولئك الأمراء الذين لم يسـتقيموا.. لا في العلم.. ولا في العمل، ما تركوهم ليلة واحدة ــ وهـم تحـت أيـديهم ــ فـي أحسن المساكن، وأفخم المراكب، ولكن اللـه المسـتعان. وبهـذا تـرى صـدق النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "فأولئك قد هلكوا وأهلكوا"...)..

وبعد أن يشن جهيمان على من يسميهم بـ "علماء الشهادات!" يضيف:

(وقد رأينا الحكام ـ السعوديين ـ حينما ننصحهم أنهم يحتجون علينا بالشيخ عبد العزيز بن باز وأمثاله، فنقول: المعروف عـن الشـيخ حفظـه اللـه وعافـاه مما هو فيه، أن إنكاره غالباً إنما هو جواب عن السؤال إذا سئل.. أما أن يبـادر إلى إنكار المنكر، فذاك لو أنهم ـ أي آل سعود ـ أبقوا مكانته عالماً يعلم الناس الخير، لكـن إنمـا هـو الآن موظـف إداري، ويخـدعونه بــ "أبونـا".. و"والـدنا".. و"شيخنا"، وغير ذلك من إطراء المنافقين، وإنما يأخذون منـه ومـن علمـه مـا وافق أهواءهم، فإذا خالفهم بالحق لم يتحرجوا فـي مخـالفته ورد الحـق، وهـو يعلم ذلك جيداً، نسأل الله أن يزيدنا وإياه بصيرة، ونحن نعلم أنهم إنمـا جعلـوا في مثل هذه المنزلة الشيخ ابن باز وأمثاله ممن يثق الناس بـدينهم وعملهـم، اختاروهم من غير المبصرين، لئلا يروا كثيراً من المنكـرات، وإذا لاقـوهم ــ أي إذا لاقى آل سـعود هـؤلاء ــ تـدهنوا بـالطيب، وقبلـوا جبـاههم، وداهنـوا معهـم ونافقوا، حتى يزيلوا ما في أنفسهم إن كان قد وصل إليهم شيء من أخبـارهم السيئة، ولكن هذه من مداخل الشيطان التي يدخل بها على من يقتدي النـاس به من علماء المسلمين، ليضلوا ويضلوا)..

ومرة أخرى يوضح جهيمان ـ وبدقة ـ سر خلافه مع الشيخ بـن بـاز فيقـول: (لقد عالجت ـ موضوع الاخوان ــ وأحـوالهم مـع المجتمـع ومشـايخ الشـهادات والمراتـب ومشـايخ المجتمعـات.. فحينمـا أراد الاخـوان طلـب العلـم نظـروا فعرفـوا أن طلـب العلـم الشـرعي، لا يـدرك فـي هـذه المـدارس والمعاهـد والكليات والجامعات، فنظروا وإذا بالسنة قد اعتني بها من حيث ثبوتها، وكتب الشروح لا تكاد تجد فيها غموضاً، والقرآن قد فسره أهل العلم قبلنـا، بمـا جـاء تفسيره في السنة وفي لغة العرب، وأرادوا الدراسة يد العلمـاء، فنظـروا مـن يجدونه عالماً بالكتاب والسـنة، متجـرداً لا يـرده عـن الفتـوى بـالحق رغبـة أو رهبة، فنظرنا في طلبة العلم في "القصيم" فوجدناهم قراءاً وليسـوا بعلمـاء، وينصرون المذهب وما عليه أهل المذهب، ويجهلون من خالف ذلـك ولـو كـان على سنة.. وأما في السنة فلا يتورعون أن يرشدوا الناس بالأحاديث الضـعيفة والمكذوبة، فما رأيناهم زادوا الناس إلا قولاً على الله بلا علم.

ثم نظرنا في الشيخ عبد العزيز بن باز، فوجـدناه رجلاً عنـده علـم بالسـنة ولكن لا يشنع على من خالفها، ويذكر مخالفات الدولة في كثير من المســائل، ولكن كثيراً ما يعتذر عنها ويدعو لهم ـ أي آل سعود ـ.. وإذا ذكر عند الشيخ من يخالف السنة، قال في بعض الأحيان لا بأس، وأكبر مـا جعلنـا ننفـر منـه تعلقـه

بهذه الدولة ـ السعودية ـ الملبسة، حتى رأينا أثر ذلك عليه عافاه الله مما هو فيه)..

فالخلاف الرئيسي إذن هو حول موقف الشيخ بن باز من آل سعود، والاخوان يقرونه في علمه وفهمه، وهو يقرهم على صوابهم، سوى تخصيص هجومهم على الدولة.. ولذا ترى جهيمان يكتب في نفس الرسالة أن ابن باز لم يعترض على رسائله، سوى في تخصيص الدولة.. يقول:

(وبعد هذا فارقنا أهل الوظائف، والمتعلقين بأذيال الحكومة، وبقينا مع الحق، ولكنه غريب، إذا فنحن معه غرباء، وإنما نستبشر بهذا الحديث: "بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء".. فإنك ترى الاخوان المتجردين للسنة حينما وصلوا إلى هذه الحالة لم يبق لهم مناصر، لا من الحكومة، ولا من المشايخ، ولا من الجماعات الأخرى، فإن كل صاحب باطل قد ناصبهم العداء، وأنت ترى أنهم ــ أي الاخوان ــ يتبرأون من الحكومة وتلبيسها، ومن المشايخ ومداهنتهم، ومن الجماعات المختلفة وأخطائهم، فلم يبق إلا رب العالمين..

والذين كبرت عليهم دعوتنا وآذتهم كثيراً هم المشايخ، الذين يفتون الناس بغير دليل من الكتاب والسنة، فإذا سئلوا عن الدليل، تبين للناس جهلهم وضلالهم.. ولذلك فهم أكثر من تعرض للإخوان وحذر الناس منهم، وألصقوا بهم كل تهمة، ولك شبهة، حتى لبسوا على عامة المسلمين.. ولا تستغرب، فقد وضعوا أحدهم مراقباً على الاخوان في الرياض، حينما فتحوا بيتاً يجتمعون فيه.. يعني "مباحث".. وهو الشيخ صالح بن سعد اللحيدان، الموظف بمعهد إمام الدعوة. وساروا في معاداة الاخوان، بين صاحب قصد سيء متكبر عن الانقياد للحق.. وبين جاهل يستمع أقوال الناس ولا يتبين..

وأنا أعلم، أن العالم المتجرد للسنة قليل من العلماء المشهورين بين الناس، فإن بعضهم ولو عمل بها لا يقول بها ولا يدعو إليها، وكنت أعلم رجلين هم اللذان يهتمان بالسنة، وعندهما علم، وهما الشيخ بديع ــ حفظه الله ــ، والشيخ عبد العزيز بن باز ـ عافاه الله ـ. فليطمئن بعض إخواننا أننا قد عرضنا عليهما رسالة "رفع الالتباس" فلم ينكرا فيها شيئاً، ثم قرأ بعض الاخوان "السبع الرسائل" و "نصيحة الاخوان" على الشيخ عبد العزيز بن باز، فما أنكر شيئاً.. إلا التخصيص على هذه الدولة ـ السعودية ـ بالذات، ونحو ذلك.. فلم نوافقه عليه، لاعتقادنا أنه حق يزول به اللبس عن كثير من الناس)..

من هذه المقتطفات يتبين أمران:

الأول: أن الاخوان كانوا شديدين في تقريعهم لرجال الدين المتقاعسين الذين يبيعون دنياهم بآخرتهم، والذين يعيشون على أموال الحكام مقابل سكوتهم وخضوعهم.

والثاني: أن الاخوان يقدرون الشيخ بن باز في علمه وفهمه، ولكنهم يخالفونه سياسته تجاه الدولة.

والجدير ذكره هنا، أن المرحوم جهيمان كان يتوقع من بعض المشايخ أنهم سيفتون بقتله، بل أنهم أفتوا بالقتل قبل أن يقوم بعمله في الحرم، لذا ليس غريباً أن تجد الدولة والأمراء السعوديون، فئة من العلماء ورجال الدين من يؤازرها ويؤازرهم.. يقول جهيمان عنهم أنهم كانوا يقولون: (هؤلاء خوارج،

فقاتلوهم، فإن عند الله أجراً لمن قتلهم) ويضيف: (وخيرهم، الذي يقول: هؤلاء يريدون الحق، ولكن أخطأوا طريقه)..

مع كل هذا، ومهما تكن أسباب الخلاف، فإن عدداً من المشايخ وعلى رأسهم الشيخ بن باز، وقفوا إلى جانب جهيمان قبل حادثة الحرم، وخففوا من وطأة التعذيب والملاحقة التي يشنها آل سعود ضدهم.. وحتى بعد الحادثة، وقعت صدامات مع الأمراء بشأن الفتاوى التي لم يوقع كل العلماء الكبار عليها، أو التي صاغوها بأسلوب لم يقبل آل سعود به.. ولذا وقف عدد من العلماء ضد إعدام أفراد الجماعة، وامتعضوا من أساليب المحاكمات غير الشرعية.. مع أن هؤلاء العلماء لا يوافقون جهيمان في قيامه الأخير بالحرم، ولكنهم يجدون في أهدافه أهدافاً لهم، خاصة وأنهم يرون المفاسد تنتشر، وإهمال الدين ورجاله يزداد من قبل الحكام..

وأخيراً.. ووفق الشرع السعودي!.. هوت سيوف الجلادين في ثمان مدن، لتحصد رقاب (63) شخصاً، وذلك صباح يوم الأربعاء الموافق 9/1/1980م.. فكانت هذه الاعدامات العلنية (أكبر عملية إعدام في تاريخ البلاد)[1] ــ راجع أسماءهم في آخر الكتاب ـ.

الفصل الحادي عشر

ردود الفعل تجاه الحادثة

يمكننا تقسيم رد الفعل تجاه الحادثة إلى قسمين.. الأول: ويتعلق بموقف الدول والحكومات، والثاني موقف الشعوب الذي كان على أية حال ضعيفاً..

فبالنسبة لموقف الحكومات، يمكننا القول أنه لم يبق أية نظام إلا وأدان العملية وذلك ليس من منطلق مبدئي والحرص على الحرم الشريف وما أشبه، وانما لأجل مصلحة سياسية خاصة وأن كل نظام حاول الصاق التهمة بجهات يعاديها..

ولنبدأ هنا بتوضيح المواقف:

موقف حكومات الخليج:

لقد صدمت انظمة الخليج بما حدث في الحرم، ذلك ان السعودية تعتبر (الجارة الكبرى) أو (الشقيقة الكبرى) كما يسمونها.. كانت بالنسبة لهم الملاذ الأخير بعد سقوط شاه ايران.. وكانت بالنسبة لهم ـ كما للغربيين ـ واحة الأمن والاستقرار، وذات النفوذ القوي الذي بإمكانه حماية مشيخات الخليج الأخرى..

ولكن.. لشدما أصابت أنظمة الخليج الدهشة، حينما وجدوا (الجارة الكبرى) غير قادرة على حماية نفسها، وغير قادرة على تثبيت امنها الداخلي وفكيف بقدرتها على حماية الآخرين؟!

وقد عبر مسؤول خليجي كبير لمجلة نيوزويك الأمريكية عن خيبة الأمل هذه بقوله: (أن العملية ترينا كم هو هش النظام السعودي ــ وأضاف ــ أن أحداث الحرم قد كشفت مدى التدهور الأمني في السعودية)[2].

---

[1] ـ المصدر السابق..
[2] ـ نيوزويك 3/3/1980م.

لقد تملك الفزع حكام الخليج فور سماعهم بوقوع حادث الحرم، فأرسلوا برقيات التأييد للحكم السعودي، والتنديد بما أسموه (المجرمين) الذين دنسوا الحرم الشريف!!.. ولما تأخر الحسم السعودي بضعة أيام، وهم يسمعون ان الحسم في ساعات ـ حسب بيانات وزارة الداخلية السعودية ـ شدوا الرحال إلى الرياض ليطلعوا على الوضع عن قرب، لأن سقوط الرأس السعودي، يستتبع ـ بالتأكيد ـ سقوط رؤوسهم أنفسهم..

فزار أمير الكويت جابر الأحمد الصباح، وأمير البحرين لاشيخ عيسى بن خليفة، والشيخ راشد أمير دبي، إضافة إلى الوزراء على مختلف المستويات.. زار هؤلاء جميعاً قلعتهم المهزوزه (الرياض) ليعرفوا إلى أي احد يكمن الخطر، وهل وصلت السكين إلى حد العظم أم لا؟!

وبالطبع ـ وكما هو عادة آل سعود ـ لم يطلعوا مشايخ الخليج على حقيقة الوضع، رغم تلهفهم.. إذ لم يشأ آل سعود إلا أن يعطوا صورة خيالية عن الوضع (المستقر!!) و (الآمن!!) حتى لا يفقد الحلفاء الصغار ثقتهم فيهم.. ولكن أنى للوضع المصطنع ان يقدم صورة حقيقية؟!

فإذا كان تخبط اعلام آل سعود، وتخبط التصريحات الحكومية، وتخبط الاجراءات العسكرية، قد اكتشفتها الصحف العربية والأجنبية، مؤكدة ان رجال الأسرة المالكة السعودية في وضع غير مستقر ومشوش جداً.. فكيف بحكام الخليج؟!

ورغم ان بعض الصحف الخليجية، حاولت ان تحيّر زيارة امراء الخليج للرياض، على انها نصر للحكم السعودي، إلا أن الحقيقة هي ان الرياض بحاجة إلى تعاطف ورثاء في تلك الأزمة التي لم يشهد آل سعود لها مثيلاً.. وكانت جريدة السياسة الكويتية العميلة للحكم السعودي، قد صورت الزيارة على هذا النحو، فكتبت بالمانشيت العريض (مبايعة شاملة للملك خالد).. وقالت: (في القناعة ان توافد قيادات العالم الاسلامي على المملكة، وسيل البرقيات من الداخل والخارج، تعتبر بمثابة مبايعة جديدة لجلالة الملك خالد بن عبد العزيز)[1]!!

أما الصحافة الخليجية، فحالتها لا تختلف كثيراً عن حال الصحف السعودية، فقد قيدت هذه الصحف بأخذ المواقف الرسمية السعودية.. لكن لم يكن بالإمكان ان يهتم مسئولو صحف الخليج بنشر مواقف الحكم السعودي.. لان له كل يوم موقف، وله في كل يوم أكثر من تصريح متناقض.. ومع هذا حاولت هذه الصحف قدر الامكان الالتزام بالخط الرسمي القاضي بالترويج لكل ما يصدر عن الحكم السعودي ونشر التنديدات والاتهامات ضد جماعة المرحوم جهيمان.

على أن من المهم التأكيد هنا، على هاجس الأمن الذي يشغل بال الحكام الخليجيين، خاصة وأن الاحداث دلت على أن هناك امتدادات لجماعة الاخوان داخل دول الخليج الأخرى.. ولذا المحت جريدة (الوطن) الكويتية إلى هذا الهاجس بقولها: (ان الملك خالد بن عبد العزيز ابلغ زعماء المنطقة ان للفئة التي قامت بعملية المسجد قواعد في دول الخليج) وأكملت: (ان الاتفاق بين

[1] ـ السياسة الكويتية 27/11/1979م.

قادة دول المنطقة قد تم على ضوء تبادل المعلومات والوثـائق الأمنيـة، حـتى يصار إلي تأمين الاستقرار في جميع دول المنطقة)[1].

أما أحمد الجار الله، فقد ذكرت جريدته حول هذا الهـم الأمنـي المشـترك: (ان الرؤية المتداولة تقـول بـأن للمجموعـة الـتي قـامت بالعمليـة، امتـدادات وارتباطات مع مجموعات أخرى في بعض دول الخليج وهي مشابهة بدرجــة او بـأخرى لمجموعـة "التكفيـر والهجـرة" ان لـم تكـن بدرجـة أشـد).. واضـافت السياسة[2] متحدثة عن كيفية التعاون بين الأنظمة الخليجيـة لقمـع التحركـات الدينية، وذلك بعد الصدمة التي تلقاهـا النظـام السـعودي مـن بـروز معارضـة دينية منبثقة من مؤسساته الرسمية فقـالت: (وينتظـر ان يجـري مسـح جديـد شامل لكل الحركات والمؤسسات الدينية في شبه الجزيرة والخليج، خصوصاً التي ساهمت في اعداد هؤلاء وتربيتهم على هذه النشـأة غيـر المنسـجمة مـع النظرة الحقيقية لأصول الدين)!!

بمعنى ان هناك مراجعـة شـاملة لكـل المؤسسـات الدينيـة الحكوميـة، لدراسة سبب بروز هذه التحركات المعارضة للحكام.. والهـدف بـالطبع تعليـم الناقمين على هذه المؤسسات (أصول الدين) على الطريقة الحكومية!!، وانه لمن العار ان يتحدث عن الاسلام امثال هؤلاء اللقطاء الـذين همهـم شـهواتهم واهواؤهم وميولهم الرخيصة!.

وبالفعل فقد زادت الرقابة السعودية ـ مثلاً ـ على كل المؤسسات الدينيـة ونشرت المئات من الجواسيس وعلى مختلف المسـتويات فـي صـفوف رواد المؤسسات الدينية، اسـتباقاً لأي حـادث.. والجـدير بالـذكر أن وزيـر الأوقـاف السعودي احمـد عبـد الوهـاب عبـد الواسـع، قـد اجتمـع ف ي بدايـة الثمانينـات بالمسـؤولين عـن المنظمـة العالميـة للشـباب المسـلم، ووبخهـم علـى عـدم قدرتهم في استيعاب الشباب الذين بدأت ميـولهم نحـو التطـرف الـديني كمـا يقول، رغم عشرات الملايين من الدولارات التي تنفق سـنوياً للتضـليل.. كمـا وبخهـم علـى عـدم تجـاوبهم مـع الأوامـر القاضـية بطـرد كـل ذوي الميـول المتطرفة!!.

ونقلـت جريـدة النهـار البيروتيـة عـن الصـحف الكويتيـة: (ان السـلطات السعودية ابلغـت دول المنطقـة، بـأن الجماعـة الـتي ينتمـي اليهـا "مندسـوا" المسجد الحرام، لها امتدادات في كل عواصـم الخليـج، وان نتائـج التحقيقـات الجارية في شأن أحداث مكة ستنقل إلى كل الحكومـات فـي منطقـة الخليـج الـتي سـتقوم بـدورها بدراسـة مفصـلة لكـل الجماعـات الدينيـة العاملـة فـي الخليج)[3]!!

وأكدت مجلة (اليقظـة) الكويتيـة مـرة أخـرى ان لجماعـة الاخـوان (الـتي اتهمت بالاعتداء علـى المسـجد الحـرام انصـاراً ومؤيـدين فـي معظـم بلـدان المنطقة)[4].. وهذا دليل كاف على وجود تأييد شعبي للعملية، وان كانت هناك ملاحظات تجعل من التأييد المطلق أمراً صعباً.

---

[1] ـ الوطن الكويتية 27/11/1979م.

[2] ـ السياسة 27/11/1979م.

[3] ـ النهار البيروتية 28/11/1979م.

[4] ـ اليقظة 30/11/1979م.

من هنا بدأت النغمة (الأمنية) تتكرر على السنة المسؤولين في الخليج، والكل يغني (الأمن والاستقرار، وخطط مواجهة التطرف الديني).. فهذا وزير الخارجية البحريني يقول: (ان المصلحة العامة تدعو زعماء دول الخليج إلى التشاور بين بعضهم البعض حول خططهم بشأن الأمن والاستقرار)[1].. وقال وزير الداخلية السعودي: (ان التطرف الديني، يقود المنطقة إلى صراعات خطيرة، تقلل من كفاءة مواجهة الأمة العربية في حربها مع اسرائيل)[2]!.. وسؤالنا للأمير الذكي، عن سر عدم كفاءة آل سعود وبقية الحكام العرب قبال اسرائيل يوم لم يكن هناك ما يدعيه من تطرف ديني؟!.

أما وزير الداخلية الكويتي فقال: (ان شعوب المنطقة مطالبة في الوقت الحالي بالالتحام مع القيادة الابوية لتفويت الفرصة على الصهاينة من كسب الجولة في حادثة الحرم الاجرامية) [3]!.. إذن حادثة الحرم تفيد الصهاينة، وهي من صنعهم، وان الحل الوحيد لا يتم إلا بالتمسك بالزعامات الفاسدة التي جرت على المنطقة وشعوبها الويلات والنكسات!.

وأخيراً تراجع النظام عن مقولة (امتداد جماعة جهيمان إلى دول الخليج الأخرى) بعد ان وجد في هذه المادة انها تخدم المعارضة له، وتصورها انها قوية.. فقال وزير الداخلية السعودي: (ليس في وسعه بعد، تأكيد انباء بأن المجموعة المسلحة تشكل جزءاً من شبكة منظمة لها فروع في عدد آخر من دول الخليج. وان التحقيقات لاتزال في مراحلها الأولى، وليس لدينا أي تأكيد بعد لمثل هذه الأنباء)[4].. مع العلم ان السلطات السعودية اعلنت اعتقالها لمواطن كويتي، قالت ان له ضلع في حادثة الحرم، كما ان الصحف الكويتية (4/1/1400هـ) نقلت عن مصدر كويتي مسؤول: (ان شخصين كويتيين اعتقلا لجهرهما بتأييد الانتفاضة والاعتصام في الحرم، وتم ذلك علنا بعد صلاة يوم الجمعة الموافق للثالث من المحرم).. فهل كان النظام وازلامه لا يقرأون الصحف، أو ان مثل هذه الأخبار لا تهمهم، ام ان التجاهل هو المطلوب؟!.

ومع هذا اعترف فهد وان كان متأخراً جداً، لجريدة السفير[5] بأن هناك كويتيون وباكستانيون وغيرهم، قال هذا من باب السخرية والاستهزاء بالجماعة وأفرادها: (ولكنهم بمجملهم جماعة محدودة الذهن والتفكير، استولت عليها المشاعر الدينية، واتى من باكستان ومن بعض البلدان من يدفع الأمور بطريقة ساذجة جداً، فكان ما كان).. ووالله ان الساذج من يعتقد بأن أفراد الجماعة سذج ومحدودي الذهن والتفكير. ثم يكمل فهد مناقضاً حديثه، بأن ليس للجماعة امتدادات في الخارج، ولا في الداخل أي في المجتمع أو الجيش!! وهل هناك عاقل يصدق هذا؟ او ان لماذا كان عدد أعضاء الجماعة المشاركين يزيدون على الألف، ولماذا شملت الاعتقالات جنسيات عديدة، وكيف لا يكون لهم امتداد داخلي وفصائل من الحرس الوطني قد دعمتهم وساندتهم بل ان مظاهرات انطلقت في جدة في يوم السبت (24/11/1400هـ) تؤيدهم، وقد شارك في المظاهرات عشرة آلاف شخص

---

[1] ـ الجزيرة السعودية 3/12/1979م.
[2] ـ الرياض 5/12/1979م.
[3] ـ الانباء الكويتية 5/12/1979م.
[4] ـ صحيفة الرأي الأردنية 9/12/1979م.
[5] ـ السفير 9/1/1980م.

كما اعترفت بذلك الاذاعة السعودية في 24/11/1400هـ!!. افلا يعني كل هذا ان هناك امتدادات وتنظيم وان المسألة لم تكن ساذجة كسذاجة حديث فهد الذي قال مخاطباً رئيس تحرير السفير: (صدقني حتى الآن لم يظهر لنا أي بعد خارجي للحادث، ربما ظهر في المستقبل، لكن لم يتضح لهذه اللحظة ان لما حدث اعماق في الداخل، لا في المجتمع ولا في الجيش ولا أعماق في الخارج.. اقول لغاية الآن، ويمكن ان نكتشف أي جديد غداً او بعد غد او في المستقبل)[1].

ثم يعاود فهد الحديث مجدداً نافياً ما قاله آنفاً (!!): (وقد ثبت لنا ان الكتب كانت تطبع في الكويت بعدما صادرنا اعداداً كبيرة منها.. إذا فهي لم تصدر ولم تطبع في المملكة.. وهذا الذي اسمه جهيمان هو مثل أي واحد منهم، رجل ساذج عادي إلى درجة متناهية لا يستطيع ولا يحسن التعبير لا من الناحية اللغوية ولا من ناحية التفكير حتى يستطيع ان يكتب كتبا ويسجلها، ويجيب احاديث نبوية.. وانه لا يفهم منك إذا ما تحدثت معه.. بالتأكيد فقد استغل من ناس آخرين، ربما إلى الآن لم يعرفوا[2]، وقد يكونون في الكويت أو في أي مكان آخر، لا نعرف ولكن هناك أربعة من الكويتيين من ضمن المقبوض عليهم، وهناك شخص جاء من الكويت في اللحظة نفسها حين دخل المسلحون الحرم ومعه كتاب مرسل من الكويت يهنيء بظهور المهدي، ويبدي مرسلوه اسفهم لعدم تمكنهم من المجيء للتهنئة والمبايعة)[3].. وكل هذا يعني ان هناك امتدادات خارجية وداخلية للمجموعة التي اعتصمت في الحرم المكي الشريف.. اما التشكيك في ان جهيمان لا يحسن التعبير ولايفهم ما يقال له وانه ساذج إلى درجة متناهية وانه لا يستطيع ان يؤلف كتبا ثبت لكل الناس انه كتبها بخط يده.. ان يقال كل هذا من فهد ـ رأس النظام السعودي ـ فذلك مدعاة للرثاء والسخرية، لأن احداً لا يصدق القول هذا في شخصية اثبتت براعتها العسكرية والتنظيمية والدينية.. ولم يبق لفهد إلا أن يقول ان جهيمان شخص مجنون او وهمي او ما أشبه!.

هذا موقف دول الخليج ولكن ماذا عن البعث العراقي؟ الذي كان يعيش مخاضاً اليما بعد انتصار الثورة في ايران وانعكاس الحالة الاسلامية على الداخل العراقي.. هذا البعث الكافر الذي قال قبل سقوط الشاه بأيام، وعلى لسان الطاغية (صدام حسين) ان: (الشاه باق باق)!! كان لايزال في صدمته التي سببها سقوط الشاه، وكان لايزال يرتب أوراقه لايقاع الفتنة في مناطق ايران (خوزستان وكردستان وغيرها).. وحينها وقع حادث الحرم فأرسل الرئيس العراقي برقية تعاطف مع آل سعود تندد بما اسماه (العمل الاجرامي) وذرف الرئيس دموع التماسيح على (الاسلام) متناسيا اجرامه

---

1 ـ المصدر السابق.

2 ـ غريب حقاً ما يقوله آل سعود.. فهم قد أكدوا مراراً بعد اتهامات عديدة بإرتباط الجماعات بجهات أجنبية، اكدوا بعدئذ انها لا علاقة لها بأي جهة. وها هو فهد يحن للكذب والتلفيق، فيؤكد ويقول (بالتأكيد فقد استغل من ناس آخرين). اما دليله، فـ (ربما)!! وربما هذه تكفي لا تكون افضل تأكيد.. يقول: (ربما إلى الآن لم يعرفوا)!! إذن لماذا أكدت ايها الذكي ارتباطهم؟!

3 ـ السفير 9/1/1980م.

بقتل خيرة علماء المسلمين من الشيعة والسنة، كالشيخ عبد العزيز البدري والشيخ عارف البصري ثم اعدم فيما بعد الشهيد محمد باقر الصدر..

وشنت اذاعة البعث العراقي حملات هجومية عنيفة، وكالت السباب والشتائم ضد (المتطرفين) و (الغوغاء) وعملاء الاستعمار والامبريالية!!.. مع العلم ان اعلام البعث مشهود له في كل المواقع انه بذيء للغاية..

وسر الموقف العراقي هذا يرجع إلى أن العلاقات السعودية العراقية، طرأ عليها تحسن كبير بعد سقوط الشاه، إذ توافقت الميول السعودية البعثية هذه المرة للعمل سوية ضد الثورة الاسلامية وقطع دابر تأثيراتها.. لذا اعتبر بعث العراق حادثة الحرم قضيته الرئيسية مثلما هي قضية آل سعود لأن الأحداث الدينية تؤثر على كل دول المنطقة بدون استثناء خاصة وان حزب البعث كان ينتظر من آل سعود العم المادي والسياسي ليبدأ حالة التصعيد مع ايران وقصف المدن الحدودية، ليتوجها فيما بعد بالغاء اتفاقية الجزائر (1975م) من طرف واحد واعلان الحرب ضد ايران!

وهنا، لا يشذ بعث العراق عن قاعدة الأمن والهموم الأمنية، وقد ضحى هذا الحزب اللعين بكل مواقفه التي رفعها ضد ما كان يسميه ب ـ (الرجعية العربية) وفي مقدمتها السعودية، بل انه جمد نشاط البعثيين السعوديين الذين يتلقون الدعم منه دائماً واعتبرهم ضحية التقارب العراقي السعودي.

غير ان موقف قابوس عمان، له بعض الخصوصية وان لم يشذ ـ هو الآخر عن القاعدة ـ فيما يتعلق بحادثة الحرم.. فعمان في تلك الأثناء (أي وقت وقوع الحادثة 1979م) كانت تعيش صراعاً سياسياً مع اليمن الجنوبي الذي يدعم ثوار ظفار بالمال والسلاح والاعلام، وبالتالي فإن قابوس ـ ومن منطلق الهم الأمني ـ اراد ان يتهم اليمن الجنوبي ومن وراءه الاتحاد السوفيتي تماماً مثلما أشارت الدوائر الغربية واسرائيل التي اعلنت ان لليمن ضلعاً في الحادث.. والنتيجة التي أرادها قابوس هي أن يتدخل الغرب لحمايته واعلن عن استعداده لفتح قواعد عسكرية للأمريكيين..

فما خلصت اليه صحيفة (الغارديان البريطانية[1] من الموقف العماني كان كالتالي: (ان النظرية المفضلة لدى السلطات العمانية تدعي ان روسيا استخدمت اليمن الجنوبي لامداد أسلحة إلى لفيف من المتدينين المتعصبين بغية اسقاط حكم آل سعود، ومن ثم تمكين اليمن الجنوبي من التقدم لانقاذ الاماكن المقدسة)!

ان هذا كلام غير منطقي ولكن انى يكون للحكام منطق.. فهذه (النظرية) بل هذا الافتراء لا يصدقه قابوس نفسه ولا حتى حكومته او الغربيين انفسهم المدافعون عنه.. فمتى كانت روسيا او اليمن الجنوبي تدعم المتدينيين؟.. ان روسيا الد اعداء الاسلام وهي تعاني من كون أكثر من (12%) من سكانها من المسلمين الذين بدأوا بالتململ في اعقاب الثورة الإسلامية.. والروس يعلمون ان الموجة الدينية لا تخدمهم داخلياً أو خارجياً ولذا نراهم اليوم يتحالفون مع الغربيين ـ مخابراتياً ـ لمحاربة (التطرف!!) الديني.

وقد سبق لوكالة أنباء الشرق الأوسط (2/1/1980م) ان كررت هذا الاتهام والافتراء اعتماداً على المصادر العمانية ثم ما لبثت في (6/1/1980م)

---

[1] ـ الغارديان 4/2/1980م.

ان اعلنت ب أنه (لمجابهة الوجود السوفياتي فإن سلطنة عمان قد رحبت بأعطاء تسهيلات للتواجد العسكري الأمريكي في المنطقة)..

هذه هي مواقف حكام الخليج من حادثة الحرم، ويلاحظ عليها انها تنبع من مصدر واحد، انه الأمن الذي تزعزع، وخطر التحركات الدينية والثورة الاسلامية على مجمل الأنظمة الكارتونية في الخليج والجزيرة العربية.

مواقف الدول العربية الأخرى:

يمكننا إيراد هذه المواقف على النحو التالي:

أ ـ موقف الملك حسين:

بعث الملك الأردني برقيتين إلى الملك خالد، الأولى بعد وقوع الحادثة، يندد فيها بجماعة الاخوان، واصفاً إياهم بالإجرام، ومعلنا عن تضامنه مع الحكم السعودي واستعداده للمساعدة. والثانية ارسلها بعد انتهاء الحادثة مهنئاً فيها رموز النظام بالنجاح الباهر الذي حققته القوات السعودية ضد أعداء الاسلام!!

ومما جاء في برقيته الثانية التي ارسلها بتاريخ 4/12/1979م: (وكأني بالجهات الأجنبية قد تبينت ان قوة الأمة في دينها الذي وحدها فخططت وبدأت تعمل على غزوها من موطن قوتها)[1].. والملك يقصد هنا ان هناك جهات أجنبية ـ لم يسمها ـ استفادت من الشعور الديني لدى أفراد جماعة الاخوان لضرب الاسلام.. وهذا القول ينطبق على آل سعود قبل غيرهم، فهم الذين يجيرون الشعور الديني لدى المسلمين خدمة لأهدافهم الرخيصة ولأهداف أسيادهم الكبار.. ثم ان الملك الأردني هو آخر من يحق له الحديث عن الجهات الأجنبية وهو الذي لايزال حتى الآن يتقاضى راتباً من المخابرات الأمريكية!.. وللدلالة على هذا، فقد ذكرت وكالة اسيوشيتدبرس (28/3/1977م) وصفا لـ (وليم كولبي) المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية بشأن الأموال التي قدمتها الوكالة لبعض زعماء الدول الأجنبية أو للمجموعات السياسية الأجنبية، وصفها بأنها مساعدة من الولايات المتحدة الأمريكية لحلفائها لتمكنهم من تنفيذ المهام الملقاة على عاتقهم..

وقالت وكالة أسيوشيتدبرس نقلاً عن مصادر أمريكية (أن الملك حسين كان بين الذين تقاضوا هذه الأموال طيلة السنوات العشرين)!

لكن هذا الملك العميل ـ الذي فقد الحياء ـ لم يشأ أن ينفي الموضوع بل اعترف بأنه يستلم المال من المخابرات الأمريكية يبد أنه التف حول الموضوع بقوله: (انها كانت تصرف على اجهزنة الأمن والمخابرات في بلده).. وقد جاء اعترافه هذا في مقابلة مع التلفزيون الفرنسي في يوم الأحد 3/4/1977م وشخص بمثل هذا الملك لا يحق له أن يتحدث عن ارتباط الجماعات الدينية بالجهات الأجنبية، لأن المرتبط هو الملك الاردني وزملاؤه في العمالة آل سعود!

ولا يخفى ان الموقف الاردني تجاوز حدود الدعم الأدبي والمعنوي والسياسي والاعلامي، بل تعداه إلى الدعم العسكري لقمع انتفاضة الحرم، حيث أرسل قوات كوماندوس خاصة، للاشتراك مع الفرنسيين في قيادة

---

[1] ـ صحيفة الرأي الأردنية 5/12/1979م.

المعارك مع الجيش السعودي ضد المعتصمين في الحرم، كما توضح ذلك في صفحات سابقة.

ب ـ موقف مصر ورئيسها:

حين وقع حادث الحرم كان السادات في حالة استياء من الحكام السعوديين ابان محنته وتركه وحيداً ومقاطعاً ـ وان كانت المقاطعة هامشية ـ بعد توقيعه اتفاقية كامب ديفيد.. كان الخلاف السعودي الساداتي يدور حول موقف آل سعود من الصلح مع الصهاينة.. فبعد أن استشار السادات آل سعود حول زيارته للقدس وأخذ السادات الضوء الأخضر منهم ـ وهو ما اعترف به بعدئذ ـ وجد آل سعود ان الرأي العام العربي لابد وان يطيح بأنظمة الاستبداد التي تؤيد السادات ولهذا تخلوا عنه كما تخلى عنه صديقه الحسن الثاني الذي رتب اللقاءات المصرية الصهيونية قبل الزيارة خاصة تلك الاتصالات التي تمت بين حسن التهامي وموشي دايان في الأراضي المغربية. وكان التراجع السعودي عن دعم السادات ـ وان كان قد جاء متأخراً وبارداً ــ سببه الخوف من الغضب الشعبي المتصاعد ضد الزيارة، وقد هدد السادات بكشف المستور عن آل سعود في خطاباته العديدة التي تعرض لهم فيها.. ولكن حجة آل سعود تتلخص كما قال مسئول سعودي: (لقد وافقنا ان يهدي السادات قميصه، ولكنه سلم بيغن البنطلون ايضاً)!! بمعنى اننا لسنا ضد الصلح ولكن السادات قدم تنازلات كبيرة!! وهذه حجة ضعيفة وان كان لها شيء من المصداقية..

ولما وقع حادث الحرم لم يعلق السادات على الحادث إلى ان انتهى وفجر قنبلة في خطابه التهكمي ضد آل سعود مبينا انه لا يريد ان يطعن اصدقاءه في الظهر ولهذا صمت وبين السادات ان العائلة السعودية هي التي تحتاجه لمواجهة المخاطر إلى آخر كلام الغرور الساداتي!!.. ومما جاء في خطاب السادات الذي القاه بتاريخ 28/1/1980م ونشرته الصحف المصرية في اليوم التالي:

(يأتي حادث بسيط، قد يكون بسيطاً في مظهره، ولكن معناه خطير. هذا الحادث يوم ان وقع ما وقع في المسجد الحرام في مكة، كما يعلم العالم كله عمل سياسي. فقد استنكرنا.. شجبنا وسنشجب أي عمل. لكن الموضوع لم يكن "مهدي منتظر".. لا.. الموضوع هو موضوع الحكم في السعودية، ونحن لم ننتهزها فرصة لكي نطعن السعودية، كان ممكنا ان أذيع البيان أو البيانات التي كان يرددها اولئك الذين احتلوا الحرم من الداخل عن السعودية، والحكم في السعودية والفساد وكل ما قالوه بالمايكروفونات من داخل المسجد وكان بيصل هنا اليوم بيومه كان بيصل للعالم كله.. لا.. لم ننتهزها فرصة لنطعن السعودية من الخلف لأن أقدس مقدساتنا كان بينتهك.. نقف ونسيب كل ده إلى ان يعود المسجد الحرام صرحاً امنا كما اراده الله سبحانه وتعالى. ولكن الآن علينا ان نقول الحقيقة وان نواجه الحقيقة. السعودية والعائلة السعودية في محنة.. والله هذا يمين اقوله امامكم كممثلين للشعب لاحقد لي ولا هدف لي ابداً، ولا شيء ابدا، ولو انني لم ارفض ارتباط لعمل معين توسط فيه كارتر لحكيته. لكني ارتبطت والكلمة عندي هي الشرف وهي القدسية. ارجو ان لا تنقل العيلة السعودية محنتها الى الخليج وإلى الأمة العربية.. لأنه احنا

لاحقد لنا على أحد، لا على العيلة السعودية ولا على أحد، وانما حين يقع التسيب نشوف كيف يعملون، وكيف يستطيعون ان يواجهوا من غير مصر)!!

اما الصحف المصرية، فإنها وبوحي من النظام المصري الحاكم راحت تبحث عن كبش فداء فمن يكون ذلك الكبش؟!

بالطبع لن يكون الكبش الولايات المتحدة او اسرائيل (الصديقة!!).. وانما ايران الخميني التي نفت الشاه صديق السادات المقبور، وكذلك الاتحاد السوفياتي واليمن الجنوبي، لانهما الطرف الآخر المقابل للرأسمالية الغربية..

فمجلة آخر ساعة المصرية أوحت بأن عناصر ايرانية هي وراء العملية حين قالت: (ان السلطات السعودية اكتشفت خلال موسم الحج محاولة قام بها انصار الزعيم الايراني لتوزيع منشورات للدعاية له في المدينة المنورة، ومكة المكرمة وعلى جبل عرفات)[1].. وفي اليوم التالي كانت الاهرام صريحة في الاتهام حين قالت: (ان هناك احتمالين: احدهما ان تكون هذه الجماعة من انصار الخميني، فأرادت الانتقام من عدم موافقة النظام السعودي على طلب ايران ادراج النزاع الأمريكي الايراني، والاشتراك كمراقب في مؤتمر تونس.. والاخر ان العملية ربما تكون بتدبير عناصر شيعية متعاطفة مع الخميني)[2].. غير ان الحقيقة التي ظهرت والتي اكدتها الصحف الأجنبية والعربية، هي غير ذلك لذا تقول صحيفة اللوموند بعد تقصي وتفحص: (في باريس صرحت لنا عدة شخصيات عربية مقربة من الحكام السعوديين: ان عملية مكة لم تطبخ من قبل أيد أجنبية في الخارج أو من قبل الشيعة، بل من قبل سعوديين من السنة، وانها كانت فعلاً موجهة ضد الحكام الوهابيين القائمين على رأس السلطة)[3].

والأسوء مما قالته الاهرام، ماذكرته صحيفة الجمهورية (25/12/1979م) أي بعد انتهاء حادثة الحرم بثلاثة أسابيع، ان احداث مكة وطهران هي تخطيط سوفياتي وان ليبيا وعدن وراء الاضطرابات التي تقع في الشرق الأوسط!!

على ان من المهم التأكيد هنا بأن بعض الجهات المعارضة لأنور السادات حاولت ان تلصق به تهمة انه كان وراء الحادث الذي وقع في الحرم.. وترد صحيفة اللوموند على هذا الاحتمال بالتالي:

(إذا تصورنا ان الأجهزة الأمنية المصرية، المشهور عنها انها كثيرة التواجد في شبه الجزيرة العربية استطاعت بشكل أو بآخر ان تشجع مرتكبي عملية التدنيس حتى يلقنوا البلاط السعودي درساً لأنه تخلى عن الرئيس المصري منذ صلحه مع اسرائيل فإن ذلك يحتاج إلى القيام بخطوة كبيرة لا أحد في مصر مستعد ان يقوم بها على الاطلاق خاصة في هذا الوقت. فالواقع ان القاهرة ليست ذات مصلحة ــ على الاطلاق ــ في اضعاف نظام تشكل محافظته الكاملة ومسيره في فلك امريكا ضمانة لها اكثر بكثير من أي نظام ثوري معاد لأمريكا يقوم في السعودية.. ومن هذه النقطة فإن مصر مستمرة في تغذية املها بمصالحة مع السعودية، حتى انها باركت قيام وفد وساطة بين

---

[1] ـ وكالة أنباء الشرق الأوسط 21/11/1979م.
[2] ـ الاهرام 22/11/1979م.
[3] ـ اللوموند 3.2/12/1979م.

البلدين، كان على رأسه السيد ايرمان ايلتس سفير الولايات المتحدة السابق في القاهرة)[4].

ان من مصلحة النظام المصري وقبلها مصلحة امريكا ان لا يسقط النظام السعودي حتى وان كان موقف هذا النظام قد تراجع في دعمه للسادات بشكل جزئي.. ولذا لا يصح الطعن في ظهر آل سعود ـ بمنطق السادات ـ لأنه وعد كارتر بذلك ووعد السادات للأجانب من أجل مصالحهم له شرف وقدسية عنده!!

ج ـ موقف الملك الحسن:

في يوم (22/11/1979م) اصدرت الخارجية المغربية بيان استنكار لحادثة الحرم ودبج البيان المديح للملك خالد واصفاً اياه بخادم الحرمين والحكيم في معالجة القضايا الحساسة التي نشأت بسبب وقوع الحادثة.. وفي الختام جدد البيان موقف المغرب (حكومة وشعباً) مع الحكم السعودي من أجل (تطهير البيت الحرام من الفئة الخارجة)!! وهذا الموقف اتخذته كل الدول العربية الأخرى ومعظم الدول الاسلامية.

وتفيد أنباء خاصة بأن الملك الحسن بعث وزير داخليته إلى الرياض بصورة سرية للاطلاع على الموقف وتقدير الاحتياجات السعودية الأمنية والعسكرية وعرض خدمات الملك الحسن ـ غير المحدودة ـ من أجل انهاء الحادث بأسرع وقت.. وقد كانت زيارة وزير الداخلية المغربي قد تمت في تاريخ الخامس والعشرين من نوفمبر إلا أنه لم يستقبل في مطار جدة لأن كل الأمراء كانوا مشغولين (حتى الاذقان) بمتابعة الحادثة عن قرب، ولم يقابل الوزير إلا في اليوم التالي بما سبب له استياءاً شديداً.. كما انه لم يطلع على الأوضاع لأن السعوديين حساسون تجاه المسألة واكتفوا بالتطمين ان الأوضاع هادئة وتسير على ما يرام!.. ولما أبدى الوزير خدمات مليكه المغربي، شكره ولي العهد (فهد آنذاك) وقال بأن القوات الحكومية قادرة على انهاء الموضوع دونما حاجة إلى ان يتكلف الملك الحسن بإرسال المساعدات.. الجدير بالذكر ان القوات الفرنسية دخلت إلى ساحة الميدان قبل اجراء هذا الحديث!!

د ـ موقف النظام التونسي:

قبل وقوع حادثة الحرم كانت امام النظام التونسي مشكلتان، الأولى ما حدث في قفصه من تسلل ومواجهة مع النظام التونسي الأمر الذي استتبع ان يطلب هذا النظام الهش معونة الاسطولين الأمريكي والفرنسي لمواجهة خمسين متسللاً حسب أرقام النظام نفسه! والثانية هي مواجهة التيار الاسلامي في تونس المتمثل في حركة الاتجاه الاسلامي إذ قام النظام بغلق مجلة المعرفة ثم وضع قيادات الحركة في السجون..

وفور الاعلان عن مجريات الحادثة، أصدر النظام التونسي بياناً من خارجيته وكان ولي العهد آنذاك ـ فهد ـ في تونس يحضر مؤتمر القمة، وقد لاحظ المسؤولون التونسيون الحالة النفسية السيئة لفهد فحاولوا تطمينه ولكن دون جدوى بل ان نصائح كثيرة قدمت لفهد من أجل ان يتأخر في تونس حتى لا يصاب بالأذى في سفره لأن المطارات كانت لفترة ما مغلقة وكانت

---

[4] ـ اللوموند 23/11/1979م.

مهددة من ناحية الأمن والظروف في مجملها كانت غامضة لا أحد يستطيع ان يقطع بما تؤول إليه. وقد قبل فهد باقتراح التأخير خوفاً على حياته.

وفي ذات الوقت كان الاعلام التونسي مسخراً للنيل من الحركات الاسلامية بشكل عام وبدون تحديد متهمة اياها بأنها أساس البلاء والمشاكل والتطرف اينما وجد ومؤكدين ان حكومة بورقيبة كانت ذكية في تعرضها لهذا التيار المتطرف في تونس نفسها!!

وحين زار بورقيبة الابن (جوان) بعض دول الخليج من بينها قطر بعد انتهاء حادثة الحرم وذلك لجمع المعونات من أجل انقاذ اقتصاد تونس المنهار، في تلك الأثناء اجرت معه صحيفة الراية القطرية مقابلة نشرتها صحيفة النهار البيروتية[1] حاول فيها (جوان) المتغرب ان يبكي او يغني ـ لافرق ـ على ليلاه مستفيدا من حادثة الحرم في ضرب الاتجاه الاسلامي في تونس ضمن معزوفة غير متناسقة فقال: (ان قوات الأمن التونسية اعتقلت مجموعة من المسلمين المتطرفين اليساريين. وان المجموعة مرتبطة بالمتعصبين الدينيين الذين احتلوا المسجد الحرام في الشهر الماضي وان هذه المجموعة ظهرت في تونس قبل عامين وكانت تطلق على نفسها اسم الاخوان وتتجاوز في حديثها وسلوكها اليومي حدود المطلوب من المسلم وتغالي في اطروحاتها الدينية. وان المتطرفين الذين عبؤوا لخدمة الشيوعية والحركات اليسارية الأخرى قد أثاروا اضطرابات في تونس بعد الهجوم على المسجد الحرام وان ثمة هناك صحيفة تحمل هذا الاتجاه دعت لخلق الاضطرابات في الدولة ورافق ذلك نشر صورة الخميني في صدر صفحتها الأولى ـ وكان يقصد بذلك مجلة المعرفة ـ.

وهكذا تجد كل نظام يدين حادثة الحرم ثم يجير المسألة ضد اعدائه الداخليين!!

هـ ـ موقف الحكم اللبناني:

ويمكن اجماله بموقف كميل شمعون وحزب الكتائب اللذين هما يشكلان حجر الأساس للنظام اللبناني الماروني الصليبي.. وموقف هذين الطرفين من ناحية العداء للحلول السورية، جعلهما يلصقان بالحكم السوري التهمة.

وخير ما يعبر عن موقف الكتائب، ما ذكرته جريدة السفير[2]: (لفت المراقبون الاهتمام الخاص الذي يوليه حزب الكتائب عبر اجهزة اعلامه للاحداث السعودية، والهم الاساسي لاذاعة الكتائب وجريدة العمل، هو التأكيد على أن ما جرى ويجري في مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة وغيرها من انحاء المملكة ليس انتفاضة شعبية داخلية بل هي مؤامرة تشارك في تنفيذها عدة دول).. ويبدو انه ليس في جعبة الكتائب من عدة الدول هذه سوى سوريا!!

اما كميل شمعون فقد قال بصراحة لصحيفة الأنوار اللبنانية[3] وفي اليوم التالي للحادث: (...... كل ما أستطيع قوله ان هذه العملية جرى الاعداد لها من خمسة أو ستة شهور وكانت لدي كل الوثائق والمعلومات التي توضحها

---

[1] ـ النهار 21/12/1979م.
[2] ـ 1/12/1979م.
[3] ـ الأنوار 22/11/1979م.

نقل الأسلحة ومصادرها وتكشف عن هوية المتهمين بهذه العملية).. أما المصدر فقال شمعون: (ان الأراضي السورية هي المصدر الرئيسي لها ـ واضاف ـ منذ ان وصلتنا هذه المعلومات في حينه ارسلناها إلى المسؤولين السعوديين عبر سفارتهم في لبنان مع كل الايضاحات بهذا الصدد)!!

لقد كانت لهجة شمعون الصليبي هذه لهجة واثقة، وقد كان هدفه مما قال استعراض ما قدمه من خدمات لآل سعود، محاولاً استثارة آل سعود ضد سوريا، غير ان فهد (ولي العهد آنذاك) خيب ظن شمعون فقال في مقابلة له مع (الحوادث)[1]: (لم اسمع بهذه الرواية إلا مؤخراً والسفير السعودي كان متغيباً عن بيروت في الفترة التي يشير اليها شمعون. اما تهريب السلاح فأنا لا استبعد ان تكون هناك عملية تهريب من هذا النوع).. ولكن حين تصل التضحية والخيار بين العلاقات مع سوريا او مع شمعون فإن الضحية سيكون شمعون ـ على الأقل على المستوى الاعلامي ـ لذا انبه فهد ووبخه بالقول: (انما الذي يؤسف له، هو الحملة الصحفية الخارجة عن نطاق المعقول، والتي لاتمت للحقيقة بصلة، والمليئة بتفصيلات وتحليلات لا تصدر إلا عن أعداء كارهين حاقدين على المملكة، نشرتها اخيراً جريدة "الأحرار" التي يصدرها حزب شمعون. فبدلاً من ان يحاول شمعون انتقاد المملكة لأنها لم تشأ الانسياق وراء الاتهامات التي وجهها ضد بعض الدول العربية بتهريب السلاح إلى المملكة.. اليس الأفضل وله وللأحرار ان يصلحوا انفسهم أولا ويكفوا عن مشاركة اسرائيل والصهيونية في الحملة الظالمة المفترية التي تشن على المملكة)[2].

ان ما يهمنا هنا هو التقريع للصليبي شمعون صديق فهد والأسرة السعودية المالكة.. اما ان هناك حملة ظالمة حاقدة ضد (المملكة) فهو كلام في كلام.. افلا يكفي ان كل دول العالم غربيها وشرقيها وعربيها واعجميها وقف مع آل سعود؟! نعم كانت هناك تحليلات لا تتفق مع وجهة النظر الرسمية السعودية والسبب لأن وجهة نظر آل سعود متخبطة لاتقف عن حد فهي في تغير كل يوم بل كل ساعة.. وهذا ما أفقد الاعلام السعودي مصداقيته.. ثم ان النظام لم يكتف بهذا بل عتم على الحقائق وقطع مصادر الأخبار الأخرى مما أطلق العنان لسراح التكهنات والتوقعات والتحليلات المنطقية وغير المنطقية وهذا ما سماه فهد واخوته بـ (الحملة الظالمة ضد المملكة) أي ضد مملكة آل سعود، بل آل سعود انفسهم.

موقف الولايات المتحدة الأمريكية:

ان مجمل الموقف الأمريكي من حادثة الحرم ملفت للنظر فالحادث وقع في دولة حليفة تعهد كارتر بحماية النظام السعودي الحاكم فيها من الأخطار الداخلية والخارجية، كما تعهد أسلافه، وكان يعتبر امن السعودية جزء من الأمن الأمريكي القومي.

ومن جهة ثانية، كان توقيت وقوع حادثة الحرم في ظل ظروف الصراع المتصاعد بين ايران، الثورة المنتصرة، وبين أمريكا التي هددت اكثر من مرة بالاعتداء عليها والنيل منها مما زاد من الاشاعات التي تقول بأن أمريكا كانت

---

[1] ـ الحوادث 11/1/1980م.
[2] ـ المصدر السابق.

وراء العملية لاهانة المسلمين مما تسبب في مهاجمة السفارة الأمريكية في اسلام آباد واحراق المركز الثقافي البريطاني وبنك (امريكان اكسبرس) هناك.. اضافة إلى تعرض البعثات الأمريكية في لاهور وكراتشي لهجوم المسلمين الغاضبين، وخرجت مظاهرات قوية وهي تهتف (يسقط كارتر الكلب) و (تسقط الصهيونية) و(تسقط أمريكا) كما قتل أمريكيان في خضم هذه الأحداث.

ثم ان امريكا كانت أول من أعلن عن وقوع حادثة الحرم، قبل اعلان النظام السعودي مما سبب استياءاً عاماً لدى آل سعود بسبب هذا التصرف وبقي الأمراء يذكرون هذا الموقف حتى بعد انتهاء الحادث بشيء من المرارة!!

والغريب ان الناطق بلسان وزارة الخارجية الامريكية (هودنغ كارتر) اعلن عن الحادث قبل اعلان النظام السعودي نفسه، حيث قال: (ان هذه المجموعة ـ التي قامت بالعملية ـ لم تعرف هويتها واهدافها).. إلا ان هذا لم يقعد الأمريكيين عن الاستفادة من العملية ضد خصومهم واعدائهم الشيعة الايرانيين لذا أكمل هودنغ كارتر قائلاً: (وقد تكون من المذهب الشيعي)[1].

وعليه ــ وقبل ان تتضح الحقائق ــ ردت ايران في (21/11/1979م) التهمة ضد امريكا: (ان هناك ايد مجرمة تريد بذر الخلاف والتفرقة بين المسلمين وليس مستبعداً ان يكون هذا العمل من تدبير الامبريالية الأمريكية).. فما كان من هودنغ كارتر إلا أن رد: (من الواضح ان العملية التي وقعت في مكة تلك المدينة الاسلامية المقدسة كانت من تدبير عناصر اسلامية)[2].

وفي اليوم التالي (22/11/1979م) اصدرت الخارجية الأمريكية بياناً تتباكى فيه على ما حدث معربة عن اسفها ومؤكدة (تعاطف الولايات المتحدة مع المسلمين عامة والشعب السعودي خاصة) و(اننا نأسف لانتهاك اقدس دين من أكبر اديان العالم.. وان الولايات المتحدة حكومة وشعباً تشارك المسلمين كافة، وشعب العربية السعودية خاصة جزعهم ازاء هذه الفعلة النكراء)[3].

وفي ذات اليوم أيضاً (22/11/1979م) اكد سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكي: (استنكار بلاده لحادث اقتحام المسجد الحرام بمكة واسفها من جراء هذا الفعل المشين الذي دنس اقدس مكان لإحدى ديانات العالم الرئيسية)..

لقد جاءت هذه التأكيدات الأمريكية لتبرأ ساحة الولايات المتحدة من التهمة ولئلا تستثير سخط المسلمين المتأجج ضدها.. اما انها اسفت لوقوع الحادث في الحرم فإنها لن تأسف على الاسلام بأي حال وانما اسفها الحقيقي في ان حلفائها آل سعود هم الذين يعانون من وقع ما حدث ضدهم شخصياً!

ورغم الامتعاض السعودي من الموقف الأمريكي الذي أعلن عن وقوع الحادث قبل اعلان آل سعود عنه فإنهم وبدفع أمريكي دافعوا عن امريكا بأنها ليست لها أي علاقة بالحادث.. لذا تجد وزير الداخلية السعودية يصرح لوكالة

---

1 ـ النهار 21/11/1979م.

2 ـ صدر هذا القول من الناطق بإسم الخارجية الأمريكية في 21/11/1979م.

3 ـ السفير 23/11/1979م.

الأنباء السعودية حول دور امريكا في الحادث بـ (ان ذلك ليس لـه أسـاس مـن الصحة)[1].

موقف الاتحاد السوفياتي:

لقد تأخر اعلان الموقف الروسي مدة اسبوع كامـل تقريبـاً وحينمـا بـدأت اتهامات الغرب والدول السائرة في نهجه لتوجيه الاتهام إليه لم يفوت الروس الفرصـة للنيـل منهـم متهمـاً امريكـا وبالتحديـد وكالـة المخـابرات المركزيـة الأمريكية بأنها وراء الحادث!! جاء هذا في تعليق لوكالة نوفوستي السـوفياتي الحكومية على الأحداث حيث قالت: (ليس مصادفة ان تكـون وزارة الخارجيـة الأمريكية هي المصدر الأول الـذي تـولى اعلان نبـأ اسـتيلاء مجموعـة مسـلحة على أحد جوامع مكة واحتجازها فيه عدداً من الرهائن وان هذه المجموعة قـد تكون من المذهب الشيعي)..

ليس بغير ذي دلالة ان تنفذ هذه العملية وتعلـن الخارجيـة الأمريكيـة عنهـا بعد بضع ساعات من افتتاح مؤتمر القمة العربي العاشر في تـونس ان وكالـة الاستخبارات الأمريكية وعملاءهـا هـم الـذين دبـروا عمليـة المسـجد ونفـذوها بحسب معلومات مصادر مطلعة وذلك كجزء من خطة لاعـداد المنـاخ الملائـم للتدخل العسكري المباشر ضد ايران ونضال شـعبها. انـه ممـا لا شـك فيـه ان الاستخبارات المركزية الأمريكية ارادت من وراء عملية المسجد الوصول إلـى أهداف متعددة ترتبط كلها بالموقف الأمريكي من ايران وما يمكـن ان يسـتتبع ذلك ردود فعل عربية.. والولايات المتحدة تدرك جيداً ان الموقف العربي مـن أي عمل عـدواني تقـوم بـه ضد ايـران، سـيكون لـه تـأثير كـبير علـى مجمـل سياستها في الشرق الأوسـط وعلـى ظـروف العمـل العـدواني ذاتـه فطريـق العدوان ضد ايران يمر في المياه والأجواء العربية كذلك في القواعد الأمريكية على الأراضي العربية. لذلك كان لابد من استقراء الموقف العربي والتأثير فيه قبل الاعتماد النهائي لأية خطة في مواجهة ايران. وفي هذا الاطار في التحديد كانت عملية المسجد الحرام)[2].

ان أرخص شيء عند الدول هو الاتهام والاتهام المضـاد وكـل ذلـك حفاظـاً على المصالح.. فمادام كل نظام وكل جهة تتهم فلماذا لايصـطاد الـروس فـي الماء العكر اعتماداً على (مصادر مطلعـة)!!.. هـذه المصـادر لا يعلـم الـروس انفسهم ماهي!.. ويبـدو واضـحاً مقـدار التملـق السـوفياتي لإيـران مـن خلال سطور البيان لأن الروس كانوا يتوقعون ان تكون ايران التفاحة الناضجة الـتي ستقع في احضانهم ولكن خابت ظنونهم فيما بعد واصبحوا من الد اعداء ايران ـ كما هم الأمريكان ـ وراحوا يدعمون صدام بالسلاح والمال جنباً إلى جنب مـع دول الغرب!

وبعد اتهام السوفيات للمخابرات الأمريكية كان لابد للأمريكيين وآل سعود ان يردوا التهمة ويوجهوها ضد السوفيات!!

فهذه صحيفة نيويورك تايمز تقول كلاماً منسوباً لمصدر سعودي مسـؤول نصه: (اعتقد ان الحادث هو تدبير جهة عالمية ربمـا كـانت الاتحـاد السـوفياتي لنسف الاستقرار في السعودية وانا لا استبعد ان يكون قد تم تدريب هؤلاء في

---

[1] ـ صحيفة عكاظ السعودية 23/11/1979م.
[2] ـ النهار اللبنانية 28/11/1979م.

عـدن عاصـمة اليمـن الجنوبيـة، فهـم مـدربون علـى أحـدث أسـاليب حـرب العصابات).. وأضافت الصحيفة من عندها: (ان هذه المعلومات التي ادلى بهـا المسـؤول السـعودي تتوافـق تمامـاً مـع المعلومـات الـتي حصـلت عليهـا المخابرات الأمريكية عن الحادث)[1].

أما فهد (الملك السعودي الحـالي) ذو العقـل والـروح الأمريكيـة فـإنه راح يدافع أيضاً عن أمريكـا وقـال لزائريـه (ان الاتحـاد السـوفياتي قـد تـورط فـي الحادث بحيث ان جميع الأسلحة التي تم الاستيلاء عليها من المهـاجمين كـانت قادمة من هناك)[2].. لاشك ان فهد قطع الشك باليقين!!، فالأمر عنده مفـروغ منه بأن السوفيات متورطون ولم يقل (ربما) أو (قـد يكـون) كلا فهـو أحـرص مـن الأمريكييـن علـى لصـق التهمـة بالملحـدين!! أعـداء أمريكـا الصـديقة!!، والأهم من هذا ان فهد لم يقل بأن الأسلحة من صنع سوفياتي بعضـها أو كلهـا، بل أكد بلفظه (قادمة)، ان الأسلحة جميعها هربـت مـن هنـاك.. مـع ان أغلـب السلاح كان أمريكيا ومن مخازن الجيش السعودي!!

موقف الكيان الصهيوني:

تعددت روايات الكيان الصهيوني بشأن حادثة الحرم ولم تثبت على واحدة منها.. ففي أول تعليق رسمي صهيوني ذكرت وكالـة اسوشـيتدبرس[3] للأنبـاء ان ناطقاً اسرائيلياً قال: (ان المعلومات المتوفرة تشير بأن المسلحين ليسوا من السعوديين وانهم حجاج ولهم علاقة بصورة غير مباشرة) ثم أضافت اذاعة اسرائيل بصورة متهكمة سـاخرة: (لـم تكـد وكـالات الأنبـاء تعلـن عـن حـادث احتلال المسجد الحرام في مكـة المكرمـة حـتى راحـت بعـض أجهـزة الاعلام العربية تتسابق في الزعم بأن الصهيونية تقف وراء الحادث)[4]!

ثـم مـالبثت اذاعـة الصـهاينة ان اتهمـت منظمـة التحريـر (وهـي عقـدة اسرائيل) بأنها وراء الحادث فقالت: (ان لجنة التحقيق التي كـان الملـك خالـد قد أمـر بتشـكيلها برئاسـة ولـي عهـده "فهـد" لبحـث موضـوع الاعتـداء علـى المسجد الحـرام، توصـلت إلـى أدلـة جديـدة حـول اشـتراك منظمـة التحريـر الفلسطينية في عملية تهريب الأسلحة من سوريا ولبنان إلى داخل السـعودية عن طريق اليمـن الجنـوبي)[5]، وكـان مـن الأفضـل للإذاعـة ان تضـيف جملـة (مروراً بالجزائر وليبيا)!! واضافت الاذاعة قائلـة: (ان اللجنـة تقـوم بـالتحقيق في قيام المخربين بقيادة "جورج حبش" الموجود حالياً فـي اليمـن الجنـوبي، بالتدخل المباشر في عملية الاعتداء علـى المسـجد الحـرام بمكـة المكرمـة). واكملت: (وكان زعيم المسلحين المدعو محمد بن عبـد اللـه الـذي جـرح فـي رجله اعترف عند القاء القبض عليه بأنه تلقى وجماعته التدريب العسكري في احدى قواعد المخربين بـاليمن الجنـوبي، وان الأسـلحة الـتي اسـتخدموها قـد

---

[1] ـ صحيفة القبس الكويتية 18/12/1979م.
[2] ـ الرأي العام 20/12/1979م.
[3] ـ وكالة اسوشيتدبرس 21/11/1979م.
[4] ـ اذاعة الكيان الصهيوني في 23/11/1979م.
[5] ـ المصدر السابق 27/11/1979م.

مـرت مـن اليمـن الجنـوبي إلـى السـعودية)[1].. مـع ان السـلطات السـعودية اعلنت ان محمد بن عبد الله القحطاني قتل وبالتالي لم يحقق معه.

ولما وصلت درجة الاستهلاك الإعلامي مداها غيرت اذاعة الصهاينة اللهجـة فقالت في 29/11/1979م: (طبقاً للمعلومات التي وصلت من اقطار الخليج وشبه الجزيرة العربية بأنه كان من ضمن المجموعة الـتي هجمـت علـى بيـت الله الحرام قبل أيام أفراد ايرانيون وباكستانيون ومن ضمنهم أيضاً أفراد مــن منظمة الحجاز في السعودية. كما أشارت المعلومات بأن سبب الهجـوم كـان من أجل الاطاحة بنظام الحكم في السعودية. كما تفيـد المعلومـات بـأن قائـد المجموعة هو سني متطرف).. غير ان التحقيقات لم تثبت فيمـا بعـد اشـتراك أي فرد من الايرانيين وانه ليس هناك شيئاً اسمه (منظمة الحجاز)!

ومن المهم هنا ان نشير إلى قلق الصهاينة من حادثة الحرم لأنهم ينظرون إلى تصاعد المد الـديني او مايسـمونه (التطـرف الـديني!) خطـراً علـى أمـن اسرائيل كما ان النظام السعودي المعتدل والموالي للغـرب هـو افضـل الـف مرة من أي نظام ديني ثوري، وقد توضح القلق الصهيوني هذا حينما زار وزيــر الدفاع الصهيوني آنذاك (عزرا وايزمن) واشـنطن والتقـى بــ (هارولـد بـراون) وزير الدفاع الأمريكي، و(فانس) وزير الخارجية ليناقش معهما (قضـية هامـة، وهي قضية الاستقرار في العربية السـعودية.. اذ تشـير التقـارير الـواردة إلـى واشنطن بأن اسرائيل تشـعر ــ الآن ــ بـأن النظـام السـعودي معـرض لخطـر الانهيار) على حد تعبير صحيفة (ديلـي تلغـراف) البريطانيـة[2].. ولـذا لا يمكـن القول بأن اسرائيل رحبت بما حدث في مكة فضلاً عن انها شـاركت او قـامت بالعمليـة، لان سـقوط النظـام السـعودي ليـس فـي مصـلحتها بـأي حـال مـن الأحوال!

الأمر المهم الآخر هـو ان اتهامـات اسـرائيل وصـحافتها لمنظمـة التحريـر والدول التي اصطلح عليها انها ضمن جبهة الرفض قد وجـدت اصـداء لهـا فـي الغرب ورددتها بشدة بعد ان اطلق الصـهاينة اشـاعاتهم.. فقـد ذكـرت جريـدة (الأنبـاء) الكويتيـة نقلاً عـن صـحيفة (واشـنطن سـتار) الأمريكيـة قولهـا: (ان المسـلمين الـذين اعتـدوا علـى المسـجد الحـرام فـي مكـة المكرمـة تلقـوا تدريباتهم في معسكر تابع للفدائين في اليمن الجنوبية ويستدل مـن تحقيقـات أولية مع المسلحين الذين أسروا من قبل القوات السعودية ان المعتدين علـى المسجد الحرام تلقوا تدريباتهم في نفس المعسـكر الـذي يتـدرب فيـه أفـراد الجبهة الشعبية التي يتزعمها جورج حبش)[3].

كمـا نقلـت جريـدة الجمهوريـة (السـاداتية) عـن صـحيفة (الأوبزيرفـر) البريطانيـة ان هنـاك: (علاقـة لجـورج حبـش زعيـم الجبهـة الشـعبية لتحريـر فسطين بحادث الاعتداء علـى الحـرم المكـي خلال شـهر نوفمـبر الماضـي).. وقالت (الأوبزيرفر) نقلا عـن مصـادر عربيـة عليـاً (ان أحـد الجـوانب العديـدة والغامضـة فـي الـوقت نفسـه، الـتي تؤكـد هـذه العلاقـة هـو مصدر الأسـلحة الأتوماتيكيـة الحديثـة الـتي اسـتخدمها حـوالي "7000" مـن المتمرديـن فـي

---

[1] ـ المصدر السابق.

[2] ـ ديلي تلغراف 27/12/1979م.

[3] ـ الأنباء الكويتية 8/12/1979م.

حصارهم للحرم المكي الشريف)[1].. فهل هذا التوافـق صـدفة ام ان الهمـوم التقت عند خط مشترك؟!

الموقف الأوروبي:

لقـد تميـز موقـف فرنسـا عـن موقـف بقيـة الـدول لأن الأولـى شـاركت عسكرياً في قيادة العمليات ضد جماعة الاخوان وقد صدر عن المشرف علـى العمليات الفرنسي والمسـمى (باريـل) كتاباً شـرح فيـه ابعـاد التـدخل وضـم كتابه[2] مجموعة من الصور لأفراد القوات الخاصـة الـتي يشـرف عليهـا وهـم يعتمرون الكوفية والعقال!

ان مما لا شك فيه هو ان الحكومات الأوروبية نظرت إلـى أحـداث الحـرم بشيء من الفزع خوفاً على تدفق النفط وسقوط حليف يشكل عموداً رئيسياً من أعمدة استقرار المنطقة الاسلامية لصالحهم.. لذا ابدت المانيـا وبريطانيـا اسـتعدادهما للمشـاركة فـي أيـة عمليـات عسـكرية لقمـع الانتفاضـة وراحـت الصحف الأوروبية تنـذر بـالبعبع الاسـلامي (المتطـرف!!) الـذي يهـدد منطقـة الشرق الأوسط.

والخلاصة هي ان كل دول العالم اتفقت على ادانة العملية واتهمت غيرهـا من الأعداء او المنافسين بأنهم وراءها وهذا يدلل على ان كل ماقـالوه افـتراء وكذب وخداع.

الموقف الشعبي:

ابتداءاً يجب ان نثبت هنا ان الموقف الشـعبي الـداخلي والاسـلامي صـدم صدمة شديدة تجاه ما حدث.. بسبب رئيسي واحد هـو ان الواقعـة كـانت فـي بيت الله الحرام، اقدس المقدسات الاسـلامية.. وقـد تكـون الحادثـة مدهشـة وصادمة للغربيين ايضاً إلا أن نظرتهم السياسية هي المقيـاس فهـم لايهتمـون ان وقع الحادث في مسجد (أي مسجد) او مكان مقـدس مهمـا تكـن قدسـيته وانما كان همهم ومتابعتهم لحجم المعارضة للحكم السعودي الحليف..

ومـن المنطقـي جـداً ان تسـتثار حفيظـة المسـلمين خاصـة وان الاعلام السعودي روج ماشاء من التهم الرخيصة ضـد جماعـة الاخـوان واصـفاً ايـاهم بالزندقة والخوارج والطغمـة الشـريرة الفاسـدة وغيـر ذلـك مـن التهـم.. وإذا ماتابع المسلمون ردود الأفعال الدولية والاقليميـة والتحليلات المنطقيـة وغيـر المنطقيـة وفـي غيـاب المعلومـات الصـادقة والغمـوض الاعلامـي وتشـويش الرؤى.. إذا ما تابع المسلمون كل ذلك والأجهـزة الاعلاميـة السـعودية تتحـدث عن (رهائن) و (دماء) و(دمـار المسـجد الحـرام) وغيـر ذلـك.. فـي ظـل هـذه الأوضاع سيكون الحكم قاسياً ضد الاخوان..

فرغم اعتقادنا ان هناك اخطاء معينة على صعيد الاستراتيجية والتكتيك قد شابت عملية الحرم ومع ان الدخول المسـلح إلـى الحـرم لـه سـابقة تاريخيـة حينما دخله عبد الله بن الزبير فراراً من جيش الحجاج بن يوسف الثقفي ممـا أدى إلى محاصرة المسجد ورميه بالمنجنيق.. ورغـم ان السـلطات السـعودية

---

[1] ـ الجمهورية 28/1/1980م.
[2] ـ اسم الكتاب هو (Messeion Especial).

هي التي ابتدأت بالقتال ودمرت صوامع المسجد وقصفت المآذن واستقدمت الخبراء النصارى وازهقت العديد من أرواح الحجاج..

رغم هذا كله.. فإننا يجب ان نعلم بأن السلطات السعودية هي المسؤول الأول عن نشأة الحدث وهي المسؤول الأول عن نتائجه كما ان الأسرة المالكة لا تراعي حرمة للمسجد الحرام لأنها عملياً نفذت مبدأ كون الحرم ــ كغيره من الأراضي ـ خاضع لسيطرة السلاح بحيث لم يكن هناك أمان فيه لمن لا يتبع اهواءها، ولم تكن الأسرة بحاجة في اقتحام الحرم إلى ذريعة لانها تنتهكه كل يوم وتدخل جنودها في فضاء الكعبة عند المسعى والمطاف وتضع شرطتها بأسلحتهم وعصيهم عند الحجر الأسود.. ولو افترضنا ان الجماعة اخطأت بدخولها إلى الحرم فلماذا تنتقد ذلك الأسرة الحاكمة طالما انها دخلت هي الأخرى بالدبابات والمدافع والطائرات؟ فمن يكون المنتهك الأكبر في مثل هذا العمل؟!

وبسبب الاعلام السعودي الفاسد ونصيره الاعلام الأجنبي وبسبب عزف آل سعود على وتر (تدنيس الحرم) رغم انهم أكبر المدنسين والمنتهكين له.. وقف الرأي العام الاسلامي ـ في مجمله ـ موقفاً يميل إلى الجانب السعودي بشكل كبير.. إلا أن هذا لم يمنع ان يجد القائمون بالعملية من يتعاطف معهم في الداخل والخارج..

1/ ففي الداخل كان للجماعة امتداداتهم ومؤيديهم في مختلف المناطق، وكان لهم اعوان في الجامعات ومن رجال الدين كما كان لهم مؤيدون في صفوف الجيش والحرس الوطين الذي ساعدهم أما بالاشتراك معهم أو بالامتناع عن مقابلتهم لدرجة ان عمليات عسكرية واسعة النطاق قد وقعت في المدينة المنورة داخل معسكرات الجيش مما استدعى محاصرة هذه المعسكرات بواسطة قوات خاصة من الحرس الوطني وهدد الجنود بأنهم سيقتلون رمياً بالرصاص ان هم خرجوا من عنابرهم إلى ساحة المعسكر.. وقد أصيب بالفعل عدد من الجنود والضباط وسقط عدد آخر منهم قتلى بالرصاص.

2/ وفي منطقة عسير العسكرية كان يتوقع وصول امدادات بواسطة طائرات كانت مرابطة في قاعدة خميس مشيط العسكرية الجوية لذلك أمرت الأسرة المالكة بإسقاط كل طائرة قادمة من الجنوب متجهة إلى مكة، وقد سبب ذلك في اسقاط طائرة باكستانية مدنية من طراز بوينج (707) في حادثة شهيرة فوق جبال الطائف بواسطة المدفعية الحكومية المضادة للطائرات وكان عدد الضحايا (156) راكباً وقد وقعت العملية بتاريخ 26/11/1979م.

3/ وعبر الموقف الشعبي الداخلي عن الحادثة بأن خرجت مظاهرة عفوية ضد آل سعود في مدينة جدة قدر عددها بعشرة آلاف شخص.. وهذا التعبير يعتبر أقوى دليل على وجود المتعاطفين الذين وصل بهم الحد إلى الخروج في مظاهرة قد تكلف حياتهم في بلد يحكمه الاستبداد السعودي.

فقد ذكرت الأنباء ان المظاهرة ضمت عشرة آلاف شخص انطلقت في مدينة جدة بتاريخ 24/11/1979م منددة بالاعتقالات السعودية التي جرت بعد الاعلان عن حادث الحرم واعلنت عن تعاطفها مع جماعة المرحوم جهيمان،

لكـن السـلطات السـعودية مـالبثت ان فرقتهـا واعتقلـت قـوات القمـع مـا استطاعت من الأفراد..

والطريف هنا ان الاذاعـة السـعودية (اذاعـة الريـاض) اذاعـت خـبر وقـوع التظاهرة وجيرتها على أساس انها قامت تأييـداً للحكـم السـعودي ثـم تضـيف الاذاعة بفخر!! (ان التظاهرة تمت دون ان يقع أي حادث عنف خلالهـا). وبعـد ذلك سارع وزير النفي السـعودي (محمـد عبـده يمـاني) إلـى ان ينفـي الخـبر جملــة وتفصــيلا بعــد ان تــبين بطلان مزاعــم آل ســعود وقــالت الصــحف السعودية[1]: (نفـي معـالي وزيـر الاعلام الـدكتور محمـد عبـده يمـاني تظـاهر عشـرة آلاف شـخص فـي جـدة أمـس الأول احتجاجـاً علـى اقتحـام المسـجد الحرام وقال معاليه: ان هذا الخبر لا أسـاس لـه مـن الصـحة)! فطالمـا انـه لا أساس له من الصحة فلماذا قامت اذاعتـه بتأكيـده واثبـاته؟! أليـس هـذا دليلاً على بطلان كلام اليماني، إلا يثبت هذا للمرة الألف ان الاعلام السـعودي اعلام مفتري كاذب ومخادع؟!

4/ لقد تعاون اهالي مكة مع ثـوار الحـرم لدرجـة ان مجلـة (ديـر شـبيغل) الألمانية نقلت على لسان ضابط سـعودي كـبير قـوله: (ان اهـالي مكـة كـانوا ينتظرون تلك اللحظات الحاسمة ليثوروا ضد حكم آل سـعود المكروهيـن)[2].. وقالت المجلة ـ آنفة الذكر ــ موضحـة كيـف ان أفـراد الجيـش يتعـاطفون مـع الثوار ان (قائد قاعدة الرياض الجويـة قـال: أننـي اعلـم بـأن ضـابطاً شـجاعاً سيحتل موقعي قسراً، وذلـك أثـر انقلاب.. ورغـم ذلـك فـإني لـن ادع جنـودي يقتلون من أجل أمراء مرتشين وفاسقين)[3].

5/ وتعـاطفت الحركـات السياسـية فـي البلاد مـع الحادثـة وحـاولت قـدر الامكان شرح أهداف عملية الحرم للرأي العام كما أصـدرت بيانـات واتصـلت بوكالات الأنباء والصحف حتى ان المناضل ناصر السعيد سافر إلى بيروت لهذا الغرض إلا ان يد الخيانـة السـعودية اختطفتـه بواسـطة رئيـس مخـابرات فتـح السابق (أبو الزعيم) وذلـك بتاريـخ (17/12/1979م) ولا يعلـم مصـيره حـتى الآن.

6/ وفي الكويت كان هناك تعاطف وهو ما أوضحناه في سرد مجمـل ردود الفعل حيث اعلن عدد من الشباب تأييدهم لجهيمان وللعملية بـل والأكـثر مـن هذا القى الاسـتاذ اسـماعيل الشـطي رئيـس تحريـر مجلـة المجتمـع الكويتيـة محاضرة اعدها الاتحاد الوطني لطلبة الكويت قال فيها: (لا نود ان نـدخل فـي سـيل الشـماتة كمـا عمـل البعـض الـذين اتهمـوا مقتحمـي الحـرم بـالجنون والخوارج وغيرها لأن من قال ذلك يتحمل دماءهم امام الله)[4].

وقد حدث تعاطف لدى الكثير من المثقفين والمتدينين في أقطار الجزيرة العربية وفـي مصـر، خاصـة وان اجـراءات اقتحـام القـوات السـعودية للحـرم وقصفه بالمدافع والطائرات والدبابات، قد أثارت الكـثير مـن المسـلمين، وان لم تظهر ردات فعلهم بشكل جماعي، او تظهر فـي اعمـدة الصـحف ووسـائل الاعلام التي يمتلكها اعداء الاسلام!

[1] ـ الصحف السعودية 26/11/1979م.. وانظر السفير 6/1/1400هـ.
[2] ـ دير شبيغل 10/12/1979م.
[3] ـ المصدر السابق.
[4] ـ صحيفة الوطن 2/12/1979م.

ويكفي ان قطاعاً كبيراً من المـواطنين وغيـر المـواطنين حمـل الحكومـة السعودية مسؤولية ما جرى في مكة لدرجة ان مجلة نيوزويك قـالت بـالحرف الواحد: (اما مثقفو العربية السعودية فإنهم يشدون بقوة في الاتجاه المعاكس ويتهمون النظام بأكمله محملينه مسؤولية العملية. وقد قام مؤخراً فريق مــن طلبة جامعـة الريـاض ــ الملـك سـعود ــ بنقـد وزيـر التخطيـط المتعـب حـول الثغرات الموجودة في برنامج التحديث. كما انهم وجهوا النقد للأمير نايف بــن عبد العزيز وزير الداخلية حول العمل الأخرق الـذي قـامت بـه السـلطات فـي مكة)[1].

الفصل الثاني عشر

نتائج الانتفاضة

لقد أفرزت انتفاضة الحرم ومارافقها مـن تظـاهرات قـرب حقـول النفـط في مدن وقـرى المنطقـة الشـرقية مـن البلاد، نتائـج ايجابيـة كـثيرة سـاعدت وستساعد على تنمية الحركة المعارضة (الاسلامية منها بشكل خـاص) مقابـل الحكم السعودي الباغي، كمـا كشـفت النظـام السـعودي علـى حقيقتـه امـام العالم.. ومن أهم نتائج هذه الانتفاضة ما يلي: ـ

(أولاً)

الاعتراف بمسببات الانتفاضة

لقد صنع النظام السـعودي لنفسـه هالـة لا أحـد يسـتطيع ان يقـترب منهـا وكان يجد نفسه (معصوماً) عن الخطأ، وقد عـزز هـذه الهالـة الانفـاق المـالي الضخم علـى وسـائل الاعلام مـن أجـل تلميـع رجـال الأسـرة المالكـة الـذين لايحبون ان تسلط الأضواء على اخطائهم وفضائحهم ومشاكلهم وتجـاوزاتهم.. ولذا كان النظام يغلف نفسه بأكثر من رداء، فمن رداء الدين إلى رداء النفـط، إلى رداء الصخب الاعلامي والمديح لئلا يكون الأمراء موضع حديث للعامة ولذا تراهم يعلنون التدين والاسلام ويحاولون قدر الامكان ان يبدوا انفسهم بوسيلة لا تأخذ عليهم أية ممسك يدينهم.. وفي الوقت ذاتـه وبصـورة مغـايرة ينـزوون في قصورهم ويتمتعون بملذاتهم الحسية الرخيصة ويمارسون كل المحرمـات في السر..

ومن جانب آخر حاول رجال الأسرة المالكة تركيز فكرة ان ما يفعلونه هـو الصحيح فسياستهم الاعلامية صحيحة ونهجهم المبتذل في عرض الاسـلام هـو الصحيح وسياستهم النفطيـة والداخليـة والخارجيـة والتنمويـة ليـس عليهـا أي شبهات.. وبالتالي فكل شيء على مايرام!!

لكن الانتفاضة في الحرم والمنطقة الشرقية طرحت تساؤلاً عن مسببات الثورة؟

واجاب رؤوس النظام بأن هدف المعتصمين لا يعدو (كلام فاضي) كما قال (فهد)! واحياناً يتحدثون عن اهداف المعتصمين بأنها (لسفك الدماء) و(وترويع الآمنين) و(مبايعة المهدي المزعوم)!!.

---

[1] ـ مجلة نيوزويك 3/3/1980م.

ويعاد السؤال مرة أخـرى: لمـاذا أراد هـؤلاء ان يسـفكوا الـدماء ويروعـوا الآمنين كما قال الأمراء؟! وهل هؤلاء تستهويهم مناظر الدماء والخراب، لأجل الدماء والخراب؟، فقاموا بما قاموا به؟!

لقد أوضحنا ان رؤوس النظام حاولوا جاهدين ان يجردوا عملية الحرم من اهدافها الدينية والسياسية وحصرها في عدة جمـل طابعهـا الشـتم والسـخرية ليس إلا.. ولم يجيبوا على مسببات الانتفاضة بل لم يتطرقوا اليها من قريب أو بعيـد.. لأن كشـف الأهـداف يسـتتبعها بالضـرورة كشـف المسـببات وكشـف المسببات يستتبعه النقد اللاذع وتعريض صورة آل سعود التي رسموها بريشة النفط في مخيلة الرأي العام المحلي والعالمي.. وهذا لايمكن ان يفصح به آل سعود خاصة في ظروف هجـوم قـوات السـلطة علـى الحـرم وقبـل ان تنهـي الحادث..

وبعد النهاية المأساوية التي نتجت في مكة المكرمة بدأ آل سعود يتحدثون عما يسمونه (النقد الذاتي).. وفي الواقع انهـم لـم ينتقـدوا انفسـهم كمسـبب رئيسـي للفسـاد والمشـاكل كمـا حملـوا مـوظفيهم الصـغار بعـض قصـورهم وضعفهم.

أ/ الاعتراف بفساد الأسرة المالكة:

قبل وقوع حادثة الحرم حذر الغربيون ان الأسرة المالكة السـعودية تسـير على خطى شاه ايران (المقبور) من حيث الفساد، ان لم يكن فساد آل سعود أكبر بكثير من فساد الشاه وحاشيته.. وقد توقـع الغربيـون انـه إذا مـا اسـتمر الفساد على حاله، فإن اضـطرابات سياسـية واجتماعيـة لابـد وأن تحـدث فـي العربية السعودية بشكل قد يؤدي إلى نهاية حكم العائلة المالكة..

فقبل ثمانية أشهر تقريباً من وقوع الحادثة حذرت مجلة التايم مـن تكـرار آل سعود لتجربة الشاه وقالت: (أن السعودية تحتذي مسـاراً فاسـداً مشـابهاً للمسار الايراني مما سيولد أخيراً استياءاً اجتماعياً).. وأضافت المجلـة حـديثاً للسفير الأمريكي الأسبق في جدة (ايكنز) أوردتـه فـي سـياق الاستشـهاد بمـا قالت حيث حذر السفير من مغبة المخاطر الـتي تنتـج عـن الفسـاد السـعودي واقـترح بـأن ترسـل الإدارة الأمريكيـة تحـذيراً للحكـام السـعوديين: (ان أكـثر الجهود أهمية هو السيطرة على مظاهر الفساد لأنها كـبيرة جـداً فيجـب قطـع أجور الوسطاء الاستثنائية، وهم وسطاء يتعاملون بالرشـوة ويمكنـك ان تشـير لهم بالبنان لأن هـذا الموضـوع هـو محـور حـديث النـاس قاطبـة ولأن ظـاهرة الفساد هذه ستسبب اضطرابات اجتماعية، ثم طالب ايكنز (بضـرورة ارسـال مبعوث أمريكي لتحذير الملك خالد أو ولي العهد الأمير فهد من مغبة الفسـاد)[1].. ان هذا التحذير يبعث على الأسى حقاً.. فإذا كـان الأمريكيـون والغربيـون اسـاتذة الفسـاد واسـاطين الانحـراف تضـايقوا مـن الفسـاد السـعودي فإننـا نتساءل عن حكايات (تطبيق الاسلام) و (خدمة الحرمين الشريفين) و (حمـاة الكعبة) الذين ينصحهم المفسدون بالكف عن الفساد!

ويبدو ان آل سعود لم يستفيدوا مـن النصـيحة الأمريكيـة ربمـا لأنهـم غيـر قادرين على تغيير سلوكياتهم الرخيصة لأنهم شبوا وشابوا عليها ولذا لم تتـأخر الانتفاضة سوى أشهر قليلة حتى جاءتهم كالطوفان..

---

[1] ـ مجلة التايم 12/3/1979م.

وكانت اللوموند الفرنسية من أوائل الصحف الـتي أشـارت إلـى أن فسـاد العائلة المالكة وتبذيرها للأمـوال كـان مـن مسـببات الانتفاضـة.. فقـد نسـبت الصـحيفة إلـى شخصـيات عربيـة مقربـة مـن آل سـعود قـولهم: (ان هـؤلاء ــ المعتصمين في الحرم ـ قد يكونـون تـأثروا مـن تـدهور اخلاق العائلـة المالكـة ومن تبذير العائدات النفطية)[1].. وهذا صحيح بشكل قاطع لأن جهيمان نفســه خطب في المسجد الحـرام فـي صـبيحة 20/11/1979م متعرضـاً لفسـاد آل سعود خاصة (فواز) الذي كان أميراً لمكـة وتسـاءل جهيمـان بـأنه كيـف يحـق لمثل هذا العربيد ان يكون أميراً على الديار المقدسة.

وقد سبق لصحيفة اللوموند ان اشارت إلى فسـاد آل سـعود وكيـف انهـم لايحترمون احكام القرآن رغم زعمهم انهم يطبقونه فقالت: (والواقـع وبحجـة احترام الشعور القومي والديني للشعوب العربية والمسلمة فإن غالبية النظم القائمة تزعم انها تطبق المفاهيم القرآنيـة بشـكل تـام. لكـن موقـف الحكـام يتعارض ويتضاد غالباً مع القواعد التي يرون الأكثريـة تحترمهـا. واليكـم بعـض الأمثلة: ففي العربية السعودية لا توجـد دور سـينما إلا أن الأمـراء يسـتأجرون بأسعار خيالية الأفلام التي تصنع في باريس ولندن ونيويـورك ليشـاهدوها فـي حدائقهم أو قصورهم بينما يسكب الويسكي والشـمبانيا امواجـاً، فـي حيـن ان مواطنا عادياً يقبض عليه وهو يشـرب كحـولاً يعـاقب بمـا ينـص عليـه الكتـاب الكريم ـ القرآن ـ من عقوبات. وهناك وجهاء واغنيـاء يسـافرون إلـى القـاهرة والعواصم الأوروبية ــ منـذ أن دمـرت بيـروت بسـبب الحـرب الأهليـة ــ حـتى يحصلوا على عاهرات، أو ينطلقوا بجنون في مضمار العـاب القمـار المحرمـة في الشريعة القرآنية)[2].

واعترف الملـك خالـد لـزواره بالفسـاد، وقـال ان اللـه عـاقبهم بانتفاضـة الحرم[3]: (ربما كان رد الفعل حول موضوع الفسـاد مـن جـانب الملـك خالـد، الأكثر تحسساً وإشارة إليه. وقد تكلم بصفة الحارس الأمين للعتبات المقدسة وعبر عن شعور بأن العربية السعودية قد عـوقبت بسـبب ارتكابهـا خطـأ).. لا، ليس العربية السعودي هي التي ارتكبت الخطأ، بـل العائلـة المالكـة الفاسـدة والمفسدة، فكان الحدث عقاباً لهـا، وسـوف يتلـوه العقـاب الأكـبر فـي الـدنيا باجتثاث جذورها، وفي الآخرة لها عذاب اليم.

ومن جهته اعترف (فهد) بفساد عائلته، وان الناس يعرفون بأنهـا فاسـدة، جاء ذلك في مقابلة له مع رئيس تحرير صحيفة السفير البيروتية[4]، حيث قال: (ان الكـثير يصـوروننا علـى أننـا دولـة أمـراء وبـس، والحقيقـة ان أي أميـر لايستطيع ان يأمر بصرف قرش واحد من خزينة الدولة، او من أي مجال آخـر، لكن هذه الشائعات رسخت في الأذهان عنـا. ان عائلتنـا كـبيرة كمـا تعرفـون، وهي تتكون من حـوالي أربعـة آلاف شـخص، بـل لعلهـم أكـثر.. أي انهـا قبيلـة بحالها، ولا يمكن ان يكون ابناء العائلة جميعـاً مـن مسـتوى واحـد).. جـاء هـذا ضمن الحديث عن مسببات اشتعال الانتفاضة وغضب الجمهور من آل سعود.

---

1 ـ اللوموند 2.3/12/1979م.
2 ـ المصدر السابق 26/11/1979م.
3 ـ صحيفة الفايننشال تايمز 7/12/1979م.
4 ـ السفير 10/1/1980م.

بعد هذا قال رئيس التحرير معقباً: (لكن من الضروري الاعتراف أنـه نشـأ ولفترة طويلة إدغام كامل بين الأسرة والمملكـة، أي الدولـة)!، فأضـطر فهـد إلى ان يعترف (هذا صحيح).. فما كان من رئيـس التحريـر (طلال سـلمان) إلا ان قـال: (أي ان الأمـراء أو بعضـهم كـان يتصـرف وكـأن المملكـة ملكـه الشخصي؟)!.. وهنا لم يشأ فهد ان يعترف كاملاً، فقال ان ذلك كان يحدث في الماضـي، بينمـا الحقـائق تؤكـد انهـم (أي آل سـعود) فـي الماضـي والحاضـر والمستقبل، وسواء كان قبل الانتفاضة او بعدها، وجاء هذا مـن الملـك أو ولـي عهـده أو مـن الأمـراء الصـغار، تؤكـد الحقـائق انهـم يعتـبرون البلاد والعبـاد والثروات ملكهم الشخصي، بحيث لا يحـق لأحـد مناقشـتهم.. لقـد قـال فهـد: (لعل ـ لاحظ كلمة لعل!! ـ هذا كان قائماً فـي السـابق، ولعـل الصـورة بقيـت ثابتة في أذهان الناس عنا، وافترضوا ان الأمير يستطيع ان يفعل ما يريد، بغيـر ان يتعرض لأي حساب. لكن الحقيقة ان الأميـر لايسـتطيع ان يفعـل مـا يريـده، والله ما يصنع مثل ما يريد. وأقول لكم أكثر، ان اكثرنا كعائلة، لا يتمتع بواحد في المائة مما يتمتع به الكثير الكـثير مـن المـواطنين لا مـن ناحيـة السـكن ولا مـن ناحية المعيشة. انظروا إلى بيتي ـ يقصد قصري ـ هذا هـل يوجـد أي شـيء غيـر عادي. ان بعض طبقات المواطنين تعيش في بحبوحـة مـن العيـش أكـثر ــ بمـا لايقاس ـ من الأمراء. لكن من الصعب تغيير الصورة الثابتة)[1].

كلام كله كذب ودجل وحلف بالله على الباطل فهل هناك عاقل يصـدق ان العائلة المالكة لا تتمتع بواحد في المائة مما يتمتع بـه الشـعب المنهـوب حـتى النهاية؟! ولماذا لا يستطيع فهـد ان يغيـر صـورة عـائلته المنطبعـة ف ي أذهـان الناس؟! أليس لأن هذه العائلة لاتزال في غيها وفسـادها وانحطاطهـا؟! وهـل يحق لفهد ان يتألم ويتـأفف مـن المـواطنين لأنهـم يحملـون صـورة عـن عـدم نزاهة عائلته وهو رأسها الفاسد الذي شهدت لـه مـواخير الغـرب وكازينوهـات القمار بالريادة والسبق؟! اليس من الأصلح له ان يصلح نفسـه أولا ثـم يصـلح عائلته حتى لا ترتسم صور سيئة عن الأمراء الفاسدين؟.

ومرة أخرى يعترف فهد لصديقة سليم اللـوزي بالفسـاد.. فقـد تجـرأ هـذا الخادم الوفي على سيده كما تجرأت الصحف الأخرى فأخذ يسـأل عـن أشـياء ما كان أحـد مـن الصـحفيين يجـرؤ علـى طرحهـا لـولا وقـوع انتفاضـة الحـرم فأسقطت هيبة النظام ورموزه الأمراء من اعين الأصـدقاء قبـل الأعـداء. وهـا هو فهد هنا يعترف للوزي بفساد اسرته، فـي مقابلـة نشـرتها مجلـة الحـوادث بتاريخ 11/1/1980م على النحو التالي: يسأل سليم اللوزي (فهـد) قـائلاً: (الا ترون يا صاحب السمو ان مشاركة الأمراء والوزراء والمسؤولين وأولادهم في مناقصات الدولة يخلق مناخاً مضراً بسمعة الدولة في الداخل والخـارج؟ هـل تنوون عمل شيء في هذا الموضوع؟).

فهد: (أفراد العائلة المالكة في السعودية ليسوا مائة أو مـائتين بـل بضـعة آلاف وبالتـالي فليـس فـي الامكـان ان يكونـوا كلهـم مـوظفين فـي الدولـة او مسؤولين فيها.. فهل يمكـن منـع الـذين خـارج السـلطة مـن تعـاطي التجـارة الحرة؟ اما الذين داخل المسؤولية والسلطة فلا يحق لهـم ممارسـة أي عمـل تجاري. وهذا ينطبق على الأمراء كما ينطبق على الوزراء).

---

[1] ـ المصدر السابق.

سليم اللوزي: (ولكن الذي يجري مختلف عن هذه الروح.. لقد قرأت في جريدة "ام القرى" "الجريدة الرسمية للدولة السعودية" عن تأليف شركة اعضاؤها مجموعة من أولاد بعض الوزراء والطريف ان بعضهم لم يتجاوز التاسعة من عمره وهذا يعني ان الشركة سيديرها الآباء بإسم الأبناء، الا يعتبر هذا استغلالاً للنفوذ؟).

فهد: (تنبهت لهذه الواقعة في "أم القرى" وسنعالج هذا الموضوع فلا يجوز بأي حال من الأحوال ان يحدث مثل هذا الاحتيال على القوانين. المشاكل كثيرة من هذا النوع. وكلما تعرضنا لمشكلة منها سنمنعها ونمنع أي شخص يريد استغلال السلطة بواسطة قريب او ابن.

لقد سمحنا في الماضي للمسؤولين بالمساهمة في الشركات على أن لا يكونوا في مركز رئيس شركة، في موقع يستطيع استغلاله سلطاته. كلما نريد تحقيقه هو خلق جو في البلاد تتعادل فيه الفرص بين الناس، واي خلل في هذه المعادلة، واي محاولة لاستغلال النفوذ والسلطة سنتصدى لها بقوة القوانين).

سليم اللوزي: (والسفه ياسيدي.. السفه في استعمال المال، وهذره على الملذات السخيفة، والتبذير الجاهل الأحمق.. هل سمعت بالمسؤول السعودي في مؤسسة "بترومين" الي استأجر طائرة دعا اليها اصدقاءه وزوجاتهم لقضاء عيد رأس السنة في باريس، وهل سمعت عن ذلك المسؤول السابق الذي فعل نفس الشيء ولكن الدعوة كانت إلى لندن)؟!.

فهد: (سمعت، وآلمني ما سمعت هذا النوع من السفه اصبح ظاهرة مرضية لابد من معالجتها. وأنا أفكر في وضع تعليمات تلصق بجوازات سفر السعوديين تذكرهم عندما يخرجون من المملكة إلى انهم ينتمون إلى بلد مسلم له تقاليده وله مكانته وله سمعته، وان عليهم واجب صيانتها ولن نكتفي بالتعليمات والتوصيات، بل سنقيم رقابة على هذا النوع من السفه والخروج على المألوف. لقد سمعت ان بعض من الاثرياء يظهر في الملاهي في باريس ولندن ويغرق المغنين والراقصات بأوراق النقد.. هل هذا شيء يمكن السكوت عليه؟ المال سلاح، على من يقتنيه ان يحسن استعماله لا ان يعبث به ويجرح سمعته وسمعة بلده واهله).

وإذا نسينا كل هذا فإننا لا ننسى يا فهد ما قالته صحيفة (الغارديان) البريطانية، عن أثر زندقة الأمراء وفحشهم في تخريب البلاد وإشاعة الفساد, ومحو لمعالم الدين.. لقد قالت هذه الصحيفة وهي تتحدث عن آثار برامجك التنموية الفاسدة بأن: (الملاحظ في الوقت الحاضر هو تعرض الدول الذي لعبه المذهب الوهابي المتزمت في توحيد شعب المملكة، تعرضه لعملية اجتثاث بفعل الضغوط التي ولدتها عملية استخدام أموال النفد لتحديث مرافق الحياة في البلاد، وبفعل الآثار التي خلفها زندقة وفساد عدد كبير من الأمراء)[1].

واقرأ يافهد ايضاً، ماقاله اصدقاؤك الأمريكيون عنك وعن اخوانك فها هي مجلة (نيوزويك)[2] تكتب تقريراً عن الفساد السعودي بعد حادثة الحرم بعنوان: (العربية السعودية: ركيزة أمن الولايات المتحدة المتزعزعة)، فتقول

[1] ـ الغارديان 4/2/1980م.
[2] ـ نيوزويك 3/3/1980م.

تحت عنوان جانبي (الفساد): (ان اعظم خطر يهدد العائلة المالكة مايزال الخطر الذي يمكن أن يأتي من داخلها بالذات، ان انفجار الموارد النفطية قد جعل من حوالي "80" أميراً سعودياً مليونيراً كبيراً، وسبب ذلك تفشي الفساد كالوباء كما زاد من التبذير والفضائح. ويبدو ان الملك خالد مستهلكا غير بارز نسبيا، مع انه يمتلك يختاً طوله "212" قدم، وثمنه "12" مليون دولار كما يملك طائرة بوينج "747" قيمتها "150" مليون دولار وهي مجهزة بجناح خاص لجراحة القلب. أما المبذرون الحقيقيون فيمتلكون أساطيل من الطائرة النفاثة الخاصة "جمبوجت" ويملكون قصوراً ضخمة في كل انحاء الرياض وجدة).. وتضيف نيوزويك: (أما الفساد فقد أصبح مستوطناً، واستشرى الابتزاز من الباعة الأجانب، وقد بلغ احد الابتزازات مؤخراً "200" مليون دولار. كما اتخذت ترتيبات منحت فيها العائلة المالكة أرضاً لأمير لم يلبث ان باعها بعد ذلك بثمن ضخم جداً إلى الحكومة لأغراض التنمية.. وهذا ما حدا بسفير أمريكي ـ لم تذكر المجلة اسمه ـ إلى القول: (ان في وسع البلاد السعودية ان تستوعب الكثير من الفساد، إلا ان لذلك حدوداً) وأضاف: (إذا لم توضع العائلة المالكة تحت المراقبة والاشراف فقد تضعف)[1]! أي ان فساد آل سعود تجاوز حد المعقول بمنطق الغرب الفاسد والمفسد، فكيف بمنطقنا واعرافنا نحن المسلمين؟! وإذا كان الغرب يطالب بالأشراف على آل سعود حتى لا يتجاوز فسادهم حدود الخيال، ويعاملهم كما يعامل الأطفال (القصر) الذين يحتاجون إلى المراقبة فكيف يسمح المسلمون لآل سعود بالعبث بثروات الأمة ومقدساتها ودينها وشرفها وكرامتها؟!.. ان ذلك مالا يقبله مسلم موحد في مشارق الأرض ومغاربها.

وإذا كان فهد بتعبير مجلات الغرب (بلاي بوي اسطوري)[2] وانه مقامر كبير (سبق له ان خسر مليوني دولار على طاولة القمار في مونت كارلو.. وبعد ان اصبح ولياً للعهدعمل له كازينو خاصاً به في بيته لممارسة لعب القمار)[3]، إذا كان هذا هو حال فهد، رأس النظام السعودي المنافق بالدين والمتزعم حماية الحرمين الشريفين والديار المقدسة، فكيف سيكون حال الأمراء والأميرات الآخرين؟!

انهم على منوال فهد في فسقه وفجوره وتعديه، ولهذا أصبحت البلاد موطناً لحالات الفساد المستعصية، حيث ظهرت فيما بعد بيوت الدعارة المقنعة، وصارت المخدرات تباع في الشوارع وانتشرت محلات بيع أشرطة الفيديو بأفلامها الجنسية الخليعة، وتجاوز الاعلام السعودي حدوده فأصبح كل شيء مباحاً في ظل الحكم السعودي الأسود!

ب ـ الاعتراف بفساد السياسة النفطية والتنموية:

بلغ الانتاج النفطي السعودي ابان قيام انتفاضة (المحرم) في مكة المكرمة والمنطقة الشرقية، وحسب الاحصائيات الحكومية (9.5) مليون برميل يومياً، اما الاحصائيات التي أوردتها الصحافة في ذلك الحين فإنها تفيد بأن الانتاج وصل في بعض الاحيان (13) مليون برميل في اليوم.. فيما تحدث

---

[1] ـ المصدر السابق.
[2] ـ المصدر السابق.
[3] ـ المصدر السابق 6/3/1978م.

أوساط المعارضة الاسلامية عن بلوغ الانتاج إلى (15) مليون برميل يومياً، وهو الرقم الذي اعترف به فهد ابان الأزمة النفطية في مطلع عام 1986م.

وبغض النظر عن هدف هذه الزيادة في الانتاج السعودي فإنها جاءت مترافقة مع انتصار الثورة الاسلامية في ايران، وما نتج عنه من تخفيض في الانتاج الايراني ثمن قفزت الأسعار فأرادت السعودية ان تغرق السوق بالنفط وتعوض نقص النفط الايراني حتى لا ترتفع الأسعار.. وقد اعترف احمد زكي يماني، وزير النفط السعودي وان كان الاعتراف متأخراً، اعترف في تصريح له لصحيفة الشرق الأوسط السعودية بتاريخ (26/6/1986) بأن: (السعودية هي التي رفعت من انتاجها النفطي في أواخر السبعينات لتفادي ارتفاع أسعار النفط)!!

وبالطبع لم تكن السياسة السعودية النفطية المبذرة في الانتاج والمطالبة بخفض الأسعار تخدم احداً سوى الغرب وشركاته..

* فقد سبب هذا الفعل الأزمة النفطية، حيث هبطت الأسعار إلى ان وصلت حدود سبعة دولارات للبرميل، ضمن أزمة لم تعرفها بلدان الأوبك في تاريخها ابداً.. وقد ابتدأت الأزمة منذ عام 1982م.. وكانت السعودية وحتى عام 1984م لم يقل انتاجها عن سبعة ملايين برميل يومياً.

* وعلى الصعيد الداخلي، فإن الشعب لم يكن ليقبل بهذا التبذير الخياني لثروته، وثروة الأجيال القادمة.. فالبلاد يكفيها ــ كما قال أمراء آل سعود وموظفوهم ـ انتاج خمسة ملايين برميل يومياً.. فيما ذهب بعض الاقتصاديين إلى أن البلاد يكفيها انتاج مليوني برميل. خاصة وان البلاد لا تستطيع استيعاب رؤوس الأموال القادمة من عائدات النفط، وهذا دفع بآل سعود إلى وضعها واستثمارها في البنوك الأمريكية وضمن سندات الخزانة الأمريكية بدلاً من استثمارها في البلاد العربية والاسلامية.

* وتبع الانتاج النفطي، تبذير شنيع بالعائدات على المشاريع الهامشية وازداد الفساد والسرقة والرشوات وتوجهت أموال الشعب إلى جيوب الغرب مقابل مواد الاستهلاك أو مقابل العتاد والسلاح الذي لا يلبث ان يصدأ دون ان تمسه الأيدي.

* وقد تبين بالفعل ـ وحينما حلت الأزمة النفطية ـ ان آل سعود لم يكونوا مستعدين لها، ولم تكن البلاد هي الأخرى مستعدة لها.. وان جل ما فعله آل سعود هو تعويد الشعب على الاستهلاك دون الانتاج ودونما وجود قاعدة انتاجية غير النفط.. لدرجة ان احد المواطنين الاقتصاديين قال: بأن مردودات النفط كانت قادرة على صناعة دولة حديثة منتجة، الا اننا لم نستفد من ثروات النفط بالشكل المطلوب. وقد نشر هذا في الصحف السعودية بتاريخ 25/3/1985م.

* وإذا تركنا هذا كله فإن آل سعود، حينما وضعوا خططهم (التنموية) لم يراعوا فيها من قريب أو بعيد بإنسان البلد، ولا بالحالة الاجتماعية أو السياسية، وتصوروا ان المال يحل كل شيء فكانت الخطط فاشلة، وقد اعترف المسؤولون بذلك بل ان بعض الاقتصاديين الغربيين من الذين وضعوا هذه الخطط المنقولة عن الغرب، طالبوا بإيقافها والبدء بخطط جديدة.

ولا يمكن على أية حال ـ ان ننسى ماافرزته خطط التنمية من أمراض اجتماعية تفوق حد الوصف، وقد انتقلت كل هذه الأمراض وتأصلت خلال فترة

زمنية وجيزة، فكانت بحق اعظم كارثة حلت على البلاد ومواطنيها، ولايوازيهـا في الضرر شيء على الاطلاق.

وحادثة الحرم، كانت في بعض جوانبهـا رد علـى حالـة التغريـب والافسـاد التي احدثتها خطط التنمية، كما ان فساد السياسة النفطية السـعودية، وعـدم مراعاتهـا للمصـالح الوطنيـة، او مصـلحة المسـلمين، وانمـا مراعـاة مصـلحة الغرب الصليبي عدو المسلمين، ادت فيما ادت إلى اشـعال فتيـل الثـورة ضـد آل سعود.

وبـالرغم مـن حالـة الاسـتياء عنـد الاخـوان مـن سياسـة آل سـعود تجـاه خططهم الافسادية في المجال الاجتماعي والنفطي، إلا أن نـايف اجـاب علـى سؤال حول أهداف عملية الحرم بأن (النفط) لـم يكـن سـبباً: (امـا مـا يتعلـق بالبترول فلم نسمع شيئاً عنـه)[1].. وبـالطبع فـإن أمثـال نـايف لا يسـمعون إلا المديح من البطانة المتزلفة الفاسدة.. اما مـن ينبههـم إلـى الاخطـاء فكلامـه يذهب ادراج الرياح.. فالبعيد والقريب كـان يتحـدث عـن تبديـد ثـروات النفـط وعوائده، إلا أن آل سعود لايسمعون.. جريدة اللوموند اشارت إلى هذا بقولها: (ان هـؤلاء قـد يكونـوا تـأثروا مـن تـدهور اخلاق العائلـة المالكـة، ومـن تبـذير العائـدات النفطيـة)[2].. وقـالت اللومونـد فـي موقـع آخـر[3] تحـت عنـوان (الاصولية، انتقام التاريخ): (لا يستطيع رجل الشارع ان يفهم ان بعض منتجـي النفــط، ولا ســيما العربيــة الســعودية، يلعبــون لعبــة الولايــات المتحــدة الاستراتيجية، ويودعون رساميلهم في المصارف الغربية، وعلى وجه التفضيل الأمريكية منها عوضاً عن ان يقوموا بمساعدة اكبر لاطلاق البلـدان العربيـة او الاسـلامية المحرومـة مـن الهايـدروكربونات). وعلقـت صـحيفة الفايننشـيال تايمز[4] على احداث الحرم مشيرة إلى عامل الضغط علـى آل سـعود ليغيـروا منهجهم في السياسة النفطية: (وفي مدى ابعد، فإن الاحداث التي وقعت في الأسابيع القليلة الماضية، قد اعطت دفعاً للمحـافظين ضـمن العائلـة المالكـة ومستشاريهم الذين يؤيدون النمو البطيء، والانتاج المنخفـض للنفـط).. لكـن حتى هذا التوقع لم يحدث، فـآل سـعود لـم يتنـازلوا عـن دعـم الغـرب بانتهـاج سياسة نفطية خيانية، ليدعمهم ويثبت مواقعهم في الحكم!

ومن جانبها تعلق الغارديان البريطانية[5] حول اثر السياسة النفطيـة علـى استقرار الوضع الداخلي بالقول: (وتعود بنا الذاكرة إلى تصـريح الشـيخ احمـد زكي يماني، الذي اشار فيه إلى وجود فئة من الراديكـاليين الشـباب، تـرى ان المتطلبات الاقتصادية للمملكة لاتستلزم انتاج اكثر من خمسـة ملاييـن برميـل من النفط بدلا من المستوى الحالي وقدره (8.5) مليون برميـل. وقـد تـبرأت الحكومة السعودية من ملاحظات اليماني واكدت ان سياسـة الانتـاج النفطـي مفيدة للبلاد، بقدر افادتها للاقتصاد العالمي ككل).

واعترف دبلوماسي سعودي بان محاباة امريكـا نفطيـاً واعطائهـا اسـعاراً تفضيلية ستسبب المصاعب لآل سعود.. جاء هذا التصـريح بعـد حادثـة الحـرم

---

1 ـ جريدة الأنوار 16/1/1980م.
2 ـ اللوموند 3.2،/12/1979م.
3 ـ المصدر السابق 26.25 /11/1979م.
4 ـ فايننشيال تايمز 7/12/1979م.
5 ـ الغارديان 6/1/1980م.

أوردته مجلة نيوزويك[1] حيث قالت على لسان الدبلوماسي السعودي قوله: (كيف نستطيع ان نبرر الافضلية التي نعامل بها الولايات المتحدة في مجال انتاج النفط والأسعار، إذا كان ينظر اليها على انها مهندس نفاذ الطاقة؟.. ان ذلك سيضعنا ـ في الحقيقة ـ في موقف صعب)..

واضافت نيوزويك: (هناك حالياً ــ 1980م، أي بعد الانتفاضة ــ ضغوط كبيرة في المجالس السعودي من أجل تخفيض انتاج النفط الذي يبلغ حوالي (9.5) مليون برميل يومياً).. وعززت قولها هذا بما قاله مسؤول سعودي في حقل الصناعة: (ان قسماً كبيراً من الناس فيما حولنا، يقفزون من الغضب ازاء الرقم (9.5) مليون برميل يومياً وفلسفتهم بسيطة، فوفق الأسعار الجارية يمكن خفض معدل الانتاج إلى ستة ملايين برميل، ومع ذلك سيظل الدخل أكثر من حاجة البلاد)[2]..

ونظراً لهذه الضغوط الشعبية، حاول فهد ان يظهر بمظهر آخر، وان يساير التيار الشعبي الرافض لسياسته ففي السابق كان فهد واليماني وغيرهما يتحدثان عن ان النفط (ليس سلاحاً سياسيا) وانه (لن يستخدم ضد الغرب) وانهما (ضد الحظر النفطي) وما أشبه من التصريحات.. ولكن حينما اكد اليماني هذا القول بعد الأحداث اخرسه فهد في مقابلة له مع (السفير)[3] قال فيها: (والله هذا خطأ من احمد زكي، وهو غير مخول بالتصريح حول هذه القضايا)!!، بمعنى ان مثل هذه التصريحات لا تطلق في وقت ازمة آل سعود، وإلا فاليماني لم يخالف السياسة لأن الجميع بما فيهم فهد قالها قبل ذلك: (لن نستخدم النفط كسلاح سياسي)!. ثم إذا كان اليماني وهو وزير النفط غير مخول للتصريح في مثل هذه القضايا، فمن المخول اذن؟! وما هي سياسة فهد النفطية؟!

تقول نيوزويك وهي تنسب إلى دبلوماسي غربي كبير قوله: (قال فهد ببساطة، ان من مصلحة العربية السعودية ان تبقي العالم الغربي عائما على النفط، وليس من مصلحتها ان تغرقه) ويضيف الدبلوماسي: (ان هذه حجة مفروضة جبراً، اذ يقابلها حجة يمكن فرضها، وهي انه عندما كان السعوديون يبيعوننا النفط بمعدل "18" دولاراً للبرميل الواحد، كان معدل السعر العالمي "30" دولاراً، أي انهم كانوا يخسرون يومياً "125" مليون دولار)[4]!!

فهل هناك خيانة لمال المسلمين أكبر من خيانة فهد هذه؟!

انه يقبل بتضييع "125" مليون دولار يومياً، ليذهب في جيوب الشركات النفطية الغربية، والحكومات الغربية المستعمرة لشعوبنا، بينما يعيش المسلمون في شتى بقاع الأرض حياة أسوء من حياة حيوانات (الغربية).. فالفقر والجوع والعوز والمرض يفتك بأمة الاسلام، بينما يهب فهد مجاناً ما يزيد عن "45" ألف مليون دولار سنوياً.. أي ميزانية عشرين دولة اسلامية!! وكل هذا مقابل وعد بحماية نظام فهد الزنيم من حماته الأمريكيين!!

اليس هذا مدعاة للثورة ضد آل سعود الخائنين؟!

---

[1] ـ نيوزويك 3/3/1980م.
[2] ـ المصدر السابق.
[3] ـ السفير 9/1/1980م.
[4] ـ نيوزويك 3/3/1980م.

ج/ الاعتراف بوجود الكبت والاستبداد:

لا شك ان القمع السعودي وكبت الحريات التي أقرّها الاسلام، وادارة البلاد دون دستور مقنن وفق الشريعة الاسلامية، ومنع بروز الرأي الآخر، فكرياً واعلامياً، وتسلط مجموعة من أمراء العائلة المالكة على أزمة البلاد السياسية والعسكرية والاقتصادية.. كل هذه عوامل ساعدت بشكل كبير على تفجير الوضع ضد النظام الملكي الوراثي الاستبدادي السعودي.

ولعلم فهد واخوانه، بأن الأهداف السياسية لم تغب عن انتفاضة الحرم، كما لم تغب عن انتفاضة المنطقة الشرقية، رغم دجلهم وكذبهم.. لهذا حاولوا ان يخففوا اجواء التوتر التي احدثتها واقعة الحرم، كما حاولوا بالتصريحات امتصاص النقمة الشعبية التي أفرزتها الانتفاضة، بإعطاء الوعود في مجال (الاصلاح السياسي) ريثما تمر الأزمة، ويعود دولاب الاستبداد من جديد.

لقد فتحت الانتفاضة عيون الناس على واقع الأزمة السياسية، ودفعتهم لاعلان سخطهم على النظام السياسي الحاكم.. مطالبين بالحريات وتحديد مواقع المسؤولية، والمشاركة في إدارة الدولة وفق الشرع، الذي يضع بعين الاعتبار الكفاءة والاخلاص والتقوى.

ولهذا، وفور انهاء احداث الحرم، بادر الامراء السعوديون بالتطواف على الجامعات، ليشرحوا الحدث، ولاستقراء ردة فعل المثقفين، فقد عقد نايف ندوة مع طلاب جامعة الملك سعود، فيما غادر سلمان الرياض متجها لأمريكا للالتقاء بالمبتعثين، ثم تحرك فهد على الجامعات السعودية.. وزارة خالد مواقع القبائل لإرضائها.. الخ.

وفي 9/1/1980م أعلن فهد في تصريح له: (ان المملكة العربية السعودية ستشكل مجلساً للشورى قريباً لوضع القانون الأساسي للسعودية خلال شهرين يقوم مقام الدستور)[1].. وهذا اعتراف ضمني بأن اهواء أمراء الأسرة الباغية هي التي تحكم البلاد منذ اكثر من 80 عاماً!.. فيما برر وزير الداخلية نايف، سبب وضع (قانون) بدل (دستور) قائلاً: (النظام الأساسي ليس دستوراً، لأن دستور السعودية هو القرآن) واضاف (النظام الأساسي للحكم هو "كتابة" بعض اشياء موجودة وتمارس فعلاً، وأرجو أن لايفهم ابداً أنه دستور، لأن دستور الدولة هو القرآن)[2]. تعالى القرآن عن أفعال آل سعود!.. فهؤلاء يفسقون ويكفرون ويقتلون الناس بالباطل ويوالون اعداء الاسلام، وكل افعالهم يلصقونها بالقرآن والاسلام!

وإضافة إلى هذا تحدث المسؤولون السعوديون عن نظام للمقاطعات، وآخر لمجلس الشورى, فقال الأمير نايف عن نظام المقاطعات، ان (الهدف منه هو التنظيم بالنسبة إلى كل مقاطعة، من حيث حدود المقاطعة، وهذا موجود حالياً، ولكن "قد" توجب المصلحة اجراء بعض التعديلات عليه.. وكذلك كيف تدار المقاطعة من قبل حاكمها، او أمير المنطقة، بجهاز يمثل قطاعات الدولة الأخرى، فهي اجراءات تنظيمية تمكن من التقليل من المركزية)[3].

---

[1] ـ السياسة الكويتية 10/1/1980م.
[2] ـ المصور الجديد 15/6/1980م.
[3] ـ المصدر السابق.

الطريــف ان الــديوان الملكــي فــي الريــاض، اصــدر بيانــاً بتاريــخ (19/3/1980) أوضح فيه رغبة الملك خالد في انجاز الأنظمـة الثلاثـة (مجلـس الشورى، الدستور، نظام المقاطعات) بأسرع فرصـة، وتـم بعـد ذلـك تشـكيل لجنة برئاسة الأمير نايف وزير القمع السعودي، وبعضوية ثمانية أفراد اختارهم آل سعود "لهذه المهمة" وتبين أخيراً ان كل هـذا حـديث هـراء وكـذب لتهدئـة الموقف.

والأطراف من ذلك أن الأميـر فهـد، أعلـن ان مجلـس الشـورى المقـترح، سيتألف من (50ـ 70) عضواً يتم اختيارهم من قبل آل سعود "بـالتعيين" كمـا ان وزير الداخلية اكد ان مجلس المقاطعات سيكون بالتعيين ايضاً!!

فأين الشورى إذن؟!

واين التقليل من المركزية في السلطة التي تحدث عنها نايف؟!

اين كل هذا، إذا كان الملك والـوزراء والأمـراء لـم ينتخبهـم الشـعب؟ وإذا كان واضعوا القانون لم ينتخبهم الشعب؟ وإذا كان مجلس الشورى يعيـن مـن قبل السلطة غير الشرعية؟

ومع هذا، هل أسس آل سعود مجلسهم بالتعيين؟!

ام هل وضعوا (بعض أشياء) على الدستور، كما قال نايف؟!

او انهم وضعوا نظام المقاطعات، وهو اسهل ما في الوعود الخادعة؟

كلا...

فآل سعود كاذبون مخادعون.. وهذه الوعود سبق لها ان طرحت اكثر مـن مرة في نهاية الخمسينات ومنتصف الستينات وكذلك في منتصف الســبعينات بعد مقتل الملك فيصل.. انهم يريدون تهدئة الشعب، بوعـود كاذبـة، وهـذا هـو دينهم..

ان الشعب لم ولـن يصـدق مثـل هـذه الوعـود.. بـل ان الصـحافة العربيـة والأجنبية لم تصدقها..

فمجلة (الطليعة) الكويتية[1] كتبت بعد انتهاء حادثة الحرم، وقبل ان يطلق آل سعود أكاذيبهم، كتبت متنبئة من أن آل سعود سيعدون الشـعب بالحريـات، واشارت في معرض حديثها عن واقعة الحرم، انها راجعـة إلـى كبـت الحريـات وكذب آل سعود في هذا المجال.. قالت المجلة: (فمن خلال دراســة الأزمـات السعودية نجد انه بعد كل أزمة، كاغتيال الملك فيصل، أو ازاحة الملك ســعود، كانت الادارة السعودية تتحدث عن تحديث سياسي سوف يجري فـي القريـب وتشير من طرف بعيد أو قريب إلـى مجلـس الشـورى، أو ادارات حديثـة فـي المناطق المختلفة، ومجالس للبلديات، إلى آخر المواعيد.. وما ان تمر الأزمة، حتى ينسى الجميع ذلك كله، وتعود الحياة إلى مجاريها القديمة.. من هنا ظهــر الرفض العام لدى قطاعات شعبية واسعة في السعودية في عدم تصديق هذه الوعود، والنظر إلى امكانيات اخرى لتحقيق ماتصبوا اليه)..

لقد نفى النظام السعودي ان تكون هناك علاقة بين الاعلان عن (الأنظمــة الثلاثة) وبين ماحدث في مكة والمنطقة الشرقية.. لكن الجميع يعلم، والنظام نفسه يعلـم، ان رجوعـة إلـى نغمـة حريـة الـرأي، ومجلـس الشـورى، ونظـام التحديث، ما كان ليتم ـ رغم انها مجرد وعود ـ لولا وقع الانتفاضة الهائـل.. وان

---

[1] ـ الطليعة عدد 631، 12/12/1979م.

النظام يعلم انــه لــن يســتطيع اغفــال الحقــوق السياســية، بعــد تنــامي الــوعي الشعبي في البلاد..

وإذا كنا لا نصدق وعود آل سـعود ــ الـتي لا تسـمن أو تغنـي مـن جـوع إذا حققت ـ فإن الغربيين انفسهم لا يصدقون ايضاً، بـل ان احـدهم قـال بـانه لـن يصدق حتى يراه رأي العين!!

فبعد ان تحدثت مجلة (نيوزويك)[1] معلقة على اعلان فهـد، اوردت تعليقـاً لأحد الدبلوماسيين الأمريكيين، جاء فيـه (بـالرغم مـن ان المجلـس ــ مجلـس الشورى ـ ليس في حقيقته هيئة تشريعية، فإنه سيكون البدايـة. وبـالرغم مـن ان هذه الفكرة كانت سبباً في مشاكل حامية ولعدة سنيين، إلا انني لن أصدق بوجوده حتى اراه فعليا)!!

ترى لو كان آل سعود صادقين، هـل كـان اصـدقاؤهم يتحـدثون بمثـل هـذا الأسلوب الذي ينم عن عدم ثقة بـالوعود السـعودية للمـواطنين؟! ان تجـارب الوعود قد علمت ابناء الوطن قبل غيرهـم وعرفتهـم بـ أن طريـق الحريـة يمـر على اشلاء النظام السعودي العفن.

مـن جهـة أخـرى تحـدثت النيوزويـك عـن مـدى الضـغط الشـعبي بشـأن الحريات في تحقيق اعدته بعـد انتفاضـة الحـرم فقـالت (يرغـب ابنـاء الطبقـة الوسطى بنصيب اكبر من السـلطة السياسـية ففـي جـدة وقبـل عـدة أشـهر، طرحت صحيفة على عدد من الشخصيات السعودية البارزة سؤالاً عـن رأيهـم في نظام البلاد السياسي، وقد أجاب فريق منهم وبكل صراحة بأنه غير ملائم. وقال بعـض منهـم ان التنميـة الاقتصـادية والاجتماعيـة المتسـارعة تسـتوجب نظاماً سياسياً أكثر حداثـة وعصـرية. واسـتناداً إلـى مـا قـاله احـد الصـحفيين وممن حضروا الندوة التي اقامتهـا الصـحيفة، فـإن بعضـهم تحـدث عـن نظـام تتوفر فيه الديمقراطية)[2].

أما صحيفة الغارديان البريطانية فقد أشارت إلى التناقضات العديدة داخل النظام السعودي، ثم اردفت قائلة: (سيصبح من المستحيل مقاومة الضــغوط التي تمارسها الكوادر الجديدة، وفئة المتخصصين، ومطالبتهـا بالاشـتراك فـي الإدارة السياسية للبلاد. ولايبدو واضحاً حـتى الآن مـا إذا كـان آل سـعود علـى استعداد لتقديم أي تنازل، او حل وسط في معالجة هذه الضغوط والمطــالب، غير انهم على الأقل يعون وجود هذه التحديات)[3].

ويبدو ان هذا الوعي قد تجد له دليلاً آخر، حينما كان الأمراء يتحـدثون عـن التقصير، وعن عدم الرضا عن النفس.. وهذا هو الذي جعـل مجلـة (نيوزويـك) تقول بأن (بعض الأمـراء السـعوديين يعـترفون بصـورة شخصـية، ان الصـدمة اجبرت العائلة المالكة على ان تزيد من حذرها.. يقول احدهم: لعله جنون. ان حادثة مكة قد يكون فيها نفع لنا جميعاً.. انها نبهتنا إلى أشياء كـثيرة، ولا يمكـن ان نكون راضين عن انفسنا بعد هذا الحادث المرير)[4]..

ومهما يكن من أمر، فإن آل سعود يدركون بأن النظـام السياسـي للبلاد ــ ان وجد! ـ لا يلبي مطامح الشعب، بل هو نقيض لكل مـا هـو انسـاني وجميـل،

---

[1] ـ نيوزويك 3/3/1980م.
[2] ـ المصدر السابق.
[3] ـ الغارديان 6/1/1980م.
[4] ـ نيوزويك 3/3/1980م.

وهو نقيض لحكم الشرع.. وازاء هذا الادراك واثره في اشعال الانتفاضات ضد الحكم السعودي، اعترفوا ـ باعلانهم عن وضع نظام للشورى والمقاطعات والدستور ـ بأن نظام حكمهم فاسد ومتخلف، وسيبقى من اهم المسببات للثورة والانتفاض.

د/ التبعية للأجانب والاعتراف بذلك..

هناك ثلاث حقائق يجدر بنا ان نوضحها هنا للقراء الكرام:

أولها: ان تبعية آل سعود للأجانب كانت من أهم أسباب انتفاضة الحرم.. ولقد اوردنا العديد من المقاطع التي تتعلق بهذا الأمر، اقتبسناها من كراسات المرحوم جهيمان العتيبي.. فالعلاقة الخاصة بالغرب، وموالاة آل سعود للحكومات الغربية، وتقديم مصالح هذه الدول على الصعيد السياسي والاقتصادي على المصلحة الوطنية والاسلامية.. وتنفيذ آل سعود لكل ما يريده الغرب منهم، حتى اصبحوا اداة له في مخططاتهم الشيطانية..

كل ذلك اشعل نار الغضب ضد آل سعود..

واننا نتساءل حقاً: ماذا سيكون شعور المواطن المسلم وهو يرى الأمريكيين والأجانب الآخرين، وهم يسيطرون على أهم مرافق البلاد، العسكرية كخبراء ومستشارين، والتعليمية كمدرسين واساتذة، واقتصادياً كمدراء ومنفذين ورجال اعمال وغير ذلك..

انك ـ وحيثما توجهت ـ تجد ان الغربيين يسيطرون سيطرة بالغة على المرافق الحساسة للبلاد، كالجيش والاستخبارات، وحقول النفط وغيرها.. فهل سيسكت الناس على هذا الانتهاك الصارخ لبلادنا وقيمنا؟!

وثانيهما: ان الانتفاضة كشفت بصدق مدى ارتباط آل سعود بالأمريكيين، حيث ساهم فريق من الاستخبارات الأمريكية في قمع الانتفاضة، كما ان السفارة الأمريكية في جدة هي التي تولت تزويد القوات السعودية بقنابل الغاز المسيل للدموع، حسبما ذكر الخبير العسكري الأمريكي (انتوني كوردسمان) في كتابه المعروف والمسمى بـ (The Gulf and the Search for Stratigic Stability)، هذا اضافة إلى ما أظهره الأمريكيون من تعاطف مع آل سعود على الصعيد الاعلامي والسياسي، في الوقت الذي كانت تتحدث فيه الصحف من ان العلاقات الخاصة بين آل سعود والإدارة الأمريكية، كانت سبباً في تأجيج النقمة ضد النظام السعودي.. كل هذا ادى إلى نفرة المواطنين واشمئزازهم من الحكم السعودي الباغي، المدعوم من النصارى.

وثالثهما: لقد ادت الانتفاضة، إلى ازدياد تبعية النظام السعودي للغرب، وبالتحديد إلى أمريكا، فليس هناك امام آل سعود الا الارتماء اكثر فأكثر في احضان الأمريكيين، كلما واجهتهم الأزمات.. حتى ان احد اعضاء الكونغرس الأمريكي قال: (ان السعوديين لن يذهبوا إلى موسكو، بل سيأتون إلى هنا).. كان هذا تعليقه على تخلخل العلاقات السعودية الأمريكية بعد حادثة الحرم، وما سببه الاعلان الأمريكي عن وقوع الحادث من اسى لدى اساطين النظام السعودي.. بمعنى انه ليس هناك امام آل سعود من مفر من أمريكا إلى اليها!!

ولقد تحدثت الصحف عن هذه النقاط الثلاث، فصحيفة الفايننشيال تايمز اعتبرت العلاقة مع امريكا مخاطرة: (ان العلاقات الوثيقةالعلنية مع الغرب

والولايـات المتحـدة سـتعتبر مخـاطرة)[1]. وذلـك لأن الـرأي العـام المحلـي والاسلامي معبأ ضد الغرب (اسياد آل سعود).

وصـحيفة الغارديـان الانجليزيـة[2]، كتبـت تحـت عنـوان "لمـاذا يعتمـد السعوديون على المساعدة الأمريكية؟" مقالاً بقلم (جون اندرولا)، وذلك فـي اعقاب حادثة الحرم، قالت فيه: (لقد تبخر السراب الخادع للقوة الـتي تهيـأت للعربية السعودية بعد الحرب العربيـة الاسـرائيلية "عـام 1973".. وقـد اثبـت تمرير اتفاقية السادات مع اسرائيل، فضلاً عن رفض أمريكا لطلب السـعودية للتدخل في القرن الأفريقـي، بـأن الأمـوال ليسـت بـديلاً للقـوة البشـرية. ان البديل لهذا الوضع هو "العلاقة الخاصة" مع واشنطن)..

والطريف ان فهد حاول أكثر من مرة تبرئة نفسه من تبعية بلاده لأمريكـا، وصـار يطلـق التصـريحات بـأنه ليـس فـي بلاده قواعـد للأمريكييـن وان بلاده تستطيع حماية نفسها.. بعد هذا جاءت الردود علـى كلام فهـد هـذا، فأوضـحت الصحف ان فهد أكـثر عمالـة للغـرب وانـه تفـاهم مـع أمريكـا لحمايـة النظـام السعودي.. لنقرأ ماقالته الفايننشيال تايمز عن فهد.. لقد قالت بأن فهد (ومنذ ان اصبح ولياً للعهد في نهاية حكم الملك فيصل، فقد اتبعت العربية السـعودية سياسة مبنية على علاقات اقتصادية متينـة مـع الغـرب، وتمتعـت بتفـاهم مـع الولايات المتحدة حول امن البلاد)[3].. أي ان فهد قدم ثـروات البلاد للغربييـن، حتى يحموا الأسرة السعودية المالكة، ونظامها العفن.

وسبق اللوموند ان وصفت فهد في اليوم التالي من وقوع انتفاضة الحرم، بأنه (أكثر أفراد الأسرة المالكة مناصرة لأمريكا)[4].

اما الرد الآخر فكان من السادات، الذي كان هـو الآخـر ممـن يعتمـد علـى الأمريكيين فـي حمـايته، وصـديق آل سـعود الـذين رفضـوا ان يقـدم بنطلـونه لبيغن!!.. هذا السادات حينما سمع فهد وهو يتحدث عن الوطنيـة والاسـتقلال، وجمل (البلاد تحرسها السواعد الوطنية) و(ليـس هنـاك قواعـد أمريكيـة) ومـا أشبه.. شن هجوماً على آل سعود مثبتاً انهم بحاجة إلى أمريكا للحفـاظ علـى نظامهم.. قال السادات: (مفيش واحد في امارات الخليج بما فيها السـعودية، إلا ويعلم ان حاميته هي امريكا ونحن لا نلومهم على ذلك، بل انا اعلنـت إذا مـا تعرض أي بلد عربي في الخليج لأي تهديد اجنبي، وطلب مـن امريكـا ان تصـل إليه لتنجده فسأعطي امريكا التسهيلات قبل ان تطلب أمريكا هذا، ومـن غيـر ان يطلب هؤلاء الجهال والاقزام) ويكمل السادات: (يخـرج الزعيـم الجديـد ـــ ويقصد فهد ـ يقول، بعد انـا مـا اعلنـت، ان السـعودية لا تعطـي تسـهيلات، ولا تعطي قواعد، ولا تعطي شيء... عيب!!، لأن السعودية طلبـت الطـائرات (F-15) من امريكا لكي تقوم بتظاهرة في السعودية)[5].

واخيراً تبرز مجلة نيوزويـك الأمريكيـة[6]، كيـف ان القلاقـل الـتي شـهدتها السعودية، والغـزو السـوفياتي لأفغانسـتان، دفعـاً بـآل سـعود لتشـجيع حكـام

---

[1] ـ فايننشيال تايمز 7/12/1979م.
[2] ـ الغارديان 6/1/1980م.
[3] ـ فايننشيال تايمز 7/12/1979م.
[4] ـ صحيفة اللوموند 22/11/1979م.
[5] ـ خطاب انور السادات في 28/1/1980م.
[6] ـ نيوزويك 3/3/1980م.

الخليج (الصغار) وكلهم صغار!، لكي يمنحوا أمريكا قواعد عسكرية على أراضيهم.. تقول المجلة تحت عنوان جانبي (تفويض على بياض): (منذ الغزو السوفياتي لأفغانستان، دعم السعوديون تدابير جيمي كارتر لزيادة الوجود العسكري الأمريكي في الخليج، ولكن بحدود.. لقد شجعوا دولا كعمان لمنح تسهيلات تمكن القوة الأمريكية الجديدة من الانتشار السريع)..

(ثانياً)

انكشاف كذب رؤوس الأسرة المالكة ودجل اعلامهم الفاسد:

يمكن القول ان انتفاضة الحرم كشفت كذب آل سعود ودجلهم للمواطنين بصورة واضحة لم تتم من قبل.. فتخبط تصريحات المسؤولين، وتناقضها بين لحظة وأخرى، إضافة إلى التعتيم الذي مورس اعلامياً، ساهم بشكل واضح في تعرية الأمراء السعوديين على حقيقتهم.

ولعل القاريء العزيز اكتشف في مجمل البحث الذي قدم في الصفحات السابقة، كم كان آل سعود متخبطين وكاذبين، وكم هو حجم التضليل الذي حاولوا تمريره للرأي العام، وكيف كان فشلهم في كل محاولاتهم الكاذبة.

ان من اهم الأمور التي ساعدت على كشف آل سعود، هو انهم كانوا مضطربين بين ما وقع، وهذا الاضطراب تضاعف بسبب فشل الأجهزة الأمنية في معرفة حقيقة القائمين بالعملية، وجهلها بما يجري داخل الحرم.. مما اطلق العنان لكل الأمراء ان يصرحوا كما يريدون، وجاءت تصريحاتهم المليئة بالمغالطات والتناقضات لتضع المواطن ولأول مرة امام اكاذيب لم يستطع ان يقبلها او يتجاوزها.

وقد وصف (دبلوماسي رفيع ـ على اتصال دائم بالمسؤولين السعوديين ـ هؤلاء المسؤولين بانهم في حالة تشويش في شأن السابقة التاريخية)[1].. ان هذا الوصف كان حقيقياً وملاحظاً من الساعات الأولى لوقوع الحادث، لأن وقع المفاجأة كان صاعقاً.

وهنا حاول آل سعود التعاطي مع الحادث من مجرى اعلامهم وبياناتهم وتصريحاتهم.. لكن كل هذا لم يكن كافياً، فالاعلام السعودي اثبت هو الآخر ضعفه وكذبه، ولم يكن سوى صدى لبيانات وتصريحات وزير الداخلية واخوته..

وكان عملاً سيئاً حين منع الصحفيون من دخول البلاد، مما جعل الصحافة العالمية تعتمد على وسائل اخرى للحصول على الاخبار، وتدرس كافة الاحتمالات وتقلب الأمور على عدة أوجه، مما جعلها تبتعد عن نطاق التفكير السعودي ومهاتراته الاعلامية.. صحيح ان (حكومة العربية السعودية التي لم تكن كريمة ابداً فيما يتعلق بمنح سمة الدخول للمراسلين، قد اصبحت اكثر تشدداً بهذا الصدد، منذ وقوع حوادث العنف في مكة في الشهر الماضي "نوفمبر").. على حد تعبير مجلة الايكونومست[2]، لكن من الصحيح ايضاً، ان معلومات الاعلام السعودي لم تكن كافية، بل لم تكن هناك معلومات، بل سباب وشتم وتشنيع وحقد بدون تعقل.. حتى ان وزير الاعلام السعودي

[1] ـ النهار 27/11/1979م.
[2] ـ الايكونومست 15/12/1979م.

(محمد عبده يماني) اضطر للـرد علـى المـواطنين مـن انـه لـم يقـدم بيانـات ومعلومات كافية عن الحادثة بقوله: (فقد يتساءل بعض الناس: لماذا لا تصـدر وزارة الاعلام بيانات متتالية.. بيانات يومية لمتابعة هذا الحادث؟ وقد اوضـحت في حديث سابق، ان سياسة هذه البلاد في جميـع المجـالات، وبصـورة خاصـة في المجال الاعلامي، انها لا تعتمد على الاثارة والتهويل، بقدر مـا تعتمـد علـى ذكر الحقائق كاملة)[1]!!

ان المواطنين يبحثون عن الحقائق، ووزير "النفي" يـدعي انـه يقـدمها!!.. فما رأي هذا اليماني فيما قاله وزير الداخلية: (لقد كنت اتمنى مـن اعلامنـا ان يقول الحقيقة)[2]، فأين الحقيقة مما قاله وزيـر النفـي، وقـد شـهد شـاهد مـن اهلها..

لقد اعتاد اليماني ـ وزير الاعلام آنذاك ـ ان ينفـي كـل شـيء، حـتى أصـبح النفي هواية له، حتى ان المواطنين اطلقوا عليـه لقـب (وزيـر النفـي) ووزارة الاعلام حصــلت علــى لقــب (وزارة النفــي)!! بــل ان صــحف البلاد نفســها استخدمت هذه الأوصاف.. فهذه جريدة الرياض (28/4/1400هـ) تنتقد وزارة الاعلام، بعد ان انتقدها الأمراء السعوديون، فتقـول: (وزارة الاعلام المعروفـة في الوسط الصحفي ب ـ "وزارة النفي" فشلت في ايجاد علاقة مـن التعـاون بينها وبين الصحف، فهي تجيز لنفسها في التلفزيـون علـى رداءة برامجـه، مـا تحرمه على الصحف، مما أوجد ازدواجية فاضحة ومضحكة.. الخ)..

وما ان انتهت الاحداث، حـتى راح الأمـراء الحـاكمون يبحثـون عـن ضـحية ويعلقون عليها اكاذيبهم وافتراءاتهم التي حاولوا ترويجهـا للنـاس ولـم تنجـح.. فكانت وزارة الاعلام هي الضحية!! وفي الدرجـة الثانيـة كـان الاعلام الأجنـبي الـذي لـم يتجـاوب كـثيراً مـع التلفيقـات السـعودية.. لـذا كـان المسـؤولون السعوديون يتحدثون طيلة الأحداث عـن غضـبهم وامتعاضـهم ممـا ينشـر فـي رسائل الاعلام الخارجية.. وكثيراً ما كرر وزير الاعلام مقـولته المشـهورة مـن انه (يأسف لبعض الاساليب المغرضة التي عمدت اليها بعض الصحف ووكالات الأنباء، حيث سعت إلـى اختلاق احـداث معينـة، وتشـويه الكـثير مـن الحقـائق المجردة، سعياً وراء الاثارة، دون أي رادع من ضمير، ودون احسـاس بقدسـية البيت العتيق)[3].

وفي اليوم التالي: (اعاد وزير الاعلام إلى الأذهان ماسبق ان كرره مـراراً، من أن بعض وسائل الاعلام المشبوهة، تحاول الدس والاساءة باختلاقهـا انبـاء وتحليلات بعيدة عن الواقع، ولاتتفق مع الحقيقة في شيء)[4].

وزعم وزير الدفاع سلطان: (ان مايروجه الآخـرون مـن اشـاعات لتشـويه الحقائق لايؤثر على اهتمام المسؤولين فـي السـعودية)[5]، وبـالطبع لـم يشـر سلطان إلى نوعية الاشاعات وماهيتها، ولكننا نعلم ان كل مالا يوافق عليـه آل سعود هو (اشاعات) و(دس رخيص) بنظرهم..

---

[1] ـ صحيفة المدينة السعودية 27/11/1979م.
[2] ـ السياسة 14/1/1980م.
[3] ـ المدينة 2/12/1979م.
[4] ـ المصدر السابق 3/12/1979م.
[5] ـ السفير 7/12/1979م.

وسجل مراسل مجلة المستقبل ملاحظات الامتعاض السعودي من الاعلام الأجنبي بقوله: (هذا في الوقت الذي كان يبدو فيه الغضب واضحاً على المسؤولين مما تردده بعض الصحف في الخارج من شائعات وروايات مختلفة حول عملية اقتحام الحرم، والأشخاص الذين قاموا بالعملية)[1].. ان الغضب والامتعاض يتناقض مع ماقاله وزير الدفاع سلطان من ان هذه الروايات (لا تؤثر على اهتمام المسؤولين في السعودية)!

وادلى ولي العهد آنئذ (فهد) بدلوه فقالت جريدة الأنباء عن انطباعاته: (واخذ ولي العهد السعودي على اجهزة الاعلام الغربية نشرها تقارير صحفية متناقضة ومشوشة)[2].

وكرر فهد امتعاضه في حديث له مع مجلة الحوادث[3] حينما قال:

(لقد لفقوا قصصاً خيالية لا أول لها ولا آخر، وهي عارية تماماً من الصحة.. لقد شنت علينا حرباً اعلامية بكل معنى هذه الكلمة، كنا نحن والناس ضحاياها).. واضاف موضحا ان هذه الحملة كانت موضع اهتمام، بعكس ما قاله سلطان: (طبعاً نحن نولي الحملة الاعلاميبة التي شنت علينا الاهتمام الأول، لانها كانت حملة رهيبة).. وفي موقع آخر من الحديث قال فهد: (انما الذي يؤسف له هو الحملة الصحفية الخارجة عن نطاق المعقول، والتي لاتمت للحقيقة بصلة، والمليئة بتفصيلات وتحليلات لاتصدر الا عن اعداء كارهين حاقدين على المملكة)[4].

وبعد ان افرغ فهد همومه ضد الاعلام الأجنبي، فتح الباب لإخوته الصغار لينتقدوا اعلامهم ووزيرهم اليماني، حينما انتقد "سياسة الصمت" التي قال عنها: (كنا نتبعها في ميدان الاعلام)!

وحين سئل عنم كلمة (التقصير) التي وردت على لسانه، وهل انها تشمل الاعلام فقط، اجاب فهد بأن التقصير: (اعلامي واداري).. وقال فهد ايضاً: (سياسة الصمت التي كنا نتبعها في ميدان الاعلام لابد ان تتغير)..

وما هي إلا ايام قلائل، حتى بدأ وزير (القمع) نايف بنقد السياسة الاعلامية، ونقد الوزير اليماني والمسؤولين الآخرين، متناسياً ان ما نشره اعلام آل سعود ما هو إلا انعكاس لتصريحاتهم وبياناتهم الكاذبة.. لقد قال نايف: (كنت اتمنى من اعلامنا ان يقول الحقيقة).. وأضافت صحيفة السياسة على لسانه: (انه ضد سياسة التعتيم الاعلام ويجدها سياسة غير حكيمة. وانه كان مستعداً طيلة الفترة الماضية، ابان أزمة الحرم لتلقي طلبات وزارة الاعلام، لكن كما يبدو فإنهم في وزارة الاعلام لم يكلفوا انفسهم بذلك)[5].

اذن، فإن ضحية الكذب والتقصير، والتعتيم واخفاء الحقائق، التي اتسم بها الاعلام السعودي طيلة احداث الحرم بشكل واضح، هو وزير الاعلام الذي لايعدو موظفاً صغيراً لنايف وفهد واخوانهما، والذي لايملك حيلة ولا سبيلاً، سوى تنفيذ اوامر الأمراء.. ومع هذا فاللوم يقع على رأسه، وكأن وزارة الاعلام جهازاً مستقلاً عن الأمراء وعن سياستهم الاستبدادية؟!

---

1 ـ المستقبل 8/12/1979م.
2 ـ الانباء 14/12/1979م.
3 ـ الحوادث 11/1/1980م.
4 ـ المصدر السابق.
5 ـ السياسة 14/1/1980م.

وازاء هذا التحقير واللوم للوزير، لم يكن من وسيلة سوى ان ينفي عن نفسه تهمة التقصير ويحمل نايف وسلطان اياها، فهما وراء قانون التعتيم وقطع الاتصالات ومنع الصحفيين وهما اضافة لفهد، قد اقرا كل ما يتعلق بما ينشر ومالا ينشر.. لقد قال اليماني بألم: (كلكم تتحدثون عن التقصير الاعلامي، من حيث المبدأ معكم حق، لكن الذي حدث معنا هو الآتي: لقد عرفنا بحادث الحرم في الساعة السابعة صباحاً. اتصلنا بوزارتي الدفاع والداخلية، وسألنا: هل نذيع الخبر؟ فقالوا: ماذا ستقول؟ الحادث لايزال غامضاً، لا أحد يستطيع ان يقول لك ماذا حدث؟ كيف؟ من هم؟.. لقد فوجئنا جميعاً بأن يقع ماوقع في الحرم المكي. كان الاعتقاد في البداية ان بعض المشايخ قاموا بحركة ما.. ولكن المفاجأة ان الجماعة كانت تطلق النار في الحرم، ثم اقفلت الأبواب، واصبح مايجري داخل المسجد نوعاً من التكهن والرجم بالغيب[1].. كان موقف الاعلام في غاية الحرج، هل من المعقول ان نذيع عن بنغلاديش وايران، ولانذيع خبراً وقع عندي في الحرم؟.. لم يكن معقولاً، ولكن هذا الذي حدث)[2].

نماذج من الأكاذيب:

لقد توضح لنا من خلال الفصول السابقة حجم الأكاذيب السعودية، واننا هنا سنورد بعضا منها، مما لم نتحدث عنه سابقاً، وذلك للتدليل على ان كذب اعلام آل سعود ماهو إلا كذب آل سعود انفسهم.. فالأجهزة وسائل، ومايرد فيها من أكاذيب كان من صنع الأمراء السعوديين ذاتهم (فهد، نايف، سلطان، عبد الله).. أما مايقوله وزير الاعلام فهو نسخة مكررة ومملة من أقوال الأمراء وتصريحاتهم..

أول النماذج التي يمكن التحدث عنها هوان آل سعود وادواتهم، نفوا وجود احداث اخرى من مناطق اخرى في البلاد، معتبرين ماقالته الصحافة العربية والغربية (دس رخيص، وتشويه للحقائق)..

ولنبدأ باستعراض "النفي" السعودي.. فبعد ان تحدثت وكالات الانباء والصحف عن مظاهرات المنطقة الشرقية، قال وزير الاعلام (اليماني) في تصريح له نشرته وكالة الأنباء السعودية، وأوردته صحيفة الوطن[3] على النحو التالي: (نفى وزير الاعلام السعودي الدكتور محمد عبده يماني انباء تحدثت عن وقوع اضطرابات في المملكة العربية السعودية اثر احتلال المسجد الحرام في مكة، من قبل جماعة مسلحة في الشهر الماضي. وقال في تصريح نقلته وكالة الأنباء السعودية: "ان الفتنة اقتصرت على المسجد الحرام، أما بقية مدن المملكة وقراها، فهي تتمتع بالأمن والاستقرار".. ووصف الدكتور يماني وسائل الاعلام "بأنها مشبوهة"، وقال انها "تحاول الدس والاساءة باختلاقها انباء وتحليلات بعيدة عن الواقع، ولاتتفق مع الحقيقة في شيء"..).. وقد جاء تصريح اليماني هذا بتوجيه من وزير الداخلية

---

[1] ـ في هذه الأثناء كان آل سعود يزعمون انهم يعرفون كل شيء عن العملية والقائمين بها (راجع الفصول السابقة).

[2] ـ الحوادث 18/1/1980م.

[3] ـ الوطن الكويتية 3/12/1979م.

السعودي نايف.. إلا ان الأخير وجد صعوبة بالاستمرار في النفي فاعترف بعد ثلاثة ايام بالحدث الكبير، إلا انه قلل من شأنه..

جريدة السفير اللبنانية[1] سطرت تحت عنوان: (السعودية تؤكد تظاهرات المنطقة الشرقية) مايلي: (اعترف وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز في تصريحات نشرتها صحيفة الجزيرة "السعودية" بالتظاهرات التي اجتاحت المنطقة الشرقية من البلاد في أواخر الشهر الماضي "نوفمبر".. ونفى الوزير ان تكون هناك أية علاقة بين حادث اقتحام المسجد الحرام، والتظاهرات، وقال: "كل ما في الأمر ان مجموعة من الأشخاص قامت ببعض المسيرات والتظاهرات المحدودة" واضاف: "إن الشرطة استطاعت أن تفرق هذه المسيرات والتظاهرات في اللحظات الأولى، ولم يكن هنا أي شيء يستحق الذكر"..).. بهذه البساطة المتناهية يتحدث نايف وكأن الذين قاموا بالمظاهرات أربعة أو خمسة أشخاص، وليس أكثر من مائة ألف انسان.. ومتناسياً ان عشرين الفاً من رجال الحرس الوطني كان يطوقون مدن المنطقة التي خرجت من سيطرة آل سعود.

ومرة أخرى اعترف نايف في مؤتمره الصحفي الذي عقده بتاريخ 15/1/1980م بأحداث المنطقة الشرقية.. وهكذا فالوزير اليماني ينفي، بينما نايف يؤكد، فأيهما الصادق؟! ان ما دعى نايف للاعتراف، هو ان احداث المنطقة الشرقية كانت ضخمة، ولم يكن بالامكان هضمها اعلامياً، خاصة وان الأمريكيين هم أول من شعر بالخطر، ونقلوا الأنباء إلى رؤوسائهم وصحفهم ومجلاتهم.. وبالتالي خرج الخبر عن نطاق التعمية والتعتيم..

لقد تحدثت الصحف ووكالات الأنباء عن الحادث قبل وبعد تصريح نايف ووزير الاعلام، ومن بين ماورد مايلي:

1/ أشارت صحيفة السفير اللبنانية اكثر من مرة في صدر صفحاتها الأولى بالمانشيت العريض إلى أحداث المنطقة الشرقية.. ففي 14/1/1400هـ كتبت بالمانشيت العريض: (تظاهرات السعوديين تتجدد وتطالب بقطع النفط عن امريكا.. قمع المتظاهرين في الظهران بعنف، وسقوط عدد من القتلى والجرحى).. واكدت السفير مانشرته سابقاً عن الأحداث، وأشارت إلى اندلاع المظاهرات في يوم الثلاثاء (7/1/1400هـ).. منددة بالأسرة السعودية الحاكمة.. ثم اوردت تقارير وصلتها من وكالات الأنباء العالمية من بينها ان وكالة يونايتدبرس للأنباء نسبت في برقية لها من نيقوسيا إلى مصادر غربية في جدة قولها ان (قوات الأمن السعودية استخدمت القوة لتفريق التظاهرات التي بدأت تخرج عن نطاق السيطرة يوم الجمعة "10 محرم".. ـ واضافت ـ انه سقط خلال المجابهة بعض القتلى والجرحى، ولكن لم يعرف العدد المحدد للخسائر في الأرواح).. ونسبت إلى وكالة رويتر قولها (ان قوات الأمن السعودية عمدت بعد اشتباكات يوم الثلاثاء "7 محرم" إلى اغلاق المنطقة الشرقية وتطويقها بنحو عشرين ألف جندي ومنع أي شخص من الدخول والخروج).. وأضافت: (أن الالوف الذين اشتركوا في التظاهرة طالبوا بأن توقف الحكومة السعودية شحن النفط إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأعربوا عن تأييدهم للثورة الايرانية، واطلقوا شعارات

---

[1] ـ السفير 7/12/1979م.

العائلة المالكة السعودية..).. وحول موقـع الاشـتباكات أوضـحت الوكالـة انهـا وقعت (قرب مصـفاة رأس تنـورة النفطيـة القريبـة مـن منطقـة الظهـران).. وتحدثت بإعجاب لأن التظاهرة ضمت نساء لأول مرة)..

ومع هـذا يزعـم اليمـاني: (ان بقيـة مـدن المملكـة وقراها تتمتـع بـالأمن والاسـتقرار وللـه الحمـد)[1]. وان ماقـالته وسـائل الاعلام عـن مظـاهرات الشـرقية: (دس واسـاءة) وان تحليلاتهـا (بعيـدة عـن الواقـع، ولاتتفـق مـع الحقيقة)[2]!!

2/ وذكرت صـحيفة الـرأي العـام الكويتيـة نقلاً عـن صـحيفة الفاينـنشـيال تايمز اللندنية، اخبـاراً حـول التظـاهرات وانـه سـادها (بعـض اعمـال العنـف). واضافت: (... والقوانين السعودية تحظر التجمعـات، إلا ان السـلطة لايمكنهـا التصدي لمثل هذا الاحتفال الديني)[3].

3/ وكتـب الصـحفي الشـهير محمـد حسـنين هيكـل مقـالاً فـي صـحيفة الصنداي تايمز[4] تحت عنوان: (الشاهات الصـغار يلـوذون بـالتطوير للحيلولـة دون الثورة) ذكر فيه: (ان الاتجاه بين شعوب منطقة الخليج يميل في الــوقت الحاضر نحو احياء الاسلام.. ومع وجود اكثرية شيعية من السـكان، فـإنه يعنـي مزيداً من القلاقل والخـوف لـدى الحكـام.. فقبـل شـهر جـرت مظـاهرة فـي القطيـف "فـي العربيـة السعودية" شـنت قـوات الحكومـة السـعودية خلالهـا هجوماً على المتظاهرين، كان من نتيجته ان قتل ما بين "400ـ 500" شخص في مدى نصف ساعة).. والعدد بلا شك كبير ومبالغ فيه، وان كنـا لانشـك فـي ان يقوم آل سعود بقتل اكثر من هذا العـدد، وفـي اقـل مـن نصـف سـاعة، اذا ماتزلزلت اقدامهم بشدة اكبر في المستقبل!!

4/ وتحت عنوان "الاستفادة من درس مكة" كتب (جـون اندرسـون) فـي مجلة (Arab Month)[5] مقالاً أوضح فيه ابعاد انتفاضة المنطقة الشرقية، وسماها بـ (الاضـطرابات) وقـال وفقـا لتقـارير وردتـه بـأن (جـدران القطيـف تزدحم بالنداءات الخمينية، والتذمر من معاملة الحكومة).

5/ أما صحيفة (وول ستريت) الأمريكية، فقد كتب مراسلها في السعودية مقالاً حول انتفاضتي الحرم والمنطقـة الشـرقية، جـاء فيـه: (لـم تكـن الجنـه الأمريكية التي تقع على الساحل الشرقي من صحراء الجزيرة العربية جنة بعد الآن.. فهناك في القطيـف يوجـد خمينيـون) وأشـار الكـاتب إلـى ان السـفارة الأمريكية في جدة اصدرت مذكرة (إلى رعاياها القـادمين مـن آسـيا الشـرقية تنصحهم فيها بعدم التوقف في الظهران.. وإذا كان لابد من التوقف فليكن في الكويت مثلاً).. وأضافت الصحيفة معلقة على حادثة الحرم واصفة اياها بأنهـا: (ثورة اسلامية، خلقتها الصحوة الاسلامية التي نزلت فجـأة علـى المسـلمين.. وليت الأمر وقـف عنـد هـذا الحـد، ولكـن حـتى الريـاض والمنطقـة الوسـطى عموماً، يقابل الأمريكيون بازدراء شديد، بل ان كثيراً مـن الأمريكييـن تخلصـوا نتيجة لذلك من خمورهم على الطريق ما بين الريـاض وخريـص.. ان انزعاجـاً

---

[1] ـ الرياض 3/2/1979م.
[2] ـ المصدر السابق.
[3] ـ الرأي العام 9/12/1979م.
[4] ـ الصنداي تايمز 30/12/1979م.
[5] ـ آراب مونث/ العدد السادس/ مارس 1980م.

شديداً سيطر على الأمريكيين جعلهـم يتصـورون بـأن شـيئاً مـا شـبيها بالـذي حدث سنة 1969م قد وقع فعلاً).. وتمضي الصـحيفة لتقـارن بيـن مظـاهرات المنطقة الشرقية وحادثة الحرم فترجح خطورة الأولى وذلك لأن: (آبار النفط تحتاج لرجل فدائي واحد لتفجيرها، فيتوقف ضخ البترول إلـى أمريكـا).. إلا أن الصحيفة استبعدت وجود خطة مشتركة للحـدثين رغـم انهمـا (يشـتركان فـي شيء واحد، هو صحوة المسلمين، وهذا لاشـك فيـه).. واختتـم كـاتب المقـال حديثه بـ (ان هذه المنطقة لـم تعـد مسـتقرة سياسـياً، وعلـى أمريكـا ان تعيـد حساباتها)..

6/ وأخيراً نورد مقالاً لمراسل مجلة نيوزويـك فـي الظهـران (والـتر. س. موسورغ) حيث يصـور حالـة القلـق الـتي تنتـاب الرعايـا الأمريكيـين.. فتحـت عنـوان (الصـحراء الأمريكيـة محكومـة بـالخوف مـن اضـطرابات الشـرق الأوسط).. والصحراء الأمريكية ما هي إلا تعبير عن (العربية السـعودية) الـتي هي احد توابع أمريكا!

يقول المراسل:

(هنـا ــ الظهـران ــ وفـي وسـط حقـل نفطـي صـحراوي، وخلـف بوابـتين محروستين، يوجد جزء صغير من أمريكا، في شكل الضاحية، ببيوتهـا المرتبـة، وشوارعها الأنيقة، وتلفها الخضرة، وتتواجد فيها سيارات الـ "شـيفروليه" والــ "بلايموث".. وبالقرب من سـينما الضـاحية وملعـب الــ "بيـس بـول" وامـاكن اللعب الأخرى.. تبدو اضطرابات الشرق الأوسط بعيدة جداً عنها.. غير ان جــو الهدوء في معسكر أرامكو هذا قد اضطراب مؤخراً، فالأخبار الـتي وردت عــن الهجوم الذي وقع للسفارات الأمريكية فـي ايـران وليبيـا والباكسـتان، واخبـار الهجوم المعادي للغرب في الحرم المكي، والمظاهرات المؤيـدة للإيرانييـن ــ وعلى بعد عدة اميـال فقـط ــ فـي القطيـف، كـل هـذه الأحـداث تركـت الــ " 35000" أمريكي المميزين هنا، وفي اماكن اخرى من هذه المملكـة المؤيـدة للغرب في خوف واضطراب.

الشركات الأمريكية، والعاملين فيها طبقوا القوانين المحلية المتزايدة في هذا البلد منذ مجيئهـم اثنـاء اكتشـاف النفـط عـام 1933م.. ومـع هـذا، اصبح التفتيش الأمني مكثفاً في منطقة السكن الأمريكيـة.. امـا الشـركة "أرامكـو" والتي تملكها اساساً أربع شـركات نفطيـة أمريكيـة، تـدير عمليـات اسـتخراج النفـط مـن الآبـار السـعودية، طـالبت الأمريكييـن بالمحافظـة علـى الصـورة الهادئة، واقترحت التحديد من رحلاتهم إلى المدن القريبة وخصوصاً في بعـض الايام المقدسة عند المسلمين.

وبسبب الجو المعادي للأمريكييـن فـي الشـرق الأوسـط، تـرك سـتة مـن الأمريكيين الشباب العمل في الأسابيع الأخيرة.. وبسبب الاشاعات المنتشـرة عن تقديم المزيد من الأمريكيين لاستقالاتهم، صرح احد الموظفين الرسـميين في الشركة بأن "الناس هنا عصبيون، وهذا الشيء هو الطبيعي فقط"..

وعلى بعد مئات الكيلومترات حيـث العاصـمة السـعودية "الريـاض" شـعر الأمريكيون بالقلق الشديد، فقبل عدة أسابيع خلت، سرت اشاعات تفيـد بـأن رجال "شرطة الاخلاق" "هيئة الامـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر" سـوف يقومون بشن غارة على التجمعات السكنية للأمريكيين، فقام هؤلاء وبسـرعة،

باخلاء مخابيء الخمر المحرم في الشرع الاسلامي، وكسروا زجاجات النبيذ ودفنوها في الصحراء، لكن الغارة لم تحدث أبداً..

"وبلا شك، ان هذه البلاد ليست مريحة كما كانت في الماضي"

هذا ماقاله احد موظفي البنوك في الرياض، والذي فضل ان يبقى اسمه طي الكتمان، كغالب الأمريكيين هنا.

وبسبب احداث مكة والقطيف، وضعت الحكومة السعودية حراسة مشددة في كل مكان، وقامت بتقوية اجراءات الدخول والخروج للأجانب، فالجوازات تفحص بدقة اكثر في المطارات، وجهاز الفحص بالأشعة اصبح اليوم يستعمل بشكل واسع، بينما اتخذ الحرس الوطني مخافر له في المدن القريبة من مصفاة رأس تنورة على الخليج.

وفي احد حقول النفط، منع احد الصحفيين الأمريكيين م ن التصوير، واخذت منه الكاميرا بحجة ان الأجانب ينقلون الأكاذيب عن العربية السعودية، ولم تعاد اليه إلا بعد ان اخذ عليه تعهد بأن لايصور مرة أخرى في هذا المكان.

بالنسبة للاستعدادات الآنية ليس هناك شيء يوحي بالجد في هذه المملكة المحكومة بالقوة، كما لا يلاحظ وجود دبابات متجولة في الشوارع، مع ان المسئولين السعوديين يعتبرون الاستعدادات الأمنية غير طبيعية.

ومهما تكن الأسباب، فالأمريكيون هنا خائفون من اهمالهم كباقي الأهداف المعرضة للعداء، في آلاف الأميال المربعة من المناطق الاسلامية التي تشحن بالبغض للأمريكيين عن طريق البث الموجه من ايران، والذي يشجع على الحرب المقدسة ضد أمريكا.

يقول احد الأمريكيين: (اننا سوف نكون الضحية اذا تحرك كارتر ضد ايران، ولن يستطيع تخليصنا بدا).. ويقول آخر: (اذا ما حصلت متاعب، فإنه سيكون من المستحيل ترحيل جميع الأمريكيين، لأننا موزعون ومنتشرون، وسيكون ذلك غير ممكن خلال اسبوع كامل).

لقد اثبتت احداث الحرم، وتظاهرات القطيف بأنها هزت ـ ولو وقتياً ـ الثقة بين العربية السعودية وأمريكا، سواءاً بسواء.

انها تظاهرات القطيف بالخصوص التي جعلت الكثير من الأمريكيين يخافون، بخلاف احداث الحرم، لان التظاهرات ـ ومنذ البداية ـ كانت مرتبطة بما يجري في إيران من اعمال مضادة لأمريكا، والأكثر من هذا انها حدثت في منطقة آبار النفط، حيث يعيش الكثير من الأمريكيين.

ومع هذا ادعت الحكومة السعودية ان احداث القطيف ما هي إلا مشاجرة بين بعض الشيعة الذين كانوا محكومين بالعاطفة الهائجة في ايامهم المقدسة. ولكن المصادر السعودية ذاتها، أوضحت وبسرية ان المظاهرات كانت خطيرة وسياسية، وان (500) شخص كانوا ينشدون شعارات تأييد للخميني وبأيديهم صوره، وانهم قاموا بتحطيم نوافذ احد البنوك، واحتلوا مركزاً للشرطة، ووضعوا المتاريس في الشوارع.. تم كل هذا قبل ان يفرقوا بواسطة الحرس الوطني في معركة بالسلاح، اودت بحياة ثمانية اشخاص.. هذا ما قالته المصادر العليمة).. انتهى ما ذكرته مجلة نيوزويك.

اذن فإن هناك احداث وقعت في مناطق اخرى غير مكة، وان ما ذكرته الصحف صحيح في معظمه، وليس تشويه حقائق كما قال وزير آل سعود (اليماني)..

واكثر من هذا ان الاحداث لم تقتصر على مكـة ومـدن المنطقـة الشـرقية وبل وصلت إلى المدينة المنورة والطائف وجدة وتبوك ومواقع القبائـل، وفـي الثكنـات العسـكرية.. وقـد اشـرنا إلـى بعـض هـذه الحـوادث فـي الفصـول السابقة.. وسنحاول هنا اضافة بعض مما ذكرته وكالات الأنباء والصحف حـول انتشار التمرد ضد الحكم السعودي في الكثير من المدن..

أولا: نسبت صحيفة "الدسـتور" الأردنيـة[1] لحجـاج كويـتيين قـولهم: (ان طلقات مدافع رشاشة وجهت نحو الطـائرات مـن جبـل "ابـي قـبيس" جنـوب مكة، فطوقته قوات الجيش، وتبين فيما بعد انهم من اتباع العصـابة الباغيـة).. وافادت تقارير أخرى ان قتالاً عنيفاً جرى في الشـوارع القريبـة مـن الحـرم.. وان مصادمات اخرى مع رجال الأمن السـعوديين قـد وقعـت فـي العديـد مـن الأبنية ـ التي تعتبر مقرات للاخوان في مكة.

ومـن جـانب آخـر، أفـادت المعلومـات القريبـة الصـلة بالحـادث حـاولت السيطرة على محطة ارسال اذاعة القرآن الكريم في مكة.

ثانيا: نشرت جريدة السفير اللبنانية مـا نسـبته وكالـة الاسوشـيتد بـرس لأحد الدبلوماسيين والذي قال: (ان آخر الأنباء غيـر المؤكـدة الـتي تـتردد فـي أوساط الجسم الدبلوماسي يفيد ان الهجوم على مكة كان جزءاً مـن مخطـط أضخم، كان سيشمل هجمات مماثلـة علـى المسـاجد فـي الطـائف والمدينـة ومحطة الاذاعة في جدة) واضافت السفير: (انه نتيجـة للإهمـال فـإن الهجـوم في مكة بـدأ قبـل الهجمـات الأخـرى، وقـد قـامت القـوات السـعودية بسـحق المحاولات في الطائف والمدينة وجدة)[2]..

ومن المعلوم ان توترات وقعت في العاصـمة "الريـاض" صـبيحة الالتجـاء إلــى الحــرم، وقــد شــعر المواطنــون والطلاب المتواجــدون للدراســة فــي الجامعات هناك، بأن شيئاً غير عادي قد حدث.. وفي الطائف ـ مصيف الأمراء ـ نشبت اشتباكات بين القوات السعودية وجماعة الاخوان، وقد احتل على أثـر هذه الاشتباكات مطار الجويـة، اضـافة إلـى ان قـوات تابعـة للحـرس الملكـي احتلت القاعدة الجوية بالطائف واعتقلت عدداً مـن كبـار ضـباطها تحسـباً لأي تحرك مضاد للعائلة المالكة، او لأن القوات هنـاك بـدأت فعلاً بـالتحرك ـــ كمـا تذكر ذلك مصادر عسكرية سعودية معارضة ـ.

وفي تبوك، اعتقل مئات من المواطنين بتهمة تأييد جماعـة الاخـوان الـتي امتدت تأثيراتها إلى القاعدة الجوية هناك، وقـد حـاول بعـض قيـاديي القاعـدة التحرك، إلا أن السلطات القت القبض عليهـم، وأودعـت عـدداً مـن الطيـارين في السجون، بينما فر آخرون إلى الخارج.

ثالثا: في عددها الصادر بتاريخ 3.2/12/1979م اشارت اللوموند إلى ان (تحركات عديدة قد جرت داخل قبائل متعددة) وان (الثائرين كانوا يـأملون ان يتحرك شركاء لهم بناء على إشـارة منهـم فـي اجـزاء اخـرى مـن المملكـة).. وبعدها تحدثت مجلة "لوبوان" الفرنسية عن امتداد التحرك وانتشاره بـالقول: (ان حركة التمرد كانت قد شملت عدة مدن، وان قنبلة قد انفجرت في القصر الملكي بالرياض)[3].

---

[1] ـ الدستور 24/11/1979م.
[2] ـ السفير 30/11/1979م.
[3] ـ لوبوان 28/1/1980م.

رابعـاً: حـدثت عمليـات عسـكرية واسـعة النطـاق فـي المدينـة المنـورة، وتركــزت فــي داخــل معســكرات الجيــش، ممــا اســتدعى محاصــرة هــذه المعسكرات بواسطة قوات خاصة من الحرس الـوطني، وهـدد الجنـود بـأنهم سيقتلون رمياً بالرصاص إذا خرجوا من عنـابرهم إلـى سـاحة المعسـكر، وقـد اصـيب بالفعـل عـدد مـن الجنـود والضـباط، وسـقط عـدد مـن القتلـى فـي أوساطهم[1].

وحتى الحرس الوطني نفسه، قام الجيش بتطويـق بعـض معسـكراته، أي ضرب الجيش بالحرس، والعكس بالعكس.. وذلك لأن الحرس ابدى كثيراً من التمرد ودعـم المعتصـمين فـي الحـرم، وقـد وكـانت هـذه الأنبـاء غيـر مؤكـدة للصحف، لكنها اثبتت بعدئذ في الكتب الـتي صـدرت بعـد الحادثـة عـن البلاد.. وتقول صحيفة نيوزويك: (هناك تقارير تشير إلى انه اثناء الهجوم المضاد الذي قامت به الحكومة على المسجد، فإن عدداً كبيراً من أفـراد الحـرس الـوطني انضموا إلى صفوف المتمردين، أو رفضوا فتح النار عليهـم، ممـا جعـل القـادة العسكريين السعوديين يطلبـون النجـدة مـن وحـدات عسـكرية للقضـاء علـى الذين استولوا على المسجد)[2].

إلى هنا ينتهي الحديث عن اكذوبة سعودية واحدة فقـط فكيـف بالأكـاذيب السعودية الأخرى؟! ومع هـذا يقـول نـايف: (ان الأمانـة الصـحفية تقتضـي ان تقال الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة، وكنا سـنحترم الحقيقـة مهمـا كـانت)!!، فهـل اكتشـفت عزيـزي القـاريء كيـف ان اكـاذيب نـايف واخـوانه اصـبحت حقائق؟!

اكاذيب أخرى:

الأولى: من المعلوم ان عدداً مـن أفـراد الجماعـة اسـتطاعوا النفـوذ مـن الحصار المضروب على الحرم بواسطة القوات السـعودية.. ففـي حيـن زعـم الأمير سلمان: (ان قوى الأمن التي حاصرت المسجد والطرق المؤدية اليه لم تمكن احداً من أفراد العصابة من الهرب).. ذكر أمير مكة اثناء الأحداث (فـواز بن عبد العزيز): (ان عدداً مـن الـذين هـاجموا المسـجد مـازالوا طلقـاء، ولـم تتمكن السلطة من القضاء عليهم)[3]، فأين هي الحقيقة التي لاشـيء غيرهـا ــ كما قال نايف ـ؟!

وتتحدث مجلة (دير شبيغل) الألمانية[4] بسخرية علـى أكـاذيب آل سـعود، وتوضح في النهاية ان كثيراً من المعتصمين تمكنوا من الهرب.. تقول المجلـة بأن نتائج الحملة السعودية لخصة البيان التـالي: (لقـد قتـل 60 جنـدياً و 135 منشقاً عن الدين.. ويبـدو ان السـعوديين اخطـأوا فـي العـد الحسـابي، فبعـد اسبوع من الهجوم قال مسـؤولو الا مـن السـعوديين ان هنـاك اكـثر مـن 300 قتيل. وقبل ذلك كان هناك تصريح آخر عـن وجـود 300 سـجين.. وفـي نهايـة

---

[1] ـ راجع كتاب الحركة الاسلامية في الجزيرة العربية صفحة 128 لعبد اللطيف العامر والصادر عن منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية.

[2] ـ نيوزويك 17/12/1979م.

[3] ـ السفير 10/12/1979م.

[4] ـ دير شبيغل 10/12/1979م.

العملية كان الجنود السعوديون يحاولون السيطرة علـى 170 مهاجمـاً، علمـاً بأن اكثرهم تمكن من الهرب دون القبض عليهم)..

الثانية: لقد قدم محمد عبد الله القحطـاني مـن قبـل المرحـوم جهيمـان على انه "المهدي المنتظر"، والقيادة الصـحيحة الـتي تخلـف قيـادة آل سـعود على اعتبار ان القحطاني من قريش، وان اسمه يوافق اسـم الرسـول محمـد صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان للمرحوم جهيمان مآخذ كثيرة على الحكم السـعودي، مـن بينهـا انـه حكم قائم على الجبر وليس البيعة، وان الحكام ليسوا من قريش.. هنـا حـاول آل سعود ان ينفـوا عـن القحطـاني انـه مـن قريـش، بـل نفـوا انـه قحطـاني، أوعربي حتى!!

ففـي تعريـف محمـد القحطـاني قـال نـايف لطلاب جامعـة الريـاض فـي 8/1/1980م بأن القحطاني مصـري الجنسـية، واضـاف "كمـا قـال والـده"!! ونشرت الصحف السعودية تصريح نايف المهتم بشؤون الجنسية كالتالي: (ان المهدي المزعوم الملقب بالقحطاني يسمى بالتركي، وانه رجل مصري وليس تركي)[1].

وبعد يومين من هذا التصريح، نشرت السفير[2] مقابلة له، شدد فيها علـى انه تركي وليس مصري.. يقول نايف: (دعني اوضح لكم أمراً: محمد بـن عبـد الله ليس قرشيا، بل هو من أصل تركي، حتى ان الناس يطلقون علـى اسـرته لقب "التركي" حتى يومنا هذا).. لكن طلال سلمان رئيـس تحريـر السـفير رد على الوزير: (هو قحطاني حسب ما سمعنا)!! فما كـان مـن نـايف إلا أن قـال كلاماً باهتاً مفاده: (قحطاني بالحلف، لأن اجـداده سـاكنوا قحطـان فـي بلـدة واحدة)!!

مـع هـذا سـبق لجريـدة الجزيـرة السـعودية ان اعـترفت قبـل شـهر بـأنه "قحطـاني" ولكنـه لا ينتمـي إلـى قريـش فقـالت: (انـه طيلـة عمـره يسـمى بالقحطاني نسبة إلى قحطـان، وقحطـان قبيلـة معروفـة، فكيـف يتحـول بيـن عشية وضحاها إلى قرشي هاشمي)[3].

والمضحك ان هـذا التنـاقض فـي أقـوال نـايف لـم يشـعره بالخجـل حيـن يتحدث في مـؤتمره الصـحفي 15/1/1980م ليقـول: (ان هـذه المجموعـات كانت كلها معروفة لدى السلطات)!! فأي معرفة هذه التي ينتج عنها مثل هـذا الكذب والتناقض المفضوح؟!

هذا ما يمكن ايراده هنا عن تخبط وكذب آل سعود حول نسب محمـد عبـد الله القحطاني.. اما عـن مصـيره فقـد كـان واضـحاً وجليـاً أكـثر فـأكثر ان آل سعود لايعرفونه، وتصريحاتهم المتعلقة بهذا الشأن متناقضة إلـى حـد فظيـع.. فلنقرأ بتمعن تصريحات آل سعود:

بتاريخ 26/11/1979م أي بعد سبعة أيـام مـن وقـوع الحـادث، سـرب آل سعود خبراً إلى الصحافة ووكالات الأنباء يفيـد باعتقـال "المهـدي" محمـد بـن عبد الله القحطاني.. حيـث ذكـرت صـحيفة الـرأي العـام الكويتيـة[4] نقلاً عـن

---

[1] ـ الرياض 9/1/1980م.
[2] ـ السفير 10/1/1980م.
[3] ـ الجزيرة 6/12/1979م.
[4] ـ الرأي العام 26/11/1979م.

اذاعة مونت كارلو، ما نسبته الأخيرة لمصادر سعودية في الرياض قولها: (ان بين المعتقلين المهدي المنتظر)! ونقلت الصحيفة ما ذكره مراسل وكالة الصحافة الفرنسية في جدة ان المهدي المنتظر اعتقل).. وفي ذات اليوم نشرت جريدة المدينة السعودية 26/11/1979م أنه (تم اعتقال المهدي المزعوم محمد بن عبد الله، والقبض على والدته وزوجته واخوانه)..

وبناء على هذه المعلومات السعودية، كتبت مجلة "الوطن العربي"[1] تقول (ذكرت مصادر رسمية ان زعيم المسلحين، او المهدي المنتظر، قد تم اعتقاله، وان التحقيق يجري معه وعدد من اتباعه)..

وبعد اسبوع من طرح الرواية السعودية الأولى، قدم آل سعود رواية مختلفة تفيد بأن القحطاني (انتحر) ولم يعتقل! تقول الرواية الجديدة التي نقلتها وكالة الصحافة الفرنسية عن مصدر سعودي مسؤول في جدة قوله: (ان الزعيم الأول، والذي ادعى انه المهدي المنتظر انتحر فور اعتقاله)[2].. وبالطبع لم يوضح المسؤول السعودي كيفية الاعتقال، ولا كيفية الانتحار وهو في المعتقل.

الا ان وزير الداخلية السعودي، سرعان ما كشف كذبه وكذب الأمراء الآخرين حينما صرح في مؤتمره الصحفي الذي عقده في 4/12/1979م، أي بعد انتهاء الحادثة: (الذي نعرفه إلى الآن أنه ـ أي القحطاني ـ مقتول، ولكن لدينا مصابون منهم كثير منتعرف عليهم، ويحتمل ان يكون بين المصابين أو القتلى)[3].

ان الوزير السعودي هنا ينسف كل تصريحات المسؤولين السابقين، فالقحطاني لم يعتقل، ولم ينتحر، ولا يعلم هل هومصاب أم مقتول.. وحسب تعبير الوزير: (يحتمل ان يكون بين المصابين أو القتلى)!! أي ان هناك احتمالاً آخر لم يذكره الوزير وهو (الهروب)!!

والغريب فيما قاله الوزير نايف، انه وبعد الانتهاء من الحادث، لايدري هل القحطاني مصاب ام مقتول!! فأي كذب هذا وأي اضطراب في الحديث وسرد الوقائع هذا الذي يقدمه آل سعود للجمهور؟!

ان نايف لايريد ان يقول بأن القحطاني (هرب) ولم يقبض عليه.. ولا يستطيع ان يقول بأنه مصاب أو مقتول!!، فما هو مصيره الحقيقي اذن؟!

واخيراً عدل نايف روايته وحتى يستطيع المواطن هضم كذبها ودجلها، فبعد يوم واحد من تقديم روايته في المؤتمر 4/12/1979م قال بتاريخ 5/12/1979م لوكالة الانباء السعودية: (ان المهدي المنتظر قد قتل اثناء اقتحام قواتنا معاقل الزمرة الضالة في قبو المسجد، وقد تم التعرف على جثته بين الموتى)[4].

وتأكيداً لهذه الرواية السعودية الجديدة، شاهد المواطنون على شاشة التلفزيون مساء 5/12/1979م جثة غير واضحة المعالم بسبب التعفن، قالت السلطة انها جثة "القحطاني"، واحضرت السلطة ـ بالقوة والاكراه ـ اخ

---

1 ـ الوطن العربي 30/11/1979م.
2 ـ القبس الكويتية 2/12/1979م.
3 ـ الجزيرة 5/12/1979م.
4 ـ الرياض 6/12/1979م.

القحطاني الأكبر وابن اخته ونسيبه لتجري معهم مقابلة مفتعلة، وليؤكدوا ماتريده السلطة، من ان هذه الجثة هي جثة "المهدي المنتظر".

كما لاحظ المواطنون، حالة الارتباك والحيرة والتلعثم التي سيطرت على المتحدثين، مما يدل على ان المقابلة مفتعلة، وتعبر عن رأي آل سعود الباطل.. ولذا كان حديث الناس في اليوم التالي حول المقابلة وكيف انها مفتعلة وان احداً لايصدقها!

الثالثة: وردت اكاذيب سعودية كثيرة حول المرحوم جهيمان العتيبي، فهو في نظر السلطة المدبر الأول لانتفاضة الحرم، اما (المهدي) فهو بنظرهم رجل ثانوي.. تماماً كما قال الأمير عبد الله (ولي العهد الحالي) (في مقابلة مع مجلة الحوادث): (انه في نظرنا رجل ثانوي)..[1] في حين اجمعت الصحف السعودية على اعتبار جهيمان (زعيم العصابة) و (زعيم الخوارج) وما أشبه.. فهذه جريدة الشرق الأوسط السعودية تتحدث عن اعتقال جهيمان بهذه الصفة: (علم رسمياً ان سلطات الأمن قد تمكنت من القبض على زعيم العصابة جهيمان العتيبي حيا)..[2]

اذن جهيمان هو القائد.. اما صفاته التي قدمها فهد ـ الملك الحالي ــ فهي كالتالي: (هذا الذي اسمه جهيمان، هو مثل أي واحد منهم، هو رجل ساذج عادي إلى درجة متناهية، لا يستطيع ولايحسن التعبير، لامن الناحية اللغوية ولامن ناحية التفكير حتى يستطيع ان يكتب كتباً ويسجلها ويجيب احاديث نبوية. وانه لايفهم منك إذا تحدثت معه)!![3]

بينما يصفه صديق فهد الراحل (سليم اللوزي) رئيس تحرير الحوادث: (ان دراسة بسيطة لدعوة الاخوان تظهر ان الرجل مصاب فعلاً بهوس وحشي غريب، وميل فطري للمآسي.. ولكنه موهوب في نفس الوقت بقدرة غريبة على التأثير بالسذج من الناس الباحثين عن قضية او دعوة تلهب خيالهم، وتجعل منهم اصحاب شأن)[4].

ووصف اللوزي جهيمان مرة أخرى اثناء تقديمه للذبح ــ على الطريقة السعودية ـ: (كان جهيمان يتمتم ويحرك شفتيه بكلام يستمد منه القدرة على الصمود، ويدير نظرات صارمة وكأنه انسان مؤمن بما فعل. لم يكن خائفاً، وهذا أخطر مافيه، بل كان يسخر بنظراته من الآخرين[5].

ووصفته صحيفة الفايننشيال تايمز بالقول (ان جهيمان بعد ان استسلم تعرض للشتم واللطم وجر شعر الرأس أمام كاميرا التلفزيون، إلا أنه استمر يتمتم بالصلاة)[6].

ان أوصاف اللوزي تتناقض مع أوصاف فهد، فالرجل الشجاع وصاحب التأثير لايمكن ان يكون ساذجاً كما قال فهد، ولا مهووساً كما قال اللوزي، وانما شخص اداري كفوء وصاحب شخصية مؤثرة، ورجل استطاع ان يقنع المئات بأفكاره التي سطرها من خلال كتبه وكراساته.. وبالتالي قال الساذج

---

1 ـ الحوادث 18/1/1980م.
2 ـ الشرق الأوسط 5/12/1979م.
3 ـ السفير 9/1/1980م.
4 ـ الحوادث 18/1/1980م.
5 ـ المصدر السابق.
6 ـ فايننشيال تايمز 10/1/1980م.

حقاً هو من يصدق فهد في أوصافه!، ولذا لم يجد فهد احداً يصدقه فيمـا قـاله وانكشف اعلام آل سعود وكذبهم وتشنيعهم بالاخوان.

(ثالثاً)

النظام السعودي، بيت من رمال!

النظام السعودي ينظر إليه من الخارج، على أساس انه نظ ام قـوي ث ابت ومستقر إلى أقصى الحدود.. وانه نظام يعتمد عليه الغرب في ضبط اسـتقرار المنطقـة العربيـة امنيـا، سـواء بالمسـاعدات الماليـة الـتي تقـدمها الحكومـة السعودية للأنظمة المتغربة، أو باسباغ الشـرعية عليهـا، او بمحاربـة التيـارات الدينية والثورية..

وكان النظام السعودي يعتبر احد دعامات الغرب الرئيسـية، وكـان يشـكل اضافة إلى شـاه ايـران دعامتـان قويتـان يسـتند عليهمـا الوجـود الغربـي فـي المنطقة الاسـلامية.. وقـد انهـارت احـدى هـاتين الـدعامتين بسـقوط الشـاه، والثانية تخلخلت بسبب انتفاضة الحرم المكي وانتفاضة المنطقة الشرقية..

لقد تبددت اسـطورة الأمـن السـعودي، حيـث كـان الشـعور السـائد لـدى السياسيين في المنطقة هو ان النظام السعودي من أكـثر الأنظمـة اسـتقراراً وقوة في العالم العربي، بل في العـالم اجمـع، لكنـه اصـبح اليـوم ابعـدها عـن الاستقرار وان الكيان السعودي هش بشكل يـدعو للرثـاء.. لـذا ق ال مسـؤول خليجي لمجلة نيوزويك: (ان العملية ــ عمليـة الحـرم ــ ترينـا كـم هـو النظـام السعودي هش) واضاف: (ان احداث الحرم قد كشفت مـدى التـدهور الأمنـي في السعودية)[1].

ان الأمن السعودي والاستقرار المزيف، كان ولايزال يبنى علـى التخويـف والرعب والسجون والمعتقلات.. وقد سقط كل هذا الحصن الورقي السعودي امام عاصفة الجماهير الغاضبة في مكة ومدن المنطقة الشرقية وغيرها.. ولم يخطيء الدبلوماسي الغربي في الرياض حينما قال: (لأول مرة اهتزت اركـان الأسرة منذ وجودها.. ودخل الخوف قلوب الأمراء بشكل فظيع). [2]

وكتب (كارل. ت. راون) في مجلة (ريدرز دايجست) مقـالاً تحـت عنـوان (العربية السعودية.. ايـران القادمـة) صـور فيـه حالـة الفـزع الـتي انتـابت آل سعود بقول "(نحن نـواجه الأخطـار مـن الـداخل والخـارج)" هكـذا أرسـل لنـا السعوديون الذين يزودوننا بإخلاص من نفط الشرق الأوسط، بهـذه الاشـارات التي تبعث على اليـأس.. تـرى إلـى مـتى يمكـن ان نبنـي حسـاباتنا علـى هـذا الحليف الحيوي المعرض للخطر؟![3]

ولم يكن القلق على العرش السعودي مسـتبداً بـالأمراء السـعوديين، بـل وبأسيادهم الأمريكييـن الـذين سـارعوا بعـد ان سـقط الشـاه إلـى اسـتعراض عضلاتهم في سماء البلاد بأسراب مـن طـائرات (اف ــ 15) وبعـد الانتفاضـة أعلـن كـارتر ــ الرئيـس الأمريكـي انئـذ ــ وبكـل صـراحة ان (أمـن النظـام السـعودي، جــزء الأمــن القــومي الأمريكــي).. وفــي مــارس 1980م أعلــن

---

[1] ـ نيوزويك 3/3/1980م.
[2] ـ صبح آزادكان الايرانية 15/2/1400هـ.
[3] ـ ريدرز دايجست مايو 1980م.

بريجنسكي ـ مستشار كارتر للأمن القومي ــ (أن أمريكا ستتدخل لمنع أي تهديد للحكم السعودي، سواء كان داخلياً ام خارجياً).. كما صرح وزير الطاقة الامريكي آنئذ (جيمس شلسنجر): (ان عدم استقرار النظام السعودي، هو أخطر بكثير مما كنا نتصور)[1].

وحتى اسرائيل الغاصبة خشيت من سقوط النظام السعودي، فحينما زار (عزرا وايزمن) وزير الدفاع آنئذ واشنطن (تركزت محادثاته مع هارولد براون وزير الدفاع الأمريكي، وسايروس فانس وزير الخارجية على قضية هامة، وهي قضية الاستقرار في المملكة العربية السعودية.. وأشارت التقارير الواردة إلى واشنطن ان اسرائيل تشعر الآن بأن النظام السعودي معرض لخطر الانهيار..[2]

لقد اظهرت الانتفاضة بؤس الجهاز الأمني السعودي، الذي رصد له المليارات من الريالات لوأد أي تحرك معارض، لم يفعل شيئاً، وسجل فشلاً ذريعاً من اداء مهمته.. حيث لم يتمكن هذا الجهاز من رصد خلايا التحرك والعمل المعارض، ويكفي دلالة على هذا ما قاله وزير الاعلام السعودي (محمد عبده يماني): (اتصلنا بوزارتي الدفاع والداخلية.. وسألنا هل نذيع الخبر؟ فقالوا: ماذا ستقول؟! الحادث لايزال غامضاً، لا أحد يستطيع ان يقول لك ماذا حدث؟ كيف؟ من هم؟ لقد فوجئنا جميعاً بأن يقع ما وقع في الحرم المكي... وأصبح معرفة مايحدث داخل المسجد نوعاً من التكهن والرجم بالغيب)..[3]

اذن اين آثار الملايين التي تنفق على الأمن وحماية النظام، اين العيون الساهرة التي يخوف بها آل سعود معارضيهم؟!

لقد كانت اجهزة الأمن، صفر على الشمال!

لماذا لم يكشف التنظيم، وتكشف الخطط؟!

يجيبك اساطين آل سعود على هذا، بأنه ليس هناك تنظيم، حتى لا يتهموا بأن أجهزتهم ضعيفة ومقصرة ولم تستطع اكتشافه.. فهذا نايف وزير الداخلية يجيب في مؤتمره الصحفي على سؤال: هل ان الجماعة التي اعتصمت في الحرم تنظيماً بقوله: (انا كما قلت.. التحقيق بدأ الآن، وما ظهر لنا حتى الآن هو ان التنظيم خاص بهم، ولكن هذا لايمنع ان نكتشف اشياء في المستقبل)[4] وقد اكتشفت الوزير بعدئذ ان القول بان هناك تنظيم غير مفيد له، ولذا كذب اكتشافه الاول حينما قال للطلبة في جامعة الرياض ـ الملك سعود ـ: (لم يكن للمعتدين على الحرم تنظيم أو تدريب.. وكل ما هنالك ان مجموعة من الأشخاص لايزيد عددهم عن أصابع اليد اتفقوا على ان يدخلوا الحرم واجتمعوا في فترة قصيرة)[5]!!

لايوجد تنظيم!،

لايوجد تدريب!،

الجماعة مجموعة أفراد لاتزيد عن أصابع اليد!

---

[1] ـ المصدر السابق.

[2] ـ صحيفة ديلي تلغراف 27/12/1979م.

[3] ـ الحوادث 18/1/1980م.

[4] ـ المدينة 5/12/1979م.

[5] ـ الرياض 9/1/1980م.

هذا هو تقييم آل سعود للجماعة وعملها.. ولهـذا اسـتغرقت عمليـة قتلهـم وانهائهم حوالي 15 يوماً من القتـال بأحـدث وسـائل السـلاح، وبمعاونـة مـن الأجانب!! فياله من كذب وخداع!

ومرة أخرى نفى نايف وجود تنظيم، وذلك في مقابلة له مع جريدة السفير اللبنانية[1]حيث سأله رئيس التحرير (ألم يكن لهم تنظيم معين؟ الم تكـن لهـم خلايا أو ما يشبه ذلك؟!).. (أجاب نايف): (لا.. من الصعب تسميتها بـــ "خلايـا" كل مافي الأمر ان بعض الأشخاص من البارزين فيهم، اتصلوا بأفراد هنـا وفـي مصر وباكستان وغيرها، فجاء هؤلاء لأداء العمـرة، وتـم التلاقـي بينهـم، وبقـوا حتى موسم الحج، من غيـر ان يعـرف الكـثير منهـم بـأمر البيعـة الـتي قررتهـا مجموعة الأشخاص الستة)

ان شرح نايف، وسير العملية، يوضح بجلاء انه كان هناك تنظيـم، وإلا فـإن الفوضى لاتنتج عملاً كالذي حدث في الحرم.. ومادامت هنـاك قيـادة، ومـادام هناك فكر معين يوحد القاعدة، ومادام هناك اتصالات علـى مسـتوى القاعـدة، وعلـى مسـتوى القمـة، ليـس فـي البلاد السـعودية فحسـب بـل فـي البلـدان الاسلامية الأخـرى، ومـادامت هنـاك مقـرات خاصـة بهـم، واجتماعـات سـرية وتدريب علـى السـلاح.. الا يعنـي كـل هـذا ان هنـاك تنظيمـاً؟!.. وإلا فمـا هـو التنظيم اذن؟!

صحيح ان جهيمان يتذمر من مسميات "التنظيـم" المتعـارف عليـه، وكـان يكتب بما معناه: اننا وجدنا كل شيء مخطط منذ عهد رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وآله وسلم.. ربما بسبب اشكالاته على قضايا التحزب الأعمى، لكنه كـان (عملياً) يمارس العمل المنظم، في تحركه ودعوته ونشاطه وقد اتخذ اسـلوب العمل السري وشرح سبب اقدامه على ذلك كما أوضحنا ذلك في موقع سابق من الكتاب.

ومرة ثالثة ينفي نايف في مؤتمره الصحفي 16/1/1980م وجـود تنظيـم، لكنه وفي ذات التصريح يوحي بوجوده، أي انه (موجود وغيـر موجـود).. يقـول نايف: (التنظيم ليس تنظيماً بمفهوم التنظيم المعروف.. انمـا هنـاك اتصـالات واجتماعات حدثت من قبل، محـدودة ومعروفـة لـدى السـلطات المختصـة)!، وهكذا فكل شيء معروف ومكشوف لـدى أجهـزة الأمـن الـتي لا تسـتطيع ان تحدد بالضبط هل هناك تنظيم أم لا؟ فضلاً عن اكتشـافه واكتشـاف خططـه.. فأي علم ومعرفة هذه التي يزعمها نايف، وزير القمع السعودي؟!

وللرد على ما قاله نايف، نترك الشيخ حمود بن صالح العقيل، الداعية فـي دار الدعوة والافتاء والارشاد، ليشرح توقعات الدولـة والمشـايخ تجـاه جماعـة الاخوان.. يقول العقيل: (ان الذين راقبوها ـ أي اجهزة الاستخبارات ــ لـم يعلمـوا فـي أي زمـان ومكـان وبـأي اسـلوب سـينفذون مخططـاتهم)، وهـذا التصريح اكثر من كاف لمعرفة قوة اجهزة الأمن السعودية!

ان آل سعود كـثيراً مـا يزعمـون ان جماعـة جهيمـان مكشـوفة ومعروفـة لديهم، وان افرادها بما فيهم جهيمان قد اعتقل، منها قول نايف: (قبضـنا علـى البعض منهم قبل الحج، وتبين ان مجموعة لا يتعدى عددها الستة أشـخاص قـد

---

[1] ـ السفير 10/1/1980م.

اجتمعت عند واحد منهم، وقررت ان محمد بن عبد الله القرشي أو القحطاني أو التركي تنطبق عليه صفات المهدي المنتظر)[1].

وقال نايف لطلاب الجامعة ـ الملك سعود ــ: (ان المعتدين على حرمة البيت كانوا معروفين لدى أجهزة الأمن وقد سبق ان أوقفوا وقبض عليهم.. اننا كمسؤولين كنا عندما نوقف أحداً منهم نجد من يقول: أن ليس وراءهم أي شيء)[2].

وقال في موقع آخر: (ان تحركات المجموعة التي قامت بالحادث لم تكن خافية على اجهزة الأمن ابداً.. والدليل ان من بين المهاجمين من كان مقبوض عليه قبل الحادث وافرج عنه نتيجة تعهدات اعطاها أو اعطاها من كفله)[3].

وسأل سليم اللوزي نايف: (يروى انكم حاولتم القبض على السيد جهيمان العتيبي، فلم تستطيعوا الامساك به). فرد الأخير: (قبضنا عليه من قبل وتدخل بعض رجال الدين فأفرجنا عنه وعن رفاقه)[4].

ان كل هذه الأقوال تدل على أمرين:

الأول: ما ان حكاية القبض مبالغ فيها، لاظهار اقتدار القوة الأمنية.

والثاني: واما ان الأجهزة الأمنية لا تعي ولا تفهم ولا تدري ماذا تخبؤه هذه المجموعة أو الأفراد المعتقلين..

اذ ليس اعتقال افراد قبل الحادثة دليل كفاءة.. فهذا الأمر يحدث مراراً وتكراراً، اثناء صدام المعارضة مع السلطة.

وانما المهم، هو لماذا اطلقت السلطة سراحهم؟!

ـ هل كان ذلك استجابة لضغوط رجال الدين؟

ـ أم لأن السلطة الأمنية لم تعتبرهم يشكلون خطراً عليها، نظراً لأنها لم تحصل على أية معلومات عن نشاطاتهم القادمة؟!

ربما يكون الجواب هو الاثنين معاً..

لكن من المؤكد ان السلطة لو علمت بنيتهم وخططهم لم تفرج عنهم حتى لو تدخل رجال الدين.. فحين يكون الأمر متعلقاً بعمل ضخم لاسقاط النظام، فإنها لاتتهاون في الأمر بالطبع.

ان الشيء المؤكد الذي اوضحته حادثة الحرم، هو ان جهاز الأمن السعودي ضعيف، بدليل وقوع الحادث الذي اخذ آل سعود على حين غرة.. وان كيان النظام السعودي بكل قواعده في وضع منحط ومتخلف إلى أبعد الحدود.

هناك عشرات الاسئلة لاتزال تبحث عن جواب: اين تدرب أفراد المجموعة، ومن اين لهم السلاح؟! ولماذا لم تكتشف السلطة مواقع التدريب التي استخدمت في داخل البلاد؟ وكيف عجزت هذه الأجهزة عن كشف التسريب الكبير للسلاح من مخازن الحرس الوطني؟!.

ان هذه الاستفهامات، هي أهم ما كان يشغل بال آل سعود.. يوضح ذلك ما ذكره صديق آل سعود سليم اللوزي بقوله: (والأسئلة التي يطرحها

---

[1] ـ السفير 10/1/1980م.

[2] ـ جريدة اليوم السعودية 9/1/1980م.

[3] ـ المصدر السابق.

[4] ـ الحوادث 18/1/1980م.

المسؤولون عن الأمن في السعودية لاتتعلق بهويات هؤلاء الأشخاص، بقدر ما تتعلق بالجهة الـتي دربتهـم أو اسـتخدمتهم أو امنـت لهـم السـلاح).[1] وقـالت الدستور الأردنية بهذا الصدد (ان علامة الاستفهام الكبرى المرتسمة الآن فـي السعودية والتي يتركز التحقيق مع المعتقلين حولها هي من ايـن حصـل افـراد هذه الجماعة على الأسلحة والتدريب على استخدامها)[2]...

لقد أوضح آل سعود عجزهم وفشـلهم، هـذا الفشـل هـو الـذي دعـا نـايف ليعترف بأنه كان يحاول القبض على المرحوم جهيمان ففشل في ذلـك: (بعـد ان تلقينا معلومات عن تصاعد نشاطاتهم وتحركاتهم، حاولنا القاء القبض على جهيمان، باعتباره احد رؤوس جماعة الاخوان، ولكنه كـان يختفـي وينتقـل مـن مكان إلى مكان)[3].

وعلقت صحيفة الغارديان على فشل الأمـن السـعودي: (ان مـن الصـعب قبول هذه الأسباب لتفسير فشل سلطات الأمن في القبـض علـى محمـد بـن عبد الله قبل بداية القرن الاسلامي الجديد، مع انه كان معروفاً لدى السلطات منذ ان كان متزمتاً في مكة، وسبق ان اعتقل بتهمة معارضته للوهـابيين. كمـا كانت السلطات على علم بمؤلفات السيد جهيمان بن سيف العتيبي، وهو احـد أفراد الحرس الوطني، واحد أفراد قبيلة عتيبة)[4].

وبسبب هذا العجز والفشل، راح الجميع يرثي لحال آل سعود..

* فمجلة نيوزويك[5] كتبت تحت عنوان (خليج المخـاوف والهمـوم) مقـالاً جاء فيه: (ان دول الخليج كلها، تنظر إلى السعودية على انها القوة الاقتصـادية والعسكرية الرئيسية فـي المنطقـة، ولكـن هـذه الـدول قلقـة، ولا سـيما بعـد الهجوم الذي تعرض له البيت الحرام، مـن احتمـال ان يفقـد حكـام السـعودية سلطانهم. وقد صرح احد زعماء الخليج قائلاً: "ان العائلة المالكة فقدت سبل اتصالها بالشعب، اذ لاوجـود للمؤسسـات السياسـية، والـثروة موزعـة بشـكل سيء، فهناك فقر مدقع ازاء طاقة هائلة على الاستهلاك)..

* وسبق لمجلة نيوزويـك ان قـالت: (للمـرة الأولـى منـذ تأسـيس الـبيت السعودي، تهتز اركانه.. وان آل سعود ميتون فزعًا)[6]..

واكملت: (هذه الأزمة ــ حادثـة الحـرم ــ حطمـت ثقـة العائلـة المالكـة) واضافت: (في تقرير أمريكي سري ورد التحذير التـالي: لايمكـن ضـمان بقـاء النظام ـ السعودي ـ بعد السنتين القادمتين.. ويقول موظف رسمي فـي دولـة مجاورة من دول الخليج: "لقد كشف ما حدث فـي مكـة خرافـة امـن العربيـة السعودية، واظهر بوضوح هشاشة النظام"..)[7]

وبسبب فشل الجهاز الأمني السعودي طهـر بشـكل واسـع، او كمـا قـالت النيوزويك: (طهر جهاز الأمن كلياً في البلاد).[8]

---

[1] ـ الحوادث 7/12/1979م.
[2] ـ الدستور 30/11/1979م.
[3] ـ الحوادث 18/1/1980م.
[4] ـ الغارديان 4/12/1980م.
[5] ـ نيوزويك 3/3/1980م.
[6] ـ نيوزيوك 3/3/1980م.
[7] ـ المصدر السابق.
[8] ـ المصدر السابق.

ومهما يكن من أمـر، فـإن انتفاضـتي الحـرم والمنطقـة الشـرقية، وضـعتا النظام السعودي في موقعه الذي ينبغي ان يظهر به، واثبتنا بما لا يقبل الشـك مدى هشاشته وضعفه، وان نغمة الأمن والاستقرار لـن تجـد مـن يعزفهـا، وان عزفت، فإنها ستكون صوت نشاز ليس الا!

رابعاً

الولاء للشعب وليس للنظام..

اظهرت حادثة الحرم بوضوح مدى ارتباط الجنود وخاصة الحرس الـوطني بالسلطة، فقد ثبت ان ولاء الجنود للشعب اكـثر مـن ولائهـم للسـلطة، خاصـة وان اغلب المجندين يرتبطون بروابط قبليـة وعائليـة وعاطفيـة مـع قطاعـات شعبية واسعة، ليست بالضرورة موالية للنظام..

وهذا الـولاء المتضعضـع للسـلطة، يفسـر سـبب تـردد كـثير مـن الضـباط والجنود، في الاشتراك في عملية قمع الاخوان.. وبالطبع فإن من هـؤلاء، احـد قيادة الريـاض الجويـة الـذي قـال: (لـن ادع جنـودي يقتلـون مـن اجـل امـراء مرتشين وفاسقين).[1]

واشارت مجلة نيوزويك إلى التمرد في صفوف الحـرس الـوطني بقولهـا: (ان هناك تقارير تشير إلى انه اثناء الهجوم المضـاد الـذي قـامت بـه الحكومـة على المسجد، فإن عدداً كبيراً من أفراد الحرس الوطني انضموا إلى صـفوف المتمردين، أو رفضوا فتح النار عليهم مما جعل القادة العسكريين السـعوديين يطلبـون النجـدة مـن وحـدات عسـكرية للقضـاء علـى الـذين اسـتولوا علـى المسجد)[2].

وعلقت صحيفة الغارديان على انفراط ولاء الحرس الـوطني، وعـدم ثقـة آل سعود به قائلة: (والأمر المقلق في حادث حصار مكـة بالنسـبة لآل سـعود، هو وجود أفـراد مـن الحـرس الـوطني بيـن زمـرة المتمرديـن. فـإذا كـان ولاء الحرس الوطني، الذي يقوده الأمير عبد الله، والذي يعمل بصورة مستقلة عن الجيش محل شك، فإن استقرار المملكة معرض للخطر)[3].

والسؤال المطـروح، مـا هـي أسـباب أزمـة الثقـة بيـن القـوات المسـلحة السعودية، وبيـن الأسـرة المالكـة؟ فـإذا كـان اخلـص هـذه القـوات (الحـرس الوطني) قد تمرد واصبح مشكوكاً في ولائه، فماذا بقي للنظام السعودي مـن معتمد يعتمد عليه؟!

يمكننا ارجاع اسباب ازمة الثقة والولاء هذه إلى الأمور التالية:

1/ الاحساس العام بفسـاد النظـام، وامتـداده داخـل القـوات المسـلحة، ففضائح الأسرة المالكـة وفسـوقها وفجورهـا أكـبر مـن ان تختفـي عـن اعيـن الناظرين، وسمع السامعين.. ولأن فرق الجيـش، والقـوات المسـلحة بشـكل عام، لاتعتبر معزولة عـن الشـعب، فإنهـا تتـأثر بشـكل كـبير بمـا يجـري خـارج المعسكرات، وما يتناقله الناس من امور.. ولذا فإن الجنود لا يكنون ولاءاً ثابتاً للعائلة المالكة، وبالتالي فهم غيـر مسـتعدين لمواجهـة انتفاضـة كـبيرة كـالتي

---

[1] ـ دير شبيغل 10/12/1979م.
[2] ـ نيوزيوك 17/12/1979م.
[3] ـ الغارديان 6/1/1980م.

وقعت في مكة، والتي لها قواعد شعبية تؤيدها، وتشترك معها ومع الجيش في الاحساس بفساد النظام في مختلف المجالات.. نعم، قد لا يجد بعض الجنود حرجاً من مقاومة انتفاضة صغيرة ومحدودة التأثير، اما مواجهة ما وقع في مكة، بتوسيع عمليات القمع لفئات شعبية عديدة، فإنه لا يخلو من مخاطر.. وأول هذه المخاطر، تمرد الجنود أنفسهم، هؤلاء الذين يشعرون بأن المطلوب منهم حماية آل سعود، وليس حماية المواطنين.

2/ من الواضح ان هناك تغلغلاً كبيراً للاخوان في صفوف الحرس الوطني بالذات، وقد ساعد هذا على احياء روح التمرد ورفض الأوامر، وعدم الاشتراك في القتال.. مع العلم ان العديد منهم التحق بالاخوان داخل الحرم!

3/ من المعلوم ان الحرس الوطني يعتمد على العناصر البشرية القبلية، وفق تنظيم خاص، ولأن جماعة جهيمان ضمت عناصر عديدة من اقوى القبائل التي تشكل العمود الفقري للحرس الوطني، كقبيلة عتيبة وقحطان، لهذا كان من الطبيعي ان يتعاطف معهم الضباط والجنود الذين ينتمون لهذه القبائل.

4/ لقد بدأ واضحاً للجنود، ان آل سعود هم الذين يريدون دخول الحرم والبدء بالقتال.. وهذا يعني انتهاك مقدسات المسلمين من أجل حماية العرش السعودي، وهو مارفضه آلاف من الجنود، كما أوضحنا.

فأي جندي مسلم ملتزم يقبل بأن يقود دبابته ليحطم صوامع الحرم ويدخل حتى المطاف، ثم يقذف بالحمم النارية المنائر والممرات والسرادق والأقبية؟! واي انسان هذا الذي يقبل بقيادة طائرته ليصب نيرانه على الكعبة؟!

ان هذا الفعل القبيح اثار الجنود، خاصة وان آل سعود راحوا يفاخرون بتحطيم بوابات الحرم وهدم جدرانه.. ومن هذه المفاخرات ماقاله احد وعاظ السلاطين الذي حمد الله ان الدبابات وصلت إلى المطاف، أي على بعد بضعة امتار من الكعبة.. يقول (استطاعت القوات والحمد لله بواسطة مدفعيتها ان تفتح بعض أبواب الحرم من بعيد، وان تدخل معها الدبابات التي نزلت في المسجد حتى وصلت المطاف، وان تطلق النار من الداخل على هؤلاء المجرمين.. نقلت المعركة معهم إلى الداخل بالاضافة إلى الخارج)[1]. وتغطية على هذه الجريمة الشنعاء اصدر فهد (أوامره بتغيير ارضية الحرم المكي الشريف، بأرضية من افخم وارقى انواع المرمر، وذلك على نفقته الخاصة، مساهمة منه في اعمار المسجد الحرام)[2] متناسياً هذا (الفهد) أنه هو الذي أمر بتدمير الحرم وتكسيره وهتك حرمته من أجل القضاء على المعارضين له!

5/ ان تعامل آل سعود مع القوات العسكرية في وقت السلم، تعامل ينم على عدم الثقة مطلقاً.. بل ان تخطيط آل سعود الاستراتيجي يدخل في حسابه تمرد القوات، هذا في وقت السلم، فكيف سيكون الحال في وقت الحرب؟!

ـ في وقت السلم يسيطر الأجانب على كل القطاعات والقواعد العسكرية، ولهم الكلمة الأولى في كل شأن عدا الأمور الادارية فإنها توكل إلى قائد القاعدة الرسمي من المواطنين، أو من آل سعود؟

---

1 ـ الرياض 4/12/1979م.
2 ـ الرياض 12/12/1979م.

ـ وفي وقت السلم، يستعين آل سعود بالقوات الأجنبية!
ـ وفي وقت السلم يخطط آل سعود استراتيجياً على أساس تشتيت القوات، حيث حرصوا على تباعد الفرق العسكرية لتجنب التنسيق فيما بينها في حالة الأزمات، تخوفاً من تدبير انقلاب عسكري.. ويعلق وزير الدفاع الاسرائيلي السابق (ايتان) على هذه الحقيقة معرباً بأن استنفار القوات المسلحة السعودية مستحيلاً في فترة محدودة، بسبب تباعد التشكيلات عن بعضها من ناحية الموقع وغياب التنسيق بينها.

وبديهي ان من لايثق في قواته، لا تثق فيه هي الأخرى.. ومن مظاهرة عدم ثقة النظام السعودي بقواته، انه استخدام الخبرات الأجنبية لقيادة عمليات السيطرة على الحرم، ووضع الجنود السعوديين تحت امرتها مما زاد من أزمة الثقة.. و(زاد الطين بلة) ان جرد آل سعود ضباط الوحدات الآلية من الحرس، الذين كانوا محيطين بموقع الانتفاضة من ضباطهم الأهليين، وعين ضباطاً آخرين من الجيش، الأمر الذي سبب في امتناع افراد عن الحرس من تلقي الأوامر من هؤلاء الضباط الجدد.. وقد خلقت عدم معرفة هؤلاء الضباط بإسلوب توجيه افراد الحرس، بسبب اختلاف طبيعة الأوامر، وغياب الثقة المتبادلة بين الحرس والجيش مشاكل اضافية.

إن ما يريده النظام من الجيش والحرس الوطني، ليس محاربة عدو خارجي، وانما تنحصر مهامها بدرجة كبيرة في عمليات القمع الداخلي، إلا ان تجربة الحرم اثبتت ان قدرة القوات المسلحة حتى في مثل هذه المناسبات محدودة.. واهم سبب في محدوديتها، فقدان ثقتها بآل سعود!

خامساً

تعرية النظام من العباءة الدينية:

احدثت انتفاضة الحرم اصطداماً مباشراً بين منطق الحكم السعودي الذي يجد تربته في المذهب الوهابي، وبين ممارسات العائلة المالكة المنافية لمنطق هذا المذهب، ومختلف المذاهب والاتجاهات الدينية..

لقد جاءت الانتفاضة لتضع حداً بين سياستين ونمطين في العلاقات، والممارسات، حد الاسلام من جهة، وحد البترول والدولار من جهة أخرى، وضمن هذا الحد يمكن القول ان الانتفاضة جاءت لتكشف العلاقة التي نسجتها الأسرة الحاكمة منذ سنوات بين الاسلام والسياسة الأمريكية في المنطقة.[1]

فكما هو معروف، ان النظام السعودي يعتمد في تحركه السياسي الخارجي وتسلطه الداخلي، على قاعدتين رئيسيتين:

أموال البترول..

والمكانة الروحية..

فبالاضافة إلى أموال البترول التي ساعدت النظام على النفوذ إلى كثير من الحكومات ومد خطوطه فيها، فقد ساهمت المكانة الروحية للبلاد، باعتبارها أرض الحرمين ومركزاً هاماً من مراكز التعليم الديني في العالم الاسلامي، على اعطاء النظام بعداً روحياً ساهم في جلب ولاء كثير من المفكرين والشعوب الاسلامية اليه، وقد ادرك النظام اهمية الموقع الذي

[1] ـ السفير 5/12/1979م.

يسيطر عليه اسلامياً، فركز على دور الاسلام في سياسته، واظهر المسؤولون السعوديون اهتماماً كبيراً بالمظاهر الاسلامية، مثل بناء المساجد في كل مكان من العالم، وتقديم تسهيلات للطلاب المسلمين للدراسة في جامعات اسلامية اسسها لهذا الغرض في داخل البلاد، مما اوجد إلى جانبه مجموعة كبيرة من فقهاء السلاطين الذين ينتشرون في ارجاء العالم الاسلامي، ويقدمون الدعم المعنوي للنظام والتبريرات الدينية لخطواته، حتى تلك المعادية للإسلام والمسلمين.

إذن، فإن احدى مقومات وجود النظام هي وجود الأماكن المقدسة في الأراضي التي يسيطر عليها، ومناداته بالشعارات الاسلامية، ووجود طبقة من فقهاء السلاطين الذين يدعمون استقراره ويوفرون له غطاءاً اسلامياً، وتلك هي القاعدة الثانية لقوة النظام كما اسلفنا، هذه القاعدة انهارت الآن تقريباً، وبدأ النظام يصطدم فعلياً مع الحركات الاسلامية، بعد ان اصطدم فعلياً مع الجماهير الاسلامية عدة مرات، فبعد انتفاضة الحرم قام النظام بالقبض على (88) ألفاً من المسلمين غير السعوديين المقيمين في الحرمين وتم ترحيلهم بطريقة غاية في القسوة والرجعية.

ومن طريف ما يذكر هنا ان وزير الأوقاف عبد الوهاب عبد الواسع قد استدعى امانة الندوة العالمية للشباب المسلم، وهم مجموعة من العلماء والمفكرين، وعاتبهم بقوة لأنهم فشلوا في احتواء الشباب المسلم وابعاده عن الحركات الثورية الاسلامية، رغم الأموال الضخمة التي ترصد لهذه المنظمة، والتي بلغت في أواخر السبعينات الميلادية اكثر من (40) مليون ريال سنوياً.

لقد كان من ابرز نتائج انتفاضة الحرم، وضع آل سعود في موضعهم الحقيقي بتعريتهم من العباءة الاسلامية، التي كانوا يتخفون وراءها ويمارسون اجرامهم وفحشهم وسلوكهم المعادي للإسلام.. ان السلطة السعودية عارية الآن من هذه العباءة، فأني توجهت إلى أي بلد في العالم العربي والاسلامي، تجد تياراً جماهيرياً عريضاً معاد بعنف لآل سعود، ويعتبرهم اخطر عدو داخلي يهدد المسلمين، لأنهم يمارسون كل اجرامهم بإسم الاسلام والقرآن.

والآن ماذا عسى آل سعود يقولوا؟

فالانتفاضة كانت بإسم الاسلام ودفاعاً عنه، ولأن آل سعود تجاوزوا قيم الاسلام وحاكميته، خاصة وان اكثر من 80% من أعضاء جماعة الاخوان هم من طلبة الجامعات الاسلامية، فهم اذن اقرب إلى الاسلام من آل سعود.

كان النظام يحاول ان يخرج وعاظاً يهتفون له، ويبررون فسقه وفجوره، ونسي ان الاسلام اكبر من استغلال الحكام.. وان الشعارات الدينية المصلحية لايمكن ان تعمي عيون الناس عن الواقع الفاسد المغاير كلية للدين ومفاهيمه.. ولهذا جاءت الطعنة قوية لآل سعود.. فمن المدارس والجامعات الاسلامية انطلق الرفض لتجيير الدين، ومن مدارس السلطة انطلقت اصوات المعارضة والتنديد، وهكذا انقلب سحر آل سعود عليهم.

فقد أرادوا ضرب الاسلام بإسم الاسلام، وابى الله الا ان يبدي لهم سوء فعلهم، فجاء الاسلام نكالاً عليهم، وسيكون في المستقبل بإذن الله.

في أحد التصريحات، قال سلمان أمير الرياض، ان جماعة الاخوان ارادت ضرب الاسلام بإسم الاسلام بالتعاون مع اعداء الاسلام و متغافلاً عن انه هو

واخوانه ينطبق عليهم هذا القول دون غيرهم.. لقد قـال: (لقـد عجـزت جميـع المبادئ الهدامة والمستوردة التي عبثت بكثير من امن واستقرار دول الشرق الأوسط والعالم النامي بصفة عامة، فأرادوا غزونا من معقـل قوتنـا، اذ لا أجـد مبرراً لتصرفهم ـ أي لتصرف جماعة الاخوان ـ الا ان يكون اعـداء الاسـلام قـد غسلوا افكـار هـؤلاء، ليكونـوا وسـيلة تـدمير وتخريـب)[1] ولعمـري هـل شـوه الاسلام واضر المسلمين غير آل سعود؟!

وحول استغلال آل سعود للدين وانهمه لا يلـتزمون بـه، وكيـف ان النظـام جاءه الخطر من المتدينين.. تقول صحيفة الفايننشيال تايمز[2]:

(ان وجود رجال مسلحين في الأسبوع الماضي فـي احـد المسـاجد خـارج الرياض، هو دليل واحد يشير الى ان العائلة السعودية تعترف علنا بوجود تهديد من الدعوة الدينية.. واهم من ذلك فإن الهجوم على مكة يشير إلـى ان ادعـاء العائلة والمؤسسة الدينية بحق الحفاظ على مفاتيح الاسلام الطـاهر والصـالح قد تزعزع).. فالصحيفة هنا تشير إلى ان الحراسات المشددة علـى المسـاجد ووضع الجنود المسلحين على البوابات من اهم الأدلة علـى أن الـدين لـم يعـد وسـيلة للعـب علـى النـاس والضـحك علـى ذقـونهم، بـل ان هـؤلاء المصـلين المتدينين يشكلون خطراً على الحكم السعودي..

وتستعرض الصحيفة قول موظف سعودي كبير: (ان اهم الأشخاص الـذين شاركوا في التمرد كانوا من جامعة مكـة والجامعـات الأخـرى، وهـم متـأثرون بالأفكار الدينية الاصلاحية المنتشرة في العالم الاسـلامي) وتضـيف الصـحيفة: (في الوقت الذي اخذت فيه الحكومة على عاتقها تعليم علماء الـدين الأجـانب على نشر المذهب الوهابي في الخارج، وكذلك تعليم مواطنيها، فإنها تعرضـت إلى المخاطر المتأتية من الطلاب)[3]. وهكذا تنقلـب المعادلـة فـي غيـر صـالح الحكم السعودي المتاجر بالدين، الذي اضطر كما تقول الصحيفة إلى أن تتخـذ وزارة التخطيط (قرارين هامين هـذا العـام، فالمبـالغ المخصصـة فـي الخطـة القادمة للجـامعتين الاسـلاميتين قـد خفضـت مـن 40% مـن المجموعـة إلـى 10% كما ان خطة بناء مايستوعب 23 ألـف طالبـاً بكلفـة 4 بلاييـن دولار قـد اجلت)..

وهـذا ان دل فانمايـدل علـى خـوف آل سـعود مـن الصـحوة الاسـلامية المعارضة لهم، وان همهم هو القضاء على هذه الظاهرة! وفي الأخيـر تخلـص الصحيفة إلى هذه النتيجـة: (ان الأحـداث الـتي عرفتهـا السـعودية فـي الأونـة الأخيرة قد غيرت من الأفكار المكونة عن السعوديين.. ومن تلك الأفكار الـتي تغيرت مقولة ان هناك اتفاقاً جماعيـاً فـي الـرأي بيـن القبائـل خـارج العائلـة السعودية، حول تأييـد أسـلاف هـذه العائلـة، الـتي أسسـت الحكومـة الأولـى، بالتحالف مع المصلح محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر)[4].

ونقلـت جريـدة (المحـرر) المغربيـة عـن صـحيفة (نوفيـل اوبزرفـاتور) ملاحظاتها حول استثمار آل سعود للدين، وكيف انقلبت المؤسسة الدينية ضـد آل سعود بالقول: (مورس بإسم الدين والثقافة الدينية تعطيـل كامـل للـوعي

---

[1] ـ الرياض 9/12/1979م.
[2] ـ الفايننشيال تايمز 7/12/1979م.
[3] ـ المصدر السابق.
[4] ـ المصدر السابق.

والعمل الثقافي في المدارس والجامعات، لكن هذا الاتجاه، الذي كان الهـدف منه تدعيم النظام ايدولوجيا، حمل في ذاتـه بـذور تناقضـه، بمعنـى ان الـوعي الديني مالبث ان اصطدام بالنمو الرأسمالي التابع، مع م ا يصـاحبه مـن فسـاد وتبذير واسراف، ووجدت الدعوة الدينية إلى التقشف نفسها في مواجهـة مـع كل مالا يمت إلى التقشف بصلة)[1].

كما نسبت ذات الجريدة إلى صحيفة (لومتان دوبـاري) قولهـا: (ان هيكـل نظام المملكة السعودية هو بناء حديث قائم علـى مجموعـة مـن قبائـل البـدو العربية، جمعها في النصف الأول من هذا القرن عبـد العزيـز ابـن سـعود. وإذا كانت هذه القبائل قد بايعت عبد العزيز، فإن ذلك لم يتم إلا تحت شروط: هـي حماية الدولة للمقدسات الاسلامية، ولطرق الحـج، وضـمان امـن وحريـة زوار الـديار الاسـلامية بمـا فيهـا المسـجد الأقصـى. وإذا كـان أفـراد المنظمـة "أي الاخوان" التي احتلت الحرم المكي ينتمون إلى مختلف القبائـل العربيـة الـتي بايعت مؤسس النظام السعودي، وعرضوا انفسهم للموت المحقق، فإن ذلـك يعني ان الأسرة المالكة السعودية خرجت عن شروط العهد الذي التزمت بـه، واخلت بالشريعة الاسلامية التي توصي بمحاربة المعتدين وحلفائهم، اسـرائيل التي احتلت بيت المقدس، وامريكا حليفها الأكبر)[2].

أما مجلة نيوزويك، فتصور ردة الفعل الدينيـة، حـتى مـن جـانب المؤيـدين للسلطة بالشكل التالي: (في مواجهة التغييرات التي تحدث من حـولهم، قـام الوهابيون اليقظون والكثيرو المحافظة، بثورة صغيرة لحماية القيـم القديمـة. فقد نزحـت ميـاه مسـابح الفنـادق لمنـع الاسـتحمام المختلـط، وانـتزع طعـام الكلاب المعلب من رفوف المخازن الكبرى، نظراً لان الكلاب دنسة. وصـفيت الدمى من مخازن اللعب لأنهـا وثنيـة، وحرمـت الحكومـة ــ اضـطراراً ــ علـى النساء الغربيات العمل في وظائف تتيح لهن الاختلاط بـالجنس الآخـر. واقتيـد معارضوا العائلة المالكة إلـى المسـاجد لكـي يـدينوا الفسـاد والماديـة وسـوء التدبير في المناصب العالية)[3].

وهكذا يكون النظام السعودي قد كشف علـى حقيقتـه، وانـتزعت العبـاءة الدينية الـتي سـترت عـورته وفسـاده، وتـبين للمسـلمين ان الاسـلام لايمكـن المتاجرة به وخداع الناس على الدوام.

(سادساً)

الانتفاضة تحدث تغييرات اساسية في السلطة

بعد انتفاضة الحرم مباشرة، اقدم النظام على خطوات تغييرية واسعة في كافة الميادين السياسية والعسكرية والأمنية.. وذلك بعد الفشل الـذريع الـذي مني به والهزائم التي لحقت به بفعل الانتفاضة.

فعلى الصعيد السياسي تم مايلي:

---

[1] ـ المحرر المغربية 15/12/1979م.
[2] ـ المصدر السابق.
[3] ـ نيوزويك 3/3/1980م.

1/ اقالة الأمير فواز بـن عبـد العزيـز مـن امـارة مكـة.. نظـراً لأن سـهام الاخوان كانت موجهة اليه بدرجة كبيرة، باعتباره يمارس الفجـور والمحرمـات بشكل علني، مما ادى إلى سخط الاهالي واشمئزازهم.

2/ اقالة الأمير ماجد بن عبـد العزيـز مـن وزارة البلـديات، وتعيينـه اميـراً لمنطقة مكة المكرمة..

3/ تسليم وزارة البلديات إلى الأمير متعب بن عبد العزيز وزيـر الاسـكان، وبعد مدة عهد لإبراهيـم العنقـري (مـدير مكتـب فهـد يـوم كـان الأخيـر وزيـراً للداخلية) بتولي وزارة البلديات والشؤون القروية.

4/ اقالة أمير حائل، وتعيين احد أفراد الأسرة المالكة مكـانه، وهـو الأميـر عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود.

5/ اقالة أمير القصيم، وتعيين أحد أفراد الأسرة المالكة مكانه، وهو الأمير عبد الاله بن عبد العزيز آل سعود.

وعلـى الصـعيد العسـكري والأمنـي، حـدثت تغييـرات اكـبر وفـي مختلـف المواقع:

1/ اصدر الملك خالد امـراً ملكيـاً برقـم (1/64) وبتاريـخ 12/2/1400هــ بإنهاء خدمة الفريق أسعد عبد العزيز الزهير، قائد السلاح الجوي، ويحال علـى التقاعد.

2/ اصدر الملك خالد أمـراً ملكيـاً برقـم (1/65) وبتاريـخ 12/2/1400هــ بتعيين الفريق أسعد عبد العزيز الزهير، بمرتبة سفير في وزارة الخارجية.

3/ أصدر الملك خالد أمـراً ملكيـاً برقـم (1/66) وبتاريـخ 12/2/1400هــ بانهاء خدمـة الفريـق علـي ماجـد القبـاني، قائـد القـوات البريـة ويحـال علـى التقاعد.

4/ أصدر الملك خالد أمـراً ملكيـاً برقـم (1/67) وبتاريـخ 12/2/1400هــ بتعيين الفريق علي ماجد القباني بمرتبة سفير بوزارة الخارجية.

5/ في 21/12/1979م، أصدر الملك خالد أمراً بإقالة مدير عام مؤسسة الخطوط السعودية عبد الله مهدي..

6/ أصدر الملك خالد أمراً برقـم (1/68) وبتاريـخ 12/2/1400هــ بتعييـن الشيخ أحمد خليفة مطر، مديراً عامـاً لمؤسسـة الخطـوط الجويـة السـعودية بالمرتبة الممتازة.

7/ في 21/12/1979م أقيل رئيس هيئة الأركان العامة للجيش السعودي الفريق أول عثمان الحميد من منصبه، وعين في منصب هامشي هو (مسـاعد وزير الدفاع والطيران) برتبة وزير!!

8/ صدر أمر ملكي بتاريـخ 14/2/1400هــ يقضـي بتعييـن الفريـق محمـد الصالح الحماد رئيساً لهيئة الأركان العامة.

9/ وصدر أمر آخر في نفس اليوم، يقضي بنقل اللواء محمد بن منيع البلاع مساعد مدير عام سلاح الحدود، وتعيينه برتبته قائداً لقوات الأمن الخاصة.

10/ وقبل هذا الأمر صدر أمر آخر في نفس التاريـخ بنقـل الفريـق محمـد بن هلال قائد قوات الأمن الخاصة، وتعيينه برتبته مديراً عاماً لسلاح الحدود..

11/ واقيل مدير الأمن العـام الفريـق فـايز العـوفي بتاريـخ 1/1/1980م، واحيل على التقاعد وتعيينه مستشاراً في وزارة الخارجية!!

12/ بينما نقل الفريق أول عبد الله بن عبد الرحمن آل الشيخ، مـدير عـام سلاح الحدود، وعين مديراً للأمن العام بتاريخ 14/2/1400هـ.

هذه هي التغييرات السريعة على مستوى القمة، أما الضباط المتوسطون في المرتبة فإن المئات منهـم قـد اقيلـوا أو نقلـوا إلـى مواقـع أكـثر هامشـية، وسلمت اهم المناصب إلى الموالين لآل سعود أو لأمراء من العائلة المالكــة.. تماماً كما حدث بالنسبة للقيادة البرية والجوية، والتي عين لهما أميران من آل سعود.

ورغم ان هذه التغييرات ضخمة وهائلة ـ كما ترى ـ إلا أن آل سعود اصــروا على انها (بسيطة) و(لا علاقة لها بحادثة الحرم)؟!

يقول نايف وزير الداخلية: (اما التغييرات في المناصب العسـكرية، ففيمـا يخص وزارة الداخلية، ليس هنـاك تغييـرات وانمـا هـي تنقلات مـن جهـاز إلـى جهاز، وكانت مقررة من قبل، واما إذا كـان يقصـد بـذلك ماحصـل فـي وزارة الدفاع، فهي تقريباً نفس الشيء، ولم يكن لها علاقة بالحادث بتاتاً)[1]!!

(سابعاً)

تجرؤ المواطنين على النظام

في بلد يحكمه الإرهاب والعنف والخوف، تصبح قضية الطلقة الأولى مهمة جداً، لأن حاجز الخوف والهيبـة والرهبـة يتلاشـى بالضـربة الأولـى مـن قلـوب الجماهير.. وجماهيرنا التي اعلنت على مدار العقـود الماضـية رفضـها للحكـم السعودي، تحتاج بين الأونة والأخرى إلى كسر حـاجز الخـوف بعمليـة كـبيرة.. فمنذ عام 1969م وحتى عام 1979م عاشت الجماهير مرحلة مـن السـكون، بعد القمع الشديد الذي تعرضت له كافـة فصـائل القـوى الوطنيـة فـي مطلـع السبعينات مما أثار حالة من الرعب تكرست على مـدى سـنين فـي النفـوس، فأصبح الشرطي الحكومي الصغير مخيفاً إلى حد مهول..

ولكن انتفاضة المحرم في المنطقة الشرقية، والحرم في مكـة المكرمـة، وهـي اكـبر انتفاضـة فـي تاريـخ البلاد، دمـرت حـاجز الهيبـة، وحطمـت اغلال السكون، وقهرت الخوف، لان الجماهير شعرت بقوتها وبضعف النظـام، ففـي السابق كان مجرد الحديث عـن السياسـة أمـراً مخيفـاً، امـا الآن فـإن نقـد آل سعود والتعرض لهم في المجالس على أساس انهم رؤوس فساد البلد، اصبح حديث كل الناس..

وفي السابق كان مجرد اعتقال مواطن بسبب سياسـي، كـاف لأن يرهـب بقيـة المـواطنين، امـا الآن فـإن الاعتقـالات تتسـع والجمـاهير أعلنـت تحـديها للنظام بكل صراحة، وحتى داخل المعتقلات، وأصبح السجين السياسـي رمـزاً بين الجمهور..

ان الدماء التي سالت امام ناظر المـواطنين لـم تفـت فـي عضـدهم، بـل دفعتهم لمقاومة هذا الطـاغوت الجـاثم علـى صـدور ابنـاء الشـعب، واشـعلت فيهم روح الاصرار والجهاد حتى النفس الأخير.

ولاشك ان النظام يعرف اليوم امارات التحدي وعلامات الاصرار الايماني، ويعلم ان قمعه لايفيد في كبح انطلاق المارد الذي قيد بالخوف زمناً طويلاً.

---

[1] ـ من المؤتمر الصحفي الذي عقده نايف بتاريخ 15/1/1980م.

لقد نشأ جيل جديد لا تهزه العواصف ولاتزلزله القواصف، يعمل لله منتظراً احدى الحسنين، النصر أو الشهادة..

ان انتفاضة المحرم (في مكة والمنطقة الشرقية) كان فاتحة لأبواب المعارضة، لأن النظام صار صغيراً في اعين المواطنين، وقد انخلعت عباءة الهيبة الزائفة التي غزابها العقول والقلوب في فترة سابقة.

ولهذا نلاحظ ان الأحداث في تصاعد مستمر، وخلال السبع سنوات الماضية دلائل واضحة على تزايد النقمة، واشتعال بؤر الجهاد ضد الطاغوت السعودي، وهذا يعني ان الناس تجاوزوا مرحلة "التخويف" وتجاوزوا الهيبة المفروضة بالقوة والارهاب..

وعلامات التجرؤ على النظام كثيرة تجد نتائجها في الاعتقالات التي تتسع يوماً بعد يوم في صفوف ابناء الحركة الاسلامية. لقد بدأ الناس ينخرطون في صفوف المعارضة الاسلامية بعد ان انكشف النظام على حقيقته، وازدادت علامات الرفض في المنشورات السرية التي تتكاثر، والكتابات التي تزيد الحيطان والحمامات العامة والمدارس وكل مكان..

وبدأ العلماء يتحدثون عن الفساد بصراحة، ويهاجمون رؤوس الفساد، حتى في معقل النظام (نجد). وراح المثقفون يتناولون موضوعات اكثر حساسية من السابق، واشارات النقد تعلو وترتفع..

وحتى التجار ابدوا امتعاضهم من آل سعود وسياساتهم الهوجاء، والطلاب في المدارس والجامعات يؤكدون رفضهم، رغم الاعتقالات الشرسة التي تنال الكثير منهم.

فماذا يعني هذا؟

انه يعني بدء مرحلة جديدة من الصراع بين الجماهير المؤمنة، وبين النظام الفاسد..

انه يعني ان قاعدة المعارضة تتسع لتشمل فئات كانت مؤيدة للنظام، كرجال الدين، وبعض المثقفين والتجار..

انه يعني امتداد واسع للحركة الاسلامية..

كل القوى التي كانت محسوبة على النظام بدأت تراجع حساباتها، واول القوى رجال القبائل، والمؤسسة الدينية.

ومن المهم التأكيد هنا على ان انتفاضة الحرم، بقدر ما كشفت خواء النظام، واكاذيبه والاعيبه، فإنها بالقدر ذاته، فتحت الطريق امام الآخرين لفعل ذات الشيء..

لننظر إلى حجم التجرؤ على النظام:

ـ كانت البداية كتابات جهيمان ونقده اللاذع لآل سعود، واعتبارهم ليسوا حكاماً شرعيين.

ـ ثم جاءت المحاضرات والمناقشات العلنية في المساجد وغيرها.

ـ وبعدها حمل المعارضون السلاح ولأول مرة بهذا الحجم الذي تم.. ثم استمروا في المقاومة حتى النهاية؟

الا يعني هذا جرأة زائدة على آل سعود، الذين لا يتحدثون مع احد قبل ان يضع عشرات الالقاب قبل الاسم، سواء كان المتحدث صغيراً ام كبيراً؟!

ماذا يعني ظهور تنظيم مسلح وقوي في كل انحاء البلاد معاد بعنف لسلطة آل سعود؟

ماذا تعني مشاركة القبائل في هذا الأمر؟
وماذا يعني تعاطف العديد من رجال الدين مع مطالب الاخوان؟
وماذا يعني اشتراك الحرس الوطني والجيش في دعم الانتفاضة؟
بل اليس مهما مشاركة افراد من مختلف بلدان العالم الاسلامي؟!
أوليس نشوء تنظيمات اسلامية في مختلف المناطق (والنظام يعرف بوجودها) دليل على اتساع رقعة المعارضة وحجمها؟
الا يعني كل هذا ان نجم آل سعود قد افل وسيأفل إلى ان ينهار؟
لقد كانت حادثة الحرم ضربة معلم لهيبة آل سعود وجبروتهم، ومن هنا جاءت اهميتها.. ففي تقرير للمعهد الملكي البريطاني جاء فيه (ان حادث الاستيلاء على المسجد الحرام في نوفمبر 1979م لم يسبق له أي مثيل، من حيث كونه تحدياً لآل سعود، وتعتبر نتائجه اكثر خطورة حتى من اغتيال الملك فيصل)[1].

(ثامناً)

تفكك روابط القبائل بالحكم السعودي

من اهم نتائج انتفاضة الحرم، انها احدثت شرخاً عميقاً بين القبائل وآل سعود.. فالحكم السعودي يعتمد بدرجة كبيرة في استقراره على ولاء القبائل له.. وحدوث الانتفاضة وضع القبائل وجهاً لوجه مع آل سعود.. فهذه القبائل خاصة (عتيبة وقحطان) قدمت العشرات من الأفراد شهداء، ومئات المعتقلين، والقبلي لاينسى ابداً، وولاؤه لقبيلته اكبر واوثق من ولائه للسلطة، وبالتالي فإن ماحدث من قتل ذريع واعدامات واسعة لجماعة الاخوان خلقت حالات من طلب الثأر، وحسب معلوماتنا فإن النار ماتزال تضطرم، حتى بين ذوي المناصب العلياً ممن لهم علاقة بهذه القبائل.

ولعلم النظام بهذه الآثار المريعة على وجوده: (هرعت العائلة المالكة بسرعة بعد ان اهتزت بفعل الحادثة، حتى تعيد ثقة الشعب التي تضررت بها.. مما دفع بالملك خالد وفهد وأمراء آخرين مهمين للقيام بزيارات استرضاء لزعماء القبائل الكبيرة لاصلاح ماخرب)[2].

وقد تنبهت الصحف والمجلات إلى الطابع القبلي واثارة المستقبلية على النظام السعودي، فأشارت إلى ذلك، ومن بين هذه الصحف:

1/ قالت جريدة الاهرام[3]: (ان ثمة تكهنات تشير إلى ان المسلحين هم أفراد قبيلة عتيبة الذين يعارضون حكم آل سعود طوال 53 عاماً الماضية)..

2/ وقالت جريدة النهار اللبنانية: (يستفاد من اشاعات متواترة في مكة وجدة، ان الأكثرية الساحقة من المتمردين السعوديين تنتمي إلى عشيرتي عتيبة وقحطان اللتان تقطنان وسط البلاد من الشمال إلى الجنوب. وإذا صحت هذه الأنباء، يكون التمرد شديد الالتصاق بالتركيبة القبلية والدينية للسعودية)[4].

---

[1] ـ القبس 5/4/1980م.
[2] ـ نيوزويك 3/3/1980م.
[3] ـ الاهرام 25/11/1979م.
[4] ـ النهار 29/11/1979م.

3/ وقالت مجلة الايكونومست البريطانية: (وإذا ظهر ان الغزاة هم من منتسبي قبيلة مهمة ومعروفة فسيكون لذلك اثار خطيرة في البلاد. ان العربية السعودية مكونة من قبائل، وإذا بلغ عدم الرضا بشأن احتكار قبيلة آل سعود في نجد للسلطة إلى حد اليأس الذي يتم فيه غزو المسجد، فإن الهيكل الداخلي للدولة قد اصيب بالانشقاق)[1]. وتبين فعلاً ان اكثر أفراد جماعة الاخوان، هم من اقوى واكبر قبيلة في البلاد.

4/ وقالت صحيفة الفايننشيال تايمز: (ان الأحداث التي عرفتها السعودية في الأونة الأخيرة قد غيرت من الأفكار المكونة عن السعوديين، ومن تلك الأفكار التي تغيرت مقولة ان هناك اتفاقاً جماعياً في الرأي بين القبائل خارج العائلة السعودية، حول تأييد اسلاف هذه العائلة التي اسست الحكومة الأولى بالتحالف مع المصلح محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر)[2].

5/ وقالت مجلة المجالس الكويتية[3]: (من المؤكد ان مايقلق السلطات السعودية هو ذيول الاضطرابات وانسحابها على الصعيد القبلي.

فالعربية السعودية تأسست في العشرينات، بعد ان وحدت الملك عبد العزيز الاقاليم الأربعة وهي نجد والحجاز والاحساء وعسير بالقوة، وعملية المسجد الحرام، رغم الخطأ في اختيار مكان العملية ووقوعها، فإنها تحمل مدلولات سياسية لجهة توقيتها الزمني، فهي قد كشفت عن الخلل في تركيبة النظام القبلي والعشائري، وتأثير ذلك على مستوى الاستقرار السياسي في منطقة الخليج بكاملها. ان اساس التناقض في الجزيرة العربية يجد تربته الخصبة في وسط القبائل العربية، وعلى قاعدة الأرض الدينية الأصلية والأصيلة، والتي جاءت مشكلة الاحتكارات الأجنبية لتزيد في نقمتها وتمردها).

6/ وأشارت صحيفة السفير إلى انتماء أفراد الجماعة إلى قبائل قوية بقولها: (بيد ان الأهم هنا هو ان معظم أفراد التنظيم ينتمون إلى قبائل سعودية قوية "كلها يتبع المذهب السني" وابرز هذه القبائل عتيبة في نجد والحجاز، ومطير في نجد)[4].

7/ وعادت مجلة الايكونوميست مرة أخرى لتشير إلى الموضوع القبلي بالقول: (ان مايقلق القادة السعوديين هو حقيقة كون عدد كبير من أفراد الجماعة من منتسبي القبائل في الحجاز ونجد، والتي تغلبت عليها سلالة ابن سعود قبل اكثر من خمسين سنة. ان الحقد لايزول بسهولة في الصحراء)[5].

8/ والمحت مجلة نيوزويك إلى انسحاب ذيول الحادث على الحرس الوطني بالقول (ان معظم المتمردين كانوا من منتسبي قبيلة عتيبة، وهم يؤلفون جزءاً كبيراً من الحرس الوطني بصورة تقليدية)[6].

هذا بعض ماذكرته الصحف العالمية.

---

[1] ـ الايكونومست 1/12/1979م.
[2] ـ فايننشيال تايمز 7/12/1979م.
[3] ـ المجالس 8/12/1979م.
[4] ـ السفير 9/12/1979م.
[5] ـ الايكونومست 15/12/1979م.
[6] ـ نيوزويك 17/12/1979م.

اما رأي النظام السعودي حول الموضوع، فإننا سنختار اطرافه واظرافه.. فالرد السعودي يقول: (ليس هناك رابط عائلي ولا قبلي)!! يجمع أفراد الجماعة وهذه اكبر كذبة اطلقت حتى الآن!!

يقول سلمان (أمير الرياض) والملقب شعبياً بمسيلمة الكذاب، في رد على سؤال جريدة الرياض حول طابع الحادث القبلي، قال: (لقد تخبطت وسائل الاعلام الأجنبية كثيراً، إذا اخطأت في اسماء بعض القبائل العربية السعودية، وفي تحديد مواقعها، بل تصور البعض منها الن الموضوع ذو طابع قبلي، والصحيح عكس ذلك. ذلك ان مجموعة الخوارج مجرد أفراد اجتمعوا على نوع من التفكير المنحرف الذي جمع بينهم، وليس ارتباطهم القبلي، بل لايوجد بينهم الرابط العائلي، فكيف يصح ان نقبل بوجود الرابط القبلي؟)[1]..

جواب سخيف وغبي!

فمادام الأفراد يجمعهم اصل واحد، وبطن واحد، وينتمون على أساس العائلة إلى رأس قبيلة واحد.. فلم هذا الكلام التعيس؟

لقد أرد الأمير ان يجرد الحادث من طابعه القبلي خوفاً وتحسباً.. ولكن الا توجد صيغة معدلة غير اجابات النفي هذه.. اذ لم يبق لسلمان الا ان يقول بأن أفراد الجماعة لم يولدوا اصلاً!

(تاسعاً)

غياب الدور السعودي عن الأحداث

بمقدار ما ألم الضعف بالنظام السعودي داخلياً، فإنه تضرر على الصعيد الخارجي.. فإسقاط الهيبة، وتزعزع صورة الأمن المستقر داخلياً، اظهر النظام السعودي بمظهر الضعيف.. ويقال في السياسة ان قوة النظام على الصعيد الخارجي ماهي الا انعكاس لقوته الداخلية، وان السياسة الخارجية ماهي الا انعكاس للسياسة الداخلية..

لقد اجبرت الانتفاضة آل سعود على التقوقع، وترتيب امور امنهم الداخلي.. ففي السنوات التي سبقت الانتفاضة، كان هناك حديث طويل عما يسمى بالحقبة السعودية، هذه الحقبة التي كانت تمتد لسنوات بفعل أموال النفط والمكانة الدينية، فأثرت في العديد من الدول الاسلامية، واعطت آل سعود الكلمة الأولى في السياسة العربية، تلاشت إلى أبعد حد..

فلم يعد آل سعود رواداً للتضامن الاسلامي أو العربي، ولم يتبجحوا كثيراً بأنهم قادة العرب الذين لايجري امر إلا بإذنهم..

اننا نلاحظ تقلص النفوذ السعودي في تزايد مستمر، واذا ما أردنا رؤية مواقع تأثير النظام فإنها غائبة..

فلم تعد له الكلمة الأولى في لبنان، ولا في قضايا فلسطين، ولا في قضايا الصلح مع اسرائيل، بل اصبح الحسن الثاني، والملك حسين اكثر نجومية على الصعيد العالمي من آل سعود.

ان هذا ماكان ليتأتى لولا انشغال آل سعود بالمعارضة الداخلية التي استفتحتها حركة المرحوم جهيمان العتيبي.. وكلما تصاعد العمل المعارض،

---

[1] ـ جريدة الرياض 9/12/1979م.

كلما تقلص النفوذ السعودي على الصعيد الخارجي، خاصة في هذه المرحلة الاقتصادية الحرجة التي نتجت عن هبوط اسعار النفط.

ان الدور والنفوذ السعودي ماهو إلا دور مفتعل، ويعتمد على مقدار النفوذ الأمريكي في المنطقة، فالنظام في حقيقته لايمتلك مقومات ضرورية للعب الدور المهيمن سوى المال والعباءة الدينية.. وقد جردت الانتفاضة آل سعود من العباءة الدينية، واصبح المال السعودي في خبر كان بفعل أزمة النفط، وحتى الدور الأمريكي في المنطقة العربية اعتراه الانتكاس بعد فشل كامب ديفيد، وتدهور الموقف الأمريكي في لبنان.. فماذا يبقى لآل سعود من سند لكي يعيدوا حظهم العاثر؟!

(عاشراً)

فقدان ثقة الغرب في قوة النظام

وسعيهم لاعداد بديل له

بعد الانتفاضة مباشرة، اصبح مجرى تقارير الاستخبارات الأجنبية يتحدث عن صعوبة بقاء النظام السعودي لمدة طويلة، احد هذه التقارير ورد فيه تحذير من صعوبة ضمان بقاء الأسرة المالكة اكثر من عامين.. وراهن تقرير آخر ان النظام السعودي قادر على الصمود خمس سنوات اخرى، إذا لم تسقط دولة من دول الخليج!!

وفي اغلب الكتابات الأمريكية الحديثة، خصوصاً تلك الدراسات التي اعدتها جامعة هارفارد الأمريكية بالتعاون مع الـ (C.I.A) اشارات واضحة لاعداد بدائل سريعة للحكم السعودي.. منها دراسة (نداف سفران) مدير مركز الدراسات الشرق أوسطية في الجامعة، والتي تتعلق بالطبقة الوسطى في البلاد، والتي نشرتها مجلة (الثورة الاسلامية) في عددها الصادر في ديسمبر 1985م.

ومنها كتابه الجديد الذي صدر عن جامعة هارفارد ايضاً، والذي يركز فيه حول استقرار الحكم السعودي، والبدائل المطروحة.

ولا يسعنا هنا ايراد الكثير من الأمور ومتابعة القضايا حول هذا الموضوع، ولكن لمن يريد الاطلاع اكثر، فعليه بقراءة الفصل الأخير من كتاب (السعودية.. مملكة الزيت والدماء) الذي صدر مؤخراً عن منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية. ففي هذا الكتاب متابعة للسياسة الأمريكية تجاه الحكم السعودي، وبعض الخطط المطروحة لاستبداله بطبقة التكنوقراط المتدربة في الغرب.

الفصل الثالث عشر

دروس وعبر

واخيراً، لابد لنا ان نعرج بشكل سريع على دروس وعبر انتفاضة الحرم، لتساعدنا على المضي في طريق الخلاص من الحكم السعودي الجائر..

ويمكن اجمال هذه الدروس والعبر في التالي:

(أولا)

انغلاقية الحركة، مقتل الحركة

تحاول الأنظمة الفاسدة باستمرار عزل الحركات الثورية عن بعضها، وعن الجماهير، وتسلك في ذلك بعض السبل الملتوية التي يجب على كل ثائر ان يكون على حذر منها، ومن هذه السبل جر هذه الحركات إلى ارتكاب بعض الاخطاء ذات الحساسية الشديدة في نفوس الآخرين، ثم التهريج على هذه الحركات بإثارة ضجة اعلامية حول موضوع الخطأ وتضخيمه، وان تكرار مثل هذا العمل يؤدي غالباً إلى عزل الحركة التي ارتكبت الخطأ عن الجماهير.

ومن الظروف التي تساعد على انجرار الحركات لارتكاب الأخطاء، أو ردات فعل غير مناسبة، هو عدم اتخاذ هذه الحركات بعداً جماهيرياً لتنظيمها، ذلك ان البعد الجماهيري للتنظيم يجعله اكثر ارتباطاً بالواقع الاجتماعي، وبالتالي اكثر كفاءة في التعامل مع متغيراته، ويوم يتركز جهد حركة ما واهتمامها على التنظيم، وتترك جماهيرها، فإن افقها يضيق إلى درجة النظر إلى العالم من خلال التنظيم.،. افكاره ومصالحه، وهذه نظرة اضيق من ان تتسع لقضايا الجماهير، ومن خلفها قضايا العالم.

ان اخطاء معينة ارتكبت خلال انتفاضة الحرم، وفي طريقة عمل الاخوان ساعدت كثيراً على عزل هذه الحركة، وعلى تشويه حقيقة الانتفاضة لدى كثير من الناس، وذلك راجع إلى اتباع حركة الاخوان طريق العزلة، والاهتمام بالطليعة، وعدم اعطاء اهتمام كبير للجماهير والحركات الأخرى العاملة في الساحة.

لقد كان بإمكان حركة الاخوان، وبالتعاون مع الحركات الأخرى القوية في البلاد ان تهد النظام السعودي في تلك الانتفاضة، لكن انعزال الحركة اضاع فرصة المبادرة من يد الحركات الأخرى، وادى إلى استفراد السلطة السلطة بالحركة وضربها بقسوة ووحشية.

ان انعزالية الحركة تعني مقتل الحركة.

والحكم السعودي الفاسد، وككل الأنظمة المتجبرة التي لاتحكم بما انزل الله، تحاول ان تخنق التحركات الاسلامية بشتى الوسائل، كما تحاول القيام بإضفاء جو من الانغلاق عليها، وتقوم من جهة اخرى بأعمال بعيدة كل البعد عن روح الاسلام، محاولة الاستفادة من ردات الفعل التي تكون دائماً سريعة واعتباطية، ومفتقرة إلى التخطيط السليم، لتقضي على القائمين والمدافعين عن الدين..

وحركة الاخوان تأثرت إلى حد ما ﺑ الاجواء المنغلقة، وبالأفكار الخاطئة، التي بثتها السلطة في ذلك الجو، وكم كنا بحاجة إلى المرونة والابتعاد عن ردات الفعل غير المدروسة لنقضي على آمال النظام، الذي يحاول استغلال اقل خطأ في العمل وتحويله لصالحه.. ولكن للأسف لم يتم ذلك بالشكل المطلوب في حركة المرحوم جهيمان.

لهذا وكما قلنا ان الاخوان ولظروف الأجواء المنغلقة التي فرضـها النظـام السعودي، تأثرت إلى حد ما بتلك الأجواء، مما جعل الحركة موضع النقد، ومن تلك الأخطاء التي تأثرت بها الحركة، وجود بعض الأفكـار الطائفيـة الـذي كـان الجو الانغلاقي مشبعاً بها، كما ان هناك بعض التطـرف فـي الأحكـام نتـج عـن ردات الفعل الخاطئة في مواجهة اعمال السلطة المنحرفة..

هذا التأثر لم يمنع الجماهير في الجزيرة العربية من تأييـد الاخـوان، ولكـن يجب الا ننسى ان السلطة وراء الحركة بالمرصاد لكل خطـأ تضـخمه وتشـيعه محاولة ابعاد المسلمين عن تأييدها..

(ثانياً)

جماهيرية الحركة

من الصحيح القول ان قوة العدو، وقلة عدد الثائرين لايجب ان تقعد طلاب الحق عن القيام بواجبهم وتحمل مسؤوليتهم.. إلا ان ذلك لايعني عـدم التـوجه للجماهير وتحريكها والاستفادة من طاقاتها في المواجهة.. ذلك ان ايـة حركـة صغيرة كانت ام كبيرة لاتسـتطيع ان تنجـح الا بـدعم مـن الشـعب، والشـعوب عامة اثبتت انهـا اقـوى مـن كـل حـاكم متجـبر مهمـا كـان متسـلحاً ومسـتعداً لمواجهة التحركات الاسلامية.

نعود الآن إلى حركة المرحوم جهيمان التي كانت شعبية الى حد ما، لكنهـا لم تستفد من الشعب بالشكل المطلوب في تحركها الثـوري، كمـا ان حمـاس الشعب ضد آل سعود غطـى عليـه حمـاس البقيـة الـذي اثـارته السـلطة ضـد الالتجاء إلى الحرم.. وهنا تقصير في عدم جعل الشـعب يشـارك فـي العمليـة واقتصارها على فئة معينة، وكان من المفروض ان تتعاون حركـة الاخـوان مـع الحركات الاسلامية الأخرى من أجل اسـتنهاض الشـعب واقحـامه فـي عمليـة المواجهة التي لو كانت قد تمت لاسقطت النظام دون ادنى شك أو ريب..

لقد كان ذراع حركة الاخوان العسكري قوياً جـداً، إلا ان الـذراع الاعلاميـة والسياسية والثقافية والفكرية، كانت ضعيفة جداً، وكان التحام جماعة الاخوان مع الشعب قد اعتراه الضمور بسبب الاهمال وعدم التوجه اساسا..

وهكذا استفردت الحكومة السعودية اعلامياً بالساحة الداخلية والخارجية، وصاغت افكار وتصـورات المـواطنين وفـق رؤاهـا ومصـالحها، فـازداد الشـق والفجوة بين الاخوان وعامة الجمهور..

ولو ان الاخوان قاموا ـ اضافة إلى تركيز الجهد العسـكري ــ بإنشـاء جهـاز اعلامي وسياسي، يرد على الاعلام السعودي في تلك الفترة الحرجة التي كان العالم متعطشاً لمعرفة مايجري.. اذن لانقلب السحر السعودي علـى الأمـراء وملوك آل سعود.

ولو ان جماعة الاخوان كثفت قبل العملية جهدها لتعبئة المـواطنين فكريـاً وسياسياً، لكان الشعب قـد تحـرك.. فرغـم الجـو الارهـابي، وضـعف التـوجيه انطلقت مظاهرة في جدة تؤيد الجماعة!

(ثالثا)

استقطاب رجال الدين

يخطيء من يتصور ان كل رجال الدين والمشايخ، او حتى معظمهم، هم مع الحكم السعودي الجائر، فالاحداث اثبتت ان هناك رجالاً مخلصين لدينهم ووطنهم، وانهم معادون بشدة لآل سعود ومفاسدهم. والأمثلة عديدة في هذا المجال، نجد انه من غير الصالح نشر اسماء هؤلاء الاشخاص..

ورجال الدين والمشايخ يمكن تقسيمهم إلى عدة مجموعات، حسب ما توصلنا إلى معرفته في هذا المجال..

القسم الأول: المعارضون، ومن بين هؤلاء عدد غفير من رجال الدين والخطباء الشباب، ممن تخرجوا من المعاهد الدينية والجامعات المحلية، والذين بسبب انفتاحهم والمامهم بمعرفة شتى القضايا الاجتماعية والسياسية، وبسبب احتكاكهم بالناس وهمومهم، توصلوا إلى ان الفساد والطغيان يرجع إلى جذر رئيسي هو فساد الحكم السعودي الحالي.. فرفعوا اصواتهم منددين معارضين، فكان نصيبهم السجون والمعتقلات، أو على الأقل ابعادهم عن مراكز تأثيرهم.

القسم الثاني: المحافظون المعتدلون، ويضم هذا القسم اولئك المشايخ الذين يخدمون النظام الفاسد وهم يتصورون انهم يحسنون صنعاً.. وهم في معظمهم يدركون مدى انحراف الحكم السعودي عن جادة الصواب، لكنهم لم يجدوا من يدفعهم ويشجعهم ويؤآزرهم، وبالتالي فهم ساكتون على مضض، وقد يعترضون على بعض الأخطاء والممارسات البعيدة عن التأثير على مراكز الحكم.

وهذا القسم تجد عنده فلسفة تبرير عدم القيام، ليس بسبب الخوف، ولا بسبب الحاجة المادية، وانما تخوفهم الحقيقي من (فتنة) تترك وراءها آثار الدماء والخراب فيما لو قاموا وعارضوا، مما يجعل البلاد تقع في احضان الشيوعية والالحاد!!

القسم الثالث: المؤيدون، اما خوفاً على انفسهم، أو طمعاً في مناصب الحاكم وأمواله.. وهؤلاء ممن يستأكلون بالدين، ويرتزقون بالاسلام، وممن باعوا اخرتهم بدنياهم.

وهذا القسم لايهمه آل سعود بقدر ما يهمه مصلحته.. ولايهمه أمر البلاد ولا الدين، وانما الحفاظ على حياته.. فهو يصدر الفتاوى ويؤيد ما يردده النظام، ويدافع عن سياسته، ويبرر اخطاءه لدى العامة.

ومن جهة جماعة الاخوان، فإنها فتحت النار على القسم الثاني والثالث، وهم المؤيدون والمحافظون، والذين يشملون الغالبية العظمى من رجال الدين.. فيما قامت الجماعة باستقطاب مجموعة من المعارضين (من القسم الأول) وهذا يعتبر مكسباً، ونقطة تسجل لصالح الجماعة.

غير ان الخطأ كان في استعداد القسم المحافظ، الذي كان بالإمكان احتواؤه وتغيير قناعاته، وربما دفعه إلى صدارة المواجهة، والالتفاف حوله ودفع الناس بهذا الاتجاه.. وهذا مالم يحدث. فكان من السهل على آل سعود ان مارسوا الضغط عليه وجعله في خانة المؤيدين، من دون ان يعلم!

ولا شك ان ثقل رجال الدين في البلاد وتـأثيرهم فـي الحكـم جـد كـبير، إذ بإمكانهم ـ وبسهولة ـ زعزعة النظام، بمجرد سحب الشرعية عنه، فكيف بهـم حين يفتون بقتاله ومحاربته؟!

من هنا تنبع اهمية عدم اسـتعداء رجـال الـدين، والصـبر عليهـم، ومحاولـة احتوائهم وتنويرهم بما يجـري فـي البلاد، لأنهـم فـي اغلـبيتهم يجهلـون ابسـط القضايا التي تحدث في الساحة.. ومـن ثـم يمكـن الحـديث عـن اسـتقطابهم، والاحتماء بمظلتهم في محاربة النظام.

إلا أن المرحوم جهيمان، استخدم اسلوب التقريع اكثر من اسلوب الاهداء والارشاد، ووضعهم في خانة النظام جميعاً وبدون استثناء.

وقد اثبتت الاحداث في حادثة الحرم، وقبلها موقعـة السـبلة، ان معارضـة لاتنال الشرعية من رجال الدين، أو على الأقل من قسم منهـم، هـي معارضـة محكوم عليها بالفشل ـ على الأغلب ـ وان نظامـاً كالنظـام السـعودي لايمكـن اسقاطه قبل سحب البساط والشرعية الدينية التي يتلفع بها، والتي يخدع بهـا الناس.

رابعاً

الأخطاء الفكرية

لاشـك ان الالتجـاء إلـى بيـت اللـه الحـرام، لايرجـع إلـى أهميـة مـوقعه العسكري، ولا إلى اهميتـه السياسـية او الاعلاميـة، وانمـا إلـى تصـور جماعـة الاخوان ـ كما اوضحنا سابقاً ـ بأن (المهدي) حين يظهر في الحرم يأتي لقتـاله جيش عرمرم، يخسف الله به الأرض..

وهذه الفكرة، هي التي دفعت بالجماعـة إلـى الحـرم، وليـس إلـى قصـور وقواعد العائلة المالكة..

لقد كان هناك خطأ فكري في مسألة (المهدي المنتظـر) لا فـي مجـال ان هناك (مهدي)، وانما من تنطبـق عليـه صـفات المهـدي، الـتي ابلغها الرسـول الكريم في احاديثه. وهذا الخطأ جر إلى خطأ الاعتصام في الحرم..

والشيء بالشيء يذكر، ان شعارات سياسـية كـثيرة خطـت علـى جـدران الجامعات السعودية بعدم اعدام المرحوم جهيمان، تقول:

ياجهيمان لماذا لم تدمر قصور العائلة المالكة؟!

بمعنى ان التصور المنطقي لمن يريد ان يسـقط آل سـعود، هـو ان يقـوم بمحاصـرة القصـور الملكيـة، واصـطياد الأمـراء الفاسـدين.. لا ان يضـع كـل جماعته في الحرم ويتحصن هناك، ثم يأتي آل سـعود فيصـطادونه بعـد تـدمير الحرم بالدبابات والمدافع والطائرات!

واضافة إلـى هـذه الاخطـاء، هنـاك اخطـاء سياسـية وعمليـة، فـالتخطيط المتقن كان ينقصه معرفة الأولويات، وكان ينقصه البدائل لتحاشي الفشل.

خامساً

اهمية الحركة

هناك نقطة هامة تستحق ان يتوقف عندها المتابع لحادثة الحرم طويلاً.. إلا وهي وجود مجموعات كبيرة من الاخوان من البلدان الاسلامية الأخرى (مصر، الكويت، العراق، اليمنين، الامارات، باكستان، الاردن، وغيرها).. وهذه نقطة تسجل لصالح جماعة الاخوان..

فقد اثبتوا ان الاسلام قادر على جمع المسلمين باتجاه هدف واحد، واثبتوا ان غالبية المسلمين يعارضون الحكم السعودي المنحرف..

وإذا كان جهيمان قد جعل تحركه امميا، فإنه في الوقت ذاته استفاد من الوضع القبلي، دون ان يؤثر امميته، ودون ان يعطي انطباعاً بأن تحركه القبلي يسبق تحركه الديني الاممي.

ومن جانب النظام، فإن بإمكانه ان يستفيد من الحادث ويعتبر به:

* فيعلم ان الاسلام اقوى من الاستغلال، وان بإمكان آل سعود ان يتلفعوا بالرداء الديني، ويمارسوا من تحته شتى صنوف الدناءة والافساد، ولكن إلى حين.. حيث تصل الحالة إلى ان يدان النظام نفسه، على ارضية المبادئ والقيم التي يدعيها ويرفع شعار تنفيذها!!

* وبإمكان آل سعود ان يستفيدوا من اخطائهم السابقة، حينما يعرفون اسباب الثورة التي لن تموت مادامت مسبباتها قائمة..

ان آل سعود يعرفون اليوم ان جماعة الاخوان لم تمت رغم النهاية المأساوية لحادثة الحرم.. فهم يعرفون ـ ونحن نعرف ايضاً ـ ان أفراد الجماعة باقون، وان تحركهم موجود، وان السلاح لازال بيدهم متدفقاً من مخازن الجيش.. وبالتالي، فكما قضي على رعيل الاخوان الأول في معركة (السبلة)، وعلى الرعيل الثاني في حادثة الحرم، فإن الجيل الجديد ينشط وبأسرع مما يتوقعه آل سعود ليحاربهم..

فهل يستفيد الأمراء من دروس الماضي، ام ينتظرون السيل ليجرفهم عما قريب؟!

ذلك هو السؤال!

ملاحق الكتاب

الملحق الأول

رسائل جهيمان السَّبْع

بقلم: جوزيف آ. كيشيشيان

مؤسسة وودرو للشؤون الحكومية والخارجية
232 كابل هول، جامعة فيرجينيا،
شارلوتسفيل، فيرجينيا 22901
* * *

اعدت ورقة العمل هذه للندوة التي عقدت حول "الاصولية الاسلامية" في الاجتماع السنوي العشرين لمؤسسة الدراسات الشرق أوسطية" بوسطن، ماساتشوسيتس، يوم 21 نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ 1986م.

مقدمة

تواصل الاصولية الاسلامية سحرها للعلماء المختصين بسياسات الشرق الأوسط، الذين يجدون انفسهم عاجزين عن فهم وتفسير العدد الهائل من الحركات الدينية المهتمة بالشؤون والقضايا المعاصرة[1]. وقد تم بالفعل نشر محاولة ناجحة لتصنيف العديد من الحركات الدينية على امتداد العالم الاسلامي، ولكن هذه المحاولة تبقى استثناءاً أكثر منها قاعدة[2]. كما تتوفر ايضاً دراسات اخرى تدرس حركات محددة معينة تقوم بنشاطات في واحد من الأقطار أو أكثر. ربما كان اهمها تلك الدراسة التي اعدت عن حركة الاخوان المسلمين في مصر وسورية والتي حظيت باهتمام كبير[3]. اما في الفترة الأخيرة، فقد وجه الاهتمام الخاص إلى التغيرات الكبيرة الدرامية والتي هي قيد الحدوث في ايران الثورية[4]. كما استرعت الحركات الدينية في الأجزاء الأخرى من العالم الاسلامي العناية والاهتمام المتفحص، إلا انه يصعب التأكد بشكل حصري وقاطع حول ماهية المطالب المحددة التي تطرحها كل من هذه المجموعات على حدة، وذلك في غياب الوثائق الاصلية التي تكشف عن برامج عملها.

ففي العربية السعودية دخلت حركة دينية هامة المسرح السياسي، ولو بشكل مؤقت، وذلك حين قام جهيمان بن محمد العتيبي، ومعه محمد بن عبد الله القحطاني وعدة مئات من المؤيدين بالاستيلاء على الحرم في مكة، يوم 20 نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ 1979م، حيث طالبوا علماء الدين السعوديين بسحب ولائهم للعائلة المالكة السعودية. وفي الخامس من ديسمبر ــ كانون الأول ــ 1979م، عاد الحرم الشريف مرة أخرى إلى سيطرة السلطات السعودية، والتي حصلت على فتوى تبيح استخدام القوة لدحر "المتمردين"، وهي الفتوى التي اصدرها يوم 24 نوفمبر نفس اولئك العلماء الذين اتهمهم

---

[1] ـ انظر مثلاً كتاب دانيال بايبس: في طريق الله: الاسلام والسلطة السياسية (نيويورك: بيسك بوكس، 1983).

[2] ـ ر. هريرد كمجيان: الاسلام والثورة: الاصولية في العالم العربي، (سيراكوز، نيويورك، سيراكوز يونيفرستي برس، 1985م).

[3] ـ ر. ب. متشل: جماعة الاخوان المسلمين، (لندن، اوكسفورد يونيفرستي برس، 1969م).

انظر ايضاً: اوليفر كاروجيراد ميشور: الاخوان المسلمون (بالفرنسية) 1928ــ 1982م (باريس: غاليمارد، 1983م).

[4] ـ انظر مثلاً: نيكي ر. كيدي (محرر): الدين والسياسة في ايران: الشيعية في المسالمة إلى الثورة (نيوهافن، كونيكتكت: ييل يونيفرستي برس، 1983م).

العتيبي بالفساد[1]. ان دعوة العتيبي للعودة إلى السلوك الاسلامي الطاهر، انما تذكر "بالاخوان" الذين تعاونوا مع الملك عبد العزيز ابن سعود. فمن المؤكد ان النجدي هذا كان يرفض بشدة برامج التحديث المتسارعة التي اقيمت في جميع انحاء المملكة منذ عام 1932م.

في مسلسل من "سبع رسائل" يربط العتيبي مابين الفوضى والاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية والدينية وحتى السياسية، وبين سرعة التغيير الحديثة، بل وبين التحالف التاريخي القائم بين آل سعود والسلطات الدينية[2]. وخلاصة القول ان العتيبي كان يعارض التحالف الديني ــ السياسي الذي قام عام 1744م بين محمد بن عبد الوهاب وبين محمد ابن سعود.

ان هدف ورقة العمل هذه هو تقديم دراسة منهجية لكتابات العتيبي، وهي الكتابات التي تغطي عدداً كبيراً من الموضوعات، وتملأ 190 صفحة كاملة. وسيتم التركيز بصورة خاصة على المسألة التي اثيرت فيما ذكرنا اعلاه، والمتعلقة بالعلاقات القائمة بين علماء الدين وادعاء النظام الملكي الشرعية، من وجهة نظر المتمرد السعودي الشاب. وليعلم القارئ الكريم انني غير مهتم بما اذا كان العتيبي شخصاً خطراً، او انه كان يحمل نذير خير ام نذير شؤم للعربية السعودية. اذ ان فضولي الفكري والثقافي ينحصر ويتركز في محاولة تحديد الأسباب التي دفعت بهذا الفرد لأن يصبح متمرداً، وبعد ذلك التكهن بعواقب ذلك على العائلة المالكة والنظام الملكي في المملكة. ولن يكون بإمكاني ان اقدم علاجاً ناجحاً، لأنه يستحيل علي ان اعرف ما إذا كان اتباع جهيمان مايزالون نشطين في العربية السعودية ام لا؟.. إلا أنه من الممكن التعرف على تلك الاتجاهات والتوجهات التي دفعت بجهيمان إلى القيام بحركته، وعلى الدعم الذي تلقته تلك الحركة من آلاف عديدة من الأشخاص.

بعد استعراض سريع لأحداث عام 1979م، تنتقل ورقة العمل هذه إلى دراسة الرسائل السبع، ثم تنتهي بنظرة عامة على اثر هذه الرسائل.

العربية السعودية: المسيرة السياسية 1932 ـ 1979م

المملكة العربية السعودية مستقرة، وباستثناء فترة قصيرة من عدم الاستقرار السياسي وقعت في أواخر الخمسينات واوائل الستينات، فإن الدعم الشعبي لآل سعود زود التحالف الحاكم هناك بالشرعية والاستقرار السياسي النسبي. وكانت المعارضة لهذا التحالف، حين تحصل، معزولة ضعيفة. اما السؤال البالغ الأهمية، بالطبع، فهو ما اذا كان هذا الحال سيبقى كذلك خلال التسعينات، اذا وضعنا بعين الاعتبار جمهرة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وكما تظهر الاحداث التي وقعت مؤخراً بشكل جلي، فإن حكام البلاد لم يعودوا يستطيعون التغاضي عن الاسراف والبذخ والتبذير

---

[1] ـ جوزيف آ. كيشيشيان: دور العلماء في سياسة الدولة الاسلامية: العربية السعودية. انترناشونال جورنال اوف ميدل ايست ستديز، 18ـ 1 (فبراير ـ شباط 1986م) صفحة 53 ـ 71.

[2] ـ جهيمان بن محمد سيف العتيبي: سبع رسائل، بلا ناشر ولا تاريخ.

المترف. فعائدات النفط المتناقصة، والشعب الذي بدأ يـزداد علمـاً ومعرفـة، تجعل من المحتم ان يكون للانفاق الحكومي ما يبرره. والأكثر من ذلـك، فـإنه نتيجـة ضـيق مجـال التعـبير السياسـي، تصـبح الحيـاة الدينيـة مجـالاً واسـعاً للانشقاق والاعتراض (والتعبير عن السخط والاستياء). ومن سخرية القـدر ان أي نـوع مـن التسـاهل والارتخـاء (الانفـراج Laxity) فـي القضـايا الاجتماعيـة والدينية قد يكون له عـواقبه السـلبية فـي الحيـاة السياسـية السـعودية، اذ ان مجال المناورات المحبذة المجدية محدودة مقيدة بموجب الدستور والقوانين. مثلاً، يستطيع الملك استخدام قدراته على الاقناع، ولكـن عليـن ان يـوازن ايـة اعمــال وتصــرفات يقــوم بهــا بالمســؤوليات القبليــة والدينيــة. ان مفهــوم "المصلحة" يمكن ان يستخدم من قبل السلطة الحاكمة، التي استخدمته فعلاً في السابق، إلا ان عناية فائقـة تبـذل لتقـديم هـذه "المصـلحة" بالتعـاون مـع السلطات الدينية.

مابين عامي 1932م، حيث وحد عبد العزيز قبائل المنـاطق الأربعـة الـتي تؤلـف المملكـة العربيـة السـعودية، (نجـد والحجـاز وعسـير والاحسـاء)، و 1953م، حين صعد سعود إلى العـرش، اسـتطاعت النخبـة الحاكمـة ان تعـزز وتحكـم سـيطرتها علـى الأمـور السياسـية باسـتخدام القـوانين الشـرعية الاسلامية. فحين كان عبد العزيـز يحكـم مـع العلمـاء، اسـتطاع ان يجعـل مـن يمين الولاء قانوناً (هو البيعة) وهو القانون الذي تشارك مـع مجلـس الشـورى والمجلس الخاص في اعطاء النظـام الملكـي مصـدر سـلطته السياسـية. ثـم عزز الملك مركزه تعزيزاً اضافياً عن طريـق اقامـة نظـام معقـد وذي اسـاس قبلي، للتشاور مع زعماء عائلته الكـبيرة (اللجنـة العليـا)، ومـع العلمـاء وكبـار التجار. هذا النظام الأصيل للتشاور اضفت عليه شخصية ابن سعود السـاحرة، والحقيقة ان انجازات الملك كـانت فـي معظمهـا نتيجـة قـدرته علـى الاقنـاع، وموازنــاته الناجحــة بيــن الزعمــاء القبلييــن، والســلطات الدينيــة، والتجــار المتنفذين. اما العلماء، فقد حظوا باهتمام الملك الخاص. وقد بذل عبد العزيز كل جهد ممكن لطلب مشورتهم في لقاءاتهم اليوميـة، لأنـه كـان يـدرك مـدى أهمية دعمهم له[1].

والحقيقة ان ذلك الدعم والتأييـد يمكـن البرهنـة عليـه بجلاء عـام 1964م حين خلف الأمير فيصل شقيقه سعود على عرش المملكة.

لقد اكتسبت شعارات "القومية" و "معاداة الامبريالية" شعبية كبيرة عــام 1953م و 1956م حين بدأ عمال أرامكو اضرابهم مطالبين باجور اعلى. كمــا ان الحماس الثوري المصري والقضـية الفلسـطينية زاد اتباعهمـا الـذين كـانوا يرون في النظام الملكي في الرياض نظاماً معادياً للقومية العربيـة. وقـد زاد من استعال هذه العواطف وتأجيجها إلى حد كبير، اسـتئجار الولايـات المتحـدة لقاعدة الظهران الجوية وقبول الملك سعود بمبدأ (مشروع) ايزنهاور[2]. وقــد دفعت القومية العربية مجموعة من الأمراء والعامة المثقفين للمطالبة بإجراء

---

1 ـ كان عبد العزيز يستقبل وفداً من العلماء كل يوم بعد صـلاة المغـرب. ثـم انخفـض هذا إلى اجتماع واحد كل اسبوع في عهد الملك خالد (لأسباب صحية؟). انظر جيمس باكان "المعارضة العلمانية والدينية في العربية السعودية" في كتاب تيم نبلوك (محـرر): الدولـة، والمجتمع والاقتصاد في العربية السعودية (لندن: كروم هيلم، 1982). ص 108 [يشار إليه اعتباراً من الآن فصاعداً بـ باكان (Buchan 1982م].

اصلاحات دستورية كبرى في شهر يونيو ـ حزيـران ــ 1960م. ونتيجـة الـدعم الذي قدمه الملك سعود للأمراء الشباب، ادخل عدد منهم إلى سلك الحكومــة على حساب الأمير فيصل، نائب الملك.

وعلى اثر الفشل المتوالي لسياسة المملكة الاقتصادية والأخطاء الكـبيرة في مجال السياسة الخارجيـة، فـي اليمـن وفـي مصـر، طلـب الأميـر فيصـل، وحصل بالفعل، على تخويل مطلـق مـن النخبـة الحاكمـة بـأن يشـكل حكومـة جديدة، وان يحقق تنازل الملك سعود عن العرش.

وبالرغم من ان تحركه هذا ربما يكون قد انقذ العربية السعودية مـن حالـة الفوضى السياسية، فإنه لابد مـن التأكيـد علـى ان مصـدر الـدعم الـذي تلقـاه فيصل من بين علماء الدين انما جاء، إلى حد بعيد، لحماية الوضع الراهن علــى حساب الأمراء الشباب الذين لم يكن لعواطفهم المؤيدة للقومية العربيــة، أي مكان على جدول اعمال النخبة الحاكمة، او في حساباتهم السياسية والدينية.

مع حلول عام 1973م، يصـبح الملـك فيصـل الزعيـم العربـي الـوطني بلا منازع، دون ان يعرض للخطر البنية السياسية الداخلية للعربيـة السـعودية. الا انـه، فـي نفـس الـوقت، راح علماء الـدين يعيـدون تقـويم اعمـال وتصـرفات الأمراء الشباب، وانتهوا إلى انهم ـ الأمراء ـ كانوا "مغرقين في العلمانية" فــي تصرفاتهم. وهذا هو مجال "المصلحة" الدينيـة ــ السياسـية الـذي ابقـى علـى النخبة الحاكمة في سدة الحكم.

ان نظرة سطحية إلى الأمـور تـوحي بـأن المعارضـة الدينيـة فـي العربيـة السعودية، قد تبدو وكأنها طرح مناقض يطرح ضد التعاليم الحنبليـة/ الوهابيـة. الأمر ليس كذلك. فهناك، مثلاً، فروق واضحة في الممارسات الدينية حتى بين المسلمين السنة الذين يتبعون حركة الدعوة إلى التوحيد (الدعوة إلى عقيــدة التوحيـد، أو الوهابيـة)[1]. ومـع ذلـك، فـإن اهـم معارضـة دينيـة منظمـة ضـد السعوديين انمـا تـأتي مـن الأقليـة الشـيعية مـابين 250 و 400 ألـف نسـمة، ويسكنون بصورة رئيسية في مدن القطيف والهفوف وسيهات والحسا نفسها في المنطقة الشرقية، ويعمل غالبيتهم في صناعة النفـط، وبالتـالي فلا يمكـن الاستغناء عنهم. وان الطرد بالجملة للشيعة السـعوديين المتهميـن بنشـاطات معادية للدولة سيلحق الضرر بصناعة النفط. وخلافاً للشيعة في البحرين، فإن عدائهم للنخبة الحاكمة هو عداء ديني اكثر منه اقتصادي. ونظراً لغربة الشيعة السعوديين عن الحياة الدينية في العربية السعودية، فإن هؤلاء يتطلعــون إلــى العراق وايران طلباً للتـوجيه والارشـاد، ويجلـون ويحـترمون التعـاليم الدينيـة الصادرة عن العلماء والمجتهدين في كربلاء والنجف وقم.

ان رفض الممارسات الدينية الشيعية فـي العربيـة السـعودية هـي قضـية قابلة للجدل التـاريخي، ولكـن ممـا لا يشـك فيـه ان المعارضـة للشـيعة علـى اسس مذهبية قد اشعل المرارة في نفوس العديدين منهم على مر السنين.

---

[2] ـ في حين كان المقصود من مبدأ ايزنهاور هو احتواء الشيوعية في الشرق الأوسـط، فإن القوميين العرب بقيادة جمال عبد الناصر اعتبروه مبدأ معادياً للعرب.

[1] ـ انظـر جـورج مقدسـي: "المـذهب الحنبلـي فـي الاسـلام" فـي كتـاب ميرليـن ل. سوارتز: دراسات عن الاسلام، (نيويورك: اوكسفورد يونيفرستي برس 1981م)، ص 216 ـ 274.

والواقع ان الشيعة قد (اقنعوا) مرات وامرات بالامتناع عن اقامة الاحتفالات العلنية لتخليد ذكرى عاشوراء. ان موكب الحزن والحداد يوم العاشر من محرم، حزناً على الامام الحسين، هو تجمع مثير للعواطف، وقد ادى في عدة مناسبات وفي عدد من الأقطار الاسلامية إلى وقوع عنف طائفي. تاريخياً، كان حكام الاحساء من آل الجلوي يرفضون دائماً السماح للسكان الشيعة بإقامة "احتفالات" عاشوراء، ويمكن القول، ولو من وجهة نظر سياسية بحتة، ان هذا كان في صالح الشيعة. ومع ذلك، فإن الشيعة السعوديين في القطيف، الذين امتلأوا بالحيوية الثورية القادمة من ايران، اعلنوا أنهم سيقيمون احتفال عاشوراء عام 1979م. وفي 28 نوفمبر ـ تشرين الثاني 1979، وهو التاريخ الذي صادف استيلاء جهيمان العتيبي واتباعه على حرم مكة، كانت مظاهرات عاشوراء تندفع في شوارع سيها والقطيف. وكما هي الحال دائما في مثل هذه الظروف، فقد ادت الصدامات العنيفة بين السكان وقوات الأمن إلى وقوع صدامات دامية حيث قتل سبعة عشر من الشيعة في الساعات الأربع والعشرين الأولى من احداث العنف. وقام الأمير احمد، نائب وزير الداخلية، بمحاولة للتوسط، إلا ان الوعود التي قطعت في شهر نوفمبر عام 1979م خرقت في الأول من فبراير ـ شباط ـ 1980م، حين تفجرت اعمال العنف مرة اخرى في القطيف، حيث قتل اربعة من الشيعة كانوا يتظاهرون بمناسبة الذكرى السنوية لعودة الامام الخميني المظفرة إلى ايران.

ومنذ عام 1980بدأت السلطات السعودية تخرج عن المألوف "لتدبر أمر" المعارضة الشيعية في المنطقة الشرقية. فبالاضافة إلى تدفق الدعم المالي على المنطقة بحيث تمت الموافقة على اقامة المشاريع العامة فيها بسرعة ضربت رقماً قياسياً، قام عدد من أفراد العائلة المالكة، بمن فيهم الملك خالد، بزيارة إلى المنطقة وتشاوروا مع وجهائها حول المواضيع ذات الاهتمام المشترك. ان العقبة الرئيسية التي تواجه الطرفين انما تكمن في مضاعفات الثورة الاسلامية في ايران. ورغم ان ماسنورده هو امر قابل للجدل، فإن الغضب الشيعي في المملكة سيعتمد على علاقة آل سعود بإيران، وعلى نتائج الحرب العراقية الايرانية. فانتصار ايراني في حرب الخليج يرافقه حكومة شيعية في العراق، سيزيد في اندفاع الشيعة السعوديين للمطالبة بإصلاحات سياسية اضافية، وبحرية اكبر في الممارسات الدينية.

ومما يوازي هذا اهمية، هو الاختراقات الممكنة التي قد تحققها الطائفة الشيعية التي عادت اليها الحيوية في القاعدة التي تستند اليها النخبة الحاكمة في ممارسة سلطتها. ماذا ستكون ردة فعل علماء "المؤسسة الحاكمة" تجاه تزايد حضور الشيعة ونفوذهم؟ هل ستتلقى الحركات السنية المناهضة للمؤسسة الحاكمة مثل هذا التعبير الديني (الشيعي) الصريح بصدر رحب؟.. من الصعب الاجابة على هذه الأسئلة، وذلك لعدم توفر أي دليل قاطع على ان هذه الانقسامات الدينية قد حققت اية مكاسب في الساحة السياسية. ومع ذلك، فإن اعمال جهيمان العتيبي عام 1979م يجب ان تحلل على ضوء التهديد الذي تمثله للتوازن السياسي ـ الديني الذي يحافظ على وحدة صف النخبة الحاكمة.

هجوم جهيمان بن محمد العتيبي على الحرم الشريف

في 20 نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ 1979م والـذي صـادف اليـوم الأول مـن عام 1400 الهجري، وبينما كان امام المسجد الأكبر، الشيخ محمد ابـن سـبيل "يتقدم ليؤم هذه الصلاة الخاصة جداً من صلوات الفجر.. دفعته يد قوية بعيداً، واطلق عيار ناري، تبعـه عيـاران آخـران، ثـم سـقط مسـاعد لـه صـريعاً. كـان جهيمان بن محمد العتيبي هو الذي اطلق العيارات النارية، بينما كان محمد بن عبد الله القحطاني يصرخ في ميكروفون الجامع معلناً انـه المهـدي المنتظـر، حسبما هو مكتوب: "سيلجأ المهدي ورجاله إلى المسجد الحرام ويحتمـون بـه لانهـم مضـطهدون فـي كـل مكـان يضـطهدون حـتى انهـم لا يجـدون ملجـأ إلا المسجد الحرام".[1]

هرب الشيخ محمد بن سبيل بـأن رجـع إلـى غرفـة الهـاتف العمـومي فـي الحرم ليطلب المساعدة. وفي حين بدأ الهجوم على الحرم في الساعة 5.30 صباحاً، وفي حين يقال ان الشيخ اتصل بالسلطات بعد ذلك بفترة قصيرة، فلم يتم تأمين وتطويق المحيط الخارجي للمسجد إلا بعد ثلاث سـاعات مـن ذلـك، وبعد مكالمة هاتفية ثانية اجريت في الساعة 8.30. ربمـا يجـادل البعـض بـأن ثلاث ساعات كانت كافية تماماً ليحصـن المتمـردون انفسـهم داخـل المسـجد عن طريق اغلاق بواباته و "تنظيم" دفاعاتهم. وحقيقـة ان كميـات كـبيرة مـن الذخائر قد ادخلت إلى المسجد بمثل هذه السهولة هي حقيقة لايجوز تجاهلها. ومع ان المسجد هو مكان عام يرتاده الناس للعبادة، وهو بالتالي مفتوح لجميع الحجاج، فإنه يبقى اكثر الأماكن العامـة تعرضـاً للخطـر فـي المملكـة العربيـة السعودية.

اثناء حالة الفوضى العارمة الـتي اعقبـت ذلـك، حـاول القحطـاني، القائـد المساعد للمهاجمين، ان يقنع السعوديين من الحجاج الهاربين بأن "زعيمهـم" هو المهدي، وان عليهم ان يعترفوا به زعيماً. وعلى امتداد الاسبوعين التـاليين استخدمت السلطات السعودية كـل الوسـائل المتـوفرة لاسـتعادة السـيطرة على الحرم. فشلت كل الهجمـات العسـكرية المباشـرة الأولـى، نظـراً لقـوة المتمردين المسلحين، ولضبط النفس الذي مارسته القـوات المسـلحة. كـان واضحاً ان ذلك لم يكن هجوماً "فوق تلة" يسـتطيع الواحـد ان يصـده ويقهـره في بضع ساعات. فبالاضـافة إلـى الحجـاج الأبريـاء الموجـودين داخـل الحـرم (والحقيقة انهم كانوا رهائن الآن)، وبالاضافة إلى قدسية البنـاء وحرمتـه، كـان على السلطات السعودية ان تخذ بعين الاعتبار الشكل الذي سينتهي إليـه بنـاء المسجد بعد الهجوم. كيف سيقدم المسجد الحرام إلى بقية العالم الاسـلامي، وبأية صورة؟ ومامدى نجاح السلطات في اداء "واجباتها الوقائية"؟ لمثل هـذه الأسـباب، وايضـا للخـبرة النسـبية للقـوات السـعودية فـي منـاورات مكافحـة الارهاب، اضـطرت الريـاض لطلـب المشـورة الفنيـة والنصـيحة مـن فرنسـا. ارسلت باريس على جناح السرعة عدداً مـن رجـال بـوليس التـدخل الـوطني

---

[1] ـ جيمس باكان: "عودة الاخوان ـ 1979"، في كتاب دافيد هولدن وريتشـارد جـونز: آل سعود: نشوء وحكم اقوى سلالة حاكمة في العالم العربي (نيويورك: هـولت، راينهـارت ونستون، 1981م)، ص 512 (يشار اليه بعد الآن بـ باكان: 1981).

لقمع الارهاب (GIGN)، الـذين اقـترحوا اسـتخدام غـازات الأعصـاب لاخـراج العصاة مـن اقبيـة المسـجد. تـرددت الريـاض، ولكـن ارتفـاع اعـداد الخسـائر البشرية بيـن الجنـود السـعوديين المشـتركين فـي هـذا الهجـوم العقيـم علـى الحرم، اقنع السلطات بقبول المشورة الفرنسية.

ورغم استخدام غاز الأعصاب (C.B)، لم يستسلم العتيبي واتبـاعه الا فـي الخامس من ديسمبر ـ كانون الأول ـ 1979م. قتل العديـد منهـم فـي معـارك يدوية داخل اقبية وسـراديب المسـجد، وحيـن خرجـوا بعـد اسـبوعين، عـرض المتمردون على كاميرات التلفزيون باعتبارهم منتهكيـن "مدنسـين" لقدسـية الحرم، ووحوشاً[1].

ان ماحدث في مكة لمن يكن مجرد حادثة عارضة، ولم يكن فقط مرتبطـاً بالاضـطرابات فـي المنطقـة الشـرقية مـن المملكـة والـتي قادهـا الشـيعة المحروموت، ولكنه كان لطمة عنيفة لهيبة ومكانة آل سعود. كان من الطبيعي ان تشـن السـلطات الملكيـة حملـة اعلاميـة كـبرى لتسـفيه وتشـويه العتيـبي ورسالته. فبعد ان دنس العتيبي قدسية الحرم، لن يكون هناك إلا القلة القليلة من المسلمين الذين يمكن ان يتعاطفوا معه، ولم يفعـل ذلـك إلا القليـل فعلاً. اما سلوكه الذي شهر بـه كـثيراً، وخاصـة فيمـا يتعلـق باسـتخدام السـلاح فـي مسجد النـبي، فقـد بولـغ فـي الاعلان عنـه فعلاً، بهـدف زيـادة تشـويه سـمعة العتيبي والاساءة لتصرفاته. ومـع ذلـك، اضـطرت النخبـة الحاكمـة إلـى تفهـم رسالة العتيبي التي كانت معروفة تماماً سواء من قبـل السـلطات الدينيـة، أو من قبل قوات الأمن الداخلي، وعلى مدى أعوام عديدة.

يمكن فهم رسالة العتيبي على افضل صورة ضمن السياق التاريخي الـذي ادى إلى توحيد شبه الجزيرة العربية. فقد كان عبد العزيز ابـن سـعود وعلمـاء الدين هم الاقطاب السياسيين والدينيين للتحالف الثلاثي الأول الذي نجـح فـي محاولاته. في ذلك الوقت، اقر الحاكم واعترف بأن مخططـه لتوحيـد الأقـاليم القبلية لايمكن تحقيقه بـدون دعـم الاخـوان الـذين لعبـت مسـتوطناتهم الـتي انتشـرت فـي جميـع انحـاء شـبه الجزيـرة دوراً حاسـماً فـي تنـامي السـلطة "السـعودية". واسـتطاع العلمـاء ان يبـاركوا التحـالف، واسـتطاع الملـك ان يكسب الولاء عن طريق اجراءات معقـدة محيـرة مثـل الـتزاوج بيـن القبائـل، ولكنه كان مايزال بحاجة إلى القوة العضلية لقهر جيـوب المقاومـة لمخططـه السياسي الشامل. وهذا مالم يكن بإمكانه تحقيقه إلا بواسـطة جنـود متفـانين مخلصين للدين مثل الاخوان. إلا ان الاخوان كانوا يتوقعـون، مقابـل خـدماتهم الفريدة من نوعها، ان يدوم نفوذهم وتأثيرهم في المملكـة لفـترة طويلـة مـن الزمن.

إلا ان الصدام بين ادارة عبـد العزيـز المتسـامحة نسـبياً وبيـن ممارسـات الاخوان المتزمتة كان حتمياً، ودام الصدام بين الطرفين عـدة اعـوام، إلـى ان انتصـر الملـك اخيـراً فـي منتصـف الثلاثينـات. مـن المهـم جـداً ان نلاحـظ ان الاخوان الذين صوروا انفسهم على انهم المدافعون عن الدين الصحيح وحمـاة قانون الشريعة لم يكونوا يعارضون فقط افكار الملـك "الحديثـة". فبالاضـافة

---

[1] ـ كيشيشيان: نفس المصدر السابق ص 58ـ 60 انظر ايضاً: ولهلـم ديتيـل: الحـرب المقدسة، (نيويورك، ماكملان 1984م)، ص 211ـ 227.

إلى معارضة الخطوات التجديدية، بما في ذلك الاتصالات البرقية والسيارات، كان الاخوان يحاربون دفاعاً عن حياتهم السياسية.
كان التحالف السياسي بالنسبة لهم "تحالفاً ثلاثياً"، في حين انه كان، بالنسبة لآل سعود والعلماء، وسيلة استقطاب في نظام ثنائي.
كان الاخوان يهدفون إلى حماية مؤسساتهم القبلية، ويخشون تلاشي قاعدة قوتهم الرئيسية نهائياً. وقد اجبرت التطورات اللاحقة العديد من المستوطنات الاخوانية ان تتخلى عن استقلالها وان تنصهر في هرمية المملكة القبلية الجديدة. كان عليهم الاختيار بين هذا وبين الهزيمة النهائية. ولكي لاينسى احد هذه النقطة، كان العتيبي يقاتل بالفعل لاستعادة مركز الاخوان في حكم البلاد، وهذا لا يقلل من قيمة الفروق العملية بين ملك ذي اهداف سلطوية كبرى وبين متعصبين دينيين كانت اهدافهم تقتصر على حماية امتيازاتهم واقطاعاتهم. بل على العكس من ذلك، فإن الصدام الذي وقع بين القلة الحاكمة والاخوان انما وقع بالرغم من الاختلافات العملية القائمة. وهي حقيقة معروفة ان العديد من قادة الاخوان وعلماء الدين المتشككين قد اقتنعوا اخيراً بقبول تجديدات عبد العزيز العملية التي ادخلها إلى العربية السعودية، حين تم اقناعهم بالبرهان بأن مثل هذه الوسائل يمكن فعلاً أن تساهم في الدفاع عن الدين الصحيح، وفي دعم قانون الشريعة (أي: في اذاعة الصلوات من الراديو والتلفزيون). نتيجة لذلك، كان الصدام بين القلة الحاكمة والاخوان صداماً حول التوزيع المستقبلي للسلطات والصلاحيات.
قلد جهيمان العتيبي سلوك الاخوان ولباسهم بأن ارتدى جلبابا قصيرا، وراح يدعو إلى تغييرات اجتماعية بسيطة، تكاد تكون بدائية. رفض واستنكر التلفزيون والتصوير مثلما رفض سلفه البرق اللاسلكي.
كما انتقد الالآت الحديثة والتوجهات الحديثة، وراح يبحث عن الخيارات البسيطة. ومع ذلك، فإن استخدامه الكفوء للأسلحة الحديثة (بما في ذلك المدافع الرشاشة) لايمكن ان يوصف ببساطة بأنه اداء فريد للمقاتلين. فإذا سلمنا بأن الاخوا استخدموا البنادق والأسلحة الأخرى، وبأن مثل هذا الاستخدام كان يبرر دائماً بمبررات دينية (أي الدفاع عن العقيدة وعن الشعائر الدينية)، الا اننا نجد ان العتيبي واتباعه لم يشاركوا في صراع اقليمي (صراع حول السيادة على أرض)، ولم يكونوا يستقطبون احداً ويقنعونه بقضيتهم الحقة، وبالتأكيد لم يكونوا مهتمين بالاستيلاء على اراض ذات حدود محددة يمارسون فيها شعائر دينهم بسلام.. لم تكن رسالتهم مجرد معارضة لآل سعود والقلة الحاكمة ونظام تحالفهم القائم، ولكن رسالتهم ضمت ايضاً المناداة والاعلان عن المهدي المنتظر. من المؤكد ان استخدام الوسائل "الحديثة" للقيام بأعمال العنف لم يكن ليدفع بالمؤمنين الخائفين إلى الهرع والالتفاف حول القحطاني، حيث فقد الكثيرون منهم حياتهم داخل الحرم في اليوم الأول من عام 1400 الهجري.
كان العتيبي والقحطاني يدافعان عن شرف وكرامة الاخوان المهدورة. اما معارضتهم للقلة الحاكمة، والتي قدمت ظاهرياً بلغة دينية، فقد كانت ذات طبيعة سياسية. لانجد هذا اكثر وضوحاً وجلاءاً في أي مكان منه في كتابات العتيبي الشخصية. مامدى مصداقية هذه الوثائق المعزوة إلى العتيبي وما هو تأثيرها؟

رسائل العتيبي السبع

الفصل الواسع المعلومات والمعنون بـ "عودة الاخوان ــ 1979م"[1]، يقتبس مراسل الفايننشال تايمز في العربية السعودية، جميس باكان، وينقل من نشرتين غير مؤرختين معزوتين إلى العتيبي، هاتان النشرتان هما: ـ

النشرة (1): الامارة والبيعة والطاعة.

النشرة (2): دعوة الاخوان[2]

في عام 1982م، كتب باكان (Buchan) يقول ان تعاليم جهيمان "موجودة في أربع نشرات وقعها هو نفسه. ومن المؤكد انها كانت معدة ومصممة لتكون نصوصاً للتفسير (تفسير القرآن؟) اكثر منها بيانات سياسية".[3]

أما البروفيسور ايمن الياسيني فيقول في كتابه: الدين والدولة في المملكة العربية السعودية، انه من "المعروف ان هناك سبع نشرات كتبها جهيمان"[4]، رغم ان ثمانية عناوين (مع ارقام الصفحات) مدونة في حواشي كتاب الياسيني. العناوين التي يوردها الياسيني هي (كما وردت بالعربية اصلا):

النشرة (1): الامارة والبيعة والطاعة وكشف تلبيس الحكام على طلبة العلم والعوام ـ 37 صفحة.

النشرة (2): دعوة الاخوان، كيف بدأت وإلى اين تسير ـ 36 صفحة.

النشرة (3): الميزان لحياة الانسان ـ 27 صفحة.

النشرة (4): مختصر الحسنة لابن تيمية ـ 29 صفحة.

النشرة (5): رفع الالتباس عن ملة من جعله الله اماماً للناس ــ 20 صفحة.

النشرة (6): مختصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ 34 صفحة.

النشرة (7) الفتن واخبار المهدي الدجال ـ 30صفحة.

النشرة (8): الفطرة السليمة ـ 10 صفحات.

رسائل جهيمان السبع التي ندرسها هنا مبنية على أساس صور (فوتوكوبي) من وثيقة بدون ناشر ولاتاريخ. فهرس المحتويات والنشرات الافرادية مرقمة من 1 ـ 7 ومعنونة كما يلي: ـ

الرسالة الأولى: الفتن واخبار المهدي الدجال ونزول عيسى عليه السلام وإشراف الساعة ـ 29 صفحة (موقع عليها من قبل: جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي).

الرسالة الثانية: بيان الشرك وخطره ــ 17 صفحة (توقيع: احد طلبة المعلم).

---

[1] ـ باكان 1981 نفس المصدر، ص 511 ـ 526.

[2] ـ المعلومات الواردة في دراسة باكان لاتوضح ما اذا كانت هذه النشرات بالعربية أو بالانكليزية واضافة لذلك، لاتوجد اشارة الى ارقام الصفحات في المراجع الثلاثة المذكورة في النص.

[3] ـ في هذه الحالة، لايتوفر الا عنوان النشرة الأولى فقط: انظر: باكان 1982: نفس المصدر، ص 121 ـ 122، الا ان باكان يقول هنا ان النشرة رقم (1) ربما طبعت ونشرت في أوائل عام 1978م.

[4] ـ ايمن الياسيني: الدين والدولة في المملكة العربية السعودية (بولدر آند لندن: ويستفيوبرس، 1985م) ص 125.

الرسالة الثالثة: الفطرة السليمة ـ 12 صفحة (بتوقيع جهيمان بن محمد بـن سيف العتيبي) [1].

الرسالة الرابعة: اوثق عرى الايمان، الحب في الله والمفيد في الله ــ 14 صفحة (توقيع: حسن بن محسن الواحدي).

الرسالة الخامسة: مداخل الشيطان لافساد القلوب ـ 17 صـفحة (توقيـع: احد طلبة المعلم).

الرسالة السادسة: اختصار رسالة الأمـر بـالمعروف والنهـي عن المنكـر لابن تيمية ت 25 صفحة (توقيع: جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي).

الرسالة السابعة: البيان والتفصيل في وجوب معرفة الدليل ـ 33 صـفحة (بتوقيع محمد بن عبد الله القحطاني).

يتبع هذه "الرسائل السبع" مقتطفات من (كتابات) عبد الرحمن بن محمد بن حجر الحسيني الجزائري مع تعليقات عليها كتبها العتيـبي. اما الصـفحات الثلاث الأخيرة من الوثيقة فتتضمن دعوة جهيمان العتيبي الـتي تحمـل عنـوان "هذه هي دعوتنا".[2]

العتيبي هو مؤلف الرسائل المرقمة بـ 1و 3و 6. اما شـريكه فـي القيـادة، محمد بن عبد الله القحطاني، فمؤلف الرسالة رقم (7).

وكتب حسن بن محسن الواحدي الرسالة رقم (4)، بينما الرسالتان 2 و 5 منسـوبتان إلـى "احـد طلبـة المعلـم". يسـتحيل التأكـد مـن مصـداقية هـذه الرسائل، خاصة وان الشائعات تتواصل لتؤكد بأن جهيمـان كـان اميـاً. وهنـاك تكهنات بأن مؤيد شاب من عائلة تجار غنية في جدة اسمه يوسف باجنيد، كان يقدم الدعم المالي للعتيبي في الرياض بعد انضمامه إلـى المجموعـة ووضـعه للنشرات[3]. الا انه يصعب تصديق ان جندياً محرضاً برتبة عريف فـي الحـرس الوطني منذ الستينات (حيث طرد جهيمان من الحـرس الـوطني طـرداً مهينـاً اما عام 1971م أو 1972م)، وطالبـا فـي جامعـة المدينـة (قسـم الدراسـات الدينية) ما بين عام 1972و 1974م، انه كان امياً!!، وعلى أي حال، فالوثــائق المتوفرة مكتوبة بلغة عربيـة فصحى بليغـة، ممـا يؤكـد ان مؤلـف أو مـؤلفي "الرسائل السبع" كانوا ضليعين في اللغة العربية وبـالفقه الاسـلامي السـني. والاشارات المتعددة والصحيحة إلى الآيات القرآنية. والسـنة النبويـة، وخاصـة إلى الأحاديث النبوية الموثوقة، تشير جميعاً إلـى ان المـؤلفين كـانوا ضـليعين بعلوم النصوص النبوية، وقادرين على تقديم التفسـيرات الدينيـة، ان لـم يكـن الفقهية، للبرهنة بالحجة الكلامية البليغة على اهـدافهم السياسـية. هـذا البعـد من الرسائل السبع واضح تماماً، ويجب تقـويمه علـى مـافيه ومايقـدمه. ومـع ذلك، فإن الرسالة التي تسـعى الرسـائل جميعـاً إلـى نقلهـا إلـى القـارئ هـي رسالة سياسية إلى أبعد الحدود حقاً.

والعيتبي، الذي ولد فـي هجـرة (سـاجر) فـي القصـيم ينتمـي وبقـوة إلـى المبدأ الوهابي. وتعاليمه المتعلقة بشـرعية حكـم آل سـعود، وظهـور المهـدي المنتظـر يكشـف عـن اهتمـامه وهمـه الرئيسـي كـان ينصـب علـى الشـرعية

---

1 ـ نفس المصدر، ص 151.

2 ـ العتيبي، نفس المصدر، ص 188 ـ 190.

3 ـ ديتل، نفس المصدر، ص 216، يقول ديتل ايضاً ان النشرات طبعت ونشرت لأول مرة من قبل مطبعة الطليعة في الكويت.

السياسية للقلة الحاكمة. تؤكد "رسالته الأولى" هذه النقطـة مـراراً وتكـراراً، وذلك بتذكير القارئ بأن هناك صنفين من الحكام في العالم الاسلامي. فهناك، من ناحية، الحاكم الذي يتبع تعاليم القرآن والسنة، وهناك، من الناحية الثانيـة، الحاكم الذي يفرض ارادته على رعيته، يقول العتيبي: ـ

"واليوم انما يحكم المسلمين الملك الجبري، الذي ليس مبنياً على البيعة، ويضيف: فانت تعلم ان الطاعة لاتجب إلا لمن يقودنا بكتاب الله، اما من يقـود المسلمين بالأنظمة المختلفة والقوانين، ولا يأخذ من الدين إلا مـاوافق هـواه، فهذا لاسمع له ولا طاعة"[1].

ولكن بالاضافة إلـى هـذا المبـدأ العـام الـذي ينطبـق علـى جميـع الحكـام المسلمين، يحول العتيـبي انتبـاهه إلـى آل سـعود. بالنسـبة للمتمـرد الشـاب، بدأت كل مشاكل العربية السعودية حين رضيت قبائـل شـبه الجزيـرة العربيـة بعبد العزيز ابن سعود الذي كان، من وجهة نظر الاخوان، يعـارض الجهـاد ضـد الاتراك، وهكذا خدع الملك حسين في الحجاز.

وكلام العتيبي عن العائلة المالكة واضـح لاغمـوض فيـه، والمقطـع التـالي يعطينا فكرة عنه:

"فهؤلاء الحكام ـ آل سعود ـ ليسـوا أئمـة لأن امـامتهم للمسـلمين باطلـة، ومنكر يجب انكاره، لأنهم لايقيمون الدين، ولم يجتمع عليهم المسلمون، وانما اصـحاب ملـل سـخروا الـدين لمصـالحهم، بـل جعلـوا الـدين وسـيلة لتحقيـق مصالحهم الدنيوية، فعطلوا الجهاد، ووالوا النصـارى، وجلبـوا علـى المسـلمين كل شر وفساد. نسأل الله ان يريح المسلمين منهم"[2].

واضح ان هذه الكلمات القوية تؤكـد بـأن افضـل مايسـتطيع آل سـعود ان يقدموه للشعب السعودي هـو الأشـياء الماديـة، وليـس إلا القليـل النـادر مـن التوجيه الروحي. ولكن في هذا المقطع الكثير مما يلمح إلـى حقيقـة ان القلـة الحاكمة انما تخدع الشعب السعودي بدخولها في تحالفات مع غير المسلمين، وبلهاثها وراء امور الدنيا. وبالفعل، فإن العتيبي يرفض كل مظاهر التقدم الذي شـهده حـتى هـو نفســه فـي المملكـة علـى امتـداد السـتينات والسـبعينات. وبالتـالي، فمـن المهـم ان نسـأل مـا إذا هجـوم وغضـب العتيـبي علـى القلـة الحاكمة اقل ارتباطاً بالامور الدنيوية منه "بخديعة" السـلطة الـتي المـح اليهـا علاه. في فقرة اخرى نجد تفسيراً واضحاً: ـ

"وأقرب مثال واوضحه ــ علـى خـداع القلـة الحاكمـة ــ مؤسسـة دولتهـم والمشايخ الذين كانوا معه في سلطانه، وهم مابين موافق له، ومعـزر لـه بمـا يشاء، وآخر ساكت عن باطله، وآخر التبس عليـه الأمـر.. فقـد دعـا (الاخـوان) رحمهم الله الذين هاجروا في القرى هجرة للـه عـز وجـل، دعـاهم إلـى بيعتـه على الكتاب والسنة، فكانوا يجاهدون ويفتحون البلاد، ويرسلون له بمـا للامـام من الغنائم والخمس والفيء ونحو ذلك، علـى انـه امـام المسـلمين.. ثـم لمـا استقر سلطانه وحصل مقصوده، وإلـى النصـارى ــ الأميركيـيـن والبريطـانيين، ومنع مواصلة الجهاد في سبيل الله خارج الجزيرة".[3]

---

1 ـ العتيبي: سبع رسائل، الرسالة الأولى، نفس المصدر، ص 7.
2 ـ نفس المصدر ص 13.
3 ـ نفس المصدر ص 26.

بالاضافة إلى رفضه للقلة السعودية الحاكمة، يظهر الكـاتب حرصـاً كـبيراً في تحديد الخديعة التي شعر بها سلفه والخدعة الـتي ارتكبهـا الملـك يتحـالف قواته مع القوات الاستعمارية الأجنبية ضد ثورة الحجاز. ولكن مـاهو اهـم مـن ذلك هو ان هناك تلميحاً ايضـاً فـي هـذه الفقـرة يمتـدح الاخـوان ويـوحي بـأن معاملة أكثر عاملاً للمقاتلين كـان يمكـن ان "تمنـح الشـرعية" لحكـم الملـك. وكما قلنـا سـابق، فـإن هـذا المخطـط لعـزل الاخـوان واسـتبعادهم عـن بنيـة السلطة المتنامية التي برزت على ساحة شبه الجزيرة العربية، يبدو انه يشغل بـال العتيـبي الشـاب. والحقيقـة ان الاشـارات إلـى الاخـوان كـثيرة فـي كـل الرسائل السبع. اما القلة الحاكمة، من ناحيتها، فإنها طبقاً لرأي العتيـبي، بعـد ان ابعدت المدافعين عن الدين الصحيح عن قاعدة السلطة في البلاد، لم يعــد بإمكانها البقـاء فـي الحكـم إلا عـن طريـق حمايـة "مواقـع سـلطتها ومنـاطق سيطرتها". وعلى هذا الاساس فإن التحالف بين عائلـة آل الشـيخ وسـلالة آل سعود انما هو اعتراف بميزان القوى الذي بدأ يـبرز إلـى السـطح. ومـن سـوء الحظ، حسب ـ رأي العتيبي، ان القلـة الحاكمـة فشـلت فـي التمسـك بالـدين وشرعت في فتح طريق الفسـاد علـى مصـراعيه وبالنسـبة لمؤلـف الرسـائل السبع، فإن العائلة المالكة وكبار العلمـاء فاسـدون مفسـدون. فكلاهمـا يعبـد المال ويبذره بإسراف على القصور الهائلة، وليـس علـى بنـاء المسـاجد (مـن سخرية الاقدار، طبعاً، ان يصدر هـذا الاتهـام للعائلـة السـعودية المالكـة الـتي مولت بناء مئات المساجد في جميع انحاء العالم). ومن ثم يحـذر العتيـبي انـه مالم يقبل المواطن السعودي بحكمة القلة الحاكمة السياسـية والدينيـة، فـإنه يمكن ان يتعرض للاضـطهاد وحـتى التعـذيب. يعـترف العتيـبي بـأن السـعودي الذي يجاري آل سعود يحصل على المكافآت السخية من القلة الحاكمة نفسها التي استحقت اللعنة لتبذيرها ثروات البلاد بإسم الدين. يقول العتيبي:ـ

"انما ـ هم، أي آل سعود ـ اصحاب ملل سخروا المسلمين لمصالحهم، بـل جعلوا الدين وسيلة لتحقيق مصالحهم الدنيوية، وجلبوا على المسلمين كل شر وفساد"[1].

ومع ان عدداً من العلماء حذروا العائلة المالكة من فسادها هذا، كما يقول العتيبي، فإن الشيخ عبد العزيز بن باز، الفقيه الأعمى ورئيس المجلس يقبـض الأموال من آل سعود، وقد بارك وايد فسادهم.

لقد كان لإبن باز حصته من الخلاف مـع العائلـة المالكـة، خاصـة حيـن راح الملك فيصل يدخل الكثير من الوسـائل التقنيـة الحديثـة إلـى البلاد (أي: حيـن عارض باز التوجهات الفنية بان كتـب يقـول ان الأرض مبسـطة مسـطحة). إلا ان اسلوب ذلك الفقيه يقوم على أساس ابقاء الأبواب مفتوحة والحفاظ علـى علاقات مودة مع جميع الأطراف. ومع ذلك فإن اكثر تلامـذته حماسـة والـذين يحضرون محاضراته في المدينة قد توصلوا إلى القناعة بأن ابـن بـاز لـم يكـن عالماً مستقل الرأي، وانـه، بالتـالي، لـم يعـد بالامكـان الثقـة بـه. والواقـع ان العتيبي كتب يقول انه واصدقاؤه كانوا في البـدء يحملـون انطباعـاً جيـداً عـن الباز وتأثروا به، ولكنهم لم يستطيعوا ان يتقبلوا محاباة الفقيه للعائلة المالكة.

---

[1] ـ نفس المصدر ص 31.

يقول العتيبي حرفيا في هذا الخصوص:

"وكنت اعلم رجلين هما اللذان يهتمان بالسنة، وعندهما علم، وهما الشيخ بديع حفظه الله، والشيخ عبد العزيز بن باز ــ عافاه الله ــ.. ثم قرأ بعض الاخوان السبع رسائل و(نصيحة الاخوان) على الشيخ عبد العزيز بن باز، فما انكر شيئاً، إلا التخصيص على هذه الدولة ـ السعودية ـ بالذات، ونحو ذلك، فلم نوافقه عليه، لاعتقادنا انه حق يزول به اللبس عن كثير من العوام".[1]

يتعرض ابن باز والشخصيات الدينية الأخرى لهجوم وانتقاد متواصل في كل النشرات السبع، باعتبارهم مخلوقات من نتائج نظام سياسي فاسد ومفسد، يستخدمون سلطاتهم الدينية لدعم نظام حكم غير شرعي. ومن سخرية الاقدار، ان الفقيه الأعمى استجوب العتيبي وعدداً من اتباعه في شهر يونيو ـ حزيران 1978م، حين اشتبهت قوى الأمن بتحركاتهم.

في ذلك الوقت، أصر رئيس مجلس الافتاء الاعلى ان الطلبة "الشباب" غير خطرين، وانه يتوجب اطلاق سراحهم.

لابد ان يكون العتيبي قد تعلم الكثير من هذه التجربة، اذ ان كل انتقاداته لابن باز وللعلماء (والتي كتبت بعد 1978م) مصاغة بتعابير دينية مبنية على قياس صحيح. وتبين العديد من الاشارات والمقتطفات من البخاري وابي مسلم وابي داوود وابن ماجة وابن تيمية وحتى من عبد الوهاب ــ تبين ان العتيبي لم يكن معارضاً لتقاليد العربية السعودية الدينية (المذهب الحنبلي والمذهب الوهابي). بل ان حملته كانت حملة سياسية بطبيعتها، هدفها الأول آل سعود. والحقيقة ان فكرة المهدي لاتبدأ بالبروز إلا بعد النشرة السابعة التي كتبها محمد القحطاني. وهذا امر يسهل فهمه، اذ ان المذهب الحنبلي والمذهب الوهابي لايتطرقان إلى مفهوم "المهدي". تصر القلة الحاكمة في العربية السعودية على ان العتيبي غير اهل لتفسير الشرع، وتؤكد على ان ادعاء القحطاني بأنه المهدي المنتظر كان ادعاء تافها سخيفاً. واضافة إلى ذلك، فإن الانتباه إلى مطالب المتمردين الدينية، كان ورقة لعبتها السلطات بنجاح، وهي التي قامت "بتطهير وتعقيم" الانتقادات الموجهة ضد آل سعود، والتي اذيعت من اذاعة ومكبرات الحرم.

خاتمة

كما كان الأمر نايف، وزير الداخلية السعودي، يكرر باستمرار خلال عامي 1979م و 1980م، بأن جهيمان العتيبي واتباعه كانوا يمثلون "عدداً محدوداً جداً" من المنشقين الدينيين. فإن حقيقة كون هذه المعارضة قد وقعت اصلاً في العربية السعودية، وهو البلد الذي تستند فيه الشرعية إلى الدين، تشير إلى ان المعارضة الدينية للعرش لم تكن قد استؤصلت حتى بعد 47 عاماً من الحكم المتواصل. ان ضرورة ابقاء الأبواب مفتوحة لملايين الحجاج انما تدعم هذه المعارضة وتغذيها إلى حد بعيد. فالاتصالات بين العديد من الحركات الاسلامية الدينية السرية تصبح سهلة نتيجة هذا الوصول السهل إلى مكة، حيث الاحباطات السياسية والاجتماعية يجري صب الزيت على نارها تحت الحماية الكاملة للتقاليد الدينية. فما يثير العجب، مثلاً، ان قاتل الرئيس

---

[1] ـ نفس المصدر، الرسالة الثالثة، ص 61.

المصري السادات، خالد احمد الاسلامبولي، كان يحتفظ بنسخة مـن "رسـائل جهيمان السبع"، التي حملها له شقيقة محمود، والذي صادف ان كان في مكة في ديسمبر ـ كانون الأول 1979.[1]

لأسباب لاتخفى على احد، لا تسـتطيع القلـة الحاكمـة ان تحـد بشـدة مـن حرية ملايين الحجاج في الوصول إلى مكة. ومع ذلك، فإن دعوة العتيبي كانت موجهة جزئياً فقط ضد مصداقية آل سعود الدينية. فكما تبين قراءة "الرسائل السبع"، فإن القلة الحاكمة، في حين كانت تبين قراءة "الرسائل السبع"، فإن القلة الحاكمة، في حين كانت تشجع النمو الاقتصادي، وحتى الاجتماعي، خلال السبعينات، فإنها في العربية السعودية اثبتت بأنها غير راغبة في الشـروع فـي ذلك النوع من الاصلاح السياسي الذي كان العتيـبي واخـوانه يـأملون بـه. وان اقامــة المســاجد والــدعم المــالي الســخي للشخصـيات الدينيــة لــم يكــن المتطرفون يعتبرونها تحركات كافية لتحسين صورة ومصداقية آل سعود. كما ان قرار الملك فهد الذي صـدر مـؤخراً بتغييـر لقبـه مـن "جلالـة الملـك" إلـى "خادم الحرمين الشـريفين"[2] ربمـا يفـرح بعـض المتزمـتين، ولكـن لابـد مـن الانتظار لنرى ما اذا كانت القلة الحاكمة ستستطيع ان تحمي قاعـدة سـلطتها دون احداث اصلاحات سياسية كبرى تأخذ بعين الاعتبار قاعدة السلطة والقوة "للإخوان الجدد". فهذا هو ماكان العتيبي قد ثـار ضـده اصـلاً (أي ضـد قاعـدة السلطة التي يرتكز اليها آل سعود).

الملحق الثاني

مشعل الفتيل في الجزيرة العربية

الجزء 16 من كتاب (Saudi Arabia and its Royal Family)

نحن هنا في العربية السعودية ننعم ببركة حرية الاعتقاد، ونحن احرار فــي التمسك بعقيدتنا والدفاع عنها دون ان نتعرض لخطر الاضطهاد والملاحقة.

أبو عبد الرحمن بن عقيل، جريدة المدينة
2 ديسمبر ـ كانون الأول 1979

* * * *

لقد اصبح الجيش النظامي السعودي، ومنذ بعـض الـوقت، جـاهزاً للقيـام بثورة، وان ابناء الطبقة السعودية العليا، ينظرون إلى المملكة على انها مجرد نوع من معامل النقود بالدرجة الأولى، وان الشره المـالي الـذي يظهـره كبـار رجال الأعمال في البلاد وكذلك الوسطاء ــ الخاشـوقجي وفرعـونهم هـم مـن أبرز هؤلاء ـ قد وصل إلى حد من النهم المرضي الذي لايمكن اتباعه.

آرنولد هوتنغر: "هل تواجه العربية السعودية ثورة؟"
Neue Zurcher Zeitung

---

[1] ـ محمد حسنين هيكل: خريف الغضب: اغتيال السادات، (نيويورك: رانـدوم هـاوس، 1983م) ص 247.

[2] ـ فيـدي، ريفنسـور، الايكونوميسـت: 301ـ 7471 (8 نوفمـبر ــ تشـرين الثـاني 1986م) ص 49.

* * * *

كان يوم 20 نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ 1979م أول أيام شهر محرم من عام 1400 الهجري، وبداية القرن الخامس عشر الهجري. في الظلمة التي تسبق بزوغ الفجر، استجاب اربعون ألف مسلم لنداء المؤذن للصلاة، وتجمعوا في الميدان الشاسع الذي يحيط بالقبلة الشمرفة عند المسجد الحرام في مكة، ليؤدوا صلاة الصبح ويشهدوا بزوغ فجر هجري جديد. انتشرت في ارجاء الحرم عشرات من التوابيت، التي كان اهل الأموات واصدقاؤهم قد تحلقوا حولها ليؤدوا الصلاة المفروضة على روح الميت.

فجأة، بدأت جماعات من الشباب من معظمهم في العشرينات من العمر، بفتح التوابيت. وكان في داخلها قد اخفيت كميات كبيرة من الأسلحة والمواد الغذائية، وبنادق اتوماتيكية ونصف اتوماتيكية من صنع أمريكي وروسي، اضافة إلى مدافع رشاشة وقنابل يدوية، ومن الخبز والارز مايكفي المتمردين المسلحين للصمود امام حصار يدوم اسبوعاً على الأقل.

وزعت الأسلحة بسرعة على مئات الشباب من الرجال والنساء، الذين اغلقوا على الفور كل أبواب الحرم الثمانية والأربعين، ووضعوا قناصين على السطح وعلى المنائر المقامة في مواقع استراتيجية، ثم استولوا على جهاز الاذاعة التابع للحرم، واعلنوا على مسامع المصلين الذين صعقتهم المفاجأة ان ثورة قد تفجرت في العربية السعودية.

هكذا بدأ ما أطلق عليه اسم "حصار مكة"..

كنت في صبيحة يوم 20 نوفمبر القي محاضرتي في جامعة الرياض وكان أول ماأوحى الي بأن شيئاً ما غير عادي كان يجري، حين ابلغني احد طلابي ان قوات الأمن الخاصة قد اغلقت المطار الدولي. وحين حاول زميل لي ان يطلب اجراء اتصال هاتفي خارجي مع شقيقته في الولايات المتحدة، ابلغه عامل الخطوط الهاتفية الخارجية بأن كل الاتصالات الخارجية ممنوعة إلى أجل غير مسمى.

كان طلابي يتناقلون الاشاعات باهتمام بالغ حول ماكان يدور.

وكان بعضهم يعتقد بأن القلاقل والاضطرابات قد سببها راديكاليون ليبيون او يمنيون جنوبيون. وكان آخرون يظنون بأن الاضطرابات في مكة سببها الشيعة الايرانيون الذين يمولهم الخميني.

ما ان حل عصر ذلك اليوم حتى بدت الصدمة العنيفة على طلابي الذين علموا ان القتال يجري داخل المسجد الحرام في مكة. أوضح طالب نقلني بسيارته إلى منزلي، بأنه تحدث لتوه إلى عمه في مكة. "لقد وقع اطلاق رصاص طيلة الصباح وبعد الظهر. يقول عمي ان هناك قلاقل في المدينة ايضاً". هل تذكر عبد الله عبد اللطيف؟ (وهو طالب من طلابي في نفس الصف). هو في مكة وفي المسجد الحرام.

في وقت لاحق من عصر ذلك اليوم ابلغتني زوجتي ان الشركات الأميركية الكبيرة في الرياض قد امرت موظفيها بأن "يبتعدوا عن مسرح الاحداث"، وهي نفس الصيغة التي استخدمتها هذه الشركات في الأيام الحاسمة للثورة الاسلامية في ايران. زارنا مساء ذلك اليوم جارنا السعودي، ليخبرنا. بأن اضطرابات مكة كانت اكبر مما كان أي شخص على استعداد للاعتراف به. فـ "المسجد الحرام هائل الحجم. والاستيلاء عليه لمدة ساعة،

ناهيك عن يوم كامل، يتطلب مئات ان لم نقل آلاف من الجنود حسنى التدريب. وإذا كان بلد أجنبي ما هو الذي قدم السلاح، فإن ذلك يعني الحرب".. واضاف جارنا قائلاً ان: "هناك سنة في الاسلام ــ ليست نصاً من القرآن، ولكنها مجرد اسطورة شعبية ـ تقول ان قائداً مسلماً عظيماً سيظهر في مطلع القرن الخامس عشر الهجري. والمتمردون في مكة يحاولون استغلال هذه النبوءة".. ثم اخبرنا بأنه تم القبض على احد المتمردين وبحوزته بندقية أميركية الصنع. وعلق الجار على ذلك بقوله: "هذ امر سيء.

فالعديد من الرجال المتقدمين في السن، والذين لايعرفون بواطن الأمور، سيقولون ان وكالة المخابرات المركزية الأمريكية هي وراء الهجوم.

لاتذهبوا إلى السوق. فهو غير آمن للأمريكيين الآن".

اعيدت في اليوم التالي حركة الاتصالات الهاتفية الخارجية، مع انها بقيت على مدى الشهرين التاليين، خاضعة لمراقبة شديدة من قبل قوات الأمن الخاصة، وفي اكثر من مناسبة، وجد زملاء لي ان محادثتهم الهاتفية كانت تقطع حينما يبدأ الحديث عن موضوع مكة. كما اعيد افتتاح المطار الدولي، إلا ان الحراسة والامن تضاعفت فيه ثلاث مرات.

اصدرت شركات (لوكهيد) و (بيكتل) و (ويسترن الكتريك) تعليمات خاصة لموظفيها الأميركيين، وسمعنا من اذاعة الـ بي بي سي ان السفارة الأميركية في الباكستان تعرضت لهجوم قام به الغوغاء من المسلمين الغاضبين الذين اعتقدوا بصدق اتهامات آية الله الخميني القائلة بأن الولايات المتحدة كانت وراء الاستيلاء على المسجد الحرام في مكة.

في ذلك اليوم اتصلت هاتفياً بتوني، وهو ضابط بريطاني سابق في القوة الملكية الجوية البريطانية ويعمل حالياً كمستشار اتصالات في القوة الجوية الملكية العربية السعودية. قال رداً على اتصالي: "والله يا بل انك ربما تعلم وتعرف عما يجري في مكة اكثر مما اعرف. انه امر كبير، وهذا شيء مؤكد. السعوديون يحاولون معالجة القضية بأنفسهم. كل ما أعرفه هو اننا ارسلنا كتيبة مظليين إلى مكة بعد ظهر هذا اليوم.

يبدو ان العائلة المالكة ستحاول استعادة المسجد عن طريق استخدام القوة"..

اما (دون ب)، وهو أميركي يعمل لدى شركة لوكهيد كطيار على طائرات نقل الجنود الضخمة من طراز C-130 التابعة للحرس الوطني، فقد كان يملك معلومات اكثر من ذلك. قال "نحن لانستطيع التوجه جواً إلى مكة. وهذا هو سبب اطالة هذا الامر، لأن معظم الطيارين من الأميركيين أو البريطانيين. المسلمون فقط يسمح لهم بالدخول إلى مكة. اضطررنا لنقل الحرس الوطني إلى جدة جواً. وقد نقلت بطائرتي الفا منهم إلى هناك. ومن جدة ينقل الجنود في حافلات الحجاج إلى مكة"..، سألت (دون) عما إذا كان سمع أي شيء عن كتيبة المظليين التي ارسلت إلى مكة. قال "لم اسمع كلمة واحدة عن هذا. السعوديون يعالجون الأمر بسرية مطلقة. وهم لايستشيرون حتى المستشارين الأميركيين"..

كان "حصار مكة" مايزال في اوجه بعد اسبوع كامل من الحدث.

اعلنت الجامعة صراحة انه يتوجب على المدرسين الاجانب عدم الخوض في احاديث مع طلابهم حول احداث مكة، وهو الأمر الذي ادى إلى اقتصار

مصادر معلوماتي على عدد قليل من طلابي الموثوقين. في هذه الاثناء، كانت الصحافة الأجنبية تطلق التكهنات بلا حساب حول هوية المتمردين الحقيقية، وحول الدعم الأجنبي الذي ربما يكونون قد تلقوه، وعن مدى استقرار النظام الملكي السعودي فعلا. هذه التقارير والتكهنات اثارت غضب كبار الأمراء وادت إلى فرض رقابة شاملة على البريد الخارج من المملكة.

بعد حوالي اسبوع من الاستيلاء على الحرم، اتصل بي (توني) وسألني عما إذا كنت قد سمعت بجديد عن المظليين. وقال انه "في اليوم التالي لبداية هذا الامر، اصدر العلماء نوعاً ما من الأمر الديني (الفتوى) يقول انه لايجوز للحرس الوطني ان يدخلوا السلاح إلى المسجد، ولهذا انزلت قوات الحرس الوطني المحمولة جواً مائة من المظليين غير المسلحين في ساحة الحرم. اصطادهم القناصة المنتشرون على المنائر كما يصطاد الذباب. ولم يصل واحد منهم إلى الأرض حياً. لقد تلقى الحرس الوطني ضربة موجعة للغاية"..

ما ان انهيت مكالمتي الهاتفية مع (توني) حتى اتصلت بـ (دون) في شركة لوكهيد. لم يكن موجوداً، ولكنني تحدثت إلى طيار أميركي اخير يقاسمه الفيلا التي يعيش فيها. قال "الله وحده يعلم متى سيعود (دون).. فنحن جميعاً مستنفرون اربعاً وعشرين ساعة يومياً. ولم ار (دون) خلال الثماني والأربعين ساعة الماضية. نحن ننقل الجرحى جواً من جدة. المستشفيات في مكة والمدينة وجدة ولم تعد تتسع لاعدادهم"..

بعد يومين التقيت بـ (مايك س)، في فندق الرياض انتركونتيننتال، وتناولنا طعام الغداء معاً. ومايك هذا مسؤول اداري كبير في كبرى مستشفيات الرياض، مستشفى الملك فيصل. أكد لي ان حمولة طائرات كاملة من الجرحى يجري نقلهم إلى الرياض، وقال ان "مستشفى الملك فيصل مستنفراً استنفاراً كاملاً منذ خمسة أيام. وقد الغيت جميع الاجازات والاطباء مطالبون بالبقاء في حالة تأهب اربعاً وعشرين ساعة يومياً. ونحن هنا نستقبل حمولة ثلاث إلى اربع طائرات كل ليلة. هم ينقلون الجرحى ليلا فقط حتى لايرى السعوديون عدد الجرحى الحقيقي الذين ينقلون إلى هنا. كل طائرة من طائرات الـ C-130 تحمل حوالي مائة جريح. ولهذا فنحن نستقبل مابين 200 و 300 جريح كل ليلة. وصل بنا الأمر وضع الاسرة والبطانيات في ردهات المستشفى، وحتى في المداخل وغرف الاسعاف. إلا ان اغرب مافي الأمر هو ان معظم الجرحى، أي تسعة من كل عشرة منهم، يعانون من اصابات في أرجلهم"..

في ذلك المساء دعونا بعض الضيوف لتناول العشاء معنا. من بين الضيوف كانت (لويز.د)، كبيرة ممرضات المستشفى العسكري البريطاني في الرياض. قالت رداً على سؤالي: "لا تحدثوني عن جروح الأرجل. لقد اضطررنا إلى تخصيص مهجعين اضافيين للتجبير، لمعالجة الجنود القادمين من مكة فقط. قال لي احدهم انهم امروا باستعادة المسجد مسلحين بالخناجر فقط"..

على مدى الأيام القليلة القادمة كان حديث الجالية الأجنبية في الرياض يتركز كلية تقريباً على الهجوم الذي وقع على السفارة الأميركية في طرابلس، ليبيا. وعلى المعركة المستمرة في مكة، وعلى تقرير من الـ بي بي

سي يقول ان هناك شغباً واعمال عنف واسعة في حقول النفـط الواقعـة فـي المنطقة الشـرقية مـن العربيـة السـعودية. اكـد لـي عـدد مـن طلابـي الـذين يسكنون المنطقة الشرقية، ان الشغب واعمـال العنـف تقـع فعلاً، وان مدينـة القطيف مطوقة بالدبابات وحاملات الجنود المصفحة.

عصر يوم الثامن من ديسمبر ــ كـانون الأول ــ، اتصـلت بمكتـب الاتصـال والتنسيق التابع للسفارة الأميركية في الرياض لاسأل عن أية معلومات جديدة يمكن ان تكون قد توفرت لديهم سواء حول مكة ام حـول اعمـال العنـف فـي حقول النفط. اوضحت سيدة مهذبة جداً ولكنها لبقة جداً فـي مكتـب الاتصـال بأنهم لا يملكون سوى المعلومات المنشورة في الصحف او المذاعة من راديو الرياض. إلا انها اضافت قائلة بأن الشركة التي اعمل فيها قـد رتبـت ونسـقت مع السفارة كل خطط الاخلاء والترحيل الضرورية. الا انني اجبـت وقـد هزنـي بعنف ان اعلم ان خطـط الترحيـل قـد وضـعت بالفعـل: "ولكنـي اعمـل لـدى الحكومة السعودية، لدى وزارة التربية".

صمتت قليلاً ثم قالت "في هذه الحالة.. الواقع اننـي لسـت متأكـدة حـول مـايجب ان تفعلـه.. ربمـا يتـوجب عليـك مغـادرة البلاد الان. هـذا اقـتراح غيـر رسمي بالطبع"..

هكذا كانت الحقـائق وانصـاف الحقـائق، والشـائعات الـتي كـانت تتناقلهـا بحرارة الجاليات الأجنبية في العربية السـعودية. وخلال العـامين الـذين اعقبـا الاسـتيلاء علـى الحـرم فـي مكـة، قـدمت تفاصـيل ونظريـات متعـددة، اعقبـا الاستيلاء علـى الحـرم ف ي مكـة، قـدمت تفاصـيل ونظريـات متعـددة، بعضـها معقول، وبعضها سخيف. ربما كان اغربهـا واسـخفها تلـك الروايـات الرسـمية التي اصدرتها الحكومة السعودية نفسها.

فطبقـاً لروايــة وزارة الاعلام، لــم يكــن هنــاك اكــثر مــن ثلاثمائــة مــن "المرتدين"، الـذين لـم يكونـوا اكـثر مـن مجـرد مهووسـين متـدينيين مختلـي العقول شبيهين باولئك الذين ظهروا فـي جونزتـاون فـي غويانـا! امـا السـبب الذي من اجله استغرق الحرس الوطني كـل هـذه المـدة (اسـبوعين) لاخـراج المتردين، فهو لأن الجنود تلقوا أوامر بألا يلحقوا اضراراً بالحرم. ومرة أخرى، طبقــاً للروايــة الرســمية، لــم يكــن هنــاك ايــة مضــامين سياســية لــدوافع "المتمردين"، ولم تلق تصرفات الحرس الوطني ووزارة الداخلية ايـة شـبهات أو شكوك على قدرة المملكة على المحافظة على الاستقرار الداخلي.

لم يصدق هـذه الروايـات المختلفـة احـد مـن الـذين تحـدثت معهـم حـول الموضوع، سعوديون كانوا ام اجانب. اولا، كانت قادة القـوات المهاجمـة ابعـد ماتكون عن الاختلال العقلي، ربما كانت متعصبة دينياً، ولكـن مـن المؤكـد انـه لايمكن تصنيفها على انها من نوعية جيم جـونز، صـاحب معبـد الشـعب. ثانيـاً، هناك استحالة عسكرية لان يتمكـن اقـل مـن خمسـمائة إلـى الـف مـن جنـود الصاعقة (كوماندوز) حسني التدريب على هذه العملية بالذات، مـن الاسـتيلاء على بناء بحجم المسجد الحرام والبقاء فيه. ولابد من ان نذكر هنا ان المنطقة المركزية المحيطة بالكعبة المشرفة تزيد مساحتها على مساحة ثلاثـة ملاعـب لكرة القدم، ويمكن ان تتسع لثلاثـة ملاييـن شـخص. واضـافة إلـى ذلـك، فـإن المسجد الحرام نفسه يضم مايزيد على الفي غرفة، وثمانيـة وأربعيـن مـدخلاً مستقلاً، ومئـات النوافـذ وثالثـاً، كـان واضـحاً مـن الخطابـات المسـجلة علـى

اشرطة والتي القاها المهاجمون خلال فترة احتلالهم للمسجد الحرام، ان دوافعهم كانت حتماً دينية وسياسية معاً. والخلاصة ان القوات المهاجمة لم تكن تنظر إلى نفسها كمهاجمة للمسجد الحرام، بل كانت تعتبر نفسها منقذة لأقدس مقدسات الاسلام من أيدي العائلة المالكة الخاطئة والمنحلة. واضافة إلى ذلك، ليس هناك من شك على الاطلاق بأن جهازي الحرس الوطني ووزارة الداخلية، قد الحقا العار بأنفسهما. فقد برهنا على انهما شجاعان، ولكن متخبطان تضرب الفوضى وعدم التنظيم بهما إلى حد اليأس، وانهما، في نهاية المطاف، نموذجان حيان للقصور وعدم الكفاءة.

وبسبب المراقبة السعودية الدقيقة كانت التقارير التي ظهرت في المجلات والمطبوعات والصحف الاجنبية غير صحيحة. اما التقارير التي ظهرت في الصحف التي تكون عادة دقيقة وصحيحة، والتي ادعت ان المهاجمين كانوا قطعاً من العملاء الايرانيين، ومن الثوريين المدعمين من قبل الشيوعيين في اليمن الجنوبي، ومن المجانين المدفوعين من قبل وكالة المخابرات المركزية الأميركية، ومن الارهابيين التابعين للجبهة الراديكالية المسماة بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، او، وكما قيل في احدى المرات، من رجال الصاعقة السوريين الذين دربهم وسلحهم جهاز الـ ك ج ب، أي جهاز المخابرات السوفيتي، فقد ثبت ان كل رواياتها هذه ونظرياتها لا أساس لها من الصحة.

ربما لم يتلق المهاجمون اية مساعدات من اية حكومة اجنبية. ومع ذلك، ورغم ان الغالبية العظمى من السعوديين قد صدموا فعلاً وصعقوا لأن اهراق الدماء قد وقع ضمن المسجد الحرام، فإن قطاعاً هاماً من اهل البلاد كان متعاطفاً مع اهداف المهاجمين، ان لم يكن مع وسائلهم.

يبدو ان جذور الاحداث تعود إلى عام 1973م، حين ترك شاب كان في ذلك الحين في التاسعة والعشرين من عمره، اسمه جهيمان بن سيف العتيبي، الجامعة الاسلامية في المدينة. ورغم ان الحكومة السعودية تنكر ان جهيمان كان يوماً طالباً في المدينة، فقد قيل انه كان دائماً يتجادل مع اساتذته حول تفسير قوانين الشريعة الاسلامية. والعام الذي تلاه شهد انهماك جهيمان في دراسة أوضاع الاسلام في العربية السعودية. ولانه من الاصوليين المتشددين، فقد وجد ان حالة الاسلام الحالية يعوزها الشيء الكثير. في نفس تلك الفترة التقى جهيمان بشاب آخر، هو محمد بن عبد الله القحطاني. الاسماء مهمة، لأن قبيلتي العتيبي والقحطان هما من بين اكبر واقوى القبائل في شبه جزيرة العرب.

يبدو ان الشابين استأجرا منزلاً في المدينة وبدءا يجمعان الاتباع من الطلبة الاسلاميين الاصوليين. في عام 1974م اعتقل جهيمان عدة مرات. لم تذكر الاتهامات المحددة ضده ابداً، ولم يخضع لأية محاكمة. جذب جهيمان انتباه قوات الأمن في وزارة الداخلية، وكان يساق لتحقيقات روتينية. بعد حصار مكة اعلنت وزارة الداخلية ان جهيمان كان قد اعتقل عام 1974م لاتجاره بالمشروبات الكحولية والمخدرات. هذا شيء غير محتمل، لأن المحافظين من العلماء، وهم رجال لايمكن ان يتعاطفوا مع مهرب للكحول والمخدرات، توسطوا ونجحوا في اطلاق سراح جهيمان. وقد اعتقل جهيمان

في مناسبات اخرى متعددة في ذلك العام، ونجح اتباعه اخيراً في اقناعه بالاختفاء والتغيب عن الأنظار.

اعتباراً من عام 1975م، اصبح كلا من جهيمان ومحمد بن عبد الله القحطاني طريدي عدالة. كانت عائلتاهما الكبيرتان والمتعاطفتان معهما تزودانهما بالعديد من "البيوت الآمنة"، واستطاع كلاهما العبور بسهولة إلى الكويت وقطر، حيث تزايدت اعداد اتباعهما. وفي تحقيق تلا الاستيلاء على المسجد الحرام، قالت المصادر الدبلوماسية الغربية ان جهيمان ومحمد كانا يستمدان معظم الدعم السياسي من قبائل حرب وشمر والقحطاني والعتيبي، وهي جميعاً كانت من القبائل المعارضة لتوحيد العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز.

بالاضافة إلى تجنيد العاملين في حركته الدينية السياسية مابين عامي 1975م و 1979م كتب جهيمان ايضاً البيانات والقى الخطب الرنانة في المساجد.

وفي هذه الفترة كتب مقاله المعروف "الامارة والبيعة والطاعة"، والذي كان عبارة عن تحليل مختصر للحكم السياسي في بلد اسلامي.

طبقاً لمؤلفه غير المنشور، يطالب القرآن المسلمين بأن يختاروا قادتهم السياسيين من الأفراد الأقدر والاكفأ في الدفاع عن العقيدة الاسلامية والحفاظ على ركائزها واتباع تعاليمها. وحين وصل إلى تحليل الوضع السياسي في العربية السعودية، كتب جهيمان يقول: "نحن نعيش اليوم في ظل ملكية مفروضة علينا، لايختار فيها المسلمون الخليفة، ولكن يحكم فيها الحكام الذين فرضوا انفسهم على المحكومين، وحيث لايؤدي اعتراض المسلمين إلى إزالة النظام الملكي"..

يبدو ان جهيمان واتباعه كانوا، مع حلول عام 1979م، قد يئسوا تماماً من اصلاح الأوضاع في العربية السعودية بالوسائل السلمية، وتوصلوا إلى القناعة بأن الثورة هي خيارهم الوحيد. وبناءً عليه، فقد أمر اتباع جهيمان بتأمين السلاح والاشتراك في تدريبات الكوماندوز في مواقع صحراوية نائية. في هذا الوقت بالذات كان جهيمان يقوم بتجنيد اعضاء من الحرس الوطني، ومن خلال اتصالاته داخل الحرس الوطني، تلقى معظم الأسلحة الأميركية الصنع التي استخدمت في عملية مكة. أما الأسلحة الروسية فيقال انها هربت إلى داخل البلاد داخل صناديق البيض القادمة م ن العراق. بعد الاستيلاء عل ى المسجد الحرام، ثارت شكوك قوات الأمن حول شحنات البيض المستوردة، مما نشأ عنه نقص كبير في البيض في جميع انحاء البلاد.

حين استولى جهيمان واتباعه على المسجد الحرام، دخلت مجموعة اخرى من رجاله إلى مسجد النبي في المدينة بهدف الاستيلاء عليه ايضاً.

وهنا تقارير متعددة حول اسباب فشل المجموعة الثانية هذه في محاولتها. والرواية التي تلقى اكبر التصديق ف ي العربية السعودية تقول ان المجموعة الثانية، والتي كان ينقصها قيادية جهيمان ومحمد القحطاني، فقدت شجاعتها قبل ان تدخل المسجد النبوي. وتقول رواية اخرى نشرتها صحيفة الواشنطن بوست، ان المهاجمين دخلوا فعلاً إلى المسجد النبوي في المدينة، ولكنهم وجدوا هناك وحدة من رجال الحرس الوطين كانوا قد توقفوا هناك بعد مناورات صباحية، وذلك لتأدية صلاة الصبح. وطبقاً لنفس الرواية، تم تبادل

عيارات نارية محدودة (مما يفترض ان يكون رجال الحرس الوطني قد دخلــوا المســجد وهــم مــدججون بالســلح، وهــذا خــرق للقــانون الاســلامي)، وان المهاجمين انسحبوا بعد ان اكتشفوا ان وحدة الحرس الوطني تفوقهم عدداً.

في هذه الأثناء كان جهيمان بن سيف العتيـبي قـد اذاع عـبر جهـاز الاذاعـة في المسجد الحرام في مكة، و احدة من رسائله التي اسيء فهمها اكـثر ممـا اسيء فهـم ايـة رسـالة اخـرى عـبر التاريـخ السـعودي كلـه. تـدعي الحكومـة العربية اسعودية ان جهيمـان اعلـن عـن ظهـور المهـدي المنتظـر، وهـو اسـم يطلق غالباً على أول مولود ذكر فـي العائلـة. وطبقـاً للروايـة الرسـمية، فقـد ادعى جهيمان ان المهـدي شـبه مقـدس، وشخصـية اشـبه مـايكون بالمسـيح، ارسلها الله لقيادة شعب الجزيرة العربية. وبالطبع، لم يكن العلماء الوهـابيون المتشددون ليتحملوا مثل هذه الاتجاهات الداعية إلى ظهور المسيح المنتظـر، فوصموا جهيمان واتباعه على الفور بأنهم خارجون عن الدين (كافرون).

والحقيقة ان جهيمان بن سيف العتيبي لم يناد بظهور مسـيح منتظـر ابـداً. بل اعلـن ان صـديقه وتـابعه، محمـد بـن عبـد الوهـاب القحطـاني، هـو القائـد السياسي والروحي الجديد في شبه الجزيرة العربية. وطبقاً لما روتـه مصـادر كانت داخل المسجد عند الاستيلاء عليه، بمن فيهم طـالب فـي احـد صـفوفي، فإن جهيمان عرف المهدي بأنه ذلك الذي طال انتظاره كثيراً والذي سـيخلص الاسلام من ايدي العائلة المالكة الخاطئة، ولم يضف جهيمان في أي وقت من الأوقات، وهو المسلم الوهابي التقي، اية صفة قدسية على صديقه ولـم يـذكر اية قوة أو سلطة له خارقة للطبيعة.

مرة أخرى طبقاً لرواية الحكومة السعودية، فإن جهيمان اعتقـل 35 ألـف مسلم واخذهم رهائن، وامرهـم والسـلاح مصـوب إلـى رؤوسـهم بـأن يبـايعوا المهدي. ولكن طبقاً لمصادر كـانت موجـودة فـي المسـجد الحـرام فـي ذلـك الوقت، فإن جهيمان امر الحشد الهائل م ن المسـلمين ام ا ان يعلنـوا ولاءهـم للقيادة الاسـلامية الجديـدة أو يغـادروا المسـجد بسـلام. لـم يأخـذ جهيمـان أو اتباعه رهائن في أي وقت من الأوقات، ولـم يجـبروا احـداً علـى الصـلاة بقـوة السلاح. وقد غـادر معظـم الــ 35 ألـف مصـل الموجـودين المسـجد، دون ان يصابوا بأي اذى. اما العشرون شخصـاً أو مـايقرب مـن ذلـك مـن المتفرجيـن الأبرياء الذين جرحوا أو قتلوا في المسجد، فقد صادف انهم كانوا يقفون قرب باب فجرته قوات الحرس الوطني بواسطة متفجرات بلاسـتيكية فـي محاولـة يائسة لاستعادة المسجد.

وقد عمت شائعات كثيرة تقول ان الملك خالد كان ينوي اداء صلاة الصــبح في المسجد الحرام صبيحة يوم الاستيلاء عليه، وان المهـاجمين كـانوا بالفعـل يريدون قتله. هذا أمر ممكن فمن التقاليـد المعتـادة أن يـؤدي الملـك أو نـوابه صلواتهم في المسجد الحرام في الأيـام الفضـيلة أو فـي المناسـبات الخاصـة (مثل بداية القرن الهجري الجديد).

يقول تقرير لصـحيفة الواشـنطن سـتار، كتبـه والـتر تيلـور، انـه كـان مـن المقرر ان يحضر الملك خالد صلاة الصبح ولكنه اضطر لالغائهـا بسـبب اعتلال صحته ونظراً لبرودة طقس ذلك الصباح. ويتكهن التقرير بأن الملك لـو حضـر الصلاة لكان اخذ رهينة إلى ان تلبى مطالب المهاجمين.

بعد ان دخلت الموجة الأولى من رجال الحرس الوطني إلى المسجد الحرام، وردهم المهاجمون على اعقابهم، أصبحت قيادة قوات الحكومة في حالة فوضى عارمة. يبدو انه لم يكن هناك أي شخص مسيطر على الوضع. فالأمير فواز، حاكم مكة، ومدير الأمن العام، الجنرال فايز العوفي، وقائد القوات الجوية الملكية السعودية الجنرال أسعد عبد العزيز الزهير، وقائد قوات الأمن الخاصة، الجنرال محمد بن هلال كانوا جميعاً يصدرون الأوامر إلى رجالهم، وكل منهم يجهل جهلاً مطلقاً ما كان الآخرون يفعلونه.

تسلم سعود الفيصل القيادة. وتناقص معدل الاصابات في قوات الحكومة بشكل كبير. لابد وان وزير الخارجية كان يدرك ان الطريقة الوحيدة لطرد المهاجمين دون تدمير المسجد نفسه انما تكمن في تجويعهم حتى يخرجوا بأنفسهم. وهذا ما فعله بالدرجة الرئيسية. فقد انتظر حتى انهارت قوى المهاجمين المتمردين من الجوع وقلة النوم ثم امر رجاله بالهجوم.

استغرق الأمر ثلاثة أيام بلياليها من القتال المستمر إلى ان استسلم المتمردون الذين كانوا قد هربوا إلى اقبية المسجد، وحتى ذلك لم يتم إلا بعد ان استخدمت قوات الحكومة الغاز المسيل للدموع، واغرقت الأقبية بالمياه لاغراق من بقي من المتمردين.

من بين مجموع المتمردين المهاجمين، تم القاء القبض على اقل من خمسة وسبعين متمرداً على قيد الحياة. قتل محمد بن عبد الله القحطاني على أيدي قوات الحكومة، والقي القبض على جهيمان بن سيف العتيبي. ورغم ادعاءات الحكومة السعودية بأنه ادلى باعتراف كامل، فإن مصادر مقربة من العائلة المالكة تؤكد بأنه رفض الاجابة على أي سؤال وجه اليه، وان رده الوحيد على الاستجواب كان الصلاة.

من اصل الخمسة وسبعين متمرداً الذين القي القبض عليهم، كان هناك عشر نساء، واطفال نقلوا إلى مكان مجهول اطلقت وزارة الاعلام عليه اسم "معهد الاصلاح واعادة التأهيل". اما الثلاثة والستون الآخرون، بمن فيهم جهيمان، فقد عقدت لهم محاكمات سريعة وحكم عليهم بالموت. قسمت المجموعة إلى مجموعات صغيرة وارسلت كل منها إلى مدن مختلفة في جميع انحاء المملكة. وفي التاسع من يناير كانون الثاني، 1980م، وفي الساعة الرابعة والخمسة والأربعين دقيقة صباحاً، أي قبيل بزوغ الفجر، قطعت رؤوس الرجال الثلاثة وستين علناً وفي الساحات العامة.

نجد دوافع الاستيلاء على الحرم في كتابات جهيمان بن سيف العتيبي، وعلى الأشرطة التي سجلت عليها خطاباته اثناء الاحتلال. تشير كتاباته إلى انه لم يتلق عوناً من اية حكومة. وهو شديد العداء للشيوعية، ومعاد لليهودية والنصرانية. ومن التسجيلات على الأشرطة لخطاباته التي القاها داخل المسجد الحرام، نكتشفت ان جهيمان كان يعتقد بان العائلة المالكة قد خانت المثل العليا الاسلامية وتنكرت لها، وانها غارقة ملطخة بالفساد المالي، وانها اساءت استغلال الثقة التي وضعها فيها شعب الجزيرة العربية اساءة لاحدود لها. وبالاضافة إلى ذلك، اتهم جهيمان العلماء بأنهم "باعوا انفسهم" للغرب. ومن غريب الصدف ان تكون هذه الاتهامات هي نفس تلك التي وجهها العقيد الليبي القذافي خلال موسم حج عام 1980م إلى الحكومة السعودية. والحقيقة ان اتهامات القذافي الموجهة للعربية السعودية، وتحريضه لحجاج

مكة على ارتكاب اعمال العنف، هي التي دفعت الحكومة السعودية إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع ليبيا. وان الاتهامات الموجهة ضد العائلة المالكة السعودية التي اطلقها جهيمان كانت متطابقة تماماً تقريباً مع اتهامات العقيد القذافي لتلك العائلة.

الملحق الثالث

عودة الاخوان

من كتاب ديفيد هولدن ورتشارد جونز:

(THE HOUSE OF SAUD)

حتى في بلد ليس شهرة حب الاحتفالات، كان صباح يوم 20 نوفمبر 1979م مناسبة ذات طابع خاص. فاليوم، بالنسبة لمسلمي العالم، هو ايضاً بداية العام الهجري، واكثر من ذلك، هو اليوم الأول م ن عام 1400للهجرة، وحسب الاعتقاد الشائع، فقد كان ذلك اليوم بداية القرن الخامس عشر منذ ان غادر النبي مكة الكافرة إلى أرض المدينة الأكثر كرماً وترحيباً. فكان هذا يوماً للصلاة في المحج الأكبر في مكة، اقدس مكان على أرض الله.

اقرب نقطة يمكن لغير المسلمين ان يتوقعوا الوصول اليها من هذا المركز الذي يستقطب 600 مليون روح، هي حاجز صغير على الطريق إلى مكة، تعلوه شجرة طرفاء مغبرة وتعج فيه لافتات تعلن بسبع لغات (منها الكورية) انه لايجوز (لغير المسلمين) تجاوز هذه النقطة. قد يخور الشرطي الواقف هناك ويجأر، وقد يفتح بيت مسدسه (الفارغ) اذا تباطأ هؤلاء ولو ثانية واحدة قبل ان يتحولوا إلى الطريق الفرعي الطويل المؤدي إلى الطائف.

إلا ان الأمور لم تكن على مايرام. فاليمنيون الشماليون بدأوا، مرة أخرى يتحولون إلى موسكو طلباً للسلاح. والاخبار القادمة من افغانستان كانت سيئة. فالعلماء هناك يتعرضون للاضطهاد، وبدأ الأمريكيون غير مكترثين بحجم الالتزام السوفييتي تجاه النظام في كابول. وعلى امتداد الصيف، كان الضجيج القادم من ايران يحمل طابع التهديد. وإذا لم يكن عدم استقرار مؤسسات البلاد مخيفاً بما فيه الكفاية، فإن العلماء الايرانيين يتحدثون الآن عن "تصدير الثورة الايرانية". وقد حظيت البحرين باهتمامهم باعتبارها مكاناً يتعرض فيه الاخوة الشيعة إلى الاضطهاد والكبت. وفي الاحساء ايضاً، هناك اقلية شيعية لم يكن آل سعود حتى ذلك الحين قد تعلموا ان يثقوا بها أو يحبوها.

تحرك الملك بأسلوب معروف: لابد من التشاور. في شهر يونيو (حزيران) من ذلك العام، دعا الملك إلى مؤتمر يحضره حكام الخليج التقليديون، لم يقتصر فقط عائلات كعائلة آل الصباح في الكويت، أو آل خليفة في البحرين التي يحترمها آل سعود، ولكنه ضم ايضاً حتى مشايخ منطقة الخليج السفلى الذين لم يكونوا يكنون لهم مثل ذلك الاحترام. اجتمعوا بين اشجار العرعر في خميس مشيط وشاهدوا عرضاً لمقاتلات سلاح الجو السعودي من طراز F-5E وعرضاً عسكرياً اشترك فيه أربعون الفاً من رجال

قبائل عسير وقحطان. كان اللقاء عظيـم النجـاح، بقـدر ماكـان يتعلـق بتـذكير الواحد منهم الآخر بما هو مشترك بينهم. وفـي شـهر سـبتمبر (ايلـول) اجتمـع وزراء الخارجية فـي الطـائف لمناقشـة مـايمكن ان يفعلـوه لحمايـة انفسـهم وحماية المخرج الوحيد والمعرض للخطر، الذي يصدرون منه نفطهـم، مضـيق هرمز. لم تحظ عمان بتأييد كبير لخطتها القاضية بالسماح للقـوات العسـكرية باستخدام قواعد عمان، اعيد طرح المشروع القديم لتمديد خط انـابيب جديـد جنوب مضيق هرمز.

كان موسم الحج قد حل بالبلاد، ومعه اكـبر حشـد مـن الحجـاج الايرانييـن ارسلته ايران فـي تاريخهـا، يملـؤهم التفـاخر بثـورتهم. تلقـى تركـي الفيصـل (مسؤول الاستخبارات) تقـارير تفيـد بـأن هنـاك خططـاً للتحريـض فـي قـرى الشيعة في القطيف وصفوى وسيهات. وانه ستكون هناك بالتأكيـد مظـاهرات عند مخيم الحجـاج فـي منـى، خـارج تلـك البلـدة، وسـيرافق ذلـك كـل أدوات ثورتهم المضللة والعدوانية والصاخبة. ولما كان موسم الحج يتوقـع استضـافة حوالي مليوني رجل وامرأة وطفل لحضور مراسـيم الفريضـة، فقـد كـان مـن الطبيعي ان يشعر تركي بالقلق.

ولكن ما حدث فعلاً ان المظاهرة والمسيرات وتوزيع خطب الخمينـي مـر بسلام ودون وقوع أية حادثة خطيرة. وهكذا مر موسم حـج آخـر خـال مـن أي مرض اسوأ من مرض الانفلونزا. ولهـذا فـإن امـام الحـرم، الشـيخ محمـد بـن سـبيل، اقـترب مـن الميكروفـون مرتاحـاً مطمئنـاً، فـي السـاعة الخامسـة وعشرون دقيقة من صبيحة يوم 20 نوفمبر (تشرين الثاني) ليؤم صلاة الفجـر هذه والفريدة من بيـن كـل صـلوات. ولكـن مـا ان اتـم الامـام الحكيـم الـورع الفريضة حتى دفعته يد خشنة غليظة بعيداً ثم اطلق عيار ناري تبعتـه طلقتـان اخريان، وسقط رجل دين صريعاً[1] بينما كان جهيمـان بـن محمـد العتيـبي هـو الذي اطلق العيارات النارية، وراح محمد بن عبـد اللـه القحطـاني يصـرح فـي الميكروفون بأنه هو المهدي المنتظر، كما هو مكتوب: "سيلجأ المهدي ورجاله ويحتمون في المسجد الحرام لأنهـم مضـطهدون فـي كـل مكـان، فلا يجـدون ملجأ إلا المسجد الحرام".

لكن نار الجحيم كانت قد اندلعت. وقف عدد من المصلين وقد جمـد الـدم في عروق هؤلاء المتقون المحدقو العيون، بينما اندفع معظمهم إلى البوابـات وقد تملكهم الرعب من اطلاق النار في الحـرم وتدنيسـه. وقـد تحـدث شـهود عيان فيما بعد عن مسلحين تحركوا صوب البوابـات لاغلاقهـا، ثـم عـن وصـول حفنة من رجال الأمن. وقد اصيب عدد مـن الحجـاج فـي هـذه الفوضـى الـتي اعقبت لعلعة طلقات الرصاص الـتي مزقـت الرصـيف الرخـامي. وطبقـاً لمـا رواه الشيخ محمد، فقد خلع عباءته التي كان يتميز بهـا وانسـل خارجـاً لطلـب النجدة من هاتف عمومي.

هنا بدأ آل سـعود يواجهـون اسـبوعين مـن الرعـب والخـوف لـم يواجهـوا مثلهما منذ ثورة فيصل الدوشي والاخوان المتمردين الآخرين عـامي 1928 ـــ 1929م. جاءت ردة الفعل تقليدية معروفة. امر نايف المتعهدين الكنديين في شركة الهاتف بقطع كل اتصال بالعالم الخارجي، ومع ذلك فسرعان ما ظهرت

[1] ـ لم تكن هناك طلقات، كما لم يكن هناك قتلى من رجال الدين أو غيرهم.

تقارير واخبار غامضة مضطربة في تونس حيث كان فهد وسعود الفيصل يحضران اجتماع قمة عربي، كما ظهرت اخبار في واشنطون، التي كان لها خطها المباشر الخاص إلى جدة.

كانت الصدمة عنيفة هزت العالم الاسلامي. "لا.. هذا ليس من الاسلام في شيء" كان هذا هو عنوان الصحيفة الدمامية "اليوم" حين سمح لها أخيراً بنشر القليل الذي تعرفه عن الحادث. ومع ذلك، فلم يكن سلام الاسلام الخيالي الزائف هو الذي تحطم او انهارن وانما هيبة آل سعود ومكانتهم. مع مرور الأيام، تم صد هجوم اثر هجوم، بينما بعيداً من هناك، في الاحساء، كان شيعة صفوى والقطيف يشعلون الاضطرابات العنيفة حين تدخل رجال الأمن في الاحتفالات التقليدية التي تقام يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من الشهر الجديد، شهر محرم، ويوم قمة فترة الحداد الذي تشهده الطائفة حزناً على الحسين، حفيد النبي. كانت بيانات الحكومة قليلة متضاربة واحياناً هستيرية. اما في المدن، فقد كان المتعلمون والمثقفون غاضبين من استبعادهم من أي دور في هذه الأزمة.

حتى في يوم موته، لمن يبد على جهيمان العتيبي ابداً انه ينتمي للعرق البشري بشكل كامل. فقد كانت كلمة "وحش" على شفاه كل مواطن سعودي وهم يصفونه. اما بدو قبيلته ـ وقد اطلق عليه دوتي (Doughty) لقب "امة" أو "شعب" ـ فما يزالون يتحدثون عنه بكثير من الألم والأسى، ويقولون لك انه لم يفه بكلمة واحدة اثناء اخضاعه للتحقيق والاستجواب.

الأساطير تنسج سريعاً في الأسلام، ولكن لم تمض أيام قليلة الا وكان جهيمان قد القي في الدرك الأسفل من نار المسلمين وجهنمهم. كانت تظهر في كل يوم قصص جديدة عن الأعمال المروعة المشينة التي ارتكبها اخوانه، فهم وقد ضيقت قوات الأمن الحصار عليهم في المخازن والسراديب تحت الحرم، احرقوا اوراق المصحف لتشويه معالم وجوده رفاقهم الموتوى، وانهم، خلال ذلك الليل المرعب الذي امتد اسبوعاً بأكمله، قد شغلوا انفسهم وتسلوا تبعاطي الجنس. وكل هذا كان تدنيساً لبيت الله بهول اهراق الدماء.

ادعى الناطقون بإسم آل سعود فيما بعد بأن تمرد جهيمان انما كان ممارسة شاذة لعقيدة لاهوتية جذرية لاعلاقة له بالقضايا السياسية أو الاجتماعية. واعتقد العديد من المراقبين للأحداث، بمن فيهم سعوديون، بأن التمرد كان مصدر نذير شؤم على آل سعود بنفس شؤم على آل سعود بنفس شؤم المظاهرات الكبرى التي عمت طهران بالنسبة لعائلة البهلوي. لم يكن الأمر كذلك ابداً. حفنة صغيرة من الرجال فقط خارج اسوار الحرم كانت تظهر تعاطفاً مع عنف جهيمان أو مع برنامجه الغريب والدقيق لتطهير الأرض بواسطة مهدية الموعود، محمد بن عبد الله القحطاني. وكانت هذه الحفنة، على أي حال، موزعة في ارجاء البلاد، في الخلايا الصغيرة التي كان جهيمان قد شكلها في المدن الصغيرة ومستوطنات البدو.

ان تقويماً افضل للحادثة هو ماقاله صحفي لبناني وهو سليم اللوزي.

فقد تساءل اللوزي عما إذا كان الاخوان ليسوا هم السم الذي يجب نفثه في جسد بهذا القدر من الاجهاد والانهاك مثل جسد العربية السعودية الحديثة. وقد عالج نايف جوهر القضية حين قال في مؤتمر صحفي طال حتى السأم عقده "لتوضيح احداث مكة اما العالم، وحين سأله احدهم بشيء من الجد عما

إذا كان سيلاحق ويداهم كل من لـه لحيـة طويلـة (فقـد كـانت اللحـى مظهـراً مميزاً، ليس فقط لعصبية جهيمـان واخـوان ابـن سـعود، ولكـن لعلمـاء الـدين التـابعين للدولـة، وشـركائهم المطـوعين التـابعين لجمعيـات حمايـة الأداب العامة..) ـ قال: بالتأكيد لا، فنصـف سـكان المملكـة مـن الملتحيـن. وسـنظل دائماً نحترم مظاهر التقى والورع على وجه الانسان.".

استمدت عصابة جهيمان قوتها من نفس تلك المصادر التي تستمد الدولـة السعودية منها قوتها، الا وهي التقى والورع الجهادي (النضـالي) القـديم قـدم الاسلام نفسه تقريباً. فالجماعات الصغيرة هنا تنفعل تجاه الفسـاد الـذي يعـم هذه الأيام بممارسة السلوك التطهيري والاحتقار الذي يرافقه العنف ضـد هـذ الفساد. كان هذا نمط الحياة فـي نجـد ايـام عبـد الوهـاب، وفـي مسـتوطنات الاخوان في فترة العشـرينات مـن هـذا القـرن. وقـد اظهـرت معركـة عـامي 1929 ـ 1930م، مدى عدم تكافؤ هذا الحماس الديني العنيف حتى مع تصـور ابن سعود نفسه لمفهوم الدولة الحديثة.

حين ولد جهيمان، حـوالي عـام 1940م، فـي مسـتوطنة عتيبـة الاخوانيـة الصغيرة (ساجر) الواقعة في منطقة القصيم، فإن ذكرى ثورة ابن حميد (ابـن بجاد) وهزيمته كانت ماتزال حية في الأذهان. وحيـن كـان جهيمـان شـاباً فـي مقتبل العمر، لم يكن يحتاج إلا إلى السفر بضعة اميال ليصل إلى (الغطغـط)، وليرى الاطلال الطينية الخربة، وهي كل ما بقي من قاعدة ابـن حميـد. وحـتى بعد ثلاثين عاماً، فإن حفنة المحاربين القدماء الـذين مـايزالون يعيشـون حـول تلك المستوطنة لايزالون يحتفظـون برايـات الاخـوان الـتي مزقهـا الرصـاص، يخرجونها لتنوير وتثقيف زائريهم.

ليس معروفاً ما اذا كان الصبي الـذي اطلـق عليـه والـده اسـم "العبـوس الصغير" يرتبط برابطة الدم ببركة العتيبي، بسلطان بن بيجاد بـن حميـد. مـن المؤكـد ان جهيمـان يرتبـط بروابـط عاطفيـة قويـة مـع الاخـوان الأوليـن، المتمردين منهم والموالين. وقد اسـتعار اسـمهم وقلـدهم فـي اطلاق اللحـى وتقصير الثوب الذي كانوا يقصرونه إلى مـافوق العقـب تعـبيراً عـن البسـاطة والزهد. وكما فعل قادة الاخوان، فقد رفض جهيمان جميـع البـدع والتجديـدات الـتي اشـرف عليهـا آل سـعود. كمـا ان انتقـاده الشـديد للتلفزيـون والصـور الفوتوغرافية ولدته معارضتهم الشديدة للبرق اللاسلكي. وقد هاجم العلاقـات مع الدول الملحدة، وهاجم وجود غير المسلمين في المملكة بحدة ومرارة، لم تكن تقل عن حدة مهاجمتهم له. كانت مملكة فـي فوضـى عارمـة. لكـن هـذه الفوضى لم تبدأ مع بداية تطبيق الخطة الخمسية الثانية، ولكنهـا بـدأت "حيـن قبل الناس بعبد العزيز بن سعود" يوم بايعوه عام 1932م.

اثناء المؤتمرات التي عقدت على امتـداد الاعـوام الأخيـرة مـن الثلاثينـات بهدف مصالحة عبد العزيز ابن سعود والاخوان المتمردين، انحاز العلمـاء إلـى صف الامام (ابن سعود). وحـول موضـوع الجهـاد، الموضـوع الحسـاس جـداً، والمليء بوعود الفردوس والغنائم والسلب، افـتى العلمـاء عـام 1927م بـأن يترك تقرير الموضوع للامام ايضـاً. امـا فيصـل الدوشـي وسـلطان بـن بجـاد، اللذان لم يتنازلا حـتى لحضـور المـؤتمرات، فكـان لهمـا رأي آخـر. فقـد كتـب حافظ وهبة يقول "انهما ادعيا على مدى الاعوام انهما، وهما فقط، المـدافعان عن الايمان الحق والدين اليقين، والـداعمان للقـانون الـذي كـان عبـد العزيـز

يحاول تحطيمه." وبالنسبة لجهيمان ايضاً، تضامن العلماء مع الدولة في حلف غير مقدس فعلاً. فقد كتب يقول في منشور ظهر عام 1978م، "ان علماء نجد قد باعوا انفسهم لآل سعود.. فمن اين يأتي العلماء والمشايخ بالأموال، الا عن طريق الفساد والافساد؟.."[1] ويصب جهيمان جل احتقاره على الشيخ عبد العزيز بن باز[2]، الفقيه الأعمى الذي يدافع عن فكرة الكون الذي مركزه الأرض. وقد كتب جهيمان يقول ابن باز كان قد شجع جماعته في باديء الأمر, ولكنه يقبض الأموال الآن من آل سعود، وهو ليس اكثر من اداة صغيرة في يد العائلة المالكة تستخدمها في تسخير الشعب وقهره. كان علماء آخرون قد حذروا من فساد العائلة المالكة، لكن الباز اخرسهم جميعاً. ويضيف جهيمان قائلاً "ربما يعرف ابن باز السنة معرفة جيدة، ولكنه يستغلها في دعم الحكام الفاسدين". والسنة هي سيرة واعمال واقوال النبي، ولا يفوقها في الالهية الا القرآن.

لم يكن علماء نجد هم القوة الدينية الوحيدة في العربية السعودية، ولم يكونوا المعلمين الوحيدين الذين شعروا باحتقار جهيمان لهم. فعلى مدى قرن كامل كان العالم الاسلامي واقعاً قبضة جدل واسع حول اصول الدين. والافكار المتطرفة التي نمت في أرض مصر الاكثر خصباً، وفي السودان وشبه القارة الهندية، حملتها رياح التجارة والنفي والحج إلى الاراضي المقدسة حيث بذرت بذورها فيها. يذكر جهيمان الاخوان المسلمين الذين تأسست حركتهم في مصر، ويذكر جماعة التبليغ، وهي الحركة المعادية للأمبريالية والامبراطورية البريطانية التي نشأت في الهند، ويذكر انصار السنة في السودان، وجماعة (جمعية) الاصلاح في الكويت. ويقول انه صلح اخطاءهم واستقطب اتباعهم ـ وكلهم تقريباً من غير السعوديين ـ لكي يكبر عدد عصبته. وهناك مذاهب اخرى لم يذكرها بالاسم ولكنها تستمتع إلى مايقوله باهتمام، منها حركة المسلمين السود في الولايات المتحدة، وجماعة التكفير والهجرة في مصر، وهي التي كانت مسؤولة عن مقتل احد وزراء الرئيس السادات عام 1978م. ويتواجد رجال يحملون هذه المعتقدات القتالية (النضالية) العنيفة في كل بلدة كبيرة تقريباً في المملكة: اذ انه مع حلول عام 1978م، وصل عدد المصريين في السعودية إلى ربع مليون شخص، وكذلك عدد الباكستانيين. إلا ان مركز اهتمامهم كان الحرمين والكعبة في مكة، ومسجد الرسول وقبره في المدينة.

في سابق الأيام، كان حرم مكة يعرف "بجامعة الاسلام"، وذلك نظراً للعدد الهائل من المؤمنين من جميع انحاء العالم الذين كانوا يأتون اليه للدراسة والتأمل في ظل المنائر المقدسة. وبفضل كرم وسخاء الملك سعود ـ الذي انفق مايربوا على الألف مليون ريال ـ وبفضل خلفائه على العرش ـ يمكن للحرم الأكبر (المسجد الحرام) ان يتسع الآن لما يزيد على ربع مليون مصل.. تحت ساحة الحرم، وفي مايزيد على الثلاثمائة خلوة أو منسك، يستطيع المتعبدون المؤمنون ان يخلوا لأنفسهم ليصلوا ويعيشوا، كالرسول على الحليب وحفنات من التمر. ومن بين المكانين المقدسين، كانت المدينة تعتبر الأكثر راديكالية أو جذرية. فقد تأسست الجامعة الاسلامية هناك في

[1] ـ لم يظهر في كتابات جهيمان مثل هذه الأقوال.
[2] ـ ايضاً لم يحقر جهيمان الشيخ بن باز، بل كان ينتقده بلطف.

اوائل الستينات، اقامها الاخوان المسلمون الذين نفتهم سياسات عبد الناصر العلمانية، استطاع الاخوان المسلمون اقناع آل الشيخ والملك، الذي لم يكن بحاجة للاقناع، بأن عبد الناصر يتلاعب ويتدخل بالمناهج الدينية لجامعة الأزهر في القاهرة، منبع العلوم الاسلامية منذ القرن العاشر.

بدأ نشاط الاخوان المسلمين في العشرينات من هذا القرن ومن صلب رسالتهم التي تطورت وتعدلت عبر السنين، العودة إلى اسلام "السلف الصالح" أي المسلمين الأوائل. وقد خلقوا توازناً بين شكهم العميق بعلم الكلام، الذي نما في ظل التأثير الجدلي (الديالكتيكي) للفلاسفة اليونان، وبين تكريسهم انفسهم لدراسة الحديث. والحديث هو سنة النبي في اعماله واقواله، والتي غالباً ماتأخذ صيغة: "سمع آمن ب، الذي سمع من ج... الذي سمع بنت النبي تقول انه...". هذه هي طبيعة الاسلام، التي سمحت باستخدام هذه الاحاديث لاعطاء الشرعية لحركات سياسية ومثل عليا على مدى الصراعات الانقسامية التي سادت العصور الوسطى. معظم هذه الاحاديث مزورة ظاهرة التزوير. إلا ان معظم المسلمين يؤمنون بمجموعة من "الاسناد الصحيحة" خاصة التي رواها العالمان مسلم والبخاري، من علماء القرن التاسع.

وعرف عن الاخوان المسلمين ايضاً دفاعهم العنيف عن معتقداتهم، ليس فقط اثناء الحكم البريطاني، ولكن خلال عهد عبد الناصر ايضاً. ولم يكونوا الوحيدين في جامعة المدينة، فنشاطات الملك فيصل التبشيرية القوية على امتداد عقد الستينات اجتذبت بطبيعة الحال اعداداً كبيرة من الطلبة الأجانب، وكان العديد منهم، ولأسباب واضحة، من المعارضين لأنظمة الحكم القائمة في بلادهم. في عام 1969م اصبح الباز عميداً للجامعة، وراح يؤكد ويصر اكثر من قبل على رؤيته للاسلام، وعلى تأكيده الموسوس على حرفية القرآن والسنة، وعلى رفضه للبدع والتجديد، يبشر بكل هذا في تعاليمه ويؤكد عليه. وقد علق مستشار ملكي يحزن واسى فيما بعد قائلاً: انك اذا قدمت منهاجاً دراسياً عمره الف عام، فلابد ان تتوقع سلوك وتصرفات ماقبل الف عام.

من الصعب تقديم دراسة مترابطة عن حياة جهيمان، لأن الأدلة متضاربة. ولايعرف عن ماضيه العملي إلا القليل سوى ان التحق بالحرس الوطني عندما كان في أواخر العقد الثاني من عمره، وارتفع إلى رتبة عريف في فصيلة مجاهدي عتيبة. من الحماقة التكهن بأنه، كالرسول أو كعبد الوهاب، قد مر في فترة ازمة عقلية حادة. ربما ان كل ما في الأمر ان تقواه وورعه الحاد قد اصطدم بعنف مع مطالب الحياة العسكرية، على ضحالتها، التي يتطلبها الحرس الوطني. وقد رفض فيما بعد الخدمة في أي مؤسسة من مؤسسات الدولة باعتبارها من البدع. ولكن ومهما كان السبب، فقد سرح من الخدمة في قاعدة الحرس الوطني في القصيم. يقال انه التحق بكلية الشريعة بجامعة المدينة، ولكنه كان قبل ذلك طالباً من طلاب الباز لمدة لاتزيد عن العامين، حين اصطدم مع هذا العالم الوقور وانفصل عنه عام 1974م، وعاد مع عشرة طلاب آخرين إلى القصيم. ربما كان جهيمان أمياً، كما تصر السلطات السعودية، ولكن مع ذلك كان بإمكانه حضور محاضرات الباز، لأنها كانت تقام في المسجد الذي يؤمه كل المسلمين. من الصعب ان يعرف المرء ما الذي كان يحدث في ذلك العالم الثقافي الغريب والبعيد. اما الشيخ

حمود ابن صالح العقيل، امام الصلاة في جامع الرياض، فقد قدم سرداً دفاعياً إلى حد ما حين قال "ان جواً ملائماً للهرطقة الاسلامية قد نشأ في المدينة بسبب وجود اعداد كبيرة من الطلبة الأجانب".. هو لايذكر الباز بالاسم، ولكنه يتحدث عن جماعة كانت تدعوا إلى رفض كل العقائد "المفسرة" (التفسيرية) والعودة إلى اصول وأسس القرآن والسنة. ثم يتابع قائلاً: "قامت السلطات بطرد الأجانب، واعادت تأهيل السعوديين، ولكن الهرطقات عادت إلى الظهور ثانية بعد وفاة الملك فيصل"..

من المحتمل ان يكون جهيمان قد استوعب الدفاع المرير الذي يظهره الشيخ الباز عن الاسلام النقي، وانه وسع حجته في هذا المجال لتشمل آل سعود.

وقد ادعى فيما بعد بأن الباز لم يعترض ابداً على عقيدة الاخوان ولكنه اعترض فقط على كونهم قد خصوا آل سعود والعربية السعودية بكونها دولة فاسدة.

من السهل ان نتصور الباز وهو المخلص الوفي للتحالف الوهابي، والخائف على مركزه وهو يرفض ويطرد الطلبة من الجامعة. لقد كانت خطوة بالغة لحرج، وكتب جهيمان فيما بعد يقول بأن الاخوان لم يستطيعوا ان يجدوا الثقافة الدينية الحقيقية في المدارس ولهذا فقد قرروا ان يثقفوا انفسهم. هذا التعليم الذاتي هو الذي اصبح فيما بعد تلك التركيبة الخطرة من السنن والتقاليد.

ومرة اخرى يختفي جهيمان ومعه اتباعه المتعصبون بين اشجار النخيل وبين المتعصبين.. نحن يمكن ان نؤكد بأنه كان ينشر تعاليمه ما بين اتباعه في ذلك الوقت، لأنه في عام 1976م قامت عصابته والتي ازداد عددها بشكل كبير بالانتقال إلى الرياض وهي البلدة التي كانت تتحول بسرعة زادت عن سرعة أي عملية تحول في التاريخ إلى مدينة حديثة. مثله مثل أي متاجر بالأراضي في تلك البلدة اشترى جهيمان بيتاً بالأموال التي قدمها له عضو ثري من جماعته اسمه يوسف باجنيد وهو شاب تقي من عائلة من جدة يعمل افرادها بتجارة الجملة. وقد قال البعض فيما بعد بأن يوسف هو الذي كتب فعلاً ذلك المنشور الذي وقعه جهيمان.

هذا ممكن. من المؤكد أنه مول عملية الطباعة في مطبعة الطليعة ف ي الكويت التي طبعت فيها أول مقالة رئيسية للمجموعة. اطلق على هذا المنشور عنوان احكام الطاعة والولاء.. سوء سلوك الحكام. وهذا المنشور هو هجوم صريح فاضح على العلماء وعلى شرعية آل سعود. والحجة التي يردها المنشور ببساطة هي ان الحكام المسلمين الذين لايتبعون القرآن والسنة لايستحقون اية طاعة ولكن يجب مقاومتهم. والعائلة المالكة في العربية السعودية هي مجموعة حكام من هذا النوع. فهي عائلة فاسدة ومخادعة تلوى القانون لكي تدعم غاياتها الخاصة بها وهي تتعاون مع الكفار والملحدين.

لم يكن على هذا المنشور أي تاريخ ولكن من المؤكد ان هذه العواطف الخائنة هي التي دفعت بجهاز مخابرات نايف أو المباحث بأن يتصرف في صيف عام 1977م وهكذا فإن جهيمان ومعه 98 شخصاً آخر من اتباعه تم اعتقالهم في الرياض. لم يكونوا في يوماً من الأيام مصدر احراج سياسي أو

عرضة لمحاكمة. ولكن بدل من ذلك استدعى الباز من المدينة وقام باستجوابهم إلا انه لم يستطع أو لم يرد ان يجد خيانة في تعاليمهم. وبعد ستة أسابيع في سجون الرياض الخانقة تم اطلاق سراح هذه المجموعة مقابل وعد بأن لايعودوا إلى التعليم أو إلى نشر تعاليمهم التخريبية أو القيام بنشاط علني.

في فترة سؤال الذات وامتحان الذات بعد الهجوم على مكة راح العديد من السعوديين يتساءلون عن دوافع الباز. فهو لم يكن وحيداً باهتمامه في هذه المجموعة أو العصابة. بل ان احد اشد العلماء طموحاً وقوة وهو الشيخ صالح بن لحيدان راح يشجع الاخوان ايضاً، يصفه جهيمان بأنه جاسوس. من المفيد هنا ان نتذكر ان هذه المرحلة ماقبل النهائية من سيرة جهيمان قد تلازمت مع فيض من التشريعات صادر عن مكتب نايف فقد منعت النساء من السفر وحيدات ومن العمل مع الرجال. كما وعد وزير الداخلية بأن يصدر أمراً يحدد اللباس المسموح للمرأة. وقد تصاعدت المشاعر المعادية للأجانب في رمضان عام 1979م حين راح البعض يوزعون مناشير في الأسواق تحذر الأجانب من عواقب الألبسة غير اللائقة ومن ارتداء الصلبان ومن مخاطر امساك الرجل بيد زوجته في الشارع العام. من غير المعقول ان نفترض ان العديد من العلماء ومن المتحمسين الاصوليين كانوا راضيين عن استخدام جهيمان كعصا يضرب بها آل سعود، كما ان نايف نفسه كان قلقاً مضطرباً من جراء انتشار هذه الآراء الاصولية.

في هذا المنشور المح جهيمان ايضاً إلى المهدي المنتظر يقول فيه حتى المهدي الكذاب هو افضل بألف مرة من امام فاسق. وقد طور افكاره هذه بشكل اكثر نضجاً في منشور آخر اطلق عليه اسم دعوة الاخوان، وكان رقم هذا المنشور رقم 3 وقد ظهر في رمضان من العام التالي.

ان عقيدة أو الايمان بالمهدي المنتظر هي بالدرجة الرئيسية هي عقيدة مقترضة من المفاهيم اليهودية والمسيحية عن المسيح المنتظر وهي غريبة عن تعاليم الاسلام السني. والعديد من المسلمين لا يعرفون إلا القليل عن هذه العقيدة سوى حكاية أو القصص التي تروى عن محمد احمد بن عبد الله مهدي السودان اثناء حصار الخرطوم ثم موت الجنرال غوردن على يديه عام 1881م. هذه الحركة السودانية كانت مدينة بشيء ما للوهابيين فالمهدي منع التدخين، ومنع عبادة الأولياء ولكنه كان يستوحي الهامه بالدرجة الرئيسية من الغيبية الصوفية التي تأثرت إلى حد كبير بالمسيحية، وكذلك كان يستمد هذا الوحي والاحياء من الشيعة. في الاسلام الشيعي المهدي هو الامام الثاني عشر أو الخلف المباشر لصهر رسول الله علي بن ابي طالب. وكان هذا المهدي قد اختفى عن الأنظار إلى أن يحين الوقت لعودته المنتصرة المظفرة. اما بالنسبة للسنة فإن افضل السنة الصحيحة تحتقر هذه العقيدة ولكن الرأي الشائع تم جره إلى الاعتقاد وقبول هذا الاعتقاد في الأوقات العصيبة.

العلام الهولندي الكبير س. سنوك هاركرونجي: كان يعيش في مكة خلال الأحداث السودانية وراقب باحتقار كيف ان "اضواء العلم العظيمة في المدينة كانت تناقش حكم المهدي والاطاحة به من قبل المسيح الكذاب وتناقش ايضاً عودة المسيح المنتظر وكذلك الظواهر غير الطبيعية التي تصاعدت على

شكل مجتمع بشري سوف يعلن عن اقتراب البعث".. بالنسبة للأسلوب هذا كان هذا الكلام مجرد مادة غريبة جمعها خيال المسلمين من التقاليد المسيحية واليهودية والفارسية.

وعلى أي حال فإن هذه المادة الغريبة كانت قد تمثلت في السنن التي يصفقها إلى حد كبير الاخوان الذين درسوها بعناية كبيرة. وهناك مثل جيد وقديم على هذا يقدمه ابن خلدون في مقدمته الاجتماعية الكبيرة، يقول ابن خلدون سيظهر اختلاف عند وفاة خليفة وسيتقدم رجل من عامة الناس من المدينة ثم يهرب إلى مكة. ثم ان بعض اهل مكة سيأتون إليه ويجعلونه يثور "من الواضح ان المقصود هو أي يجعلوه يظهر في حالة البعث" ضد ارادته وسوف يقسمون يمين الطاعة له ما بين الركن "وهي ساحة من ساحات الحرم" وما بين المقام "وهي بناء صغير بجانب الكعبة يضم الحجر الذي يقال ان عليه آثار قدم ابراهيم".

وسيرسل جيش لمقاتلة هذا الشخص من سوريا ولكن هذا الجيش ستبتلعه الأرض في الصحراء أو البادية ما بين مكة والمدينة.

الفتنة، ثم طبيعة المنطقة المبني فيها الحرم، اضافة إلى التدمير الالهي للجيش القادم من سوريا أو على أي الأحوال من الشمال، هي المعالم الرئيسية الأحاديث السنية عن المهدي. يقول آخرون ان المهدي سوف يحمل اسم الرسول (محمد بن عبد الله) وسيكون من قبيلته (قبيلة قريش) وسيظهر بعد حوالي ستة إلى عشرة اعوام قبل ظهور المسيح الكذاب الذي سيدمره المسيح عندما يتقدم، أي المسيح، لإعادة الهدوء والسلام كما فعل محمد. هذه الأحاديث أو الروايات تشغل الحيز الأكبر من 36 صفحة من المنشور الذي يحمل عنوان دعوة الاخوان.

وبين أفراد عصابة جهيمان وتنوعها من المصريين والكويتيين واليمنيين والباكستانيين، لابد وان يكون هناك رجال كان هذا العالم الغريب العجيب من التنبؤات القديمة الغريبة لم يكن يعنى بالنسبة اليهم إلا القليل. ومما لاشك فيه انه بالنسبة لجهيمان ومعظم اتباعه فإن القرون قد مرت وان رياض السيارات الفارهة والفيلات الثرية ومجمعات المكاتب قد تداعت وان ما كان قد كتب كان على وشك الوقوع.

هل تم فعلاً الكشف عن المهدي؟ هل سبقت الرغبة والأماني تحقيق هذه الأماني؟ نحن لانعلم ان في احدى الليالي قامت امرأة من هذه المجموعة، هي اخت جهيمان او شقيقته برواية حلم مفاده ان المهدي كان هناك بينهم على شكل طالب من جامعة الرياض عمره 27 عاماً. وان اسمه كان محمد عبد الله القحطاني. هل ان اسمه لم يكن كما كتب، وان القحطاني لم يكن ينحدر من قريش؟ انظروا حولكم اليس هذا هو الوقت، اليس هذا الزمن هو زمن الاقتراب والقلاقل؟ والله ان هذا قد بدأ عندما قبل الناس بـ عبد العزيز بن سعود.

عندما اخلي سبيله من السجن اختفى جهيمان على الفور. يقال انه قام بزيارة لمواقعه القديمة في القصيم والمدينة ليعزز مصادر الدعم، ثم انطلق يعظ مطولاً في طول البلاد وعرضها وكأنه عبد الوهاب الجديد. اختفى اثره عن اعين قوات الأمن. وقال نايف فيما بعد بأن المنشورات كانت تحوي مادة

تظهر بأن هذه العصابة القميئة قد انحرفت عن الاسلام الا ان قوات الأمـن لـم يكن لديها أي فكرة بأن هذا الانحراف سيصل إلى حالة تمرد مسلح.

ان قراءة واعية لمنشور دعوة الاخوان كانت يمكن ان تظهر بـأن العصـابة كانت تنظر إلى مكـة وانهـا كـانت تتوقـع مقاومـة عنيفـة. لكـن نـايف قـال ان جهيمان لم يحدد تاريخ ظهور المهدي وثورته، إلا فـي شـهر الحـج وهـو الشـهر الأخير قبل بداية العام الهجري الجديد. وقد كشف التحقيق مع الذين بقوا على قيد الحياة بأن جهيمان قد اعطى الاخوان اسـبوعين فقـط ليجمعـوا اسـلحتهم ويأتوا إلى مكة في الأيام الخمسة الأخيـرة مـن ذلـك الشـهر. كمـا ان يوسـف باجنيد باع املاكه في جدة ليغطي نفقات شراء الأسلحة.

عرض نايف الأسلحة التي استعملها جهيمان فبدت غريبة عجيبة خارقـة للعادة. كانت ترسانة الأسلحة تضم إلـى حـد كـبير أسـلحة اتوماتيكيـة ونصـف أوتوماتيكية من صنع سوفيتي أو اوروبا الشرقية ولكنها كـانت تـتراوح مـا بيـن بنادق من طراز (اك 47) مغلفة بالنيكل، إلى بنادق صـيد الاسـبانية والسـيوف اليمنية، حتى ان من بين هذه الأسلحة كانت السلاسل الهائلة والاقفـال لاغلاق البوابات. قد توصل الكـثير مـن المراقـبين إلـى خلاصـات متسـرعة بـأن هـذه الأسلحة قد قدمت من قبل سوريا أو من قبل جمهوريـة اليمـن الديمقراطيـة، في محاولة متعمدة يشـرف عليهـا الاتحـاد السـوفيتي للتقليـل مـن اهميـة آل سعود ولزعزعتهم.

وقد تأكد ذلـك علـى الأقـل فـي واشـنطن، عنـدما قـام بنـدر بـن سـلطان الضابط في السلاح الجو الملكي السعودي برتبة رائد، والذي لعـب دوراً هامـاً جداً في صفقة الطائرات (الـ ف 15) الـتي عقـدت عـام 1978م قـام بـإبلاغ الموظفين الأمريكيين بأن الاخوان تعلموا هذه الاستعمال الدقيق للأسلحة في جمهورية اليمن الديمقراطية وفـي معسـكرات التـدريب هنـاك. ان مثـل هـذا التأكيد المطلق يقدمه أمير شاب مثقـف يشـير إلـى الرغبـة اليائسـة لـدى آل سعود في الحصول على دعم الولايات المتحـدة. بعـد الحصـار انكـر نـايف ان يكـون لجمهوريـة اليمـن الديمقراطيـة ايـة علاقـة وجـاء هـذا الانكـار واضـحاً وصريحاً وقاطعاً وكما قال بشيء من اليأس بأن الأسلحة كان يمكن ان تتـوفر بسهولة بين البدو هم رماة جيدون بطبيعة الحال.

ليس هناك من سـبب لتكـذيب نـايف، والواقـع فـإن ثلاثـة أربـاع المعـدات الموجودة في جيـش الجمهوريـة العربيـة اليمنيـة وتقريبـاً كـل أسـلحة اليمـن الديمقراطية تأتي من المعسكر الشيوعي، وان هـذه البنـادق تبـاع فـي سـوق السلاح الكبيرة في (صعده) الواقعـة عـبر الحـدود مـن عسـير. ومـايزال بـدو العربية السعودية في الجنوب الغربي يعتبرون البندقية (اك 47) رمزاً للامتياز والفخر باقتنائها. ومع هدوء الحالة في الحـرب الأهليـة اللبنانيـة الاجراميـة تـم طمر كميات هائلة من الأسلحة والذخيرة واغراق سوق البدو بهـا حيـث كـانت تتوفر ارباح تصل إلى نسبة الف بالمئة نتيجة بيع هذه الأسلحة.

واثناء ادائه لفريضة الحج رافق جهيمان يوسف ومحمد بن عبد اللـه الـذي غادر بيت عائلته بالريـاض واخـذ معـه اختـه وامـه. انتقـل الرسـل خلسـة إلـى القصيم في الشمال وإلى منطقة الجنوب الغربي. اما قوات الأمـن السـعودية التي كانت تعيش حالة خوف كبير من ضجيج الايرانيين والقـرى الشـيعية فلـم يكن لديها الوقت لتتابع جهيمان واتباعه. ومع اقتراب نهاية ذلـك الشـهر ومعـه

نهاية القرن الهجـري بـدأ الاخـوان بالتسـلل إلـى مكـة. اعتقـل بعضـهم نتيجـة توقيتهم على حواجز طرق عادية فـي الجنـوب، وعلـى الطريـق إلـى المدينـة، وعلى مدخل الحرم نفسهِ، ولكن رغم كل ذلك لم تقم السلطات بأي عمل.

احضرت شاحنة تويوتا محملة بالسلاح والـذخيرة، ووضـعت تلـك الأسـلحة في الغرف السفلية، ومعها جاءت سيارة شاحنة معبأة بالأرز والتمـر. وضـعت توابيت لتوضع في داخلها ليس جثثاً لموتى لغسلها في المكان المقدس ولكـن بنادق اتوماتيكية لاستعمالها في الهجوم الأول. في آخر ليلة مـن ليـالي القـرن الماضـي، قـامت العصـبة والـتي بلـغ عـدد اعضـائها الآن مايزيـد علـى مـائتين بالاستقرار تحت جناح الظلمة ثم تجمعوا في الحرم. وربما امضـوا تلـك الليلـة في صلاة هادئة كما فعل ابن سعود خارج المصمك.

بعد فترة اطلاق الرصاص الأولى ثاب صمت طويل، ولكن مع حلول صـلاة الظهر وحين تقدم جهيمان مـرة أخـرى ليقـدم المهـدي إلـى الحجـاج الهلعيـن الخـائفين، كـانت اسـواق جـدة والريـاض قـد غمرتهـا الاشـاعات. المعلومـات المغلوطة والمشـوهة الـتي نقلهـا الحجـاج الـذين هربـوا انتشـرت كالنـار فـي الهجيـم وتزايـدت اضـعافاً مضـاعفة: قـالوا ان مكـة بأكملهـا كـانت بأيـدي المهاجمين وحتى المدينة قد سقطت كما انفجرت قنبلة في قصـر الملـك فـي الرياض.

إلا ان معلومات افضل بدأت تتسرب، واصبح واضحاً بأن المهاجمين بغـض النظر عن هوياتهم قد اقتصروا على الحرم وان السـلطات ربمـا كـانت آسـفة لتصرفها المتسرع فيما يتعلق بقطع خطوط التلفونات والتلكـس. وبينمـا كـان الملك يتشنج غاضباً مما جرى، اسـتلم سـلطان المسـؤوليات وقـرر بـأن اكـثر الطرق اماناً هو عمـل كـبير. وهكـذا أرسـلت وحـدات مـن الجيـش والبـوليس والحرس الوطني من الرياض.

وترددت في السماء ضجة طائرات الهيركوليز من طراز 130 المخصصـة للنقل حيث ارسلت إلى تبوك وخميس مشية لنقـل الجنـود، ومـع حلـول ظهـر ذلك اليوم كان ستمائة رجل الـذين يشـكلون خيـرة قـوات الأمـن الخاصـة قـد وصلوا إلى مكة.

كان على آل سعود ان يضموا العلماء إلـى صـفهم. بعـد ظهـر نفـس ذلـك اليوم استدعى الملك كبار رجال الـدين لعقـد اجتمـاع معـه بمـن فيهـم الشـيخ الباز، وطلب منهم اصدار فتوى حول شرعية تطهير الحـرم بـالقوة. ورغـم ان هذه الفتوى لم تكن لتذاع قبل عدة أيام، فإن رجال الدين وافقـوا علـى الفـور حيث وجدوا سنداً لهم في الآية الكريمة: "ولا تقاتلوهم فـي المسـجد الحـرام حـتى يقـاتلوكم فيـه وان قـاتلوكم فـاقتلوهم حيـث ثقفتمـوهم ذلـك جـزاء الكافرين".

اما محمد عبده يماني وزير الاعلام فلـم يكـن يعـرف مـا إذا كـان عليـه ان يخبر العالم او ان ينتظـر ولـم يسـتطع ان يجـد احـداً يصـغي اليـه. كـان نـايف وسـلطان قـد توجهـا فعلاً إلـى مكـة حيـث انضـم اليهمـا رئيـس المخـابرات الخارجية تركي الفيصل. وحتى في هذه المرحلة وجد الكثيرون صـعوبة بالغـة في تصديق انه لم يكن هناك يداً اجنبية صهيونية أو شيوعية وراء الهجوم. كـان يتوقع ايضاً من تركي باعتباره ايضاً مديراً لمكتب الاتصال الخـارجي ان يعمـل بتنسيق مع اجهزة الاستخبارات الصـديقة المتعـددة. إلا ان فهـد اختـار الآن ان

يفسح المجال للقادة العرب الآخرين لكي يصيحوا ويزعقوا بينما بقى هو في تونس. وحتى عبد الله (رئيس الحرس الوطني) وقد ازعجه هذا الهجوم المسلح بين البدو، وشعر ان من الحكمة ان يواصل عطلته في المغرب.

ومع حلول المساء كانت خطوط الطاقة الكهربائية والكهرباء قد قطعت عن الحرم وتم الاحكام الطوقي حوله. ومع اختفاء اضواء الحرم بدأ هذا الحرم ثقيلاً ومخيفاً. كان قناصة جهيمان يطلقون نيرانهم على رجال البوليس وعلى الجنود المحيطون بالبوابات الرئيسية. اما فواز حاكم مكة والمعروف عنه بأنه الأمير المتحرر في بعض الأحيان، فقد اندفع ليعرض مساعدته، ولكن سرعان ما رأى سائقه يخر صريعاً بطلقات رصاص تخترق رأسه. كلا الجنود والمجاهدين وقد حرك النار في عروقهم الخوف والرعب من هذه الجريمة وجدوا ان الدفاع ان لم يكن باتجاه الجنة، فعلى الأقل باتجاه عطاءات الحكومة السخية.

قرر سلطان ان يشن هجوماً على (المروة) باطلاق المدفعية المحيطة بها وبوابتي السلام او عثمان باطلاق النار. ولكن ما ان تقدم الجنود عبر الأرض المضاءة باتجاه البوابات حتى انهال عليهم رصاص غزير جداً من الطبقات العليا ومن المنائر، ورغم انهم احتلوا المواقع المحيطة للتأكد بأنه ليس هناك مختبئين او قوات تعزيز لأنهم لم يستطيعوا ان يواصلوا السير إلى داخل الحرم، بالرغم من ذلك فإن قوات الحكومة لم تكن تتوقع مثل هذه المقاومة الضارية، ولم تكن تتوقع أيضاً مثل هذا التصويب والرمي الدقيق. وهكذا ظهرت الحاجة لخطة تخفف من عدد الاصابات إلى أبعد حد، وايضاً تحصر الدمار في الحرم وعدد القتلى الأبرياء بأصغر قدر ممكن. كان الملك خالد قد اصر بصورة خاصة على هذه الأمور.

كان من خصائص الحصار الغريب هذا، خاصة بعد ان تعالى عدد الاصابات، وبعد ان تم صد هجوم اثر هجوم، ان اصغر الأمراء سنا وهو تركي الفيصل كان يستشار بشكل متواصل من قبل اعمامه. كان تركي قد اختار الجنرال أو اللواء الذي يرأس القوات الخاصة لقيادة الهجوم. وكما اشار فيما بعد فإنه كان لابد من توكيل مهمة القيام بالهجوم إلى شخص ما. والمشكلة كانت في وجود عدد كبير من الأمراء والجنرالات والأجهزة المختلفة فأصبح من المستحيل وضع استراتيجية مترابطة ومنسقة أو التأكد من تنفيذ مثل هذه الاستراتيجية. لم يكن هناك شك في حماس الجنود، والحقيقة ان العكس هوالصحيح. الا ان شك وارتياب ال سعود التقليدي هو الذي اكد أو جعل من المستحيل على كافة الادارات ان تعمل معه. وحتى الحرس الوطني كان هناك شك وارتياب في ولائه؟ وقد ادعى عبد الله فيما بعد بأن المجاهدين (وهم فئة من الحرس الوطني) من عتيبة وقحطان كانوا يميزون انفسهم بصورة خاصة. ولكن وبحركة مرتابة كالعادة جاءت عروض من الكتائب الميكانيكية لتعرض قيادة عليا وكان من اثر هذا ان انزعج البدو كثيراً. أما البعثات العسكرية الأجنبية م ن أمريكيين وباكستانيين فقد قدموا النصيحة والتي كانت متضاربة مع بعضها.

وكان من نتائج صعوبة التنسيق في الهجوم على البوابات ان وافق سلطان على القيام بهجوم بطائرات الهيلوكبتر في ساحة الحرم نفسه. وما كان هذا معقولا إلا في الليل ولكن السعوديين يفتقرون إلى الخبرة في مثل

هذه العمليات. وهكذا انزلت القوات إلى ساحة الحرم في وضح النهار وكـانت الخسائر مخيفة هائلة.

كل يوم كان يمر كان يلحق بمكانة وهيبـة آل سـعود خسـائر كـبيرة، وكـان سلطان يدرك ذلك تماماً. ورغم النشرات المتفائلـة الـتي كـان يصـدرها نـايف ومحمد عبده يماني، فإن العالم الاسلامي كان يزداد قلقاً نتيجـة التـأخير. ومـع حلول يوم الجمعة كان اتجاه المعـارك قـد تحـول. كـانت قـوات الحكومـة قـد حققت موطـأ قـدم فـي الـداخل، وتمركـزت فـي الطبقـات العليـا، واخرجـت المتمردين من منارتين. ولكي يساعد هؤلاء الجنود على التقدم عـبر الطبقـات العليا وعبر ساحة الحرم اختار تركي ان يستعمل الغاز المسـيل للـدموع الـذي قدمته السفارة الأمريكية ومساعيها الحسنة. وهكـذا انطلقـت القـوات بـدعم من القناصة إلى المناطق المكشوفة التي كان يتجمع بها رجال جهيمـان، ومـع ان الاخوان اقاموا المتاريس المؤلفة من الفراش وسجاجيد الصـلاة، فقـد تـم دحرهم ببطيء وحصروا باتجاه مدخل الطبقة السفلى من الحرم. ومـع حلـول يوم الاثنين كان كل الطابق الأعلى أي الذي كان فوق الأرض من الحرم في يد الحكومـة. وتحـت سـاحة الحـرم كـان الاخـوان قـد تحصـنوا وتجمعـوا حـول مؤونتهم.. اما الذين استسـلموا منهـم فـوق الأرض فقـد كشـفوا عـن عـددهم المتواضع للمحققين من رجال نايف.. ولكن الحكومة لم تكن واهمه بأن هؤلاء سوف يستسلمون في حالة من اليأس نتيجة وضـعهم.. وهكـذا اطلـق الجنـود المحصنون بالثياب الواقية من الرصاص اطلق هؤلاء قنابلهم المسيلة للدموع، لكن الممرات الرئيسية كانت مغلقة في وجههم، وفي الظلام الحالك بدا وكأن المتمرديـن كـانوا فـ ي كـل مكـان، وان مـن الممكـن أن يكـون بعـض الحجـاج البريئين من بينهم؟

ويوم الأربعاء تمكن المنظفون من ازالة بعض الـدماء والـدمار مـن سـاحة الحرم واقاموا صلاة مسرعة تم عرضها على شاشة التلفزيون. ولكن في ذلك المساء وصلت تقارير مضطربة من الحسا تقول بأن ما كان يخشى منه دائمـاً فقد وقع، والتهبت القرى الشيعية بنار الثورة.

ذلك المساء كان بداية عاشوراء اليوم العاشر من شهر محـرم. وفـي هـذا العـام اعلـن القـادة الشـيعيون الـذين راحـوا يسـتمدون الشـجاعة مـن ثـورة الخميني ومن القلق العام بين شيعة العراق، أعلنـوا ان مسـيرات علـى الأقـل سوف تجري في هذه المناسبة. في قرية صفوة الصغيرة اندفع حشد بالصدام والقيام بأعمال العنف عنـدما ضـرب احـد رجـال البـوليس احـد المتظـاهرين، وطوال اليوم التالي قامت الغوغاء بأعمال السلب والنهب والتحطيم في جميع انحاء القطيف. وما ان حل المسـاء يـوم الخميـس حـتى كـانت السـيارات قـد احرقت والحوانيت قد سرقت والبنوك قد هوجمت وكانت حصـيلة ذلـك اليـوم مقتل سبعة عشر رجلاً على أيدي قوات الأمن[1]. وكان يبـدو كمـا لـو أن ذلـك الحس بالاحباط المتواصل على مدى خمسين عاماً قد وجد التعبير عنه أخيـراً. مع وصول نايف إلى مكة ارسل نائبه احمد إلى القطيف وهـو يحمـل تعليمـات ان يحتوى الوضع مهما كلف الأمر. كان احمد فـي مطلـع الأربعيـن مـن عمـره وكان ملزماً بفترة طويلة بأن يعود فـي كـل أمـر إلـى اخـوته الأكـبر سـناً فهـد

---

[1] ـ لم تكن هناك سرقات أو تحطيم محلات وحوانيت.

وسلطان ونايف. كان الأجانب يجدون فيه انساناً متشدداً قبل تشدد نايف في حياته الخاصة، ولكنه أكثر اطلاعاً على الأفكار وأكثر بلاغة في التعبير عنها. قام بجولة واسعة في مسرح الاضطرابات في القطيف وزار مدرسة. في حديث جرى بينه وبين أهل البلدة اعترف بأن الشيعة قد عانوا الكثير ــ وبهذا يكون أول فرد من أفراد آل سعود يصرح بمثل هذا الاعتراف. قال انه في الماضي انهم لم يزدهروا قدر ازدهار الآخرين في الأحساء وانهم لم تتحسن أوضاعهم فيما يتعلق بالخدمات التي تقدمها الدولة، وحتى نساؤهم لم يتلقين الاحترام الذي تتوقعه النساء المسلمات. وقال انه مما لاشك فيه ان المدارس والمستشفيات لم تكن ملائمة ولا كافية ولكن احمد استمر قائلاً بأن حالة الازدهار بين الشيعة وقد بدأت وان المنطقة الشرقية بدأت تشهد حالة من الازدهار في القطيف أيضاً. كان الماضي قد ولى وان الشيعة اذا ما تجاوبوا وتعاونوا اثناء هذه الأزمة التي تمر بها المملكة فسيكون كل شيء عل مايرام.

كانت مهمته ناجحة إلا ان أعمال الاضطراب والعنف قد أوضحت للقادة في مكة بأن الحصار يجب ان ينتهي في أقرب فرصة ممكنة. كان تركي في حالة قريبة من اليأس، فشركة بن لادن التي قامت بعملية التحديث لمملكة سعود طلب منها ان تخرج مخططاتها الأصلية وتمت تجربة استعمال الغازات المسيلة للدموع وخراطيم المياه والدواليب المحترقة ولكن دون جدوى. وفي قاع السراديب تحت الحرم كان جهيمان واتباعه بما فيهم من نساء واطفال قد بقوا وبقيت معهم مؤونتهم من الذخيرة والتمور، كانوا مايزالون يعتقدون بأن الله سيجعل الأرض تبتلع اعدائهم؟

هل كان محمد بن عبد الله مايزال على قيد الحياة؟ نشرت الصحف السعودية فيما بعد صورة للشاب وقد طار فكه الأسفل وقالت ان هذا كان هو المهدي المنتظر الذي قتل في أول المعارك في سراديب الحرم. وادعى بعض الكتاب بأن جهيمان قتل صديقه وهو في اقصى حالات اليأس.

ربما نفذت الذخيرة. ولن نتمكن من معرفة ماذا كان شعور الاخوان في أواخر الأيام الرهيبة وقد هدهم الضعف والارهاق والعطش وكان العديد منهم قد اصيبوا بالجراح ومنهم جهيمان نفسه. ولكن وفي الساعة الواحدة والنصف من صبيحة يوم الثلاثاء والواقع في 5 ديسمبر (كانون الأول) أي بعد اسبوعين تماماً من الشروع بالهجوم كان جهيمان في مقدمة من خرج إلى العراء يقود مئة وسبعين من عصابته إلى خارج السراديب.

يقال انهم حينما برزوا من تحت الأرض ومعظمهم يبكي وقد أصابه التعب والارهاق فلم يستطع الوقوف وهم يرددون باستمرار كلاماً مبهماً، والناس[1] يبصقون عليهم ويشتمونهم.. في هذه الظروف التفت احد أفراد العصبة إلى واحد من الحرس الوطني وسأله: "وماذا عن جيش الشمال؟".

---

[1] ـ الحقيقة ان احداً من المواطنين لم يسمح له بالاقتراب، وكان جنود السلطة هم الذين تولوا عمليات التعذيب والاهانة والتحقير لأسرى الاخوان.

الملحق الرابع

المهدي

من كتاب "المملكة" لروبرت لاسي (ص 478 ـ 491)[1]

يخبرك الحجاج المجربون ان افضل وقت لزيارة الحرم في مكة هو اولى سويعات الصباح. فالحشود عندها تكون اقل كثافة، كما يمكنك ان تؤدي الفروض في برودة الليل، وحين تبدأ النجوم بالافول والانطفاء، يستطيع المتعبدون ان يتجمعوا في حلقات حول الكعبة السوداء الهائلة ليؤدوا فريضة الصلاة.

في الساعة الرابعة والنصف من صبيحة يوم الثلاثاء، 20 نوفمبر (تشرين الثاني) 1979م، تجمع عدد من الناس اكبر من المعتاد وركعوا هناك عند بزوغ الفجر حول (مقام) ابراهيم.. كانوا حوالي 50000 من المصلين. كان موسم الحج قد انتهى قبل فترة قصيرة، ولكن العديد من الحجاج تخلفوا في المدينة المقدسة، وكان يوم 20 نوفمبر (تشرين الثاني) 1979م ذا اهمية خاصة في التاريخ الاسلامي، لأنه كان ايضاً بداية العام الهجري 1400.

فجأة، لعلع صوت طلقات الرصاص، كان رجال يطلقون نار بنادقهم في الهواء، في حين تجمع عدد من رجال القبائل مشعثي اللحى حول رجل شاب، يصافحونه ويقدمون له الولاء. وكانوا يصيحون.

"المهدي! المهدي! انظروا انه المهدي!"

وقفز شخص اشعث اللحية بارق العينين يصعد درجات منبر المسجد وكأنه نمر جامح.

"سجل المهدي العدل في الأرض". كانت هذه أولى كلماته حين قبض على الميكروفون الذي كان الامام يؤم الصلاة عبره، ثم تابع يقول: "أنا شقيق المهدي. اسمي جهيمان. بايعوا يااخواني! بايعوا المهدي الذي سيطهر هذه المملكة من فسادها ومفسديها!".

استل بعض الرجال بنادقهم من تحت عباءاتهم، وانضموا إلى الهاتفين، ثم انتشروا كالمروحة باتجاه بوابات المسجد التسع والثلاثين. ومن بين المصلين قفز حوالي المائتي رجل كما لو كانوا يلبون اشارة كانوا ينتظرونها. اطلق النار على بعض رجال البوليس وعلى مساعدي امام شاب حاولوا اظهار بعض المقاومة، وسقطوا صرعى على الفور. ووصل المسلحون إلى البوابات، واغلقت الأبواب، وهكذا تم تطويق وعزل ذلك المقام الذي يجله ويقدسه المسلمون في جميع انحاء العالم، باعتباره اقدس بقاع الأرض. لقد تم "اختطاف بيت الله".

---

[1] ـ Robert Lacey, The Kingdom, Fantana, Collins, London 1982

ان الاعتقاد بقدوم مهدي في المستقبل، أو بقدوم المهدي المنتظـر، يعـود إلى أوائل اعوام التاريخ الاسلامي. القرآن لايذكر المهـدي، الا انـه خلال فـترة الصراع على القيادة الذي تلى وفاة محمد بدأت بالظهور احاديث نبوئية عزيت إلى الرسول حول هذا الموضوع. يقـال ان محمـد تنبـأ بـأن الأمـراء (الملـوك) سيعيثون في الأرض فساداً، وعنـدها سـيبعث واحـد مـن أهـل الرسـول ليعيـد العدل إلى الأرض.

هناك احاديث نبوية مختلفة تتحدث عن هذا المهدي ـ مع ان عدداً قليلاً من الفقهـاء المسـلمين فقـط ينظـرون إلـى هـذه الأحـاديث بنفـس الجديـة الـتي ينظـرون فيهـا إلـى الأحـاديث الواقعيـة والحياتيـة الـتي يقـوم عليهـا القـانون الاسلامي. تقول نبوءات محمد ان الأرض سـتبتلع الجيـوش الـتي تتحـرك ضـد المهدي. وان قدوم المهدي سيتميز بمظاهر العنف. وسيأتي من سلالة (ذرية) النبي، وسيكون اسمه محمداً، وسيظهر في مطلع قرن (هجري) جديـد. حـتى ان أحد الأحاديث النبوية حدد بأن الفادي (المهدي) سيكون له ملامح وقسمات معينة ـ وقد استغلت هذه الملامح في السـودان، خلال الثمانينـات مـن القـرن التاسع عشر، من قبل محمد احمد، اعظم "المهديين" نجاحاً، الذين قاموا عبر حقب التاريخ الاسلامي، وفي مختلـف الأقطـار الاسـلامية، باسـتغلال الحـديث النبوي عن قدوم المسيح الاسلامي المنتظر ليعطوا طموحاتهم لمسة قدسية.

فالمهدي السوداني، والذي مات بعد فـترة قصـيرة مـن احتلالـه التـاريخي المشهود للخرطوم واستعادتها من الجنرال جوردون عـام 1885م كـان يـورد كبعض من مزاياه اسمه الأول، وشامة على خده، وفجوة بين اسنانه، وظهوره في مطلع القرن الرابع عشر الهجري.

وفي عام 1979م، أي بعد مائة عام هجري مـن ذلـك، قـام المهـدي الـذي استولى على الحرم في مكة بإسمه، والذين كان يسعى، بإسم الله، للاسـتيلاء علـى السـلطة فـي المملكـة العربيـة السـعودية وعلـى مصـيرها فـي القـرن العشرين، قام بالاعلان عن مطلب من نوع خاصة متميز، فقد كان لمحمد عبـد الله القحطاني الاسم الأول الصحيح، وادعت والـدته نسـباً إلـى النـبي محمـد، واعلن عن نفسه فـي بدايـة قـرن هجـري جديـد، وتميـز ظهـوره واعلانـه هـذا بالعنف. وحين استولى اتباعه على الحرم في الساعات الأولى من صـباح يـوم الثلاثاء، 20 نوفمبر 1979م، قتلوا رجال البوليس وكل من قاومهم. وقد لعلـع رصاص مدافعهم الرشاشة لتردد صداه التلال الصخرية المحيطة بمكة[1].

اوقظ الملك خالد على اثر تلقي الاخبار في الرياض قبل الساعة السـابعة صباحاً. واطلقت النـار علـى سـيارة بـوليس كـانت قـد أرسـلت للتحقيـق فـي الاضطرابات عنـد الحـرم، كمـا ان امـام المسـجد، الشـيخ محمـد السـبيل، ذا اللحية البيضاء، نجح في الاختباء فـي مكتبـه والاتصـال هاتفيـاً بمـن قـدم لهـم وصفاً للمتمردين الذين كان يبدو انهم يعدون بالمئات مـن الرجـال المـدججين بالسلاح، حسني التدريب، والقساة الاشداء إلى أبعد الحدود.

كان الخبر مقلقاً للغاية. فالاستيلاء على اقدس مقدسات الاسلام بـالقوة، واحتلال اقدس بقعة في العالم بالنسبة للمسلمين، كان صدمة هائلة بحد ذاته. اذ كان يمثل وصمة عار فورية في جبين آل سعود، الذين كانوا يتعمـدون خلـق

[1] ـ معظم روايات الحجاج التي تناقلتها الصحف، نفت نفيـا قاطعـاً ان أفـراد الجماعـة قتلوا المصلين أو ائمة المساجد..

صلة دائمة بين هيبتهم ومكانتهم وبين حماية الأماكن المقدسة. كما ان كفاءة الارهابيين، وقوتهم، أوحت باحتمال وجود مؤامرة أوسع وأكبر. فلابد أنهم يتوقعون انتفاضات اخرى مشابهة، وربما حتى مساعدات من الخارج. امر الملك خالد بقطع جميع خطوط الهاتف والتلكس مع العالم الخارجي كلية. واصبحت المملكة معزولة عن العالم تماماً، وحتى الأمير فهد، الذي كان على رأس الوفد السعودي في تونس لحضور اجتماع القادة العرب، لم يتمكن من التعرف على ما كان يجري.

عندما وصلت أخبار الاضطرابات إلى جدة، ابرقت السفارات إلى حكوماتها بقصص غير دقيقة عن انتفاضة مسلحة. وحين سمع آية الله الخميني بالخبر في ايران، اعلن ان الصهاينة والأمريكان قد دنسوا اقدس المقامات الاسلامية، وهاجت جموع غاضبة ثائرة السفارة الأمريكية في الباكستان، وقتلت اثنين من جنود البحرية الأمريكية.

وفي داخل المملكة وضعت الحواجز على الطرقات المؤدية إلى كل مدينة رئيسية. ووضع الجيش والحرس الوطني على اقصى درجات التأهب. وهيأت الحكومة نفسها استعداداً لقيام تحد خطير لسلطتها، كما ان الاخوين سلطان ونايف ابني عبد العزيز، وزيري الداخلية والدفاع، انطلقا بأقصى السرعة إلى مطار الرياض، حيث طارا من هناك إلى مكة لدراسة الوضع على الطبيعة.

في هذه الأثناء كان الشيخ محمد السبيل قد هرب من الحرم. وتمكن اتباع المهدي من اخذ مابين خمسة وعشرين إلى ثلاثين رهينة كانوا قادرين على حراستهم بشكل مقتدر[1]، بينما سمحوا لبقية مصلي صلاة الفجر ان يغادروا المسجد ـ فتمكن الامام من الهرب خلسة معهم، خالعاً عباءته تحاشياً للانكشاف.

ومما قاله الشيخ والمصلون الآخرون الذين اطلق سراحهم، بدأ رجال البوليس والجنود الذين تجمعوا حول المسجد يحتمون بجدرانه من النيران المنصبة عليهم من منائره، بدأوا يشكلون صورة متبلورة عما كان يجري في الداخل. كان يبدو ان المسلحين هم في معظمهم من السعوديين. وكان واضحاً ان العديدين منهم يجيدون استخدام اسلحتهم، اجادة المحترفين، اما الأسلحة فكانت بنادق (AK47) سوفيتية الصنع، ومسدسات وبنادق من عيار 22 ملمتراً. قدر عددهم بـ 200 إلى 300 رجل. واتضح انهم احضروا معهم نساءاً واطفالاً. ورغم انهم كانوا يهتفون بإسم شاب محدد باعتباره المهدي، فإن الشخص الذي كان يشرف على العملية كلها كان الخطيب البليغ، وكان في مطلع الثلاثينات من عمره، ذا لحية كثة مشعثة، وعينين تلتمعان ببريق حاد. كان هو الذي وضع يده على جهاز الاذاعة في المسجد ليعلن انه شقيق المهدي ـ وهو الذي اطلق على نفسه اسم "جهيمان".

جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي، هو بالفعل قائد انقلاب نوفمبر 1979م والعقل المخطط له، وهو الانقلاب الذي جعل العالم كله يتساءل عما إذا كانت قبضة آل سعود على زمام المملكة هي بالقوة التي كانت توحي بها. فجهيمان من قبيلة العتيبة، التي قامت بانتفاضة عنيفة جداً اثناء ثورة الاخوان لعزل عبد العزيز وحصاره في جدة، وكانت عقيدة الاخوان تعكس اعتقاداته

---

[1] ـ تبين كما اعترف آل سعود ان لاوجود للرهائن مطلقاً!

نفسها. وقد اعتادت قبيلة العتيبة ان ترعى ابلها على السهول الممتدة بين الرياض وبين جرف الطائف، وكان جهيمان قد تطوع، حين كان مايزال مراهقاً في أواسط الستينات، كجندي في القسم العتيبي من الحرس الوطني.

لما كان العالم الاسلام قد اظهر ردة فعل هائلة الجزع والهلع تجاه الاستيلاء على الحرم في نوفمبر 1979م، فقد دارت شائعات كثيرة حول جهيمان نشرتها الصحف السعودية بكثير من المرح والطرب ـ عن علاقاته الجنسية الشاذة، وعن ادمانه على المخدرات، وعلى المسكرات والخمور، وعن طرده من الحرس الوطني طرداً مشيناً[1]..

ولكن، وبينما آل سعود يصارعون للسيطرة على وضع اخذهم كالصيحة على حين غرة، اكتشفوا ان الاتهامات المخجلة والمهينة الموجهة ضد جهيمان كان يصعب الاستمرار بها وتدعيمها. كان قد تورط في عمليات تهريب السجاير[2]، وكان قد خرج فعلاً من الحرس الوطني. إلا انه في بداية السبعينات استحوذ الدين على حواسه واجتذبه إلى المدينة، حيث راح يحضر ندوات السؤال والجواب التي كان يعقدها بعد صلاة المغرب في مسجد الرسول، الشيخ عبد العزيز الباز، الشيخ الأعمى الذي كان يعظ ويعلم طلابه بأن الأرض مسطحة. والذي كان عضوا بارزاً في مجلس العلماء. كان جهيمان قد اقام في احد النزل الخيرية التي تقدم الطعام والاقامة مجاناً، للمصلين المتعبدين في المدينة المقدسة، كما تجمع حوله هناك بعض الاتباع بين المتسكعين المتدينين الذين كان يلتقي بهم!![3].

يمكن مقارنة حركة جهيمان بحركة الأمير خالد بن مساعد، الذي قتل بالرصاص بعد اضطرابات محطة تلفزيون الرياض[4].. وبين طلاب المدينة وحجاجها وجد جهيمان نفوساً ناقمة شاركته شكوكه بحركة التغريب وفرض الثقافة الغربية، والطريق التي كان المجتمع السعودي يبدو انه يسير عليها. كما كان هؤلاء مستائين غاضبين من الثروة الجديدة، ومن الآثار التي كانت تتركها على القيم الدينية التقليدية. كانوا يصلون ويقرأون القرآن معاً. وكانوا يستقون الالهام من قيم الاخوان وعقيدتهم، وعبروا عن غربتهم عن ما حولهم باطلاق لحاهم وقص شواربهم، وقص اثوابهم لتكون قصيرة تكشف عن الفساد. وبعد الاطاحة بشاه ايران في يناير (كانون الثاني) عام 1979م، راحوا يستمدون الدروس والعبر من نجاح آية الله الخميني في ايران.

لم يكن جهيمان واتباعه بأي حال اتباعاً لآية الله. فقد كانوا يستمدون قوتهم من جذرية واصولية محمد بن عبد الوهاب، ولهذا فقد كانوا لايطبقون

---

1 ـ لقد أوردنا في البحث عشرات الاشاعات التي قدمها آل سعود واعلامهم ضد الاخوان، وقد تحاشينا ذكر المخدرات وغيرها تعففاً، ولأن العالم يعلم ان منبع الشذوذ في البلاد هم امراء الأسرة المالكة.

2 ـ المرحوم جهيمان لم يشهد منذ صغره اية حالة من الشذوذ كما يذكر آل سعود.. وحتى تهريب السجائر قول ملفق وكاذب لان السجائر تدخل بشكل اعتيادي.. ولأن جهيمان يحرم التدخين كما يحرمه مشايخ السلطة انفسهم ايضاً.

3 ـ المرحوم جهيمان قدم من ماله الخاص العديد من المنازل لخدمة الدعوة، ولم يكن طفيليا ومتسكعاً، يشهد بذلك اعداؤه قبل اصدقائه.

4 ـ لم يقتل الأمير بن مساعد بالرصاص، بل أعدم بأمر من الملك فيصل بالسيف وتحت اشراف محمد بن هلال.

خرافات مسلمي ايران الشيعيين[1] لكن الخميني بين وبرهن للشيعة كيـف ان نشر كلمة الله والتبشير بها يمكن ان يطيح بملوك بقـوة الشـاه، وهـذا هـو مـا كان جهيمان يفكر به تحديداً. وان حركته غير المعتادة والخارقـة للمعتـاد الـتي قام بها في الحرم يوم 20 نوفمـبر 1979م كـان القصـد منهـا ازالـة حكـم آل سعود.

وبينما كانت مطالب جهيمان تذاع مـن علـى منـائر الحـرم علـى الشـوارع المحيطة به، قام موظفو وزارة الاعلام بعملية ذكيـة دقيقـة لتسـريب وكشـف مظالمه ومطالبه السياسـية. وحين اعيـد تشـغيل خطـوط الهـاتف بعـد أربـع وعشرين ساعة، ورفع الحظر على نشـر الأخبـار، إلـى حـد مـا اوحـت اجهـزة الاعلام السعودية للعالم الخارجي، بأن مجنوناً مختل العقل قـد اسـتولى على اقدس الأماكن الاسلامية، وذلك للتعبير عن غضبه من انتشار لعبة كـرة القـدم واجهزة الفيديو والنساء العاملات في العربية السعودية[2]..

إلا ان هذه كانت مجرد احداث عارضة. ولم تكـن إلا أمثلـة صـغيرة قـدمها جهيمان في هجومه الرئيسي على آل سعود، وعلى الطرق الغربية التي كـانوا يفسدون بها المملكة. ففـي خطـابه مـن ميكروفونـات الصـلاة فـي المسـجد، والذي سمعه معظم الموجودين في مركز مدينة مكـة، شـجب شـرب الأمـراء للخمور، ورحلاتهم العديدة إلى أماكن اللهو والدعارة في الخارج، وتدخلهم في الأعمال التجارية، وشجب التشجيع الـذي يقـدمه هـؤلاء الأمـراء للكفـرة لكـي يأتوا إلى المملكة، ويغيروا أساليب الحياة التقليدية فيها. وقد ذكر فـي خطـابه اسماء معينة، وكذلك عقوداً وصفقات تجارية، وخص جهيمان بلعنته واستنكاره الأمير فواز بـن عبـد العزيـز، حـاكم مكـة، الـذي اتهمـه بالادمـان علـى القمـار وشرب الويسكي.

كان قد مضى على جهيمان اعوام عديدة وهـو يـثير هـذه الشـكاوي. فقـد ذهب إلى الكويت لكي يطبع اراءه الاصولية في نشرات، كما راح يبشر بـآرائه في المساجد السعودية. فكل مسلم يستطيع أن يخطب باخوانه المسلمين إذا شـعر برغبـة فـي ذلـك، اذا مـابقوا فـي المسـجد واصـغوا اليـه. وفـي اواخـر السبعينات اصبح القاء مثـل هـذه الخطـب جـزءاً مـن حيـاة جهيمـان واتبـاعه، يستنكرون فيها الفساد والافساد الشيطاني الذي ضرب المملكـة، ومـن بينهـا فساد وزارة الاعلام، التي سمحت للمغنيات بالظهور على شاشة التلفزيون.

اوصلت هذه التظاهرات بعضاً من اتباع جهيمان إلى السجن، حيث امضـوا فترات قصيرة فيه، حين ناشدوا الناس التبرع لبناء مساجد لـم تكـن موجـودة، ومن بين الذين دخلوا السجن محمد بن عبد الله القحطاني، وهو طالب سـابق في كلية الشريعة الاسلامية في جامعة الرياض[3]. كان هـذا هـو الشـاب الـذي رآه جهيمان فـي حلمـه فـي احـدى الليـالي فـي منتصـف عـام 1979م. قـال

---

[1] ـ المخرف هو الذي يعتقد بأن شعائر الدين خرافات!

[2] ـ يفترض وضع الجمل الأخيرة على الوجه التالي، وهي ان جهيمـان كـان غاضـباً مـن الهاء الشباب بكرة القدم، وتسييس هذه اللعبة ضد مصلحة العامة، وكذلك كان غاضـباً مـن انتشار افلام الفيديو الاباحية، واختلاط العاملات مع الرجـال المحـرم شـرعاً فـي الشـريعة الاسلامية. وهذه الأمور يعترض عليها مشايخ السلطة وجهيمان وغيره ايضاً.. على ان هدف جهيمان لم يكن اقل من اسقاط آل سعود، كما قال (لاسي) قبل قليل.

[3] ـ ليس في جامعة الرياض (الملك سعود) كلية للشريعة!

جهيمان فيما بعد ان الله خاطبه واخبره وامره بأن ينادي بالقحطاني مهدياً يدعي إلى تطهير الأرض من كل أنواع الظلم.

يبدو ان القحطاني، الذي تزوج بشقيقة جهيمان بعد وقت قصير من هذا، كان شخصاً لطيف المعشر محبوباً ذا تأثير على سامعيه وسهل التأثر بأفكار الآخرين ايضاً. بعد ان وصف جهيمان احلامه،، بدأ زوج اخته يحلم ايضاً، ويوافق على ان يدعوه فعلاً ويدعو رفاقه المتحمسين إلى الثورة على الظلم الذي يعم العالم حولهم. خاصة وان قرناً هجرياً جديداً كان على وشك البزوغ. وبدأ ان هذا التوافق في الأحداث انما هو من وحي الله.

اوضح سلمان ابن عبد العزيز، حاكم الرياض، فيما بعد ان القرن الخامس عشر للهجرة لايمكن ان يبدأ والا بعد انتهاء عام 1400هـ، فالعام الأول من التقويم كان قد اعطي رقم (1) منذ البداية، وهكذا فإنه في بداية العام ذات الرقم (100) تكون 99 سنة فقط قد تمت ـ وهكذا على امتداد جميع القرون. إلا ان مثل هذه التفاصيل الحسابية لم تقلق تفكير اخوان آخر زمان المصممين على تطهير المملكة، والمدركين ان عام 1400هـ قد بدأ يلوح في الافق، باعتباره عام مصيرهم وقدرهم.

كانوا في معظمهم من الشباب، وبعضهم من أفراد الحرس الوطني، مثل جهيمان نفسه، والعديدون منهم من قبيلة العتيبة. كان عقاب بن محيي وهو قائد مجموعة من القناصة، ابن عفاس بن محيى، الزعيم العتيبي الذي قتل خلال ثورة الاخوان. معظم المتمردين كانوا طلاب فقه سابقين وكان يفترض، نظرياً، ان يكونوا قادة هتافين لنظام يستند إلى الدين كنظام آل سعود[1].. قليل منهم كانوا من غير السعوديين، من المصريين، والكويتيين واليمنيين، ويبدو انهم انضموا إلى المؤامرة من باب القناعة الدينية المشتركة.

خلال الساعات الأولى من الانتفاضة كان يبدو مخيفاً مرعباً ان يتمكن مئتان أو ثلاثمائة من الثوريين ان ينظموا وينسقوا مثل هذه القاءات والتجمعات الطموحة، دون ان تعلم السلطات شيئاً عنهم. اما الحقيقة فهي ان حفنة قليلة جداً من الأعضاء الرئيسيين المحيطين بجهيمان كانوا على علم بخطة الانقلاب، التي بدأت خلال موسم الحج وقبل عشرين يوم من تاريخ انطلاقها فقط. أما البقية، ومعظمهم من الأقارب ومن الملتقين على رؤية واحدة من مجموعات المتآمرين الذين كانوا يؤدون الصلاة معاً، فقد وصلوا فجر يوم الأول من عام 1400هـ استجابة لدعوة لحضور الصلاة[2].

كان جهيمان واعوانه قد هربوا عدداً كبيراً من اسلحتهم إلى داخل الحرم في توابيت بعد ان اخفوها تحت شراشف ملفوفة. لم يكن من غير المعتاد ان يحمل الناس موتاهم إلى الحرم ليصلوا عليهم الصلاة الأخيرة قبل نقلهم إلى المقبرة.. وكان جهيمان قد نقل ذخيرته ومؤونته، تمراً وماءً، وهما طعام الاخوان التقليدي، إلى داخل اقبية المسجد، في اليوم السابق، وعلى ظهر شاحنات صغيرة (بيك آب). وتحت الرصيف الرخامي الأبيض الواسع المحيط بالحرم وساحته يوجد عدد كبير من غرف التخزين غير المستعملة، يستخدمها عادة عمال البناء الذين يقومون بصيانة المسجد على مدار العام، وقد نقل

---

1 ـ نظام آل سعود يستأكل بالدين، وكل ممارساته معادية له.

2 ـ هذا تبرير واضح لضعف الأمن السعودي، ويبقى التساؤل: كيف استطاع كل افراد الجماعة ان يأتوا ويقاموا دون ان تعلم السلطاتِ، بغض النظر عن كيفية حظورهم؟!.

جهيمان مؤونته، دون ان يعترضه احد، إلى هذه المنطقة وعبر احدى بوابات الخدمات، وقد جمع الأموال لشراء مؤوناته من ضريبة العشر والزكاة التي دفعها اتباعه. دفع ابن احد اثرياء تجار جدة لوحده مبلغ مائة الف ريال سعودي، وهذا ماساعد على شراء البنادق الروسية من عيار AK47 التي كانت تغطي اليمن بأسره خلال الحرب الأهلية، والتي انتشرت من هناك إلى جميع انحاء الجزيرة العربية. كما ان بعض الأسلحة والذخيرة قد سرقت من مستودعات الحرس الوطني.

اظهر التخطيط بعد نظر وجهداً دؤوباً وقدرة لايستهان بها على المحاكمة العقلية. كما اظهر القتال حين بدأ انضباطاً وتدريباً واستيعاباً سليماً للتكتيك العسكري، وهذه شهادة تقدير للحرس الوطني الذي أتى منه بعض المتآمرين[1]. إلا ان كل شيء كان مكرساً لعمل واحد كبير غير معقول، إلا وهو المناداة بالمهدي، وهو ماكان المهدي يعتقد ويأمل باخلاص ان يدفع الآلاف من المصلين إلى الانضمام إليه، فيتغلب على الجنود الذين قد يرسلهم آل سعود لمهاجمته.

خاب ظن جهيمان. فلم يلحق به احد تقريباً من آلاف الرجال والنساء الذين حاول تجنيدهم داخل اروقة الحرم صباح يوم 20 نوفمبر 1979م، ولم يظهر أي منهم تقريباً أية رغبة في ان تكون له اية علاقة بمهدي جهيمان هذا. ولم تتحرك المملكة استجابة لدعوته وندائه. وهكذا فقد حكم على تمرد جهيمان بالنهاية المحتومة نتيجة هذا الفشل. لكن مائتين من المتحمسين المتدينين من الذين دعاهم جهيمان واصدقاؤه لأداء الصلاة معهم كانوا مدججين بالسلاح. وبما ان الحرم كان قلعة طبيعية محصنة، فقد كان هؤلاء في وضع قوي محصن مكنهم من رد الهجمات المعاكسة لفترة طويلة من الزمن.

راح العالم الخارجي يطلق التكهنات جزافاً حول ماكان يجري داخل مكة. فقد كان يبدو مستحيلاً بالنسبة للمسلمين من أي مذهب ان يكون بعض من ابناء دينهم قد اهانوا اقدس مقدساتهم باطلاق النار وهدر الدماء فيها. فالقرآن ينذر بأشد العقاب كل من يدنس بيت الله. ولايمكن ذبح الحيوانات هناك، وحتى النباتات لايجوز اقتلاعها. ففي ذلك البلد الذي تطلق النار فيه على كل حيوان بري لقتله أو تنصب له الفخاخ لصيده، فالحمائم تطير غزيرة الاعداد، حرة طليقة حول الحرم الشريف، ولكنها حريصة على الا تبتعد اكثر من عشرة ياردات بعيداً عنه.. وتزيد هذه التحريمات قوة وشدة في الشهر الأول من العام الهجري شهر محرم، حيث يمنع بشكل خاص قتل أي شكل من أشكال الحياة.

كل هذه التحريمات خلقت مشاكل في وجه الملك خالد، لأنه لم يستطع ان يصدر أوامره ببساطة إلى الجيش السعودي لاقتحام اقدس المقدسات، ومدافعهم لتطلق حممها دون حساب. فالكثيرون منهم يمكن ان يعصوا ذلك الأمر جهرة، والملك معرض لأن يتهم بانتهاك فظيع لحرمات المقدسات

---

1 ـ كلا ان الحرس الوطني لم يبد في محاربة الاخوان أية رغبة في القتال فضلاً عن الكفاءة، وهذا ماقاله الخبراء.. وانما كان سبب اقتدار جماعة جهيمان هو التدريب المكثف في الصحراء، وليس تدريب رجال الحرس الضعيف.

فظاعــة مــاقترفه "المرتــدون" كمــا راحــت الصــحافة الســعودية الناطقــة بالانكليزية تصف جهيمان واتباعه.

وهكذا فإن احد أولى الأشياء التي قام بها الملك خالد يوم الثلاثـاء فـي 20 نوفمبر هو استدعاؤه للعلماء للحضور امامه والطلـب منهـم استصـدار فتـوى. هل يحق للقوات المسلحة شرعاً ان تطلـق النـار وتقتـل اذا اسـتدعت الأمـور ذلك، داخل الحرم طالما استمرت الحالة الطارئة الحالية؟[1].

اجاب شيوخ الدين بالايجاب، وابلغ الأمير سلطان، الـذي جعـل مـن فنـدق شبرا القريب من الحرم مقراً لقيادته، بأنه يستطيع الشروع بالهجوم. لـو كـان الأمر يتعلق بمواقع اخرى في المملكة، لكان بإمكـان الأميـر سـلطان ان يـأمر باسـتخدام مـدافع الهـاون والبازوكـا، والقـذائف والصـواريخ المحمولـة باليـد، ليدفن المتمردين تحت الأرض والانقاض. لكن آل سعود لم يكونوا يسـتطيعون تحويل بيت الله إلى ركام[2]. فالانتقـادات كـانت تـوجه اليهـم قبـل ذلـك بـأنهم يسمحون للحرم فعلاً بالوقوع فريسة للهراطقة والمنافقين. وهكذا فقـد كـان الأمر يحتاج إلى تكتيكات تقليدية.

كان هجوم المشاة على الحرم عملية طويلة شاقة مضنية. فقد كان علـى هؤلاء ان يستعيدوا البناء عاموداً وراء عامود، كما ان بعض الجنـود السـعوديين لم يسرهم ان يقاتلوا في بيت الله.

تحدث الأمير سلطان إلى مجموعة منهم فقـال صـائحاً: يمكنكـم الـذهاب إلى بيوتكم الآن إذا شئتم.. ولاحاجة بكم إلى القتال.. ولكن ماذا افعل انا؟ هل أرسل في طلب الباكستانيين؟..

كانت الباكستان، الـتي يشـرف ضـباط مـن جيشـها علـى تـدريب الجيـش السعودي، قد تطوعت لإرسال قوة اقتحام (صاعقة) إلـى مكـة. كمـا ارسـلت فرنسا قذائف الغازات المسيلة للدموع، وقنابل صوتية إلى جدة، برفقة بعــض المدربين الذين عزت اليهم الصحافة الفرنسية فيما بعد، وبصورة خيالية بعيدة عن الواقع، فضل استعادة الحرم.

وتابع الأمير سلطان صياحه قائلاً: "هذا عار علينا، وعلينا ان نزيله بأنفسنا.. هذا بيت الله وانتم جنود الله!" [3] تحركت فصيلة الجند التي خاطبها الأمير إلى داخل غابة الأعمدة المحيطة بباحة الحـرم الشاسـعة، إلا ان اثنيـن مـن الـذين كانوا قد رفضوا القتال كشفا عن وجودهما على الفور تقريباً. فقد انـدفعا إلـى المنطقة المكشوفة وراحا يطلقان النار بصورة عشوائية، فارداهما المتمردون صريعين قبل ان يجتازا مسافة عشرة ياردات. وقد ضمن هذان مكانا في جنـة الخالد باعتبارهما شهيدين سقطا دفاعاً عن بيت الله.

---

[1] ـ لقد جمع الملك بعض المشايخ الصغار، ولكن الفتوى لم تأت إلا بعد أيام، بينما فهـد (ولي العهد حينها) أمر في نفس اليوم 20 نوفمـبر باقتحـام الحـرم وتـدميره، فكـان القتـل والخراب كله بسبب حماقات آل سعود واسـتهتارهم بمقدسـات المسـلمين، حفاظاً علـى هيبتهم وعرشهم الفاسد.

[2] ـ لقد فعلوها.. لقد دكوا جوامع الحرم وبوابته، وقصفوا منائره واسقطوها، وتهـدمت اجزاء من الكعبة، ودمرت الدبابات الأعمدة وارضية الحرم وغيرها.

[3] ـ لقد كانوا جنود لآل سعود، وليسوا جنود لله، قال سعود لم يكن همهم تخليص الحرم بمقدار همهم وشوقهم للقضاء على المعارضين من الاخوان!

كانت تلك حرباً مقدسة. في كل مـرة كـان المتمـردون يـرون احـد جنـود الحومة يسقط صريعاً كانوا يصيحون "امر الله" وحين كان يقتل احد رفـاقهم، كانوا يطلقون النار على وجهه ليخفوا هويته[4]. كانت تلك مهمـة غالبـاً ماكـانوا يوكلونها للنساء والأطفال الذين كانوا معهم. وقد راح بعض هؤلاء يشـوه جثـث الجنود الساقطين بنجاح كـبير. بعـد ثلاثـة أو أربعـة أيـام، كـانت رائحـة الجثـث الساقطة في ارجاء الساحة تحت شمس نوفمبر تشير التقيؤ والقرف، حسـب قول احد الضباط.

لم يكن معظم الجنود السعوديين المهاجمين قد اشتركوا في معارك قبـل ذلك. ولكنهم الآن يشتبكون فعلاً مع اعداء متحصنين على بعد اميال قليلة مـن منازلهم، وبنادقهم محشوة وايديهم على الزناد.

اثناء زحف احد الضباط بين الأعمدة المنتشـرة فـي سـاحة الحـرم، سـمع صوت احد مخازن البنادق يجري حشوة على بعد ياردات قليلة منـه. قـال بعـد ذلك يصف ماجرى "ادركت ان ذلك ليـس واحـداً مـن رجـالي. فقـد ملأت كـل مخزن قبل ان نبدأ الهجوم. ووجدت انها جميعاً محشوة بشكل صحيح. وهكـذا استدرت حول العمود وبندقيتي مهيأة.".

هناك شاهد الضابط احد المتمردين واقفاً على بعد يـاردات قليلـة وظهـره له، وهو يعبئ مخزن بندقيته بالطلقات.

يتابع الضابط قائلاً: "أول فكرة خطرت على بـالي كـانت ان اعتقلـه لكنـي تذكرت كيف كان آخرون يتظاهرون بالاستسلام ثم يخرجون بنـادقهم المخبـأة وخناجرهم وحتى قنابل يدوية ثم يقتلون الناس".

وهكذا صوب الضـابط سـلاحه إلـى رأس المتمـرد مـن مسـافة قريبـة ثـم اطلق ناره فتطاير الرأس مزقاً واشلاءً. ويتابع "قتلت رجلين وربما ثلاثـة خلال الأيام العشرة تلك. لقد احزنني ذلك وجعلني اشعر بالمرض والغثيـان ولكنهـم كانوا يقتلون العديد من الناس. حين صرعوا عامل الجهاز اللاسـلكي المرافـق لي، بجانبي بكيت. بعد كـل طلعـة عملياتيـة كنـت اجمـع رجـالي واقـرأ قائمـة الأسماء، وفي كل مرة فعلت ذلك كان هناك صمت واحد طويل على الأقل.

حين تمت عملية استعادة الحرم كان مايزيد على المائتي رجل قـد قتلـوا، واكثر من ذلك بكثير اصيبوا بجروح خطيـرة. اعلنـت الحكومـة ان عـدد قتلاهـا كان 127 وجرحاها 461. اما المتمردون فقد قتل منهـم 117 رجلاً، كمـا قتـل مايزيد على عشرة مصلين وقعوا في مصـيدة تبـادل النـار فـي صـبيحة اليـوم الأول.

وقعـت آخـر معـارك الحصـار فـي الأقبيـة الواقعـة تحـت أرصـفة الحـرم الرخامية. صرع المهدي بالرصاص وتم تصوير جثته بعد أربعة أيام من القتـال، وذلك كبرهان على انه ليس هو المهدي الموعود، كما ادعى هو وصـهره. لكـن جهيمان واتباعه واصلوا القتال. ورفضوا كل نداء للاستسلام، لأنهم لـم يكونـوا يتوقعـون البقـاء علـى قيـد الحيـاة، أو علـى قيـد حيـاة مريحـة جـداً إذا هـم استسلموا. انسحبوا إلى الأقبية بعد ان طلوا وجوههم بالسواد، ثـم قبعـوا فـي الغرف المظلمة الصغيرة مع فراشهم ونسائهم وماتبقى من مائهم وتمورهم.

---

[4] ـ الصور التي نشرها آل سعود لقتلى الاخـوان لـم يلحـظ عليهـا أي تشـويه أو اخفـاء لمعالم الجثة.

وقد القى جنود الحكومة بالقنابل المسيلة للدموع، ودواليب السيارات المحترقة، واغرقوا الأقبية بالماء ثم غمسوا اسلاكاً كهربائية في الماء في محاولة لكهربة من تبقى من الأحياء وقتله بالصعقة الكهربائية. لكن اسبوعاً كاملاً مضى قبل ان يخرج إلى ضوء النهار جهيمان ورفاقه، وهم يتلوحون ويتعثرون من الارهاق، ويسعلون وعيونهم محدقة وكان كل منهم مكبل اليدين. وقد اضطرت قوات الحكومة إلى التغلب على كل متمرد على حدة حيث اقتحمت مواقع هؤلاء قوات مزودة بأقنعة الغازات ونزعت سلاحهم. وكان جهيمان يرفس ويعارك ويقاوم حتى عندما كانت يداه معقودتين خلف ظهره. غطى التلفزيون السعودي المشهد، وكان جهيمان يحدق بتحد واضح في عدسات الكاميرات، وهو يمد لحيته المشعثة إلى الامام وعيناه محدقتان نافذتان واخزتان وكأنهما عينا وحش مفترس ادرك انه محاصر.

عالجت الحكومة نهاية الحصار بثقة بالنفس اكبر مما اظهرته في البداية. فقطع خطوط الاتصالات مع العالم والتأكيدات المكررة التي اعلنتها وزارة الاعلام خلال الأيام القليلة الأولى بأنه "قد تم تطويق واعتقال جميع المرتدين" كانت قد اوحت بأكثر من مجرد خوف بسيط. إلا انه مع اقتراب نهاية الأحداث، تسلمت وزارة الداخلية مسؤولية معالجة موضوع الاعلام، معترفة بوقوع بعض الأخطاء فعلاً، وانهت هذه التغطية بمؤتمر صحفي بارع اجاب فيه الأمير نايف، على الهواء مباشرة على كل الأسئلة. سأله احد المراسلين السعوديين القلقين، معلقاً على اللحى الطويلة التي اطلقها المتردون جميعاً على طريقة الاخوان "ماذا سنقول عن اللحى الآن؟".. فأجاب الأمير: "هذه مجرد مظاهر خارجية"، ولكن عدداً غير قليل من البدو حلقوا لحاهم إلى أن اصبحت بطول لحى ابناء المدن الشبيهة بلحى الماعز، خلال الأسابيع القليلة التي تلت ذلك.

لم يكن ماحدث في مكة هو الحكاية كلها. ففي الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر عام 1979م قامت مظاهرات واضطرابات عنيفة في المنطقة الشرقية. اشعلت النار بالباصات والحافلات، وواجهات المحلات والمنازل، كما حطم احد البنوك، وقتل مالا يقل عن احد عشر متظاهراً على أيدي الحرس الوطني. واعتقل عشرات غيرهم، ولم تذع الحكومة شيئاً عن الاضطرابات.

لم يكن لاضطرابات المنطقة الشرقية، من وجهة نظر معينة، اية علاقة باضطرابات مكة. فاضطرابات المنطقة الشرقية جاءت تعبيراً عن مظالم وآلام حوالي مائتي ألف من الشيعة المسلمين الذين يعيشون في بلدة القطيف وحولها منذ قرون عديدة, ولم يكن هناك أي ود مفقود بين الشيعة وبين المتعصبين الوهابيين مثل جهيمان، الذي كان يشعر بأن آل سعود يظهرون تساهلاً وتهاوناً مفرطا تجاه هؤلاء المنحرفين الاسلاميين. ولكن، وكما قدم جهيمان تذكيراً غير مريع بماضي الاخوان الذين ساهموا في خلق المملكة، فقد كان يبدو وكأن اشباح الاخوان قد عادت لتسكن في أرواح ابناء عبد العزيز وتلاحقها، وهكذا فقد اعادت اضطرابات القطيف ذكريات ماقبل سبعين عاماً مضت، حين كان ساحل الجزيرة العربية الشرقي مستقلاً عن نجد، واثبتت ان المشاعر الإقليمية ماتزال تتأجج في الأعماق.

ولو لم يتم فتح المنطقة الشرقية على يد آل سعود، لكانت ثروتها النفطية الهائلة قد جعلت منها دولة مزدهرة بحد ذاتها، بل واغنى من اية دولة اخرى من دول الخليج الفارسي. ولكن في عام 1981م، لايمكن لأي من مدن شرق

الجزيرة العربية (المنطقة الشرقية) ان يقارن بـالتطور العـالي الـذي انجزتـه الكويت والبحرين، أومشيخات الساحل المتصالحة. فالخبر والدمام والظهران تشكل منطقة اقليمية صغيرة ولكن تكاد لا تعـرف التـألق والازدهـار، ومـايزال شيعة المنطقة الشرقية المائتا ألـف[1] يعيشـون فـي حالـة فقـر اذا مـاقورنوا بالأحوال التي يتمتع بها السعوديون في المناطق الأخرى في المملكة.

والواقع ان الشيعة يقومـون بمعظـم الأعمـال اليدويـة فـي حقـول النفـط السعودية، فهم يشكلون نسـبة 40 بالمائـة مـن مجمـوع القـوى العاملـة فـي شركة أرامكو، وان مصيرهم وقدرهم، وهم يحققـون وينتجـون ثـروة المملكـة كلها ويكادون لايتمتعون بشيء منها، انما هو رمـز لعـدم التـوازن الـذي يشـكو منه معظـم الشـرقيين، خلال اضـطرابات وقلاقـل نوفمـبر وديسـمبر 1979م اظهر رسم كاريكاتوري جريء جملا هائل الحجـم يقـف علـى امتـداد الجزيـرة العربية، كان الجمل يرعى في الشرق، بينما يحلب لبنه شخص تجاري الملامح في الغرب، بينما الحليب يقدم إلى شخص كسول يجلس فـي الوسـط، تمامـاً حيث تقع الرياض. فالقصور الجديدة، والوزارات والطرقات السريعة الحديثـة والمستشفيات تبنى في العاصمة بأموال قادمة من المقاطعة الشـرقية، لكـن المنطقة الشرقية نفسها ليس فيها ما تفخر به.

والمشكلة تاريخية في قسم منها. فالمقاطعة الشرقية الـتي يـديرها عبـد الله بن جلوي وابناؤه منذ عام 1913م وكأنها اقطاعية من املاكهـم، اعتـاد آل سعود على الابقاء عليها مطيعة مروضة، ولكن ضعيفة التنمية والتطـوير. وقـد قاوم الجلويون بعنف محاولات الملك سعود في الخمسـينات لوضـع المنطقـة الشرقية تحت اشراف وزارة الداخلية. كما ان سعود ابـن جلـوي، الـذي حكـم المنطقة الشرقية كأمير شبه مستقل علـى امتـداد الخمسـينات، ظـل يرفـض لسنوات عديدة وضع لوحات على سـيارته، ثـم وافـق فـي النهايـة علـى وضـع لوحة تحمل الرقم 151 التي تشبه، بالعربية، العلامة المسجلة التي تختـم بهـا جماله وابله. وحين بدأت الخطط الخمسية تطبق عام 1970م، لم يظهر ابنـاء جلوي أي تعاون تجاه اية مبادرات، كان يبدو من المحتمل ان تزيد مـن سـلطة الحكومة المركزية عليهـم. كمـا ان النزاعـات المحليـة علـى ملكيـة الأراضـي اعاقت عملية امتلاك الأراضي التي كانت وزارات الرياض المختلفة تحتاج إليها لاقامة مشاريع الطرقـات وغيرهـا، وبـدلاً مـن ان يسـتخدموا سـلطاتهم للحـد بحسم من الاحابيل البيروقراطية، بدا ابناء جلوي وكأنهم يزيدون هذه العقبـات تعقيداً وسوءاً[2]..

لكن جذور الاضطرابات الشرقية التي وقعت في شهري نوفمبر وديسمبر من عام 1979م كانت جذوراً دينية، وهنا نجد مرة أخرى ان التـأثير المشـؤوم لآية الله الخميني قد امتد عـبر الخليـج. امتلأت الصـدور فرحـاً بثـورة الملالـي

---

[1] ـ يقدر عدد سـكان الشـيعة فـي البلاد، فـي المنطقـة الشـرقية، والجنوبيـة والغربيـة (المدينة المنورة)، بحوالي 20 بالمائة من السكان، أي اقل من المليونين من اصـل ثمانيـة ملايين، وتحاول الحكومة اعطاء احصائيات اقل بعدد السكان الشيعة.

[2] ـ يجدر بنا ان نقـول هنـا ان آل جلـوي يرجعـون فـي نسـبهم لآل سـعود، فهـم عائلـة واحدة.. لكن آل سعود الآن يـبررون اهمـال المنطقـة الشـرقية بأنهـا نتيجـة مـن فسـاد آل جلوي، بينما الحقيقة ان آل جلوي وآل سعود وجهان لعملة واحدة، وكل سياسات آل جلـوي هي من صنع آل سعود انفسهم.

الايرانيين، فشعر اخوتهم الشيعة في الجزيرة العربية بالقوة عل النضال من أجل حقوقهم هم، وعادوا من رحلات الحج وهم يحملون أشرطة الكاسيت، واللافتات والملصقات والمنشورات التي تحضهم وتحثهم على الثورة على "بغي" من يضطهدونهم.

كان هذا "البغي والظلم والطغيان" اجتماعياً اكثر منه ايحاءاً من الحكومة. فقد دافع آل سعود، منذ أيام عبد العزيز، عن حق الشيعة بالتعبد والصلاة في مساجدهم الخاصة، وسمحوا لهم بالسفر لأداء طقوس الزيارة الخاصة بهم إلى الأضرحة الشيعية، التي كان الوهابيون يعتبرونها بالغة الأذى والاساءة. ولكن الوهابيين العاديين كانوا يمارسون تمييزاً يومياً مسيئاً تجاه الأقلية الشيعية، وهو ماجعل الشيعة يشعرون وكأنهم مواطنون من الدرجة الثانية. فتجمعوا في بساتين النخيل في القطيف وكأنها منطقة "غيتو/عزل" وحين بدأت شركة أرامكو بتوظيف العمال في حقول النفط، فرح الشيعة حين وجدوا رب عمل لم يكن دينهم مشكلة بالنسبة له.

وكان شعور الشيعة بالظلم يزداد وضوحاً وجلاء كل عام مع بداية شهر محرم، الشهر الأول في العام الهجري، حين يسير الشيعة في جميع انحاء العالم في مواكب تقليدية لإحياء ذكرى وفاة الحسين، حفيد الرسول، ويعيدون علنا تصوير احداث آخر معاركه التي كانت القاضية، وذلك في طقوس قوية مؤثرة للغاية تذكر من يراها بأشد المسرحيات الميلودرامية عاطفية، فيلطمون انفسهم حتى الادماء اثناء ممارسة طقوس جلد النفس بالسلاسل علناً.

لقد منع آل سعود على الدوام ممارسة هذه الطقوس علناً، باعتبارها يمكن ان تستثير مشاعر الوهابيين المحليين. لكن شيعة القطيف قرروا في شهر نوفمبر 1979م، بتحريض من الخميني، وتوهماً أكيداً بأن أحداث مكة قد اضعفت م ن يقظة الحكومة، قرروا الخروج إلى الشوارع، وهم يجلدون انفسهم بحبالهم[1]..

الا انهم اخطأوا الحساب بشكل فادح. فقد انقض الحرس الوطني عليهم بعنف وحشي، كما ان الامير احمد بن عبد العزيز، نائب وزير الداخلية، طار إلى الظهران لتنسيق ووضع برنامج قاس ومتشدد للاعتقال والاستجواب. وما ان حلت نهاية شهر ديسمبر عام 1979م الا والقطيف يحكمها الحرس الوطن وحواجزه على الطرق، وامتلأ سجن الهفوف، وعادت المنطقة الشرقية إلى هدوئها مرة اخرى. كل ماتبقي على الرياض، بعد حسمت الأوضاع شرقها وغربها، هو ان تتعرف على الأخطاء التي وقعت وعلى كيفية تحاشي مثل هذه الاضطرابات في المستقبل.

تم التعامل مع جهيمان واتباعه بسهولة كبيرة. ففي أوائل شهر يناير (كانون الثاني) من عام 1980م، أي بعد اقل من شهر من خروجهم محطمين من أقبية الحرم، وعيونهم تحترق بالغاز المسيل للدموع، قسم ثلاثة وستون من اتباع المهدي أعلى مجموعات كل منها حوالي ستة اشخاص، وارسلوا إلى مكة والرياض والمدينة والدمام وبريدة وحائل وابه ا وتبوك وذلك لاعدامهم بالسيف.. أما النساء اللواتي ساعدنهم داخل الحرم فقد حكم على كل منهن

---

[1] ـ هذا كلام رخيص للاستهلاك.

بالسجن مدة عامين بينما وضع الأطفال في مركز للاصلاح. وحكم بالسجن على تسعة عشر رجلاً ادينوا بتزويدهم بالسلاح، كما اطلق سراح ثمانية وثلاثين رجلاً لم يكن بالامكان اثبات تورطهم. أما بالنسبة للرجال الـ 63 الذين اثبت انهم لعبوا دوراً فعالاً في القتال داخل الحرم، فلم يكن لهم أي حظ من الرحمة.

فجاء أمر الملك خالد يقول "اقتلوا اولئك الذين ارفقت اسماؤهم بهذا البيان". وتابع في رسالته إلى وزارة الداخلية قائلاً: "اقتلوهم ارضاء لله، ودفاعاً عن قدسية الكعبة المقدسة، وعن عباد الله، وتهدئة لغضبة المسلمين."[1]..

وهكذا ففي صبيحة التاسع من شهر يناير 1980م، اقتيد المتمردون الثلاثة والستون إلى ميادين الساحات العامة في المدن التي ارسلوا اليها وهناك قطعت رؤوسهم علناً. ارسلت وزارة الأوقاف التي تشرف على المساجد في البلاد تعليماتها إلى جميع أئمة المساجد ليلعنوا المتمردين في خطب يوم الجمعة التالي، كما تحدث الناطقون بإسم الحكومة بكلام شبيه بصرعة جيم جونز (Jim Jones)، وبمنطق الانتحار الجماعي في غياناً ـ بأن ما جرى كان مأساة نزوة غريبة كان يمكن ان تقع في مكان تقريباً على سطح الأرض[2]..

لكن هذا كان اقل من نصف الحكاية. فلو كان جهيمان واتباعه شلة من المهووسين المضللين الشاذين المنحرفين، دون ان يكون هناك ما يبرر تمردهم، ولايمثلون أي منحى حي من مناحي الشعور في المملكة، فلماذا قام الأمير فواز ابن عبد العزيز، حاكم مكة، والذي وجه جهيم ان اليه الانتقادات الخاصة بالتحديد، بتقديم استقالته بعد اسابيع قليلة من وقوع الحادثة؟ ولماذا قام الملك خالد باستبدال الحكام القائمين في عدد من مقاطعات المملكة باخوته النشيطين والقادرين والاكفاء؟ ولماذا وعد فهد بن عبد العزيز بأحداث مجلس استشاري في نظام الحكم (مجلس الشورى)؟

نظرياً، فإن مجلس الشورى في مكة الذي بايع عبد العزيز عام 1924م لم يحل ابداً. وكان اعضاؤه يجتمعون في المناسبات ومن وقت لآخر اثناء الاحتفالات. كما ان من بين الاصلاحات التي وعد بها فيصل بن عبد العزيز عام 1962م وعد بتحويل هذا المجلس إلى هيئة استشارية وطنية. وقد احيي هذا الوعد عام 1970م بعد فشل انقلاب عام 1969م، كما اعلن خالد وفهد عن نيتهما بتطبيق نظام المجلس بعد قيام الشراكة بينهما في الحكم عام 1975م، وجاءت انتفاضة الحرم لتدفع بالأمير فهد إلى تجديد ذلك الوعد (أي الوعد الكاذب بالطبع ـ المترجم)..

قال ولي العهد في شهر فبراير ـ شباط 1980م "نحن بحاجة إلى مفاهيم جديدة في الحكم" ثم انشأ هيئة برئاسة اخيه نايف لدراسة الشكل الذي يمكن ان تأخذه هذه المفاهيم.

وبعد اكثر من عام من ذلك، اعلن الأمير نايف نتائج دراساته. اقترح تشكيل مجلس استشاري جديد، "من اصحاب الحكمة والمعرفة والخلق العالي، وذلك لتقديم النصح والمشورة للحكومة حول امور وضع السياسات

---

[1] ـ اصبح الملك قاضياً، وناطقاً بإسم الملايين من المسلمين!

[2] ـ وهكذا يكون الدين ورجال الدين والمشايخ لعبة بيد آل سعود!

واقرارها". والاعتقاد السائد هو ان مثل هذا سيكون هيئة اسمية لاصلاحية لها ولا تأثير.

لكن الخطط التي اعدت للمقاطعات كانت اكثر جذرية من ذلك.

فقد اقترح الأمير نايف ان تكون السلطة في المملكة لامركزية، وان يعاد تنظيم الادارة الاقليمية في المقاطعات، كما اقترح ان يجري انتخاب بعض اعضاء هذه الحكومات الاقليمية (الادارات) في المقاطعات[1]..

الملحق الخامس

آل سعود وَوَقع ثورة إيران

من كتاب "*SACRED RAGE*" تأليف روبن رايت

"الاسلام لايعترف بالملكية ولا بالسلالات الحاكمة بالوراثة... وكل الحكام يخافون ان تحذو شعوبهم حذو ايران... وانني آمل ان تتحرر الأقطار الاسلامية الأخرى العالقة في شباك متاع الدنيا وقيمها من هذه القيود، وان تنضم إلى اخوتها في إيران في هذه الحملة المقدسة، لكي تنتصر في معركتها ضد قوى الاستعمار والاستكبار" ـ اية الله الخميني.

هبي ياريح الجنة ـ صيحة الحرب عند "الاخوان".

* * * *

مع ان الشمس لم تكن قد ارتفعت بعد فوق صحراء العربية السعودية الكالحة يوم 20 نوفمبر (تشرين الثاني) من عام 1979م، كان اكثر من أربعين ألف حاج مسلم من جميع انحاء العالم قد تجمعوا في ظلال(*) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

[1] ـ كل هذه الأمور لم تر النور ولن تراه مادام آل سعود في سدة الحكم.

(*) Robin Wright, SACRED RAGE, The Warth of Militant Islam, Andre Deutsch Publishers, ondon, 1986 (PP. 146-172)

[1] ـ ويقول البعض ان الغربيين لايفهمون الاسلام!! ام الشمس والقمر عندهم سيان! حاولت وانا اقرأ هذا النص ان اتصور واحداً منا يحاول ان يحدد موعد صلاة الظهر، مثلاً، بحسب موقع القمر في السماء، خاصة في ليلة المحاق.. ولله في خلقه شؤون. المترجم (على كل حال، فالكاتبة بريطانية، وفي بريطانيا، يبدو ان القمر يطلع اكثر مما تطلع الشمس بكثير!!)... (هذا مع العلم ان روبن رايت عاشت في بيروت اربع سنوات كاملة مراسلة لصحيفة الصنداي تايمز..).

[2] ـ لم يمت احداً، فقد روجت اجهزة الاعلام السعودية ان الشيخ بن سبيل قتل، ثم تبين ان ذلك مجرد كذبة اعلامية سعودية.

[3] ـ وهذا كشف جديد آخر من ابداعات روبن رايت في فهم مغزى الحجر الأسود.

[1] ـ Feisty هي الصفة المشتقة من الاسم Feist، ومعناها الوحيد في القاموس هو الكليب أو الكلب الصغير!!

[2] ـ الثابت عمليات ان آل سعود لم يحاولوا جدياً مناقشة المعتصمين في الحرم، ولذا أرسلوا قواتهم للقتال بعد حوالي 12 ساعة فقط من وقوع الحادثة، وبدون أي فتوى، وانما جاءت الفتوى لاحقة.. اما آل سعود فإنهم عملياً بدأوا بدك الحرم منذ اليوم الأول، كما هو معلوم لكل وسائل الاعلام المحلية والأجنبية.

Carl Rowan

James Schlesinger

[1] ـ قضايا المرأة وحريات المرأة، وعمل المرأة، واختبائها وراء الحجاب، وعدم ذهابها إلى السينما، وتعدد الزوجات، وغيرها.. والتي ينتقد الغربيون آل سعود عليها، نقول لهم، لو ترك الأمر لآل سعود لفعلوا كل ما اشتهاه الغرب من مفاسد بإسم الحريات و"الثورة الجنسية".. فآل سعود ذكورا واناثاً وازلامهم، كلهم من مؤيدي عادات الغرب البعيدة عن تقاليدنا الاسلامية، بل ويمارسون كل شذوذهم وهم مختبئون في قصورهم..

اننا لا نريد تحديثاً على الطريقة الغربية أو السعودية.. وانما تحديث يتناسب مع عاداتنا وتقاليدنا وماشرعه ديننا.. وتعساً لحريات بلد الكاتبة غير الفاضلة!، ولاعمال آل سعود المخالفة للدين والمتعلقة بشؤون المرأة.. فقد حاولوا اغواءها وتمييعها بالعمل المختلط والبعثات إلى دول الفسق بدون محرم، وبإدخال افكار الغرب غير الاخلاقي، ولكنهم حتى الآن لم يفلحوا في ما أرادوه، وان نجاحاتهم قليلة، اذا ماقارنا مصروفات الالهاء والافساد السعودية..

[2] ـ نعم جهيمان قصر ثوبه، ولكن ليس إلى الركبة!! أو أقل من الركبة كما تفعل نساء الغرب، وانما هو تقصير إلى حد ان الثوب مسدلاً على اعتبار ان هناك حديث شريف يحرم اسدال الثوب إلى الأرض.

James Bucham

[1] ـ من الواضح ان هذه الفقرة هي اقتباس مأخوذة من مرجع آخر، ولكن روبـن رايـت لاتشير إلى هذا المرجع.

[1] ـ وهكذا تم تطبيق الشريقة الاسلامية بحذافيرها، خاصة فيما يتعلق بهدايا آل سعود لشيوخ القبائل. وماذا تعني قوانين الشريعة الاسلامية اكثر من ذلك؟! ماذا يريد السنة؟ وماذا يريد الشيعة؟! وهل في شريعة الله ما يمنع العمالة لأمريكا، وبيع الشعب وثروته واستثمار الأرباح في بيوت الدعارة والقمار والفجور، نقصد قصور آل سعود؟!

[2] ـ آل سعود اذكياء: فقد زادوا من تضييق الخناق على اعناق الشعب بهذه الأمور التافهة لسببين: أولاً: ليزيدوا من نقمة المواطنين على "الاصوليين الاسلاميين" وثانياً، لأنها لم تكلف آل سعود وحاشيتهم شيئاً على صعيد ارتباطاتهم السياسية والعسكرية والمالية.

[3] ـ نذكر هنا ان دراسة اعدها نداف سفران في كتابه "العربية السعودية: هم الأمن الذي لاينتهي" حول الانفاق السعودي على الدفاع والأمن، ذكر فيها ان آخر ميزانية دفاعية لآل سعود بلغت حوالي المائة مليار ريال، في حين ان اقصى ماتستطيع قوات آل سعود ان تفعله من باب المواجهة والتحدي هو ان تقف في وجه جيش اليمن الجنوبي، وبالكاد!! أي ان آل سعود يدفعون لأمريكا عشرين ألف ريال سنويا عن كل رجل وطفل وامرأة وشيخ مقابل السلاح الذي يكفي لمواجهة... اليمن الجنوبي!! إلا ان اعترافات السفير اعلاه تؤكد بأن شركات السلاح الأمريكي تعيد، بشرف وامانة آل كابوني، جزءاً كبيراً من هذه المبالغ الهائلة إلى الشعب السعودي، ممثلاً في جيوب امرائه.. الفقراء..

[1] ـ تحت هذه الحجة دأب آل سعود على حرمان كل القوى العربية والاسلامية، منـذ ان سيطر ابن سعود على الحجاز، من الاستفادة من هذه المناسبة لإطلاع مسلمي العالم على ما يحكيه الاستعمار والامبريالية ضد ارضهم ووجودهم. ولقد منع ابن سعود شعب فلسطين من نشر الدعاية في مكة ضد بريطانيا واليهود اثناء المذابح التي تعـرض لهـا الفلسـطينيون في الثلاثينات والأربعينات، ومنع عقـد مـؤتمر حـول فلسـطين فـي مكـة أيضـاً. وفـي حيـن استخدم ابن سعود حجة ان هذه مناسبة دينية لايجوز ان تستغل لقضايا سياسية، فـإنه اكـبر لبريطانيا يومها انه لم يفعل مافعل إلا ارضاء لبريطانيا وحفاظاً على صداقته لها.

Robert

Lacey

[1] ـ لاندري لماذا يسمي روبن رايت هذه الحالة بالمفارقة وسخرية القدر، اللهم إلا اذا نسي ان الصين يؤمن بنفس شيوعية الاتحاد السوفيتي، ويوغسلافيا تقول بأنها شيوعية تماماً مثل البانيا، وحتى "أمير المؤمنين جعفر النميري" و"الرئيس المؤمن محمد انور السادات" لم يكونا (بعيدين كثيراً) عما يقوله الخميني حول عموميات الشريعة الاسلامية.

St. John Philby Harry

William Quant

Edward Mortimer

[1] ـ وهذا ايضاً من الدجل والتشويه والطعن.

[2] ـ أي طريقة تحايل على الشرع، فبدل كلمة (ربا) يوضع "رسوم واجور خدمات"!!

Malise Ruthben

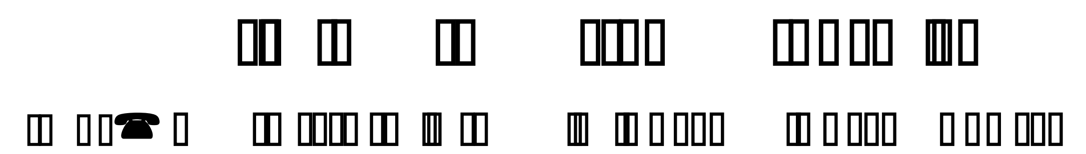
AWACS

[1] 1 ـ ان يقول هذا الكاتب ان ذلك يشكل خلافاً بين آل سعود وبين جميع المسلمين أمر مقبـول، امـا انـه خلاف بين الشيعة والسنة فافتراء وكذب وتضليل. قبل الشيعة الايرانيين، حاول شعب فلسـطين، وهـو سـني بأغلبيته، ان يجند تأييد المسلمين لصالح قضية فلسطين وشعبها، ومنعه ابن سـعود ارضـاء لبريطانيـا، الخلاف الحقيقي والرئيسي ليس بين الشيعة والسنة، ولكن بين اسلام آل سعود واسلام محمد بن عبد الله.

[2] ـ واما ان عاشوراء تأتي في المرتبة الأولى قبل الحـج لفريضـة مـن فرائـض الاسـلام الخمسـة، فهـذا مايرفضه الشيعة قبل السنة، فعاشوراء حادثة وقعت بعد وفاة الرسول واكتمال رسالة الاسـلام. وأمـا تشـبيه عاشوراء بالجمعة الحزينة أو بيوم الغفران، فلابد ان يكون من صنع بعض "المتغربيـن" الـذين يفقـدون حادثـة عاشوراء معناها ومضمونها الاسلامي بقبولهم لهذا التشبيه.

James Bil





[1] ـ هناك العديد من الملاحظات على هـذه الدراسـة، إلا ان هـذا المقطـع غـارق فـي السـطحية وعـدم العلمية والمعرفة بما يجري في البلاد.. فكل مايذكره هنا مديح لآل سعود، والذي يجري عكس مايقوله تماماً.

[2] ـ صاحب الدراسة لم يسمع، أو لا يعلم حقيقة الأمر، واستنتاجاته هنا بعيدة عن الواقع.

الملحق السابع

[1] ـ هذا شاهد آخر على عدم موضوعية ودقة دويشه، فهو يتنبئ بشيء لا اساس له من الواقع.

[1] NADAV SAFRAN, SAUDI ARABIA: The Cealeless Quesr For Security The Bebknap Press of .Haward University Press, 1985

[1] ـ ص 218ـ219.

[2] ـ ص 219.

[1] ـ ص 225: يريد هنا اليهودي ـ الأمريكي نداف سفران ان يقنع القارئ بأن عجلة التغيير والتطور، والطبقات المستفيدة منها كانت ضحية تآمر القوى "التقليدية" المتمثلة بالاصوليين الاسلاميين. كنا نود ان نطرح آراء هذا الباحث دون تعليق، خاصة حول ماقاله عن الاجراءات التي يقام بها النظام السعودي لتهدئة خواطر "التقليديين" لولا ان الصورة التي يقدمها، مجردة من الوقائع الحقيقية، تأتي هنا منافية للواقع، اللهم الا إذا اراد نداف ان يقول ان التغيير والتطور الذي يعنيه هو سرقة ثروة الشعب وتوزيعها على أفراد العائلة المالكة وحواشيها، وفتح بيوت العائلات المسلمة لنوع جديد من "السبايا" و"البغايا" على صورة الخادمات، واغراق البلاد بسيل من "الثقافة الأمريكية" تمثلت بأجهزة الفيديو وأفلام الدعارة وانشاء وباء المخدرات وبناء القواعد العسكرية الأمريكية وتجهيزها بالعناصر والمعدات على حساب الشعب لضرب الأمة الاسلامية. اذا كان هذا هو التغيير المعني، فاستنتاج نداف صحيح، اما اذا كان التغيير يعني وضع مقادير البلاد واقتصادها وثرواتها وقيمها بين ايدي شعبها، فهذا مالم يحصل ابداً، وهو ماقامت الانتفاضة الاسلامية لتطالب به. ـ المؤلف.

[2] ـ نفس المصدر السابق.

[3] ـ اشارة إلى الاضراب الذي قام به عمال أرامكو مطالبين بتحسين اوضاعهم ومساواتهم بالعمال والموظفين الأمريكيين. وقد ضرب النظام هذا الاضراب بيد من حديد وقتل وسجن وطرد قادته من البلاد، متهماً اياهم بأنهم شيوعيون أو قوميون سوريون.

[1] ـ ومن هنا جاء رفض السعودية القاطع بأن توصف بأنها "من دول المواجهة مع اسرائيل" ـ الكاتب.

[2] ـ ماهو التكيف السياسي الذي يطالب به نداف سفران؟

[3] ـ نفس المصدر ص 225 ـ 227.

[1] ـ نفس المصدر ص 230 ـ 231.

[2] ـ نفس المصدر ص 234 ـ 239.

F-15

[1] ـ نفس المصدر ص 277و 279.
[2] ـ المصدر السابق.
[3] ـ نفس المصدر ص 316 ـ 317.

[1] ـ نفس المصدر ص 357 ـ 358.

[2] ـ نفس المصدر 421 ـ 422: اوردنا هذا المثل للمقارنة، ولنظهر مدى الانفاق الهائل علـى آلـة القمـع التي يعدها آل سعود. ونحن لانقول انها آلة قمع من باب الاتهام: فآل سعود لم يحصلوا على السلاح الأمريكي إلا بعد ان قدموا الضمانات القاطعة لأمريكا بأن هذا السلاح لن يوجه إلى اسرائيل بأي حال مـن الأحـوال، والا بعد ان رفضوا رفضاً قاطعاً اعتبار مملكتهم احدى دول المواجهة مع اسرائيل. يبقى السـؤال هنـا، اذن، لمـاذا هذا السلاح؟ وضد من يفترض ان يحمل؟

[1] ـ رغم كل الوقائع والوثائق، فلا يسعنا الا ان نستغرب غياب اسم اسرائيل تماماً من أي احتمال لصدام عسكري خارجي بين السعودية والدول الأخرى.

[2] ـ نفس المرجع ص 433.

F-15

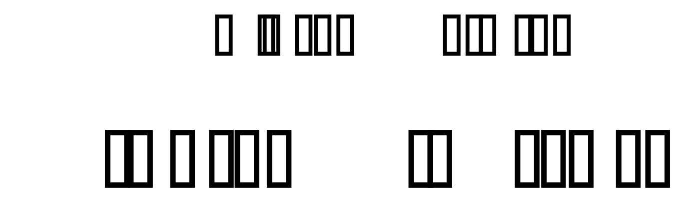
F-15

F-4

F-5

British

Scicon Petroliuom



ولغيرهم

وسلم

الموقعون

